

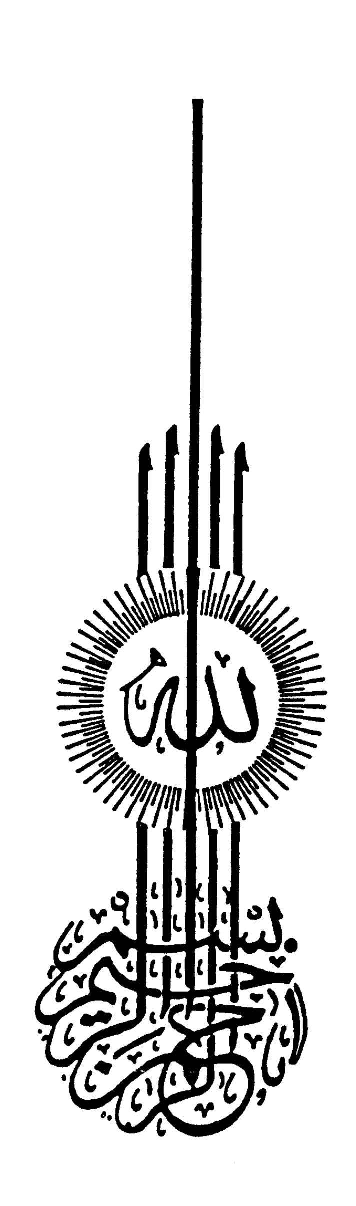
جامعة الإمارات العربية المتحدة
قطاع شؤون خدمة المجتمع

نـــدوة

(التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل)

الجزء الثاني

العين : ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



القـروض والمنح الأجنبية
المشكلة - والحل الإسلامي

ورقة مقدمة إلى ندوة :

"التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل"

والتى تعقد في رحاب جامعة الإمارات العربية المتحدة بالتعاون
مع اتحاد رابطة الجامعات الإسلامية
في الفترة من ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٧٧

اعداد

أ.د. سعد الدين السيد صالح

عميد كلية أصول الدين - جامعة الأزهر بالزقازيق - سابقاً
والأستاذ بقسم الدراسات الاسلامية
بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الامارات العربية المتحدة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه والتابعين

وبعـــد ..

فـإن العـالم الإسـلامي يواجـه تحـديات كبـرى ، وعلى أبناء المسلمين أن يُعِدّوا أنفسـهم لمواجـهة هذه التـحديات ، وإلا وجدوا أنفسـهم خـارج التـاريخ يتـحركون في عالم لم يشـاركوا في صنعه ، هذا وإن من أخطر التحديات التي تواجه العـالم الاسـلامي اليوم مشكلة المنح والقروض والتي أخـذت شكلاً من أشكال الاسـتـعـمـار الجـديد ، تلك المشكلة التى أفقـدت كثـيراً من دول العـالم الإسـلامـي سـيـادتها وحـريتهـا ، ودمرت اقتـصـادها ، ويزيد من خطورة هذه المشكلة أنها لم تعد مشكلة الدول الفقيرة في العالم الإسـلامي فقط بل بدأت تزحف إلى بعض الدول العربية الغنية بعد أن تعرضت لابتزاز مَقنّع من قبل بعض القوى العالمية.

ومن أجل هذه كـانت مـشـاركـتي في هذه الندوة من خـلال مـعـالجة لهـذه المشكلة الهامة.

وتدور الورقة حول النقاط التالية :

١ - تمهيد عالجت فيه جذور المشكلة وأسبابها.

٢ - أهداف القروض الأجنبية.

٣ - خطورة القروض الأجنبية.

٤ - الحل الإسلامى لمشكلة القروض.

أ. د. سعد الدين السيد صالح

عميد كلية أصول الدين - جامعة الأزهر بالزقازيق - سابقاً

والأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية

بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الإمارات العربية المتحدة

تمهيـد :

هناك ظاهرة غـريبـة تسـود العـالم اليـوم ، وهى ظاهـرة الخلل في توزيع الثروة بين الغرب وبين دول العالم الإسلامي فبينما يسكن أوربا شـرقاً وغرباً (ربع سكان العـالم) نجد أنها تستـأثر بأربعة أخماس دخل العـالم من الثروة المالية – أما ثلاثة أرباع العالم بما فيها دول العالم الإسلامي فيعيشون على خمس دخل العالم !!

ولا يمكن تعليل هذه الظاهرة بما يدعيه الأوروبيـون طبقـاً لنظرية التـفوق العنصـري والجنسي حيـث يزعـمـون أن الرجل الأبيض يتـمـيـز – دائمـاً – بالتـفكيـر العـقلي والقـدرة على الاخـتـراع والإبداع والذكـاء – بينمـا الرجل الشرقي على نقيض ذلك فهو خـامل وغير منتج ولا توجد لديه ملكة التـفكير العـقلي الكلي ولا القـدرة على الابتكار والإبداع ، والواقع أن التـعليل الأوربي لظاهرة الخلل في توزيع الثروة والتقدم الـغربي – تعليل باطل ينقضـه التاريخ الموثق للحضارة الشرقية بصفة عامة والإسلامية بصفة خاصة .

فلقد ظهرت حضـارات متقدمة علمياً في الصين والهند وشمـال إفريقيا ومصر قديماً – ثم الحضارة الإسـلامية في دول العالم العربي – ظهرت هذه الحضارات قبل الحضارة الأوربية بقرون عدة من خلال نفس العقول الشـرقية التى يدعى أنها بسيطة وساذجة وغير قادرة على الإبداع .

وأمـا عن التـعليل الصـحـيح لظاهرة الخلل في توزيع الثـروة بين الشـرق والغرب فـيرجع إلى اسـتـعمـار الـغرب لبلاد الشـرق، ونهب أموالهم وثرواتهم الطبـيعـيـة من الذهب والمعادن والبتـرول التي نقلوها إلى بلادهم كـمواد خـام يصنعونها ، ثم يردونها مرة ثانية الى بلاد الشرق لكي يشتريها أصحابها من جديد وبهذا الأسلوب الماكر تحولت الثروة تلقائياً إلى خزائن الغرب ، وافتقرت دول العالم الإسلامي إلى هذا الحد الذي جعلها من دول العالم النامي.

ولقد جاهدت هذه الدول للخروج من تحت نير هذا الاستعمار ونجحت في ذلك إلا أنهـا خرجت وهي منهكة اقتـصـادياً ، وإذا بالدول الاسـتـعـمـارية التي

خرجت من الباب تعود من الشباك مرة ثانية ، ولكن بشكل آخر هو الاستعمار الاقتصادي والذي اخترعوا له كعادتهم أسماء عصرية وبراقة مثل " برنامج التعاون الدولي " الذي أنشأوا من أجله " البنك الدولي " و " صندوق النقد الدولى " و (وكالة التنمية الأمريكية) " وبرنامج الغذاء من أجل السلام" و (مؤسسة الفاو).

هذا ولقد ساعد الغرب على نجاح هذا الأسلوب الجديد عدة عوامل منها :

١ - توسع حكومات الدول النامية في الإنفاق على الأسلحة ومشاريع التنمية التي تتجه إليها الدول عادة بعد الاستقلال لتعويض مراحل التخلف الاستعماري.

٢ - اتجاه هذه الدول نحو التصنيع في الوقت الذى لا تملك فيه الأموال ولا التكنولوجيا، مما أوقعها في شبكة الديون .

٣ - تبادل المصالح بين المستعمرين القدامى ، وطبقة من أبناء هذه الشعوب المحررة انتقوهم بعناية وسلّموا لهم مقاليد الحكم في بلادهم ، بالإضافة إلى طبقة ثانية من الصفوة المختارة من أبناء الدول النامية تكون مهمتها الإشراف على هذه المنح والقروض والانتفاع من ورائها وتبديدها فيما لا طائل من ورائه.

أهداف القروض الأجنبية

ما الذي تهدُف إليه الدول الغربية من إقراض دول العالم الإسلامي ؟ هل هو حب في المسلمين وسائر البلدان النامية ؟ أم انه حرص على تحقيق مصالح خاصة بالغرب الرأسمالي؟

حين توجه هذا السؤال إلى الغربيين يجيبونك على الفور بقولهم:

إنها مساعدات إنسانية لا تهدف إلا إلى مساعدة الفقراء والمحتاجين من أبناء الدول النامية !!

إنها لإنقاذ الذين سيموتون جوعاً !!

هكذا يدّعون ولكن الواقع والوثائق تكذّبهم ، فهذه المساعدات والمنح لا صلة لها على الإطلاق بالنواحي الإنسانية فمثل هذه المشاعر الأخلاقية ساقطة تماماً من قاموس الغرب المادي، وإنما تهدف هذه المساعدات بالدرجة الأولى إلى تحقيق أغراض مادية ، وسياسية ، وعقدية وهذا ما يعترف به إدوارد هيث في صحيفة التايمز حين يقول : " إن وضع الغذاء العالمي خطير فهناك مؤشرات إلى انخفاض الإنتاج بالنسبة للفرد ، وهناك أعداد ضخمة من سكان العالم الذين يعانون سوء التغذية . إن هذا الوضع يؤثر على الدول الصناعية من ناحيتين على الأقل . فمن الناحية الأولى، يؤدي هذا إلى ارتفاع أسعار الغذاء في العالم ، ومن ناحية ثانية يؤدى سوء التغذية المزمن حتماً إلى استخدام غير كفء للمصادر ، وإلى إنتاجية أقل باستمرار ، ومن ثم إلى قدرة شرائية أقل . إن تحسناً في مستوى التغذية يمكن إذن أن يساهم مساهمة كبيرة في دفع مسار النشاط الاقتصادي العالمي، بمثل ما هو حتمية أخلاقية في حد ذاته"(١).

وهكذا فمساعدة الدول الفقيرة تهدف إلى دفع الاقتصاد العالمي إلى الأمام – كما أن إطعام الفقراء والمساكين يهدف إلى مساعدتهم على الإنتاج – كما تطعم الحيوان لكي يتمكن من العمل في الحقل ودر اللبن في نهاية اليوم ليس إلا .

وحين قام (روبرت ماكنمارا) رئيس البنك الدولي بتكليف " فيلي برانت " مستشار ألمانيا الغربية سنة ١٩٨٠ بكتابة تقرير عن كيفية إصلاح الاقتصاد الغربي - بعد أن مر بفترة ركود حرجة تسببت في الكساد، اقترح برانت على الدول الصناعية أن تحول الأموال والمعونات إلى الدول النامية حتى تزداد إمكاناتها الشرائية فتستورد من الدول الصناعية ، وتساهم في إنعاش الاقتصاد الغربي.

يقول التقرير : " ننسى في معظم الأحوال أن التجارة بين الشمال والجنوب طريق ذو اتجاهين فإن لم يقم الجنوب بالتصدير إلى الشمال ، فلن يكون في إمكانه ان يدفع ثمن صادرات الشمال إلى الجنوب . إن الميزان التجاري في صالح الدول الصناعية بدرجة كبيرة ، وهذا يرجع إلى أنها تبيع منتجاتها المصنعة إلى الدول النامية . إن اعتماد الدول الصناعية على أسواق الجنوب ، اعتماداً له وزنه ، وهو يتزايد"(٢).

وهكذا تكشف هذه الوثائق والإعترافات عن الأغراض الحقيقية للقروض والمساعدات الأجنبية .

وهكذا فالمبادئ الإنسانية ومساعدة المحتاجين هي مجرد ستار للأغراض الحقيقية التي سنفصلها فيما يلي :

١-إنها تهدف إلى استنفاذ ما تبقى من موارد العالم الإسلامي والقضاء على اقتصاده. لأن هذه القروض تمثل الوحش الكاسر الذي يمسك برقبة فريسته ولا يتركها إلا حطاماً .

يقول اليهود ، وهم الذين يسيطرون على اقتصاد العالم الآن : " ويكفي للتدليل على فراغ عقول الأميين المطلقة البهيمية حقاً ، أنهم حينما اقترضوا المال منا بفائدة خابوا في إدراك أن كل مبلغ مقترض هكذا مضافاً إليه فائدة لا مفر من أن يخرج من موارد البلاد ، وكان أيسر لهم لو أنهم أخذوا المال من شعبهم مباشرة دون حاجة إلى دفع فائدة ، وهذا يبرهن على عبقريتنا ، وعلى حقيقة اننا الشعب الذي اختاره الله ، إنه من الحنكة والدراية بحيث أننا

نعرض مسألة القروض على الأميين في ضوء يظنون معه أنهم وجدوا فيها الربح أيضاً"(٣).

وبهذا الأسلوب الماكر الذي وضعه اليهود تفلس الدولة وينتهي اقتصادها نهائياً : لأنه كلما حل ميعاد سداد القرض وجدت الحكومة نفسها مضطرة إلى قرض جديد بفوائد جديدة ، وهكذا تقع الدولة في دوامة يهودية لا تنتهي إلا بانتهاء الدولة نفسها وإثارة القلاقل الداخلية.

٢ – استمرار تبعية العالم الإسلامي وخضوعه للغرب الرأسمالي والسيطرة الصهيونية.

إن معظم هذه القروض التي تهدف في الظاهر إلى مساعدة بلدان العالم الإسلامي إنما تخفي ورائها أهدافاً سياسية وعقدية.

فهذه المساعدات تستخدم لدعم حكومات معينة وهي الحكومات الصديقة للغرب والتي تقوم بتنفيذ سياسيتهم كما تستخدم لدعم أشخاص معينين – داخل هذه الحكومات لأنهم يقومون بتسهيل مأمورياتهم .

وفي هذا يقول : " دان اليرمان " عضو مجلس الأمن القومي الأمريكى سنة ١٩٧٤ : " إن تقديم المساعدات الغذائية لبلد ما لمجرد أن سكانه يتضورون جوعاً لهو سبب واه للغاية ولكن الحقيقة أن هناك أسباباً أخرى أشار إليها مكتب البحوث السياسية التابع لوكالة المخابرات المركزية " في عالم ينتشر فيه الجوع، فإن ما يكاد أن يكون احتكاراً للولايات المتحدة الأمريكية لتصدير المواد الغذائية، يمكن أن يمنحها قدراً من القوة التي لم تكن لديها من قبل . ويمكن أن يكون في شكل سيطرة اقتصادية وسياسية أكبر من تلك التي تمت في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية .. فواشنطن يمكنها أن تستحوذ على سلطة منح الحياة أو الموت على أقدار حشود المحتاجين ".

وكما ذكر إيرل بوتز وزير الزراعة الأمريكي عام ١٩٧٤ أثناء " مؤتمر الغذاء العالمي الذي انعقد انذاك فإن الغذاء هو أحد أدوات التفاوض الرئيسية " أما السناتور هيوبرت همفري، الذي شغل بعد ذلك منصب نائب الرئيس

الأمريكي - وكان يتمتع ببعض السمعة الليبرالية - فقد قال عام ١٩٥٧ :

" سمعت أن هناك أناساً يعتمدون علينا في غذائهم وأعرف أن من المفروض أن هذه ليست أخباراً طيبة ، وإن كانت بالنسبة لي أخبار طيبة ، إذ قبل أن يفعل الناس أي شيء ، لا بد وأن يأكلوا ، فإذا كان ولا بد أن يبحث المرء عن وسيلة تجعل الناس تركن إليه في محتوى تعاملهم معه ، واعتمادهم عليه ، يبدو لي أن الاعتماد الغذائي شيء مريع"(٤).

٣- خلق أسواق جديدة لمنتجاتهم :

تمثل صادرات الدول الأوربية إلى الدول النامية أكثر من ٤٠٪ وللأسف الشديد أن معظم هذه المنتجات التي يدفع بها إلى شعوب العالم النامي منتجات كمالية وترفيه واستهلاكية ، تُخْلَق لها احتياجات غير طبيعية عبر وسائل الإعلام وعن طريق الإعلانات المضللة ، (خذ مثالاً على ذلك أدوات المكياج - والروائح العطرية والسجائر الأجنبية ، والشيكولاته وغيرها من السلع الترفية التي ترهق اقتصاد البلدان النامية).

بل إن بعض تلك المنتجات ضار بصحة الإنسان ، فقد أُجبرت الصين على استيراد الأفيون ، وأُجبرت دول أخرى على استيراد أدوية حرم استخدامها في البلدان المتقدمة صناعياً ، مثل وسائل تحديد النسل وغيرها من الأدوية الضارة بصحة الإنسان.

هكذا تهدف المساعدات والقروض إلى خلق أسواق جديدة تساعد على مزيد من الربح.

يقول (يوجين بلاك) رئيس البنك الدولي الأسبق " تؤلف برامج المساعدات الخارجية فائدة واضحة للمصالح الأمريكية وهناك ثلاث فوائد رئيسية هي :

١ - توفر المساعدات الخارجية سوقاً واسعاً لبضائع وخدمات الولايات المتحدة الأمريكية.

٢ - تنشط المساعدات الخارجية تنمية أسواق خارجية جديدة لشركات

الولايات المتحدة الأمريكية .

٣ - توجه المساعدات الخارجية الاقتصاد الوطني ناحية نظام اقتصادي حر تنتعش فيه شركات أمريكا.

ولقد قال الرئيس الأمريكي (كيندى) ١٩٦١ " إن المساعدات الخارجية هى أسلوب تحافظ به الولايات المتحدة الأمريكية على النفوذ والسيطرة في العالم أجمع .

أما الرئيس الأمريكي نيكسون فقد قال في سنة ١٩٦٨ "دعونا نتذكر أن الهدف الأساسي للمساعدات الأمريكية ليس هو مساعدة الأمم الأخرى ، بل مساعدة أنفسنا "(٥).

نعم فهذه هي تصريحات الساسة الأمريكيين التي تعبر بكل وضوح عن الأهداف الخطيرة للمساعدات والقروض فهل يعتبر الحكام الذين يعتمدون أسلوب القروض طريقاً للتقدم الاقتصادي؟

خطورة القروض الأجنبية :

للقروض الأجنبية خطورة كبرى على مستقبل اقتصاد بلدان العالم الثالث وذلك من جهات كثيرة أهمها :

١ – أنها تستنفذ اقتصاد البلد المقترض في وقت قصير ، لأن نظم الميزانية المعمول بها الآن في بلدان العالم النامي نظم خاطئة ، لأنها تقدر على أساس ماهو متوقع تحصيله من أموال وليس على أساس ماهو متحصل بالفعل ، ولا شك أن ماهو متوقع تحصيله من موارد لا يلزم تحصيله بالفعل طبقاً لما هو مستهدف ومن هنا يحدث العجز في ميزان المدفوعات وتستهلك الميزانية قبل نهاية السنة ، وبالتالي تضطر الدولة إلى تعويض النقص عن طريق القروض.

وهذا مايشير إليه اليهود بقولهم : إن كل قرض ليبرهن على ضعف الحكومة وخيبتها في فهم حقوقها التي لها ، وكل دين – كأنه سيف دامو كليز يعلق على رأس الحاكمين الذين يأتون إلى أصحاب البنوك منا (...) إن القروض الخارجية مثل العلق الذي لا يمكن فصله عن جسم الحكومة حتى يقع من تلقاء نفسه ، أو حتى تتدبر الحكومة كي تطرحه عنها ، ولكن حكومات الأميين لا ترغب في أن تطرح هذا العلق، بل هي على عكس ذلك ، فإنها تزيد عدده، وبعد ذلك كتب على دولتهم أن تموت قصاصاً من نفسها بفقر الدم"(٦).

وهكذا يؤدي القرض إلى إفلاس الدولة ، لأن القرض هو عبارة عن مضاعفة الدين الأساسي، فلو أننا إقترضنا قرضاً بفائدة ٥٪ مثلاً – ففي عشرين سنة سوف ندفع مبلغاً يعادل القرض ، وفي أربعين سنة سوف ندفع ضعفين ، وفي ستين سنة سندفع ثلاثة أضعاف المقدار، وفي الوقت نفسه يبقى الدين كما هو لم يسدد بعد ، وبالتالي فالفائدة من القروض إنما تعود أولاً وأخيراً على اليهود من أصحاب البنوك ، وأضف إلى ذلك أن القروض قد لا تكون في صورة أموال بل في صورة عدد وعتاد أو مشروعات تحددها الدولة المقرضة ، وقد يكون القرض مشروطاً بقيود سياسية تحدد حرية الدولة

المستدينة ، وكان من المفروض أن تتجه الدولة إلى زيادة الإنتاج وفرض الضرائب على القادرين بدلاً من الاستدانة .

٢ - أنها مشروطة ومقيدة وتهتم بمصلحة المقرض بصرف النظر عن مصلحة الطرف الضعيف وهو المقترض.

وفي حالات كثيرة يقوم " البنك الدولى " و " صندوق النقد " و " وكالة أيد الدولية " الأمريكية (ووكالة التنمية الدولية) ، بإعداد برامج مفصلة ، وعلى الحكومة المعنية أن تتبناها كشرط للحصول على قروض أو نقود من تلك الوكالات وهذا شئ معروف تماماً بالنسبة " لصندوق النقد الدولي "، لدرجة أنه حدث شغب في بعض الظروف ضد " صندوق النقد الدولي " وأجبرت بعض حكومات الدول التي حاولت تطبيق برامج الصندوق على الاستقالة أو النكوص عن تطبيقها، وهناك قصص منشورة عن أساليب " وكالة أيد الأمريكية " في الضغط ويطلق على أساليب الضغط عموماً الآن اسم " الروافع " وإن كانت " الروافع " التى يستخدمها " البنك الدولى " بالذات ليست معروفة بالدرجة نفسها ، إذ صرح أحد موظفيه بأنه " يؤمن بالدبلوماسية السرية " لكن حقيقة الأمر أن الوكالات الثلاث تعمل معاً بطريقة وثيقة : فهي على سبيل المثال تعقد اجتماعات في سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في الدولة التي تقدم لهاالمساعدات ، لتقوم بتنسيق مطالبها .

وفي بعض الأحيان، تكون الشروط المعلقة على قروضهم محددة بالضبط كمياً فمثلاً على الحكومة أن تخفض قيمة عملتها بنسبة كذا وعليها أن تخفض نفقاتها بنسبة كذا وكذا ، وينبغي أن تخفض القيود على وارداتها بهذا القدر، والهدف الأساسي من الشروط يمكن أن يكون : التأكد من أن النظام المالي مستقر ويعمل بطريقة سلسة تجنب عدم الوفاء بالديون، وتجنب التأميمات ، وتجنب وضع أية قيود على سريان الأرباح إلى الخارج ، وتجنب وضع أية قيود على الواردات ، وتشجيع القطاع الخاص ، والاعتماد على التفاعل الحر لقوى السوق ، ويتوقع من الحكومات أن تؤقلم نفسها مع المشكلات الناتجة عن تلك الشروط ، من خلال إجراءات تقشف ، مثل

استقطاع المصروفات الحكومية، وخاصة ذات الأهداف الاجتماعية ، وأن توازن الميزانية وأن تستقطع الأجور لخفض التضخم .

ويبررون تلك السياسة بأنها تهدف لمزيد من النمو الاقتصادي ولكن عند التطبيق يزداد الفقراء فقراً ويزداد الغني غنى، أما النمو المنشود فهو سراب(٧).

٣ - كما أن هذه القروض تقدم لأجل مشروعات محددة ، قد تكون اهميتها بالنسبة للبلد المقترض في الدرجة الثالثة أو الرابعة - فبينما تكون بلدان العالم الثالث في حاجة إلى بناء مصنع أو استصلاح أرض بور وزراعتها ، تجد أن القروض توجه إلى كماليات لا قيمة لها - مثل مشاريع تجميل المدن والقرى بالنافورات والحدائق وغير ذلك من الأمور الهامشية في حياة شعب يعيش على الدين في رغيف العيش .

وقد يكون هناك جزء كبير من القروض في صورة سلع لا بد من شرائهامن الدولة المقرضة، ومعظمها من السلع الراكدة وبأسعار أعلى من الأسعار العالمية، حتى أنه قدر متوسط سعر البضائع التي تمولها المساعدات بأنه يزيد بمقدار ٢٥٪ عن الأسعار العالمية.

وأما عن المشاريع التي تقام في البلدان المدينة بواسطة هذه القروض، فهي مشاريع يعود عائدها أولاً وأخيراً على الدولة المقرضة حيث تقوم باستغلال القوى العاملة الرخيصة والإعفاء من الضرائب، وما يسمى بمقابل براءات الاختراع، ومقابل الإدارة ، ومقابل مرتبات الفنيين الأجانب والمستشارين وما إلى ذلك(٨) .

وهكذا تكون البلدان الفقيرة هي التي تساعد الدول الغنية حتى قيل أن الشركات الأجنبية التى تستثمر أموالها في الدول النامية تحصل على حوالى ٨٠٪ من راسمالها من الدول النامية نفسها - بل إنها حين تستثمر أموالها في بلدانها لاتحصل على نصف ما تحصل عليه من استثمارها من الدول النامية.

٤ - كما أن هذه القروض تركز على النواحي الهامشية - ولا تهتم

إطلاقاً بالإصلاح الحقيقى للاقتصاد، أو التحديث الصناعي بل إنها توجه الدول المدينة إلى الاكتفاء بإنتاج الخامات والسلع الأولية .

والدول الاستعمارية بصفة عامة تحاول أن تخفي عنا أسرار الصناعات الهامة وهي غير مستعدة لأن يشاركها أحد في تقنيتها، فالأسرار الصناعية يتم حمايتها جيداً ، أما التقنية التى يتم نقلها فتتم بأي صورة وكيفما اتفق، وبطريقة مجَزّأة.

وبناءً على هذا فحين يتم تبادل تجاري بين الدول النامية والدول الغنية يكون غير متكافئ ، لأن الدول الغنية تقول إن بضاعتنا قد انتجت بمستوى تكنولوجي عال بينما انتجت بضاعتكم بمستوى تكنولوجى منخفض وبالتالي تطلب الدول المقرضة أسعاراً أعلى لمنتجاتها.

٥ - وأخيراً فهناك خطورة المساس بسيادة الدول لأنه ما دام القرار الاقتصادي بيد الدول الاستعمارية فإن القرار السياسي سوف يكون تابعاً له، وبذلك يضيع استقلال الدول وتخضع للهيمنة الاستعمارية من جديد، حيث تفرض عليها نظم وتعليمات، وتضطر إلى تنفيذها حتى ولو كانت مخالفة لعقائد الأمم وتراثها وعليها أن تنفذ وإلا فالموت جوعاً، والفضيحة العالمية حيث يعلن البنك الدولي إفلاس الدولة وهو إعلان يساوي موت الدولة وشعبها حيث تمتنع جميع الدول عن التعامل معها.

هذه هي بعض وجوه الخطورة الناجمة من القروض والديون.

الحل الإسلامي لمشكلة القروض :

قد يقول قائل وماذا نفعل ونحن لا نجد ثمن الطعام والشراب ، فلا مفر أمامنا من القروض.

إلا أن هذا القائل يفترض أنه يمكن أن يعالج المرض بنفس الداء الذي سببه وهذا أمر لا يقبله عاقل.

أما عن الحل الإسلامي لهذه المشكلة فيتمثل فيما يأتي :

أولاً : تحقيق الاستقلال الاقتصادي والتنمية المستقلة وذلك من خلال التوجيهات التالية :

١ - ترشيد الإنفاق وضبط الاستهلاك ، والبعد عن الاقتصاد الترفي وذلك ما وجه إليه القرآن الكريم في كثير من آياته وخذ على سبيل المثال قوله تعالى :

(إن المبذرين كانوا إخواناً للشياطين)(٩) وقوله (ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين)(١٠).

وقوله تعالى : (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين)(١١).

فالقانون الذي يحكم سلوك المسلم الاقتصادي هو التوازن والاعتدال، فلا إسراف ولا تقتير(١٢) .

وحين توضع هذه القيم " موضع التنفيذ تحل المشكلة لأن التنمية تفترض ان يقتطع المجتمع من استهلاكه الحالى ليستثمر الفائض في زيادة طاقته الإنتاجية وهو ما يسمى في الاصطلاح الحديث بالتراكم الرأسمالى (١٣).

٢ -فرض الضرائب على القادرين لتعويض العجز في ميزان المدفوعات .

٣ - وضع نظام الزكاة موضع التنفيذ وتحصيل حق الفقراء والمساكين من الأغنياء والقادرين فجباية الزكاة تؤدي إلى مزيد من التنمية لأن صاحب المال المخزون يخاف أن تأكله أموال الزكاة.

وبالتالي يتجه إلى مشاريع التنمية التي تستوعب العمال العاطلين عن العمل كما تؤدي إلى مزيد من التراكم الرأسمالي الذي يحرر الاقتصاد الإسلامي من سيطرة الاقتصاد الغربي .

٤ - ولا بد من مقاطعة سائر البضائع الأجنبية التي تلتهم أموال المسلمين، وذلك بإغلاق باب الاستيراد تماماً للسلع التي لها مثيل محلي حتى ولو كان اقل جودة، أو على الأقل وضع نظام للحماية الجمركية وزيادة الضرائب على السلع المستوردة ، وذلك أن فتح باب الاستيراد دون ضوابط

يشجع التجارة على حساب الصناعة ، ويؤدي إلى تبعية اقتصادية كاملة، وإن كان ذلك يستحيل في ظل نظام العولمة الجديد.

٥ – ولابد من الاعتماد على الذات ، والثقة في النفس والإيمان بأن قدرتنا الاقتصادية وإن كانت محدودة إلا أنه بسواعد أبناء المسلمين وبمواردهم يستطيعون تنمية هذه القدرات.

والاعتماد على الذات لا يعنى الانغلاق على النفس بل إن حقيقته تتمثل أساساً في نفي التبعية الفكرية التى تتمثل في ازدراء القدرات الذاتية والتطلع – دائماً عندما تحدث لنا أية مشكلة – إلى غيرنا بحثاً عن الحل الجاهز.

إنه موقف ثقة بالنفس وبالشعب واحترام للتراث الحضاري لشعوبنا وقدرتها على الإبداع والابتكار والخروج من الأزمة(١٤).

٦ – المشاركة الشعبية في التنمية واعتبارها من قبيل الجهاد في سبيل الله والارتفاع بها إلى مستوى العبادة ، وذلك بترسيخ القيم الإسلامية في مجال العمل .

فالإسلام يعتبر كل أفراد المجتمع من العاملين بصرف النظر عن طبيعة عملهم وبذلك يسوي بين الجميع.

كما أن الإسلام يكرم العمل والعمال ويضمن لهم حقوقهم وواجباتهم (١٥).

٧ – ترسيخ القيم الإسلامية في مجال الزراعة واستصلاح الأرض البور، ومجال استخراج المعادن والتنقيب عن خفايا الأرزاق التي وضعها الله في جوف الأرض(١٦) ومجال استغلال الثروات المائية ، ومجال الصناعة بأنواعها وأشكالها وقد تحدثنا بالتفصيل عن هذه القيم في كتابنا انهيار الشيوعية(١٧).

ثانياً : تحقيق التكامل بين دول العالم الإسلامي : خاصة وأن العالم الإسلامي يملك المقومات التي تجعل منه قوة عظمى في طليعة القوى العالمية.

فالعالم الإسلامي يملك من المقومات البشرية ما يزيد على ربع سكان العالم موزعين على ما يقرب من سبعين دولة يمثلون أكبر تجمع بشري يرتبط بعقيدة واحدة. وعبادة واحدة وتاريخ واحد ، (فالإسلام يملك قوة عجيبة على تجميع الأجناس المختلفة تحت راية واحدة ، وله من الطاقة الروحية ما يدفع المؤمن به إلى الدفاع عن أرضه وثرواته مسترخصاً في سبيل ذلك كل شيء حتى روحه)(١٨).

كما أنهم يملكون أكثر من ربع مساحة اليابسة متصلة بعضها ببعض بصورة تدعو إلى العجب !! كيف تتمزق هذه الأرض المتواصلة إلى دويلات مستقلة!

أضف إلى هذا المقومات الجغرافية حيث يطل العالم الإسلامي على مسطحات مائية خطيرة تخترقها أهم المواصلات البحرية في العالم - ولعل الهيمنة الأجنبية على الخليج تكشف لنا أهمية وخطورة الموقع الجغرافي للعالم العربى الذي يمثل قلب العالم الإسلامي.

ثم تأتى بعد ذلك المقومات المالية والاقتصادية:

فكثير من دول العالم الإسلامي تملك مئات المليارات المودعة في بنوك أوربا يستفيد بها أعداء الإسلام عن طريق إقراضها للمسلمين الفقراء ومن خلال هذه القروض يتحكمون في كثير من بلدان العالم الإسلامي.

ولو أن أغنياء المسلمين أقرضوا فقراءهم ، لكفوهم مذلة السؤال من الغرب بالإضافة إلى الثروات الزراعية والحيوانية ومصادر الطاقة الهائلة والثروات التعدينية التي لم تقدر تقديراً نهائياً بعد(١٩).

إذاً فلا عذر اليوم لحكام المسلمين بعد اكتمال عناصر الوحدة الطبيعية (القوة البشرية - والأرض - والعقيدة - والمال) فضلاً عن باقي عناصر الوحدة الأخرى(٢٠).

فكل هذه المقومات تجعل العمل العالمي الإسلامي فريضة وضرورة.

خاصة وأن العصر الذي نعيش فيه هو عصر التكتلات الاقتصادية ، فمن

الوحدة الاقتصادية الأوربية . إلى الوحدة الألمانية ، ومن وحدة دول جنوب شرق آسيا إلى الحلف الأمريكي الإنجليزى الذي يحاول صنع ما يسمى بالنظام العالمي الجديد.

فألا يجب على حكام المسلمين أن يوحدوا العالم الإسلامي الذي يملك كل مقومات الوحدة من وحدة العقيدة والدين إلى وحدة اللغة والمصير ووحدة الظروف التاريخية والحضارية ، ووحدة الآمال والآلام وكل ذلك لم يتوفر لأي تكتل من التكتلات العالمية التي ظهرت في نهايات القرن العشرين.

الهوامش والمصادر:

(١) صناعة الفقر ص ٣٤.

(٢) المرجع السابق ص ٣٤.

(٣) الخطر اليهودي ص ٢٢٣- ترجمة محمد خليفة التونسي.

(٤) صناعة الفقر ص ١٥٠.

(٥) راجع ص ١٤٦ من كتاب صناعة الفقر.

(٦) الخطر اليهودي ص٢٢١.

(٧) صناعة الفقر ص ١٥٤ وما بعدها.

(٨) صناعة الفقر ص ١٣٣ وما بعدها.

(٩) الإسراء آية (٢٧).

(١٠) الأعراف آية (٣١).

(١١) هود آية (١١٦).

(١٢) راجع ص ٢٥٢ من انهيار الشيوعية للمؤلف.

(١٣) راجع ص ١٢٩ من التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي.

(١٤) التنمية الاقتصادية ص ١٣٤.

(١٥) د. محمد المبارك - نظام الإسلام الاقتصادي - ص ٤٣ وما بعدها.

(١٦) راجع المغنى لابن قدامة - جـ ٥ ص ٥٧٢ ومابعدها.

(١٧) راجع ص ٢٥٤ من انهيار الشيوعية.

(١٨) باول شمتز - الإسلام قوة الغد العالمية ص ٧٠.

(١٩) راجع ص ١٣٣ وما بعدها من كتاب " قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي" - د. زغلول النجار - كتاب الأمة رقم (٥).

(٢٠) راجع (مفهوم وحدة الأمة الإسلامية) للدكتور محمود حمدي زقزوق - ضمن حولية أصول الدين - العدد السادس.

الهندسة الوراثية وتحديات القرن الحادي والعشرين

ندوة

«التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل»

«رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الإمارات العربية المتحدة»

والمنعقدة في المدة من ٢٠ – ٢٢ شعبان ١٤١٨هـ

الموافق ٢٠ – ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

إعداد

أ.د. محمد بخيت عبد السميع

جمهورية مصر العربية

ديسمبر ١٩٩٧م

الهندسة الوراثية وتحديات
القرن الحادي والعشرين

مقدمة:

يواجـه العـالم في الوقت الحـالي ونحن في مـواجـهـة القـرن الحـادي والعشرون تحديات كثيرة جداً عليه أن يتغلب عليها وأولى الطرق التي يجب أن يسلكها العالم لذلك، هو الإتجاه إلى العلم لمحاولة حل المشاكل التي لو تراكمت لأدت إلى كوارث، ومن هذه التحديات التي تواجهنا توفير الغذاء للإنسان الذي تتزايد أعداده زيادة كبيرة مضطرده، لذلك فإن الأعتماد على الطرق التقليدية في توفير الغذاء لن يسعف العالم في هذا التحدي.

وبالتالي كان اللجوء إلى العلم الحديث الواعد وهو الهندسة الوراثية فعلم الهندسة الوراثية يبرز التوحد بين العلم الأكاديمي والإقتصاد والسوق.

ويكمن مفتاح الهندسة الوراثية في السلة الطويلة لجزىء الـ DNA هذا الجزيء الموجود في كل خلية حية يتحكم في نمو ووظيفة الحياة.

ومن خلال إستخدام التكنولوجيا الحديثة وإكتشاف أسرار هذا الجزيء (DNA) فـإن ذلك سـوف يسـاعـد على وجـود حلول للمـشكلات الموجـودة والمحيطة بنا على وجه الأرض.

ويعد علم الهندسة الوراثية ثورة علمية تقدمية تخدم الإنسان وتصل بنا إلى افاق جديدة تفوق الثورة التى أحدثها الكمبيوتر حيث أن الهندسة الوراثية تعد بإنتاج أعداد هائلة مدهشة من المنتجات المفيدة للبشرية بدون تراكم الآثار الجانبية البغيضة للصناعات وما تتركه من تلوث كما نواجه الآن.

فالبيئة أصبحت مشبعة بمشاكل كثيرة تتعلق بالزيادة السكانية التى لا تتوقف مـثل التغيرات المناخية الغير مواتية للإنسان، بالإضافة إلى التلوث الرهيب في البيئة. فالهندسة الوراثية تعدنا بأن لا تحمل البيئة أكثر مما تحتمل من حيث الغازات مما تقدم يتضح أنه على العالم النامي وبالأخص العربى والإسلامى أنه يتوجه لإستخدام التقنيات الحديثة والتي من شانها أن تساهم

في حل مشاكل كثيرة أهمها القضاء على الفجوة الغذائية الموجودة حالياً والتى سوف تتفاخم نتيجة الزيادة المضطردة في أعداد السكان وخصوصاً أن العالم يقدم على مشكلة نقص المياه والتي سوف تعوق التوسع الأفقي في مساحة الأرض الزراعية.

وبالتالي فأن أتجاه العالم لإنتاج نباتات تقاوم الملوحة والجفاف يعتبر من الأهداف التي لا غنى عنها في المستقبل القريب وخاصة في المنطقة العربية والأفريقية.

كما أن تحسين جودة المنتج الزراعي وزيادة إنتاجية وحدة المساحة عن طريق إنتاج نباتات تقاوم الحشرات ومسببات أمراض النباتات المختلفة تعتبر أيضاً من التوجيهات التي يمكن الوصول إليها باستخدام الهندسة الوراثية.

طريقة عمل الجين لإحداث المقاومة:-

من المعروف أن الفيرس أساساً يتكون من منطقة الرأس ومنطقة الغطاء وأن الفيرس لكي يتكاثر في العدد فإن ذلك يتطلب نزع الغطاء الـ Coat ثم تكاثر الـ DNA الموجود بمنطقة الراس ثم بعد ذلك يقوم بنسج الغطاء مرة أخرى على الأعداد الجديدة المنتجة من الفيرس وهذا يعني أن عملية نزع الغطاء لابد أن تتم أولاً حتى يتم تكاثر الفيرس.

ولما كان وجود الجين الخاص بتكوين الغطاء في الخلية النباتية يؤدي إلى تكوين الغطاء ووجوده دائماً في الخلية النباتية فإن الفيرس حين يهاجم الخلية النباتية ويبدأ في عملية نزع غطائه لكى يتكاثر فانه يتم تغطيته مباشرةً بالأغطية الموجودة في الخلية النباتية فلا يستطيع التكاثر وبالتالي يفقد القدرة على إحداث الإصابة بالنبات وينجو النبات من مهاجمة الفيرس.

إنتاج نباتات مهندسة وراثياً لمقاومة الإجهاد البيئي

الأساس الجزيئي للأقلمة للإجهاد البيئي

الإجهاد البيئي:

هو أي تغير في الظروف البيئية المحيطة بالكائن والتي تؤدى إلى تقليل أو إحداث تغيرات معاكسة في النمو. ويعتبر الجفاف والملوحة والبرودة أو التجمد بالإضافة إلى الحرارة العالية من أهم صور الإجهاد البيئي المعروفة.

وتؤدى معظم صور الإجهاد البيئي إلى التأثير على حالة المحتوى المائي في النبات بالسالب فقد ثبت أن الجفاف الفسيولوجي يحدث للنبات أثناء تعرضه للبرودة الشديدة أو الملوحة وبالتالي يتعرض النبات لعدم تيسر الماء المهم جداً في العمليات الفسيولوجية والحيوية.

وبالرغم من إختلاف الأنواع النباتية في مدى الحساسية والإستجابة لنقص الماء المتسبب بصور الإجهاد البيئي المختلفة مثل الجفاف والبرودة والحرارة الشديدة فإنه يمكن القول بأن كل الأنواع النباتية لها قدرات مختلفة على الإحساس والإستجابة لهذه الأشكال من الإجهاد البيئي تكمن في تركيبها الوراثي وذلك:

١ - لأن معظم الأنواع النباتية المنزرعة لها أقارب برية تستطيع تحمل الإجهاد البيئي.

٢ - كما أن الدراسات الكيماوية الحيوية أثبتت أن هناك تشابه في العمليات الحيوية المستحدثة نتيجة التعرض للإجهاد والتي تؤدي إلى تراكم نواتج العمليات الحيوية في النباتات الوعائية والغير وعائية والطحالب والفطريات والبكتريا. وتشمل نواتج العمليات الحيوية المستحدثة بالتعرض للإجهاد البيئي على مركبات محتوية على النتروجين مثل (البرولين، احماض أمينية أخرى ومركبات أمينية رباعية التركيب والبولى امينز) وكذلك مركبات محتوية على مجموعة هيدروكسيل مثل (السكروز والمانيتول).

وتهدف الهندسة الوراثية الزراعية إلى:

١ - إنتاج نباتات مقاومة للحشرات وبالتالي الفاقد من الإنتاج النباتي يقل بنسبة حوالي ٣٠٪ مع عدم الإعتماد على المبيدات.

٢ - توفير العملة الأجنبية بتقليل إستيراد المبيدات من الخارج.

٣ - المحافظة على نظافة البيئة بتقليل إستخدام المبيدات والأسمدة الكيماوية والتي لها أثر سيء جداً على صحة الإنسان والحيوان.

٤ - تحسين القيمة الغذائية للمنتجات الزراعية بنقل الجينات المتحكمة في بعض العناصر الغذائية المهمة للإنسان والحيوان.

٥ - إنتاج نباتات مقاومة للفطريات والفيروسات والبكتريا وبالتالي مقاومة لأمراض النبات المختلفة دون اللجوء إلى المبيدات الكيماوية.

٦ - إنتاج نباتات مقاومة للإجهاد البيئي مثل الجفاف والملوحة والصقيع ودرجات الحرارة المرتفعة.

إستخدامات الهندسة الوراثية لتحقيق الأهداف السابقة:-

إنتاج نباتات محورة وراثياً ومقاومة للإجهاد البيولوجي:

يعرف الإجهاد عموماً بإنه أي تغير في الظروف المحيطة بالنبات تؤدى إلى تقليل أو تغير نمو النبات وبالتالي التغير في إنتاجيته. ويقسم الإجهاد إلى قسمين رئيسيين:

أولاً: إجهاد بيئي أو غير بيولوجي مثل الجفاف والملوحة والحرارة الزائدة أو التجمد.

ثانياً: إجهاد بيولوجي ويتسبب عن كائنات حية تسبب ضعف أو موت النبات. ومن المسببات الحيوية للإجهاد: (الفيروسات، الفطريات والبكتريا، النيماتودا أو الحشرات).

ونتيجة التطور الهائل في علم الوراثة الجزيئية وبإستخدام طرق الهندسة الوراثية الحديثة اتجه العالم للبحث عن جينات يمكن إضافتها لنباتات

المحاصيل المنزرعة لكي تقاوم ظروف الإجهاد البيولوجي وبالتالى تزداد إنتاجيتها.

وتعتبر محاصيل الحبوب من أهم المحاصيل على المستوى العالمي نظراً لأهميتها القصوى للإنسان لذا كان الإهتمام بتحسينها ومحاولة إنتاج نباتات محورة وراثياً تحتوى على جينات لمقاومة عوامل الإجهاد البيولوجي ومنها على سبيل المثال المقاومة للحشرات.

وتعتبر الحشرات من أهم العوامل البيولوجية التى تسبب خسائر للنباتات عموماً وتتكلف مبالغ طائلة لمقاومتها بالمبيدات الكيماوية والتي تسبب تلوثاً شديداً للبيئة وبالتالي تسبب مشاكل صحية للإنسان والحيوان في آن واحد.

لذا اتجه العلماء للبحث عن مصادر لجينات مسئولة عن إنتاج بروتينات قد تسبب سمية للحشرات.

ومن أهم هذه الجينات التي تفرز بروتين يسبب موت الحشرات عند مهاجمتها للنباتات هو الجين المعروف بالـ Bt endotoxin gene والذي تم عزله من بكتريا التربة المسماه Bacillus thuringiensis وقد وجد أن هذه البكتريا تفرز بروتين يسمى endotoxin ويسبب هذا البروتين السمية للحشرات عن طريق إحداث ثقوب في الأغشية مسبباً تحلل الخلايا. وقد وجد أن عدد قليل من جزئيات هذا البروتين تؤدى إلى تغير في الطبيعة الأسموزية للخلايا الطلائية لمعدة الحشرات مؤدية إلى تحلل الخلايا.

وقد وجد ان سمية البروتين الطبيعي الناتج من البكتريا تكون ضعيفة ولا تؤدى إلى موت كامل للحشرات وبالتالي نقل الجين الطبيعي لا يؤدي إلى حماية النباتات بالكامل من الحشرات واتضح أن السبب هو أن الجين الطبيعي محتواه عالى من A/T وأن المادة الوراثية النباتية تكون ذات محتوى عالى من الـ G/C لذا وجب زيادة نسبة الـ G/C في الجين لكي يقوم بالتعبير الكافي وإنتاج البروتين بكمية تكفي لموت الحشرات.

وبالتالي اتجه العلماء لتصنيع الجين بحيث تزيد نسبة الـ G/C وبذلك

يكون ذا فاعلية أكثر. كذلك وجد العلماء أنه يلزم استخدام المحفز المناسب ليقود عمل الجين بكفاءة.

وهناك أيضاً مجموعة أخرى من الجينات تستخدم أيضاً لمقاومة الحشرات منها الفينول أكسيديز ومثبطات البروتينيز والتي تثبط إنزيمات الهضم في الحشرات واتضح أن الحشرات تقوم بتحوير هذا البروتين للتغلب على تأثيره السام كذلك اللكتيز أخذت إهتمام كبير من العلماء ولو أن ميكانيكية عملها لموت الحشرات غير معروفة حتى الآن.

ورغم أن إستخدام الأجروبا كتيريم لنقل الجينات للنباتات هي أكثر الطرق المستحدمة إلا أنها تقتصر على ذات الفلقتين أما نباتات الحبوب مثل القمح والذرة فإنها وحيدة الفلقة لذا يجب إستعمال طرق أخرى مثل البندقية البيولوجية والتي تعتبر من أنسب الطرق الأخرى التى يمكن استخدامها حيث أنها لا تحتاج إلى عناء شديد مثل إنتاج بروتوبلاست أو غيرها من التكنيك المعتمد. ويتوقف استخدام أي من طرق نقل الجينات على نوع المحصول والصنف النباتى ونوع الأنسجة التي سيتم نقل الجين إليها.

وقد تم إنتاج نباتات ذرة محورة وراثياً لمقاومة حشرات ثاقبات الذرة والتى تسسب خسارة كبيرة في الإنتاج حيث يمكن نقل جين الـ Bt بإستخدام البندقية البيولوجية وانتخاب نباتات ثم نقل الجين إليها واختيار التعبير الجينى بها ثم أقلمتها في الصوبة واختبار مدى مقاومتها للثاقبات في الصوبة ثم في الحقل بعد إتباع تعليمات الأمان الحيوى لتلافي اي مشاكل قد تحدث.

تحسين القيمة الغذائية للمنتجات الزراعية:-

هناك بعض الحاصلات الزراعية المهمة جداً بالنسبة للإنسان ولكن ينقصها بعض العناصر أو بعض الأحماض الأمينية المهمة لجعلها غذاءاً مؤثراً أو زيادة كفائتها الغذائية للإنسان والحيوان ايضاً. وقد وجد انه يمكن استخدام التكنولوجيا الحيوية والهندسة الوراثية لنقل الجينات المسئولة عن إنتاج هذه العناصر الغذائية المهمة والأساسية إلى الأصناف النباتية المنزرعة لزيادة قيمتها الغذائية وبالتالي كفائتها.

وعلى سبيل المثال فإن الفول البلدي Faba bean يعتبر من أهم المحاصيل البقولية الأساسية لتغذية الإنسان وأيضاً الحيوان في معظم دول العالم النامى وقد أصبح له أهمية أيضاً في الوقت الحالى الحديث في بعض الدول الأوربية حيث أنه يلعب دوراً مهماً في عملية تثبيت النيتروجين في التربة.

ومن المعروف أن بروتين بذرة الفول البلدي ينقصه بعض الأحماض الأمينية المحتوية على الكبريت والتي تعتبر من الأحماض الأمينية الأساسية مثل الحامض الأمينى الميثيونين ونظراً لصعوبة التهجين بين أصناف الفول البلدي وأيضاً لعدم نجاح التهجين بينه وبين الأصناف أو الأنواع الأخرى من الفول وبالذات الأنواع البرية والتي قد تحتوي على نسبة كبيرة من هذا الحمض الأميني فإنه لم يمكن حتى الآن حل هذه المشكلة (زيادة نسبة الحامض الأميني الأساسي الميثيونين) عن طريق طرق التربية التقليدية.

وقد أمكن عزل الجين المسئول عن إنتاج هذا الحمض الأميني من نبات النقل المعروف والذي يعرف بالـ Brazil nut وتم ادخاله لصنف من أصناف الفول والذي يعرف بـ Vicia narbonensis وثبت احتواء النبات المهندس وراثياً من هذا الصنف النباتي المحور والمنتج بطريقة الهندسة الوراثية على نسبة كبيرة من الحمض الأميني ميثيونين وبالتالي زيادة القيمة الغذائية لبروتين الفول.

إنتاج نباتات مقاومة للفطريات والفيروسات والبكتريا:

أمكن باستخدام طرق الهندسة الوراثية الزراعية والتكنلوجيا الحيوية إنتاج بعض الأصناف والمحاصيل الزراعية مقاومة للكائنات الدقيقة والتي تسبب خسارة كبيرة في المحصول علاوة على تكلفة المقاومة العالية.

فقد أمكن عن طريق عزل بعض الجينات وتوصيفها وإضافة المحفزات المناسبة لها ونقلها إلى النبات بإحدى طرق نقل الجينات الحديثة والمعروفة باستخدام الأجروباكتريم

Agrobactereium-mediated gene transformation أو Polyethylene gly-

microprojectile bombardment أو col-mediated transformation أو electroporation إنتاج نباتات مقاومة.

وكمثـال لذلك فقد تم إنتـاج نباتات من الكوسـة ومن الكانتـالوب مـقـاومـة لمرض التبرقش الأصفر في القرعيات وذلك لأول مرة يتم فيـها إنتـاج نباتات مهندسة وراثياً في مصر.

ويعتبر مرض التبرقش الأصـفر في القرعيات من الأمـراض الخطيرة التي تصـيب أنواع القرعيـات وتقضي على الحقل بأكمله في بعض الأحيـان لذلك يسـمى هذا المرض بـ إيدز القـرعيات والذى يسـببـه فـيرس Zuccini Yellow Mosaix Virus (AYMV) وقـد أمكن عـزل COAT PROTEN GENE لهـذا الفيرس وتوصـيفه وإضـافـة المحفز PROMOTER المناسب له وكذلك الـ Ter-minator المناسب أن يقـوم هذا الجين بالتعـبير عن نفسـه في النبـاتات المنقول إليها وقد وجد أن النبـاتات المحورة والمهندسة وراثيـاً من الكوسـة وأيضـاً من الكانتـالوب مقـاومة لهذا الفـيرس حيث يقـوم الجين المنقـول بالتعبير عن نفسـه بعد أن حدث له اندمـاج بالمادة الوراثية الأسـاسـية الخـاصـة بالنبـات وأنه قـام بإنتـاج البروتين المسئول عنه، وأدى ذلك إلى إمكانية القضـاء على الفيروسـات المهاجمة لهذه النباتات. السامة والبقايا الملوثة الأخرى وأيضـاً عدم التعرض للأزمات التي تواجه الإنسان من آن لآخر.

اهمية الهندسة الوراثية للعالم النامي:-

التـحـديات التي تواجـه العـالم المتزايد في أعـداده بدون توقف في الوقت الحالي هي إمداد الإنسـان بالغـذاء والألياف ومـواد خام للتصنيع دون التـأثير على نظافة البيئة وأيضـاً دون التأثير على مسـتقبل إنتاجية المصـادر الطبيعية التي يحصل منها الإنسان على المواد الخام.

ولمواجهة هذا وتحقيقه فإنه يتطلب الدعم المستمر للعلم والأبحاث والتعليم بوجه خاص في الدول النامية والتي سوف تتزايد أعداد البشر بها لتصبح حوالى ٩٠٪ من جملة أعداد السكان في العالم أجمع في العقدين القادمين إذا إستمر النمو السكاني بها بنفس معدله الآن.

ومن الواضح فإن محدودية مساحة الأرض الصالحة للزراعة في العالم وخاصة العالم العربي والشرق الأوسط مع معدل التزايد السكاني الذى لا يتوقف بنسبة حوالى ٢,٧٪ تحتم علينا أن نعمل على زيادة الإنتاج الزراعي للتغلب على الفجوة بين الغذاء والإستهلاك.

ولنأخذ مصر كمثال: سوف يصبح تعداد السكان في مصر حوالي ٧٠ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٠٠ وسيزيد إلى ٢٢٠ مليون بحلول عام ٢٠٢٥ طبقاً للإحصائيات التي تعتمد على معدل النمو السكاني الحالي ورغم المحاولات السفلية التى تبذل لزيادة الرقعة المنزرعة في مصر فإن ذلك لن يؤدي إلى تضييق الفجوة بين إنتاج الغذاء والاستهلاك. فزيادة المساحة المنزرعة بالأرض بمصر من ٧,٤ مليون فدان إلى ١٤ مليون فدان كما هو مستهدف فإن ذلك لن يؤدي إلا إلى توفير ٥٠٪ من الاحتياجات الغذائية لعدد السكان في الوقت الحالى (حوالي ٦٠ مليون نسمة). من هذا يتضح أن زيادة الرقعة الزراعية رغم إنه عامل مهم جداً إلا أن ذلك لن يستطيع وحده سد الفجوة بين الغذاء والاستهلاك.

ومن هنا تتضح أهمية علم الهندسة الوراثية الذي يعتبر وسيلة أساسية لتدعيم الإنتاج الزراعي وزيادته.

وهذه الخاصية الأساسية للهندسة الوراثية يمكن إدراكها عن طريق معرفة الحقيقة التالية: «أن الزراعة تعد القوة الرائدة» رأس الحربة «للتنمية الإجتماعية والإقتصادية».

فهي تمثل حوالي ٣٠٪ من الدخل القومي ويعمل بها حوالي ٥٠٪ من العمالة وتمثل صادراتها حوالي ٢٠٪ من الصادرات المصرية.

مما سبق يتضح أن علم الهندسة الوراثية يمدنا بحلول جديدة غير تقليدية للحفاظ على الزراعة وتوفير احتياجات الإنسان والمحافظة على البيئة وليس تدميرها كما يحدث الآن.

وعلى العالم النامي أن يعرف أنه يجب عليه الإعتماد على نفسة في توفير

غذائه من مصادره الطبيعية المحدودة.

ويهدف تكنيك الهندسة الوراثية إلى التغلب على الموانع التهجينية بين الأنواع النباتية وبعضها والتي تحد من وجود الإختلافات الوراثية وقد كان التغلب على مثل هذه الموانع في الأعوام القليلة الماضية ضرب من ضروب المستحيل حيث أنه في الوقت الحالي وباستخدام التكنيك الحديث للتقنية الحيوية والهندسة الوراثية أمكن نقل جينات ليس فقط من نوع نباتي إلى نوع نباتي أخر بل أيضاً من كائنات دقيقة إلى النباتات والعكس ومن الحيوان إلى النبات وهلم جرا.

وبعض السكريات الأخرى. ولا يقتصر تكوين وتراكم أي ناتج من نواتج العمليات الحيوية المشار إليها على بعض الأنواع أو العائلات في المملكة النباتية مما يوضح أن الاستجابة للإجهاد البيئي بصوره المختلفة تعتبر صفات وراثية قديمة وجدت أثناء مراحل التطور السابقة.

٣ - أوضحت دراسات الوراثة الجزيئية أن أنواع كثيرة مختلفة من الأنواع النباتية تشترك في تشفيير مجموعة أو مجموعات متشابه ومتماثلة من الجينات وبالتالي تنتج بروتينات متشابهة حينما تتعرض للإجهاد البيئي.

وعلى الرغم من أن وظيفة عدد كبير من هذه الجينات لم تحدد بالضبط بعد، إلا أن البروتينات التي تشفر تلعب دوراً مهماً في الاستجابة للإجهاد.

وتعتبر دراسات الوراثة الكيماوية الحيوية والوراثة الجزيئية والطريقة التى يتم بها تنظيم عمل الجينات لكي تستطيع النباتات تحمل الإجهاد ضرورة للهندسة الوراثية لتحسين اداء المحاصيل النباتية لكي تتحمل ظروف الإجهاد البيئى. فدراسة سلوك الجينات أثناء تعرض النباتات للإجهاد سوف تتيح الفرصة لتوضيح مدى استجابة مسارات التمثيل الحيوي وحدود هذه الاستجابة للإجهاد وفي هذا المجال فإن هناك أسئلة تتعلق بالبيئة والتطور مازالت تحتاج لدراسات للإجابة عليها مثل:-

١ - هل الجينات المسئولة عن تحمل الملوحة في نباتات (الهالوفايت) (النباتات

التي تتحمل الملوحة) وأيضا المسئولة عن تحمل الجفاف في (الزيروفايت) هي جينات قديمة وتم الإنتخاب الطبيعي لها في النباتات الحساسة للملوحة والجفاف (جليكوفايت).

٢ - كيف ستؤثر عملية نقل الجينات المسئولة عن تحمل الإجهاد البيئي للأنواع النباتية المنزرعة على إنتاجيتها.

وقد أوضحت الدراسات أن القدرة الحقيقة للنبات على تحمل الإجهاد هي نتيجة لعمليات كيماوية حيوية تنشأ عن تنظيم جزيئي للمادة الوراثية وقد انصبت دراسات الوراثة الجزيئية حتى الآن على دراسة النباتات التي تتحمل الإجهاد البيئي أو على الموديلات الوراثية مثل الأرابيدوبسس والدخان أو النباتات المنزرعة مثل الطماطم ونبات عباد الشمس وبعض النباتات المنزعة الأخرى.

وتهدف دراسة الأساس الوراثي الجزيئي للإجهاد البيئي إلى عزل وتوصيف الجينات المسئولة عن تحمل ظروف الإجهاد وهندستها أو معالجتها وإضافة المحفز المناسب لها، ثم نقلها إلى الأنواع النباتية المنزرعة لكي تضيف إليها صفة المقاومة لظروف الإجهاد البيئي.

وبالرغم من أن الأبحاث لم توضح الصورة الكاملة لميكانيكية تحمل النباتات للإجهاد وأن المسافة مازالت بعيدة للوصول إلى الفهم الكامل لتنظيم عمل الجينات تحت ظروف الإجهاد إلا أن هناك كثير من المعلومات الوراثية الجزيئية تم إنجازها في السنوات القليلة الماضية. هذه المعلومات عن تنظيم عمل شبكة الجينات التي تتحكم في الاستجابة وتحمل الإجهاد مازالت مجزئة ولم تكتمل بعد.

وتشير الدراسات إلى أن مسارات التمثيل الغذائي التي تشمل على إنتاج مركبات مألوفة أثناء التعرض للإجهاد يمكن أن تستخدم لإنتاج نباتات تتحمل الإجهاد. كما تشير الدراسات أيضاً إلى أن بعض هذه المسارات لا تحتاج إلى نقل جينات من نباتات مقاومة للإجهاد بل أن تغيير أو تنظيم التعبير الجيني

لبعض الجينات المشتركة في المسار الغذائي قد يكون كافياً لإنتاج المركبات التي تساعد على تحمل الإجهاد البيئى.

وقد أوضحت الدراسات أن ميكانيكية تنظيم عمل الجينات أثناء التعرض للإجهاد معقدة جداً وأن هناك عناصر كثيرة في محفزات الجينات تتفاعل مع المادة الوراثية الخاصة بإنتاج بروتينات الربط (Binding proteins) التي تستحدث بالتعرض للإجهاد.

المراجـع

- Abou-salha A.; khalil, S.; Badawy, M. and El-Sayad, S. (1996) : Genetic Engineering of Egyptian squash for resistance to zucchini yellow mosaic Birus (ZYMU). Egypt. J. Genet. Cytol., 25: 101 - 112.
- Bartels, D., Furini, A., Ingram, J. and Salamini., (1996): Resbonse of Plants to dehydration Stoess: a molecular analysis, plant Growth Regulation, 20: 111-118.
- Bohnert, H.J.; Nelson, D.E. and Jensen, R.G. (1995): Adaptation to environmental stresses. Plants Cell, 7:109-117.
- Estruch, J.J.; Carozzi, N.D.; Desai, N.; Duck, N.B. and Koziel, M.G. (1997): Transgenic Plant. An emerging approach to pests control. Nature Biotech., 15: 137 - 141.

الاستنساخ

بحث من إعداد
الدكتور/ جاسم علي سالم الشامسي
أستاذ القانون المدني المساعد ورئيس قسم المعاملات
كلية الشريعة والقانون

مقدم إلى ندوة
«التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل»
التي تقيمها الجامعة
بالتعاون مع
«رابطة الجامعات الإسلامية»

في الفترة ٢٠-٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م



بسم الله الرحمن الرحيم

شهد العصر الحديث تطورات علمية متسارعة أحدثت تغييراً مذهلاً في كثير من المفاهيم الإنسانية والعلمية دفعت بالمجتمع الدولي إلى واقعات لم تخطر على بال الإنسان أو كان يعدها العلماء ضرباً من الخيال والترف العلمي، وقد أحاط التطور بجميع العلوم البحتة من طب وكيمياء وفيزياء وعلم الحياة وغيرها، وقد انعكس ذلك التطور على الإنسان نفسه الذي هو مدار العلوم الإنسانية إلى جانب كونه محل استقراء وتجربة العلوم البيولوجية بشكل عام، كما هو الأمر في العلوم الطبية، ونخص هنا في بحثنا علم الأجنة بعد أن حدث التطور في العلوم البيولوجية والهندسة الوراثية وكذلك عمليات الإخصاب الصناعي كبديل للإخصاب الطبيعي.

ونركز هنا على ما يسمى الاستنساخ (الاستنسال).

الاستنساخ : (والمصطلح البيولوجي التنسيل (Cloning - Clonage):

عرّفه البعض على أنه تكوُّن كائنٍ حيٍّ كنسخة مطابقة تماماً من حيث الخصائص الوراثية، والفيزيولوجية، والشكلية، لكائن حي آخر، كفردي توأم البيضة الواحدة مثلاً [(١)].

إلا أن صاحب الرأي أكد على أن الاستنساخ هو توالد لا جنسي، لا يحدث منه إخصاب لبيضة الأنثى بنطفة الذكر. فالخلية في التوالد اللاجنسي تشرع بتكوين الجنين، ومن ثم الفرد البالغ دون مشاركة الذكر، فالفرد المستنسخ يولد بدون أب.

وذكر عالم آخر أن الاستنساخ هو العملية البيولوجية التي بمقتضاها تتكون مجموعة من الخلايا (ليس شرطاً بأن تكون متجانسة) وذلك عبر الانقسامات المتوازية المتتابعة لخلية واحدة فقط وقد استخدم هذا المصطلح في بعض الكائنات الحية ليعطي معنى التناسل الذاتي وهو الخاص بالنمو عن

---

(١) نقلاً عن د. هاني رزق، أستاذ علم الجزيئي بكلية العلوم بجامعة دمشق، بحث بيولوجيا الاستنساخ، منشور ضمن مجموعة بحوث في كتاب تحت عنوان الاستنساخ حول العلم والدين والأخلاق، دار الفكر، دمشق سوريا ١٩٩٧، ص٢٠.

طريق التكاثر اللاجنسي، ويتداول العلماء كلمة Clone لتعطي معنى "نسيلة" وهي تكوين خلايا أو أنسجة أو أعضاء أو أجنة من خلية سابقة واحدة[(١)].

ونرى أن البعض، في تعريفه الاستنساخ، قد جمع بين الاستنساخ الذي هو عبارة عن نقل نواة خلية جسدية (تحتوي على ٤٦ كروموسوماً) مكان نواة بيضة (تحتوي على ٢٣ كروموسوماً) ويتولى السيتو بلازما المحيط بالنواة الجديدة في البيضة حث أو تحفيز النواة المزروعة على الانقسام، فتبدأ في الانقسام مكونةً الخلايا الأولى للجنين الذي سيصبح بعد ذلك إنساناً يتطابق مع الأصل الذي أخذت منه النواة الجسدية وذلك في المظهر[(٢)].

أما التلقيح الصناعي (أو الإخصاب الصناعي):

فإنه يتم عن طريق الحصول على البيض من المرأة جراحياً بفتح نافذة في الخاصرة بغية الوصول إلى المبيض، حيث تتم عملية شفط البيض، بواسطة شافط، ثم وضع هذا البيض في وسط مغذى، يحوي عوامل النمو وبروتينات أخرى، وكذلك البروجسترون، يضاف عندئذ السائل المنوي للأب، ويراقب الإخصاب (أو التلاقح) ومن ثم تشطر البيضة المخصبة، وعندما يصل الجنين مرحلة الخلايا (أربع أو أكثر) يغرس في رحم الأم، التي إما أن تكون قد تهيأت على نحو طبيعي للحمل، أو تكون قد هُيِّئت لذلك بحقنها بهرمون البروجسترون أيضاً، ويزرع عادةً أكثر من جنين للوصول إلى ولادة طفل واحد وطفلة واحدة وقد يحصل حمل لأكثر من طفل[(٣)].

وهناك الاستنساخ بطريقة تنشيط البويضة وهو كما يقال تطبيقاً لفكرة

---

(١) نقلاً عن د. صالح عبدالعزيز الكريم، أستاذ مشارك في علم الأجنة التجريبي بكلية العلوم بجامعة الملك عبدالعزيز، بحث الاستنساخ نخبة فوائد ومخاطر، بحث مقدم إلى منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة فى دورتها العاشرة ص٣.
وكذلك الدكتور أحمد رجائي الجندي، الأمين العام المساعد للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، بحث الاستنساخ البشري بين الإقدام والإحجام، مقدم لمنظمة المؤتمر الإسلامي في دورتها العاشرة ص٤.

(٢) د. أحمد رحاني، المرجع السابق ص٤.

(٣) د. هاني رزق: المرجع السابق ص٥١ – ٥٢. ود. أحمد رجائي الجندي، المرجع السابق ص٤.

التكاثر العذري الموجودة في الطبيعة كما هو موجود في بعض الحشرات (دودة القز والنحل) وقد تم تطبيقه معملياً ويعرف بالتكاثر العذري الاصطناعي كما في بعض الحيوانات اللافقارية وكذلك البرمائيات وبعض أنواع الثدييات، ويستخدم لحفز وحث البويضة غير الملقحة بعدة وسائل منها المواد الكيميائية والصدمات الحرارية والكهربائية المفاجئة وفي مثل هذه التجارب يحاول العلماء في كثير من الأحيان محاكاة دور الفعل المنشط للحيوان المنوي، وإن كان هذا النوع من الاستنساخ لا زال في بدايته الأولى حيث إن من نتائجه تكوين أجنة مشوهة وهي بطبعها تكون أحادية المجموعة الكروموزمية مع وجود، للأسف، محاولات من العلماء في تطبيق ذلك على الاستنساخ لإنتاج أطفال العذارى[1].

أما الاستنساخ بطريق زراعة النواة التي تعتمد في حقيقتها على أن البيضة تحتوي نواتها على ٢٣ كروموسوماً وتحتاج في الأصل إلى ٢٣ كروموسوماً لتندمج معها لتكون الخلايا الأولى للجنين، إلا أنه في هذه الطريقة لا تضاف الحيوانات المنوية للرجل، إنما تضاف نواة خلية جسدية تحتوي على ٤٦ كروموسوماً. لو أضيفت إلى ما هو في البويضة لأدى إلى وجود ٦٩ (٢٣+٤٦) كروموسوماً . ولكن حتى يتم الأمر بشكل طبيعي فإن العلماء يقومون بفصل النواة عن البويضة فتصبح البويضة خالية من نواتها فتدرج فيها نواة الخلية الجسدية التي تحوي ٤٦ كروموسوماً وهو العدد الزوجي وبعد تحفيزها كهربائياً على الانقسام يتم إعادتها إلى أم مستقبلة فتنمو وتؤدي إلى تكوين جنين[2].

وبعد هذا العرض لتعريف الاستنساخ، سنحاول الكلام في مطلبين، الأول عن دوافع الاستنساخ والثاني عن المفاهيم الشرعية للاستنساخ.

---

(١) د. صالح عبدالعزيز الكريم، المرجع السابق ص٢٠.
(٢) د. صالح عبدالعزيز الكريم، المرجع السابق ص٢٠ - د. هاني رزق، المرجع السابق ص٣٠ وما بعدها.

المطلب الأول

دوافـع الاسـتنساخ

السـؤال الذي يطرح نفسـه هنا هو: مـا السـبب أو الواعـز الذي يدفع العلماء لإجراء بحوث الاستنساخ ؟ وهل من أخطار تترتب على هذه البحوث؟

نرى أن الدافع قد يكون علميًا واقتصاديًا في آن واحد.

فأما الدافع العلمي فإن علماء البيولوجيا قد بدأوا تجاربهم بدراسة خلايا جسم الإنسان من حيث دراسة أنماطها ووظائف كل نمط منها، وهل تباين هذه الأنماط يؤثر على جينات الإنسـان، ثم تطور البحث العلمي البيـولوجي على الإنسان لبحث مدى قدرة نواة الخلية المتمايزة والوظيفية على مساواة قدرة نواة البيضة المخصبة. وما إذا كان بوسعها إذا ما وضعت في مكان ملائم أن تكون إنساناً كاملاً من غير تشوهات.

والتجارب في علم البيولوجيا قد تتابعت منذ أواسط الثمانينات حتى يومنا هذا نتيجة تطور تقنيات البيولوجية الجزئية كدراسة وظائف الجينات بتقنية الاستبدال الجيني المستهدف(١).

إلا أنه لا يمكن فصل هذه الدوافع عن الدوافع العلمية الاقتصادية التي استحوذت على العلماء ورأس المال، إذْ قامت فئات من شركات التقنيات الحيوية والتي يبلغ رأس مالها الإجمالي في الولايات المتحدة الأمريكية فقط ٤٢ بليون دولار تقريباً (٢).

ولا يكاد يصل أحد الباحثين إلى مادة جديدة أو يكتشف تفاعلاً بيولوجياً أو جيناً من الجينات حتى ينشيء مؤسسة للتقنية الحيوية، وتدخل بعد ذلك ضمن المضاربات المالية، ويعمد الباحث إلى المسارعة بتسجيل كل ما يصل إليه من من اكتشاف بأن يسجل به براءة اكتشاف علمي لشخصه، بحيث تفرض رسوم مالية على من يرغب في استعمال واستخدام هذه المعلومات.

---

(١) يراجع في ذلك بحث د. هاني رزق، المرجع السابق ص٦٨ وما بعدها.
(٢) د. هاني رزق، المرجع السابق ص٧٤.

وقد ذهب بعض هؤلاء الباحثين إلى حدٍّ محاولة تسجيل جينات الإنسان التي هي هبة الطبيعة الإلهية، وإن وقف كثير من المؤسسات البحثية والعلمية دون تحقيق رغبتهم[1] فإن الجانب التجاري ساعد على ذلك.

أولاً : الفوائد المرجوة من الاستنساخ :

من الممكن ذكر فوائد الاستنساخ، من الناحية العلمية البحتة، كالآتي:

(١) قد يكون مفيداً في مجال النباتات والحصول على أنواع جيدة وذات عطاء متميز من الناتج الثمري. كذلك الأمر في مجال الحيوانات بالحصول على نخبة جيدة من الحيوانات ذات الخصائص الوراثية المتميزة، مثل الأغنام والأبقار والإبل التي تنتج كميات كبيرة من الحليب، أو اللحوم أو الصوف[2].

(٢) بل قد تتجاوز المسألة إلى استنساخ قطيع من خيول السباق عن طريق استخدام تقنية الاستنساخ.

(٣) وكذلك البحث في استنساخ أغنام وأبقار يحوي حليبها ذات الصفات لحليب المرأة، أو حليب يحوي البروتين العلاجي. بحيث يمكن إنتاج بروتين معين كهرمون الأنسولين البشري، أو هرمون النمو، وإنتاج العامل المعالج لتخثر الدم[3].

(٤) وكذلك يمكن الاستفادة من عمليات الاستنساخ للإنسان في عمليات علاج العقم من خلال نقل نصف عدد الكروموسومات من خلية جسدية للرجل إلى نواة البويضة التي تحتوي على نصف العدد من الكروموسومات[4].

(٥) يرى البعض كذلك أن أبحاث الاستنساخ سوف تكشف الكثير من الغموض عن أسباب الإجهاض المبكر دون معرفة سببه.

---

(١) د. هاني رزق، المرجع السابق ص٦٩.
(٢) د. هاني رزق، المرجع السابق ص٧٥ - د. أحمد رجائي الجندي، المرجع السابق ص١٠ - د.صالح عبدالعزيز الكريم، المرجع السابق ص٢٧.
(٣) د. هاني رزق، المرجع السابق ص٧٧.
(٤) د. صالح الكريم، المرجع السابق ص٢٧.

والذين يختصون بتحديد النسل، يرون أنه إذا تم التوصل إلى معرفة كيفية زرع الجنين نفسه في الرحم فسيتمكنون من إيجاد وسيلة لمنع الجنين من الانزراع داخل الرحم، وبهذا يتوصلون إلى وسيلة جديدة لمنع الحمل[١].

(٦) وذهب البعض إلى أن متابعة ابحاث الاستنساخ قد يؤدي في الوقت القريب إلى استنبات أجزاء المبايض والخصي البشرية مخبرياً بحيث يمكن الحصول منها باستمرار على بويضات ونطف بشرية[٢].

(٧) كذلك فإن الباحثين في الأمراض السرطانية يتنبأون بأن البحث في الاستنساخ سيوصلهم إلى التعرف على الأسباب وراء سرعة انقسام الخلايا السرطانية، والتي تبين أنها تماثل سرعة انقسام الخلايا الجينية، فإذا ما تم التعرف على طريقة معينة لإيقاف انقسام الخلايا الجينية فإنه يمكن استخدام ذلك في وقف انقسام الخلايا السرطانية.

(٨) كذلك بالنسبة للخلايا الجذعية وهي خلايا لا يمكن تميزها وهي بذلك تكون قابلة للتطور إلى أي نوع من الخلايا في الجسم وهذه الخلايا لا تهاجم بالجهاز المناعي الشخصي للجسم، وذلك لسرعة تطورها إلى حالة لا تحايزية[٣].

ويرى فريق من الأطباء أن هذه الخلايا الجذعية يمكن استخدامها في علاج دمار المخ والجهاز العصبي، حيث إن هذه الأجهزة عند دمارها في البالغين لا يمكن إصلاحها وبالتالي فإن الخلايا الجذعية يمكن استخدامها نظرياً لعلاج هذه الحالات. فخلايا الأجنة المستنسخة يمكن استخدامها لإنتاج عدد كبير من الخلايا الجذعية[٤].

(٩) كما قد يستفاد من توظيف عمليات الاستنساخ في المسح الجنيني وفي حالة إصابة أحد الوالدين بمرضٍ ما يمكن تلافي إصابة الأبناء. فعن

---

(١) عرض لهذا الراي د. احمد رجائي، المرجع السابق ص١١.
(٢) عرض له د. احمد رجائي ص١١.
(٣) د. أحمد رجائي المرع السابق ص١٢.
(٤) د. أحمد رجائي، المرجع السابق ص١٢.

طريق الاستنساخ الجنيني يمكن إنتاج عدد من الأجنة بهذه الطريقة وإجراء الاختبار على أحدها وتجميد الآخرين فإن ثبت عدم الإصابة فإنه يمكن استخدام أحد الأجنة المجمدة لغرسه في رحم الأم، لأن الاختبار يؤدي إلى هلاك الخلايا الجنينية التي تم اجراؤه عليها. وإذا ثبت أن الاختبار إيجابي فيمكن تدمير بقية الأجنة المخزونة(١).

(١٠) في التعاون بين الاستنساخ والهندسة الوراثية في البحث عن تغير للوظائف الفسيولوجية لبعض أنواع البكتريا لإنتاج انواع ذات صفات معينة لها قدرات خاصة إما لمعالجة مشاكل مثل بكتريا البترول والانفلونزا وكذلك إنتاج سلالات لها مقاومة خاصة لأنواع من المضادات الحيوية خاصة تلك لتي تستخدم في الحرب الجرثومية(٢).

(١١) التحكم في جنس الطفل في المستقبل.

(١٢) نتاج مجموعات من الأشخاص المتطابقين لأداء مهمات خاصة في الحرب.

(١٣) استخدام تقنية الاستنساخ في الحصول على أولاد نجباء وعباقرة وقياديين في الحرب والسياسة أو ابطال رياضة طبقاً للمستنسخ منهم.

(١٤) استخدام الاستنساخ في زراعة الأعضاء، كأن يتم استزراع بعض الجينات الخاصة بالأعضاء في أغنام مثلاً أثناء تكوينها الجنيني، فتمثل هذه الحيوانات أعضاء يمكن نقلها إلى الإنسان وهذا يحتاج إلى معرفة جينات الأعضاء المستزرعة.

ثانياً: مخاطر الاستنساخ:

من المخاطر التي يثيرها العلماء حول عملية الاستنساخ، استنتاجاً من استنساخ النعجة "دولي"، الآتي:

---

(١) د. احمد رجائي، المرجع السابق ص١٢.
(٢) د. احمد رجائي، المرجع السابق ص١٣.

(١) عدم تأكد الفريق العلمي السكوتلندي من أن الخلية المزروعة في البيضة المنزوعة النواة والمفعّلة هي فعلاً خلية متمايزة وظيفياً. ذلك لأن الضرع، كغدة ذات إفراز خارجي، يحوي خلايا غير متمايزة (غير وظيفية) قد تكون خلايا جنينية احتياطية، سيستعين بها الضرع في مرحلة من مراحل حياة النعجة، كأن يحل محل خلايا وظيفية ميتة[١].

(٢) أن النسبة المتدنية للولادات السوية تعد صعوبة أساسية، حيث ثبت من تجربة ولادة النعجة "دولي" أنها نتيجة إجراء ٢٧٧ تجربة اندماج، وقد بدأت العملية بألف خلية بيضة، ثم الحصول عليها من عدد كبير من الإناث إذ أن معدل نجاح التجربة لا يتجاوز ٣٦ر٠٪ وكانت نسبة الإجهاض كبيرة، وكذلك التشوهات الخلقية.

(٣) وكذلك تصور الاستنساخ بصورة كبيرة في الحيوان كالأغنام والأبقار فإن ردود فعل القطيع بكامله تجاه تأثير العوامل البيئية سيكون واحداً وسيصاب جميع أفراد القطيع بالأمراض ذاتها. أي أن هذا الاستنساخ ضرره على القطيع إما أن يجر نفعاً أو ضرراً كاملاً. وهذا ما ينبىء عن أمر مهم وهو أن ذلك لولا ضرره الواضح لما أخفق التوالد اللاجنسي في الطبيعة[٢].

وهذا ما حدا بالدكتور ليون كامس، الأخصائي في البيولوجيا الجزئية، لوصف الاستنساخ بقوله إنه استمرار طابع وراثي معين يحقق استمراراً مصطنعاً من جيل لآخر، ويمكن تخيل مخاطر هذا الإجراء على الجنس البشري بسيادة البعض وانقراض الآخرين[٣].

(٤) في حالة استنساخ أشخاص يعانون من بعض الأمراض قد يستنسخ مع الأجنة تلك الأمراض؛ وذلك يحمل خطراً كبيراً وأذىً مريراً على البشرية.

---

(١) د. هاني رزق، المرجع السابق ص٧٨.
(٢) د. هاني رزق، المرجع السابق ص٧٩.
(٣) د. أحمد رجائي الجندي، المرجع السابق ص٩.

(٥) قد يؤدي إلى استئجار الأرحام.

(٦) ترويج بيع البويضات.

(٧) قد يؤدي الاستنساخ لأجنة بشرية متشابهة إلى فقدان ما يجب أن يتمتع به كل فرد من هوية يتفرد بها عن غيره ومعالم شخصية ونفسية.

(٨) أن لكل خلية عمراً افتراضياً. ويثور التساؤل عن الخلية التي أخذت من شخص جاوز عمره الخمسين عاماً، مثلاً، فعند أخذ النواة واستنساخها، ما هو عمر النسخة؟، هل هو ذات العمر أم هو استكمال للجزء الباقي من عمر صاحبه، أم هو عمر جديد للجنين المستنسخ؟.

المطلب الثاني

المفاهيم الشرعية للاستنساخ

أثار موضوع استنساخ النعجة "دولي" بالطريقة التي تم بها وهي زرع خلية من ضرع نعجة في بيضة نعجة أخرى بعد إزالة نواتها ثم وضعها في نعجة أخرى، ردود أفعال العالم سواء على المستوى الديني أو القانوني أو حتى الفكري سواء كان اجتماعياً أو تربوياً وإذا كانت الكنيسة في الغرب قد تحركت لتقول رأيها في المسألة. فإن الواجب الديني حتم على علماء المسلمين أن يقوموا ببحث هذه المسألة بشكل انفرادي وجماعي مما نتج عنه مؤتمران كبيران عقدا هذا العام ١٩٩٧م، أحدهما في الدار البيضاء عقدته الندوة الفقهية الطبية التاسعة تحت عنوان "رؤية إسلامية لبعض المشاكل الطبية" في الفترة ١٤-١٧ يونيو ١٩٩٧م، والثاني مؤتمر مجلس مجمع الفقه الإسلامي في دورة المؤتمر العاشر المنعقد في جدة بالمملكة العربية السعودية في الفترة ٢٨ يونيو - ٣ يوليو ١٩٩٧م، وأعقب كلاً من المؤتمرين توصيات حول مناقشات موضوع الاستنساخ.

وقد تكون التوصيات في مجملها جاءت تعريفاً لمعنى الاستنساخ وتحفظت حول موضوع الاستنساخ مع الاستزادة من البحث، ووضع قوانين تمنع أو تحد أو تنظم هذه المسألة.

والرأي الشرعي والقانوني الذي نراه، في مسألة الاستنساخ، وفقاً لعرض بعض الآراء، هو:

أولاً : ذهبت الآراء في مجملها إلى عدم جواز الاستنساخ البشري الذي أساسه قد بني على خلية جسدية سواء أخذت هذه الخلية من رجل غريب أو من امرأة وزرعت في امرأة أخرى. وأساس حرمة ذلك:

(١) لأنه شغل لرحم امرأة بغير وجه مشروع إذ لا يجوز شغل رحم امرأة إلا بماء زوجها.

(٢) أخذ هذا النسيج ولو من امرأة وزرعه في امرأة أخرى متزوجة لا

يجعل من زوج هذه المراة أباً له. مما يترتب عليه ضياع الأنساب الذي يعد من أهم الحِكَم في تحريم الزنا والمعاشرات غير المشروعة.

وكذلك ينشأ الطفل من غير أب، لو فعلاً قدر وجود هذا الطفل، وإن قيل إن الأم هي التي ولدت لقوله تعالى «إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم»[١] .

فإن ذلك يقيم العلاقات الأسرية على الأم دون الأب. وهو إقفال لدور حدده الخالق وبينت الحياة بتجاربها أهميته في حياة النشء.

(٣) إن الخالق أوجب قيام العلاقة الزوجية الصحيحة والتي عن طريقها فقط يجب أن يأتي الوليد لتكون المسئولية متكاملة من الأبوين، لا من الأم فقط. والطفل بالتالي هو نتاج مودة ورحمة بين الزوجين أسست على صلة متينة قوامها الشرع المجتمعي من الناس ويثبت أطرها القانون والأنظمة المعمول بها في ذلك بما توجبه من حقوق متبادلة.

(٤) كما قلنا قد يتجاوز العلم في تطوراته حتى العلاقات التي قد تتأثر سلباً به إذ ليس معنى التطور العلمي بأن ما يأتي به صحيحاً مقبولٌ دون قيد أو شرط. إذ في مثل هذه العلاقة نجد أن الأطر بحثت أو إرادتها التوصل إلى أن يكون هناك نسخا بشريا. ولكن لم تحفل بحقوق هذا المخلوق. سواء التي نظمت من لدن الشارع كحقوق الأبوة والرعاية والنسب والإرث وجعلها في العيش بحياة كريمة مثل غيره من البشر كما قال تعالى «ولقد كرمنا بني آدم...»[٢].

ولا يمكن أن يكون خلق الإنسان من غير أب أو بمعاشرة محرمة تكريماً له.

والحياة الأسرية هي المنشأ الصحيح للطفل المعتاد إذ لا يستطيع الطفل أن يحيا دون حماية، فلو قارنا طفولة الإنسان بغيره من الحيوانات مثلاً سنجد أن طفولة الإنسان هي أضعف انواع الطفولة وأطولها والأب والأم كلاهما له

---

(١) سورة المجادلة، آية ٢.

(٢) سورة الإسراء، آية ٧٠.

دور يؤديه في رعاية هذه الطفولة وهو مسئول أمام الله وأمام المجتمع.

ثانياً : كذلك البحث في هذا الموضوع يقودنا إلى الرأي في هذه المسألة، هل الزراعة للخلية الجسدية يعد زنا؟

ونرى أنه لا يعد زنا بحيث يوجب الحد حيث لم يقم اتصال جنسي بين امرأة ورجل، وإن كان ذلك لا يخرجه من كونه جريمة ترتكب في حق المجتمع من حيث التلاعب في الإنسان باعتباره حقل تجارب. إذ من المعلوم أنه في إجراء التجارب العلميّة أن تتم بشروط معينة كأن تكون للشخص مصلحة شخصية مباشرة ومقيدة شرعاً. وأن تكون، ثانياً، احتمالات النجاح على قدر من التوثق من الناحية العلمية وبالتالي حتى في هذا الأوان لا يجوز اتخاذ الإنسان حقلاً للتجارب، ونضيف شرطاً ثالثاً هو ضمانات الحياة والخلق الحسن للطفل وهذا غير مضمون من هذه الناحية (التي هي الاستنساخ) وشرطاً رابعاً ألا يكون العمل الجراحي أو العلاجي مخالفاً لأحكام الشرع والنظام العام والآداب، وخامساً ألا يكون فيه إضرار بالغير. وهنا إضرار الغير واضح وهو الطفل المستنسخ وهو ضرر اجتماعي وأخلاقي وديني وبالخروج على الفطرة بأن يكون الطفل نتاج علاقة شرعية بين رجل وامرأة.

ثالثاً : إن إباحة عملية الاستنساخ ستؤدي، مع التقدم العلمي في هذا المجال، إلى أن يكون بإمكان أي متخصص في تقنيات الاستنساخ، في معمل له متواضع، أن يقوم بعمليات الاستنساخ وذلك سيكون حسب الطلب والذي يدفع ثمن ذلك، دون البحث عن مدى المصلحة التي على أساسها قام بطلب الاستنساخ وهل تمت هذه العملية بقصد خير أو شر والإغراء المادي قد يعصف بكل نظام(١).

رابعاً : أسس كثير من العماء حرمة الاستنساخ على أنه تغيير لخلق الله تعالى واستناداً لقوله تعالى: «إن يدعون من دونه إلا اناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً، لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً، ولأضلنهم

---

(١) د. محمد سليمان الأشقر، المرجع السابق ص١١.

ولأمنينّهم ولآمـرنّهم فليبتكنّ آذان الأنعـام ولآمـرنهم فليغيّرنّ خلق الله»[١].
وبناءً على هذه الآية فـإن تغـيـيـر خلق الله تعـالى مـحـرم لأنه مما يأمـر به الشيطان[٢].

وذكروا للتدليل على رأيهم أن تغيير خلق الله ممنوع بقوله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله»[٣].

وقد رد البعض على هذا الرأي بأن آية «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله» معناها عند غالب المفسرين أن الدين الحق وتوحيد الله بالعبادة إقامة الوجه له والبعد عن الشرك وتجنب جميع مظاهره هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومن بدل عن ذلك فقد بدل الفطرة وليس له تبديلها[٤].

ويورد صاحب الرد بأن الافتراض في تغيير خلق الله إنما ينصرف إلى الوشم والتفليج والنمص ونحوهما من التغيير في الجسم مما يُظهر الخلقة على غير ما جعلها الله تعالى عليه. وأنه لا ينطبق ذلك على الاستنساخ إلا إذا أدى إلى وجود ، مثلاً، بقرة بثلاثة أعين أو دجاجة بست أرجل[٥].

إلا أننا يمكن أن نجعل الاستنساخ من التغيير في خلق الله لعموم الآية. بحيث اعتبار نظام زرع الخلية الجسدية لإنتاج المولود هو تغيير في نظام التكاثر الذي يتم عن طريق الاتصال الجنسي.

وهذا الذي نقوله هو الذي يتفق مع الآيات الكريمة. ومنها قوله سبحانه وتعالى: «والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة»[٦]، وقوله تعالى «يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي

---

(١) سورة النساء، الآيات ١١٧ – ١١٩.
(٢) د. صالح عبدالعزيز الكريم، المرجع السابق ص٢٧ – د. وهبة الزحيلي، الاستنساخ: الجوانب الإنسانية والأخلاقية والدينية، منشور ضمن مؤلف الاستنساخ حول العلم والدين والأخلاق، المرجع السابق ص١٢.
(٣) سورة الروم آية ٣٠.
(٤) د. محمد سليمان الأشقر، المرجع السابق ص١٧.
(٥) د. الأشقر، المرجع السابق ص١٧.
(٦) سورة النحل، آية ٩٢.

خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء»[1]، وقال تعالى «إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجاً نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً»[2].

خامساً : اننا إذا قلنا بحرمة عمليات الاستنساخ في الإنسان بالذات وبشكل عام لا يعني ذلك حرمة جميع صوره وإنما لغلبة الحرمة على ما سيؤدي إليه بالنسبة للبشر أي غلبة الشرور على المنافع وبشكل واضح، وهو لا يكون من الضرورات التي تبيح المحظورات إذ الضرورة تقدر بقدرها.

وفي سياق ذلك لا يجوز القول بأن المراة العقيم تقوم لها مصلحة في أن تلد بطريق الاستنساخ عن طريق امرأة غريبة أو رجل غريب أو من خلية جسدية منها. فهذه المصلحة غير معتبرة في الشرع إذا ما كان ضررها أكبر من منفعتها إذ القاعدة أن "الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف" وليس العكس. وكذلك تطبيقاً للقاعدة الفقهية "إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما"، فالامتناع أخف من ارتكاب طريقة الاستنساخ. وقولهم "وليس يحل بالحاجة محرم إلا في الضرورات" وليس هناك ضرورة بل هي مفسدة. وقولهم "كل صفقة جمعت حلالاً وحراماً فهي كلها حرام .."[3]

ومن باب الأحوط عدم إباحة الاستنساخ خوفاً من أن يؤدي إلى ما هو أشد وهو الدخول في الحرام. والقاعدة "يحتاط الشرع في الخروج من الحرمة إلى الإباحة أكثر من الخروج من الإباحة إلى الحرمة"[4].

سادساً : إذا قلنا في الأصل عدم الجواز؛ فهل يرد على ذلك استثناء؟، ونقصد بالاستثناء إذا ما أخذنا من الزوج العقيم خلية جسدية وزرعناها في بويضة ورحم زوجته؟ خاصة ان الآية التي وردت في التكاثر لم تحصر طرق التكاثر في الطرق المعهودة، ولم تمنع طرق أخرى نادرة. مثل

---

(١) سورة النساء، آية ١.
(٢) آية ٢ من سورة الإنسان.
(٣) القواعد الفقهية، علي احمد الندوي، دار العلم ، دمشق ص١٩١.
(٤) الفروق للقرافي جـ٣ ص١٤٥.

قوله تعالى «والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة»[1]، وقوله تعالى «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق من زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء»[2]، وقوله تعالى «وخلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجاً نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً»[3].

إلا أن هناك رأياً ذهب إلى أن الخلية إذا أخذت من جسد الزوج، فتكون كأنها خلية نابتة من خليته ملقحة بماء أب هذا الزوج وبالتالي لا يجوز نسبة الطفل للزوج لأن الخلية ليست ملقحة بمائه، ولا يجوز أن ينسب إلى أب هذا الزوج أيضاً لأن الولد للفراش. وبالتالي يولد هذا الطفل وليس له أب شرعي[4].

إلا أننا نرى أن صاحب هذا الرأي قد غالا في رأيه هذا، حيث أنه لو كان الأمر كذلك فترد جميع أصلاب الناس إلى آدم وحواء. وكذلك فإن ما نقوله قد يكون مصداقاً لقوله تعالى «سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون»[5].

مع ذلك فإن الضرورة تقدر بقدرها وبالتالي عدم الجواز إلا لمن كان عقيماً لا علاج له وأن يكون في حال إقامة الزوجية بينه وبين من ستزرع في رحمها الخلية.

تم بحمد الله.

---

(١) سورة النحل، آية ٩٢.
(٢) سورة النساء، آية ١.
(٣) سورة الإنسان، آية ٢.
(٤) د. لأشقر. المرجع السابق ص٢٧ - ٢٨.
(٥) سورة ياسين، آية ٣٦.

مشروع تقنيني للاستنساخ

المادة الأولى:

"يحظر على البشرية القيام بعلميات الاستنساخ للخلايا الجسدية في دولة ....".

المادة الثانية:

"كل من قام بذلك من الأطباء والباحثين فإنه يتعرض لعقوبة الحبس .....".

"ويتعرض لذات العقوبة الشخص المشارك في عملية الاستنساخ سواء كان صاحب الخلية أو المزروعة به".

المادة الثالثة:

"يجوز زراعة خلية جسدية من الزوج في رحم زوجته بشرط قيام الزوجية وأن يكون الزوج عقيماً لا علاج له بتقرير لجنة أطباء من وزارة الصحة".

المادة الرابعة:

"إذا حصل مخالفة لهذه الأحكام فإن الطفل ينسب لأمه وفقاً لأحكام الملاعنة في الشريعة الإسلامية".

الضوابط الإسلامية
لتقنيات الإنجاب والهندسة الوراثية

مقدم إلى ندوة

"التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل"،

التي تنظمها رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الإمارات العربية المتحدة بتاريخ ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

إعداد

الدكتور/ محمد فاروق النبهان

مدير دار الحديث الحسنية



بسم الله الرحمن الرحيم

يواجه عالمنا الإسلامي تحديات كثيرة، تستهدف كيانه الذاتي، وتهدد وجوده الحضاري، وتضعف من قدراته على الصمود والمقاومة، وهذه التحديات ليست مجرد تحديات سياسية وعسكرية، وإنما هي تحديات فكرية وثقافية، وهي الأكثر خطورة، لأنها تهدد الهوية الذاتية لهذه الأمة..

وإذا كانت التحديات الخارجية تلهب عواطف الشعوب بتكوين قابليات نفسية للتضحية والمقاومة، فإن التحديات الثقافية تضعف القدرات الذاتية للأمم والشعوب، وتجعل المجتمع في حالات نفسية يائسة مهيئة للاستسلام وقابلة للاندماج في المجتمعات الغازية، تحقيقا لمقولة "ابن خلدون" في إعجاب الشعوب المغلوبة بالشعوب الغالبة، مما يجعلها في موقف التقبل لثقافتها وقيمها وتقاليدها..

ولابد من نظرة موضوعية لطبيعة هذه التحديات، فلا يكفينا أن نرفع أصواتنا معبرين عن رفضنا لهذه التحديات، ولا يمكننا أن نكتفي بمواقف التجاهل ونحن نشعر أن مجتمعنا يغرق في بحيرة من المشكلات المعقدة التي أصبحت تطرق أبوابنا صباح مساء، سواء على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي أو على الصعيد الثقافي والتكنولوجي..

وسوف أكتفي في هذه المداخلة بالحديث عن التحديات العلمية التي تواجه المجتمعات الإسلامية، وأعني بها تحديات المعرفة العلمية والتطور التكنولوجي، وإذا كنا قادرين على الصمود في معارك المدافعة والمغالب بفضل خصوصيات تكوين الشخصية الإسلامية التي ترى فى التضحية جهادا وفي الموت شهادة، فإننا يجب أن نوجه اهتمامنا إلى خطورة التخلف العلمي والتكنولوجي، وبخاصة في حقول المعرفة المتصلة بالإنسان..

إن تطور التشريعات المرتبطة بحقوق الإنسان أعطت للمجتمعات البشرية شعورا بالأمن النفسي والطمأنينة، وأصبح الإنسان المعاصر الذي اعترفت

الأديان السماوية بكل حقوق الكرامة الإنسانية له محاطا بتشريعات وضعية داخلية ودولية تحميه وتدافع عنه، وكان التشريع الإسلامي من أسمى الشرائع السماوية والقوانين الوضعية في اعترافه بحقوق الإنسان، وفي حماية هذه الحقوق بكل المؤيدات القضائية والأخلاقية والدينية لكي تكون في موطن الاحترام..

والتطور الحضاري الذي أدى إلى مزيد من الاهتمام بكرامة الإنسان، في مراعاة حقوقه الإنسانية يطرح اليوم منجزات علمية، يعتبرها امتدادا لحضارته، وهي منجزات حقيقية وتطور هائل في مجال المعرفة إلا أن هذه المعرفة قد تمثل خطرا حقيقيا يهدد الفضائل الإنسانية والقيم الأخلاقية والأعراف التي ارتضاها المجتمع البشري لاستقراره..

لقد توصل العلم إلى تحديات كبيرة في مجال الذرة والطاقة النووية والفضاء والاتصالات والصناعات الإلكترونية والطيران، واليوم يعلن العلم عن منجزات كبيرة في مجال التقنيات المرتبطة بالإنجاب والهندسة الوراثية ونقل الأعضاء واستنساخ الإنسان، ومازالت تقنيات الطب تطالعنا في كل فترة بمنجزات مخيفة، قد تلغي كل ما بناه الإنسان على امتداد تاريخه من قيم وأعراف وفضائل.

إن المعرفة العلمية ضرورية لتقدم المجتمع وهي أداة لإسعاد الإنسان، لأنها تساعده على معالجة مشاكله اليومية، وتخفف عنه آلامه البدنية والنفسية، ولكن لا يجوز لهذه المعرفة أن تهدم ما بناه الإنسان من أسباب استقراره، ومن المؤسف أن حضارتنا المعاصرة فصلت ما بين العلم والفضيلة، وأضعفت في ضمائر العلماء الشعور بالمسؤولية الأخلاقية، فأصبحت معاهد العلم ومختبرات البحث تعمل في إطار المعرفة المطلقة التي لا يقيدها شعور بالمسؤولية الدينية، والأخلاقية، ولم تضع هذه المختبرات لنفسها قيودا وأهدافا، فأخذت في تطوير وسائل العلم متجاهلة حجم الأخطار التي تهدد الإنسان، في حياته وفي أسرته..

إن العلم اليوم يريد أن يأتي بالجديد، ولا يهمه ما هو ذلك الجديد، أهو

سلاح فتاك يستخدم لإفناء الإنسان، أم هو تقنيات جديدة للتحكم في تكوين الإنسان..

بالأمس القريب أعلن العلماء عن تطور تقنيات الإنجاب، واليوم تطالعنا مختبرات البحث العلمي ببشائر متلاحقة حول قدرة العلم على استنساخ البشر، من خلايا حية عن طريق تفريغ البويضة من نواتها ثم دمج الخلية في البويضة المفرغة، ثم يبتدىء انقسام الخلية إلى خلايا مكونة بذلك جنينا يحمل نفس الخصائص الوراثية لصاحب الخلية الأولى، سواء كان قريبا أم بعيدا، ويكون ذلك الوليد نسخة مطابقة لصاحب الخلية الأولى..

لتلبية حاجات البشر من الغذاء، فهل يمكن أن يقبل هذا الإنجاز في مجال الإنسان، الذي كرمه الله بخصائصه الإنسانية، وجعله وليد تزاوج شرعي مبني على الرضا والاختيار بين الرجل والمرأة في ظل أسرة معترف بقيامها وشرعية وجودها ووضوح انتماء أبنائها لها.

إن تقنيات الإنجاب الحديث تحمل في ثناياها تحديا خطيرا للمجتمع البشري، لأنها تلغي ما ارتضاه لنفسه من قيام مؤسسة الزواج، واحترام هذه المؤسسة، وتطويقها بكل الأحكام التي تكفل لها النجاح والاستمرار في ظل وضوح العلاقات النسبية بين أفراد الأسرة، لتوضيح طبيعة الحقوق والمسؤوليات التربوية والمادية الناتجة عن هذه العلاقات الأسرية..

ولا يمكن للإنسان أن يوقف عجلة المعرفة التي استطاعت أن تكتشف الكثير من عظمة التكوين الإنساني وبخاصة فيما يتعلق بتكوينه العضوي وتراثه الإرثي الكائن في خلاياه الحية، ولكن لا يجوز لهذه المعرفة العلمية أن تقتحم مخادع الفضيلة الإنسانية، وأن تهدم ما بناه الإنسان خلال تاريخه الحضاري من قيم حضارية ومثل أخلاقية وأعراف اجتماعية، والمعرفة أداة لخدمة الإنسان، ولا يجوز أن تكون أداة لشقاء ذلك الإنسان..

والزواج هو أداة التكاثر الإنساني، وهو السلوك الفطري الذي ارتضاه الإنسان ليكون وسيلة الاستقرار النفسي، وبفضل مؤسسة الزواج أصبحت

علاقة الرجل بالمرأة علاقة إنسانية تحكمها قيود وتنظمها أحكام وتحميها تقاليد، وتبرز الطفولة البريئة كثمرة طبيعية لتلك العلاقة العاطفية الدافئة التي تكون المخدع الأمين لجيل الغد، المؤتمن على استمرارية الحياة الإنسانية..

وأقر الفقه الإسلامي جميع الأحكام التي تنظم أحكام الطفولة، وتقيم هذه الأحكام على أساس متين من العدالة القائمة على شرطين:

أولاً: شرعية العلاقة بين كل من الرجل والمرأة، بحيث تحترم الإرادة الإنسانية في تكوين خلية اجتماعية غايتها بناء أسرة متكاملة، ولا يمكن الاعتراف بأية أسرة لا تتوفر فيها الشروط الشرعية التي وضعتها الشريعة لضمان سلامة الأسرة واستقرارها..

ثانياً: وضوح العلاقات النسبية، وهذا شرط أساسي في تكوين الأسرة، فلا يمكن أن تتحدد المسؤوليات التربوية المتمثلة بالولاية على النفس وحقوق الرضاعة والحضانة، والحقوق المالية المتمثلة بالنفقات والإرث إلا في ظل هذا الوضوح في الأنساب، بحيث لا يقع أي اختلاف في هذه العلاقات، فإذا وقع أي اختلاف فإن قواعد الشريعة واضحة في حسم أي خلاف، توفيرا للأمن النفسي وحماية لحقوق الأطفال..

والإسلام يعترف بكل ما أسهمت به المعرفة العلمية في مجال تطور تقنيات الإنجاب، ولا يجد أي خطر في تطور المعرفة في مجال الجينات الوراثية بشروط واضحة: أهمها:

أولاً: اعتبار الأسرة هي الأساس في التكوين الاجتماعي وهي الخلية التي يتكون منها النسيج الاجتماعي، وعماد الأسرة هو الزواج، وهو العلاقة الفطرية والطبيعية بين الرجل والمرأة، ولا أسرة خارج زوجة شرعية، ولا الإنسانية..

ثانياً: مراعاة خصوصيات الخلق والتكوين الإنساني في أسباب التكاثر والتناسل، وعدم الاعتراف بأية وسائل للتكاثر الإنساني خارج نطاق خصوصيات الخلق الفطري من خلال الزواج الشرعي..

ثالثاً: تحريم كل الأسباب العلمية والوسائل التكنولوجية التي تؤدي إلى تداخل الأنساب والقرابات، بطريقة مخالفة لما أقرته الشريعة الإسلامية، وبناء على هذه القاعدة لا يجوز في تقنيات الإنجاب الاستعانة بأي طرف إنساني ثالث بين الزوج والزوجة، لأن الطرف الإنساني الثالث سواء كان رجلا أو امرأة، سيؤدي إلى اختلاط الأنساب وتداخل النطف وتنافس الأرحام على ما تحمله من الأجنة، وهذا لا يمنع من الاستعانة بالوسائل العلمية كالأنابيب لحماية الأجنة وضمان سلامتها واستمرارها..

رابعا: اعتبار الكرامة الإنسانية من أهم المقاصد الشرعية التي دلت النصوص على وجوب مراعاتها، فلا يجوز التفريط بأي أمر يتنافى مع الكرامة، أو يسيء لإنسانية الإنسان في حياته أو بعد مماته، وكما تجب حماية الكرامة في حياة الإنسان فيجب أن يظل الإنسان في مكان التكريم، ويؤخذ بهذا في مجال نقل الأعضاء، فما لا يخل بالكرامة فلا مانع من التصرف فيه بإرادة مالكه، وما يخل بالكرامة فلا يجوز التصرف فيه ولو بإذن صاحبه، لأن الكرامة الإنسانية من حقوق الله ولا يجوز للإنسان التنازل عما لا يملكه، كحقه في الحياة وحقه في الكرامة وحقه في الحرية..

خامسا: إباحة كل أنواع العلاج الذي يؤدي إلى التخفيف من الآلام الإنسان ، ويجوز أن يستخدم الإنسان كل الوسائل العلمية التي تساعده على تخفيف معاناته، بشرط أن يتم ذلك تحت إشراف طبيب موثوق بعلمه وخلقه ودينه..

ولم يتعرض الفقه الإسلامي لفكرة الاستنساخ البشري، ولم يكن بإمكان الفقهاء أن يتصوروا إمكان ذلك، كما أنه لم يكن بإمكان الإنسان قبل سنوات أن يتصور حدوث ذلك، بالرغم من أن علماء مدرسة الرأي في العراق اشتهروا بالفقه الافتراضي وكانوا يفترضون وقائع ونوازل، ويضعون أجوبة فقهية مستمدة من الأقيسة على تلك الوقائع الافتراضية، وكان يعتبر ذلك مما يؤخذ عليهم فيه، لأنهم توغلوا في افتراضات غير واقعية، وتخيلوا نوازل فقهية مستحيلة الوقوع.

والاستنساخ البشري في صورته المطروحة مازال في طور الاحتمال الممكن، فقد ينجح العلم في تحقيقه وقد يخفق، وعلى كل حال فلم يعد الأمر مجرد افتراض مستحيل، وأصبح هذا الافتراض ممكنا..

وتخضع كل نازلة جديدة سواء في مجال الاستنساخ البشري أو في مجال تطور تقنيات الإنجاب، إلى مقاييس أصولية موضوعية ويحتكم فيها لقواعد أصولية واضحة.

وأهم هذه القواعد ما يلي:

أولاً: ألا يكون في إباحة هذه النوازل المستحدثة ما يخل بأصل من أصول الشريعة، وألا يخالف قاعدة من القواعد التي انبنى عليها الفقه الإسلامي..

ثانياً: ألا يؤدي الأخذ بهذه التقنيات إلى تداخل في الأنساب أو غموض في القرابات أو شبهات في الروابط النسبية.

ثالثاً: أن يتم كل ذلك في إطار زوجية شرعية قائمة، وأن تحترم في كل خطوة حقوق كل من الزوجين كما تراعى في ذلك الحقوق الثابتة للأطفال من حيث وضوح الأنساب وثبوتها.

رابعاً: ألا يؤدي ذلك إلى إيجاد فوضى في العلاقات الاجتماعية، وفي الروابط الأسرية، لأن أي جهالة في الأنساب ستؤدي إلى فوضى في النظام الاجتماعي الذي أقره الإسلام ورتب عليه حقوقا في الولاية والحضانة والإرث والنفقات.

خامساً: احترام مؤسسة الزواج، واعتبار هذه المؤسسة بصورتها الشرعية هي السبيل الوحيد للتكاثر البشري، الذي يتفق مع الفطرة الإنسانية..

ولا يمكن للفقه الإسلامي أن يعترف بفكرة الاستنساخ البشري كوسيلة للإنجاب والتكاثر، لأن ذلك يخل بفكرة الكرامة الإنسانية لكل إنسان، ولا يفرق الإسلام بين مولود طبيعي ومولود مستنسخ من خلية غيره، فالكل في نظر الإسلام سواء في الحقوق والواجبات والكرامة الإنسانية، ولا يمكن أن يكون

الطفل المستنسخ امتدادا لغيره، فإذا أدى الاستنساخ إلى غموض في الأنساب والقرابات وإلى تكوين أجنة في الأرحام خارج الزوجية الشرعية فهذا عبث في تكوين الإنسان، وإهدار لكرامته الإنسانية وسيؤدي هذا العبث إلى هدم القيم الاجتماعية وإلغاء قدسية الحياة الزوجية.

ومن هذا المنطلق فإن من واجب المجتمعات الإنسانية أن تقف موقف الحذر من اقتحام المعرفة العلمية المتعلقة بالجينات الوراثية مخادع الفضيلة الاجتماعية المتمثلة في المؤسسات الزوجية، التي تعتبر الحصون المنيعة للاستقرار الاجتماعي، ولا يجوز للمعرفة التكنولوجية أن تكون أداة للفوض والعبث بحياة البشر، فالكون تحكمه قوانين إنسانية ارتضاها الإنسان لنفسه، وأقرتها الأديان السماوية، واجمعت على احترامها الأجيال المتعاقبة، وأهم هذه القوانين ما يتعلق بالوجود الإنساني، وهو وجود ينسجم مع الفطرة الطبيعية، ويوفر الكرامة للإنسان، ويشعره بالاستقلالية والتميز في وجوده وشخصيته وحقوقه، كما يشعره بالتبعية لأسرة والارتباط بأبوين سهرا على تربيته وتكوينه وإعداده..

وإذا كانت التحديات التي تواجه المجتمع الإسلامي كثيرة، فإن التحديات التي تواجه المجتمع الإنساني في ظل تطور المعرفة في مجال الجينات الوراثية، هي الأشد خطرا، لأنها تحاول أن تفكك المجتمع الإنساني، وأن تضعف ثقة الإنسان بقيمه الأخلاقية ومؤسساته الاجتماعية، ولذلك فإن من واجب المؤسسات العلمية أن تحذر من خطورة المعرفة العلمية في حالات اقتحامها لقيم المجتمع، وتحديها السافر لكل الثوابت الأخلاقية، ولابد من الدعوة إلى ربط تطور المعرفة العلمية بالمصالح الاجتماعية والقيم الأخلاقية، وأن تتقيد في خطواتها بما يفرضه وجوب حماية المجتمع من أخطار الفوضى في العلاقات الإنسانية..

ولا شك أن الالتزام بالأصول الإسلامية والتقيد بالضوابط التي صاغها الفقهاء في مجال الحقوق الإنسانية هو المنهج السليم الذي يمكننا من الاستفادة من التقنيات العلمية في حقول المعرفة الطبية التي تمكن الإنسان من

التغلب على الأمراض البدنية والآلام النفسية الناتجة عن العقم والخلل في التكوين الطبيعي للإنسان..

ولابد من التقيد بأخلاقية المعرفة والالتزام بما تفرضه هذه الأخلاق في مجال الاستفادة من التقنيات العلمية، حتى تكون المعرفة أداة لخدمة الإنسان، ووسيلة لحل مشكلاته..

حكم الاستنساخ في الشريعة الإسلامية

ندوة

"التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل"

المنعقدة بجامعة الإمارات العربية المتحدة

في الفترة من ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

إعداد

الدكتور: عبد الحق حميش

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الشارقة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة :

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم (اقرأ باسم ربك الذي خلق) - والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذي جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فقد فضل الله الإنسان بالعقل، وميزه به عن سائر الحيوانات التي تشاركه في بقية المزايا، وبهذا العقل صار الإنسان خليفة في الأرض وسخر الله له ما في البر والبحر بواسطة هذا العقل، وكلفه بعبادته وطاعته اعتمادا على وجود العقل.

والإسلام إذ ينوه بالعلم ويرفع من شأن أهله لأن به يميز الإنسان بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال والصواب والخطأ والنافع والضار، والإسلام يفتح الباب واسعا للبحث العلمي ولاكتشاف أسرار الكون والحيوان والإنسان ويحث على ذلك (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق).

والإسلام يفتح ذراعيه للتقدم العلمي، وعلماء الإسلام يعدون التقدم العلمي فريضة يوجبها الدين وضرورة يحتمها الواقع.

والإسلام حينما يرحب ويفتح باب البحث العلمي واسعا لا يتركه هكذا سائبا بلا معالم بل يضع له ضوابطا وحدودا أهمها أن لا يتعدى العقل حدوده وألا يستخدم العلم فيما يضر به الإنسان نفسه أو غيره كما يؤكد على الالتزام بقواعد وحدود الحلال والحرام وذلك في الأهداف والوسائل والنتائج والآثار : فقتل النفس مهما كانت الأسباب محرم، والعبث بالأرواح الإنسانية محرم وقضية الأنساب من الكليات الخمس التي أوجب الإسلام حفظها والتي وضع حولها سياجا يمنع أي عدوان عليها، فالإسلام يشترط أن يوجه العلم نحو خير الإنسان ومصلحته وأن لا يكون سببا للإضرار به وتدميره :

ومن المواضيع التي تشغل بال العلماء والباحثين هذه الأيام مسألة الاستنساخ :

فلقد برز موضوع الاستنساخ في الآونة الأخيرة على كثير من المواضيع، وتناقلت الصحف والمجلات عدة تعاليق وملاحظات حوله فاهتم البعض منها بالناحية الدينية أو الأخلاقية، في حين اهتم البعض الآخر بالناحية العلمية والاجتماعية، وأما غيرهم فقد اهتم بالأمور الإيجابية أو السلبية، وهي كلها أمور لم تتبلور حتى يبدي هذا رأيه ويتمسك الآخر برأي مغاير وكل إناء بما فيه يرشح، وسأحاول من خلال هذه السطور أن أعرّف بموضوع الاستنساخ واذكر بعض المعطيات العلمية، وأسرد بعض الآراء والدلائل التي قد تساعدنا في الوصول إلى الحكم الشرعي للاستنساخ والتي تم جمعها من أقوال العلماء أهل الاختصاص العلمي الطبي ومن فتاوى وآراء بعض العلماء الشرعيين ومن بعض أقوال علماء الاجتماع والأخلاق في الموضوع، أرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع مفيدا لقارئه معينا له للوصول للحكم الشرعي الصحيح في موضوع الاستنساخ.

تعريف الاستنساخ :

هو أخذ خلية جسدية من كائن حي تحتوي على كافة المعلومات الوراثية وزرعها في بويضة مفرغة من مورثاتها ليأتي الجنين أو المخلوق مطابقا تماما في كل شئ للأصل أي الكائن الأول الذي أخذت منه الخلية، فهو تشكيل كائن حي كنسخة مطابقة تماما من حيث الخصائص الوراثية والفيزيولوجية والشكلية لكائن حي أخر فهو توالد لاجنسي - أي من غير تلاقح.

حقيقة الاستنساخ العلمية :

الشرح العلمي للاستنساخ هو إدخال DNA الخلية الجسدية التي يراد زرعها في بويضة مخصبة بعد انتشار المعلومة الوراثية منها ويجب أن تكون من نفس النوع. وبإدخال نفس معلومة DNA وباستعمال بويضات من أم واحدة يمكن أن تتحصل على نفس التركيبة ومنها على نسخ متماثلة، اي متحدة في المعلومات الوراثية.

ويمكن للعالم ان يختار المعلومة الوراثية التي يريدها مثل تلون البشرة أو

الشعر أو الطول أو لون العينين إلى غير ذلك من الأوصاف الحسية أو المعنوية المقصودة وهذا التشابه طرح كثيرا من الأسئلة المتعلقة بالأخلاق والحقوق، والدين.

تاريخ الاستنساخ :

تعد ألمانيا الدولة الأم لفكرة الاستنساخ حيث بدأوها في العقد الثالث من هذا القرن، حيث قرر الحزب النازي بقيادة هتلر بخلق عرق متميز لكن التقنية خذلته في ذلك الوقت حيث لم تكن التقنيات متواجدة ومتوفرة كما هو عليه الحال الآن.

واستطاع بعض العلماء من استنساخ النباتات في كثير من انحاء العلم، والحقيقة أن الاستنساخ أكثر شيوعه في النباتات مثل طريق التهجين لتكوين نبات جديد من خلية نباتية واحدة.

في عام ١٩٣٨ أقيمت تجربة من قبل شيمان على جنين الضفادع حيث قام شبيمان بإخصاب بيضة الضفدع المذنب وقبل الانتهاء صنع عروة من شعر طفل وشدها حول شق الانقسام الأول، بحيث اجبر النواتين أن تبقيا في واحدة من الخليتين المتشكلتين، وبحيث تبقى الخلية الأخرى بدون نواة، وانتظر شبيمان حتى انتهاء الانقسام الرابع في الخلية النواة بحيث أصبح حجم كل نواة أقل من قطر القناة بين النصفين مما يسمح لإحدى هذه النوى وعددها ١٦، وقد يكون ٣٢ في حال أن الخلايا انهت الانقسام الخامس عندئذ فصل شبيمان النصفين عن بعضهما بشد العروة الشعرية حتى النهاية، ولقد شكل بعد انقضاء مدة ١٤٠ يوما كل نصف جنينا سويا، وأمكن الاستنتاج من هذه التجربة ان نوى الجنين لا تفقد حتى مرحلة ١٦ خلية وأحيانا ٣٢ أي شيء من قدرتها التي تبقى مساوية لقدرة البيضة المخصبة.

كذلك شهد النصف الأخير من هذا القرن تجارب عديدة وخطوات أبعد في دراسة قدرة النواة ولم يكن تعبير الاستنساخ قد استعمل بعد ومن أهم الباحثين بويغر وكينغ وكو دون، وانتقلت التجارب في الثمانينات على حيوانات عديدة من الفئران والأرانب والأبقار والأغنام.

وفي عـام ١٩٩٣م اسـتطاع العلمـاء الأمـريكيـون من اسـتنسـاخ توأم من بويضـة، لكن كل واحـد من التـوأم لـم يتم إلا حـدود ٣٨ خليـة قـبل أن يموت الجنينان الصغيران.

وفي سنة ١٩٩٥ تمكن العلماء اليـابانيون من دمج خليـة جنينية مـع خلية حيوية عن طريق تيار كهربائي خاص ليـحصلوا على جنين مـستنسـخ، وقبل عامين من ذلك تمكن كذلك الأمريكيون من استنساخ ٤٢ عجلا في تكساس عن طريق دمج خلية جنسيـة وبويضـة وهذا الأسلوب هو أقل أهمـيـة من الأسلوب الياباني.

ولقد قام العالم أيان ويلموت ومساعدوه بأخذ خلية عادية من ثدي نعجة صغيرة، وبحرمان هذه الخلية من التغذية المطلوبة توقفت عن الانقسام، وكأنها في بيـات وحالة سكون. ثم قـاموا بعـمليـة تسمى «انتـقال النواة»، وذلك بـأخذ بويضـة غير ملقـحة من شـاة وسـحب مـا بهـا من مـواد جينية لتبقى البويضـة مفرغة إلا من مادة السيتوبلازم المغذية، وقـاموا بتقريبها من الخلية السـاكنة وتعريضـها إلى ذبذبات كـهربائية دقـيقـة جدا، وبحـذر أدخلت نواة الخلية في البويضة المفرغة لتعتبر وكأنها نواة لها.

وباسـتمرار تسليط هذه الذبذبات الكهربائية بدأت عمليات كيميو حيوية داخل البويضـة، وكأن هذه النواة استيقظت من سبـات عميق لتبدأ انقسـامـا متعددا ومتكررا إلى خليتين، ثم أربع وثمـان وست عشـرة، وهكذا وبعد مرور أسـبوع على هذا الانقـسـام تمت وبنجـاح إعـادة هذا الجنين المتكون إلى رحم الشـاة الحـاضنة التي احـتوت نمو الجنين إلى حين ولادة «دولي» التي أثارت زوبعة علمية وإعلامية كبيرة.

وقد ادعت طبيبة بلجيكية واسـمها مـارتين نيجس أنها استنسخت طفلا منذ حـوالي ٤ سنوات وهو يعـيش الآن مـع أبويه في الـعـاصـمـة البلجـيكيـة بروكسيل وقد كذب زميل لها هذا الخبر وقـال أن مـا قـامت به مـارتين لا يمت إلى الاستنسـاخ بصلة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة :

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم (اقرأ باسم ربك الذي خلق) – والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذي جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فقد فضل الله الإنسان بالعقل، وميزه به عن سائر الحيوانات التي تشاركه في بقية المزايا، وبهذا العقل صار الإنسان خليفة في الأرض وسخر الله له ما في البر والبحر بواسطة هذا العقل، وكلفه بعبادته وطاعته اعتمادا على وجود العقل.

والإسلام إذ ينوه بالعلم ويرفع من شأن أهله لأن به يميز الإنسان بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال والصواب والخطأ والنافع والضار، والإسلام يفتح الباب واسعا للبحث العلمي ولاكتشاف أسرار الكون والحيوان والإنسان ويحث على ذلك (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق).

والإسلام يفتح ذراعيه للتقدم العلمي، وعلماء الإسلام يعدون التقدم العلمي فريضة يوجبها الدين وضرورة يحتمها الواقع.

والإسلام حينما يرحب ويفتح باب البحث العلمي واسعا لا يتركه هكذا سائبا بلا معالم بل يضع له ضوابطا وحدودا أهمها أن لا يتعدى العقل حدوده وألا يستخدم العلم فيما يضر به الإنسان نفسه أو غيره كما يؤكد على الالتزام بقواعد وحدود الحلال والحرام وذلك في الأهداف والوسائل والنتائج والآثار : فقتل النفس مهما كانت الأسباب محرم، والعبث بالأرواح الإنسانية محرم وقضية الأنساب من الكليات الخمس التي أوجب الإسلام حفظها والتي وضع حولها سياجا يمنع أي عدوان عليها، فالإسلام يشترط أن يوجه العلم نحو خير الإنسان ومصلحته وأن لا يكون سببا للإضرار به وتدميره :

ومن المواضيع التي تشغل بال العلماء والباحثين هذه الأيام مسألة الاستنساخ :

فلقد برز موضوع الاستنساخ في الآونة الأخيرة على كثير من المواضيع، وتناقلت الصحف والمجلات عدة تعاليق وملاحظات حوله فاهتم البعض منها بالناحية الدينية أو الأخلاقية، في حين اهتم البعض الآخر بالناحية العلمية والاجتماعية، وأما غيرهم فقد اهتم بالأمور الإيجابية أو السلبية، وهي كلها أمور لم تتبلور حتى يبدي هذا رأيه ويتمسك الآخر برأي مغاير وكل إناء بما فيه يرشح، وسأحاول من خلال هذه السطور أن أعرّف بموضوع الاستنساخ واذكر بعض المعطيات العلمية، وأسرد بعض الآراء والدلائل التي قد تساعدنا في الوصول إلى الحكم الشرعي للاستنساخ والتي تم جمعها من أقوال العلماء أهل الاختصاص العلمي الطبي ومن فتاوى وآراء بعض العلماء الشرعيين ومن بعض أقوال علماء الاجتماع والأخلاق في الموضوع، أرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع مفيدا لقارئه معينا له للوصول للحكم الشرعي الصحيح في موضوع الاستنساخ.

تعريف الاستنساخ :

هو أخذ خلية جسدية من كائن حي تحتوي على كافة المعلومات الوراثية وزرعها في بويضة مفرغة من مورثاتها ليأتي الجنين أو المخلوق مطابقا تماما في كل شئ للأصل أي الكائن الأول الذي أخذت منه الخلية، فهو تشكيل كائن حي كنسخة مطابقة تماما من حيث الخصائص الوراثية والفيزيولوجية والشكلية لكائن حي آخر فهو توالد لاجنسي - أي من غير تلاقح.

حقيقة الاستنساخ العلمية :

الشرح العلمي للاستنساخ هو إدخال DNA الخلية الجسدية التي يراد زرعها في بويضة مخصبة بعد انتشار المعلومة الوراثية منها ويجب أن تكون من نفس النوع. وبإدخال نفس معلومة DNA وباستعمال بويضات من أم واحدة يمكن أن تتحصل على نفس التركيبة ومنها على نسخ متماثلة، أي متحدة في المعلومات الوراثية.

ويمكن للعالم أن يختار المعلومة الوراثية التي يريدها مثل تلون البشرة أو

ثالثا: إن الله سبحانه وتعالى خلق الكون أزواجا (وخلقناكم أزواجا) (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) فالازدواج والزوجية قاعدة في الكون كله.. الذكر والأنثى، الموجب والسالب، هذه هي سنة الحياة، فنأتي نحن اليوم ونهدم قاعدة الزوجية «زوج من كل شيء» فنكتفي بأحد الجنسين، أو نُغلّب أحد الجنسين على الآخر بحيث يكون أضعافا مضاعفة، مع أن من أدلة وجود الله كما ذكر العلماء ذلك التوازن بين الذكور والإناث طوال التاريخ، ولم يترك هذا الأمر لأهواء الناس، والنسبة دائما الذكور ٥١٪ والأناث ٤٩٪ أو العكس، فإذا اختلت هذه النسب اختلالا كبيرا فإن مفاسد شتى ستنتج ومنها الاكتفاء بأحد الجنسين كما يفعل ويطالب دعاة الشذوذ، واكتفاء الرجل بالرجل أو المرأة بالمرأة ويزوجون الرجل للرجل والمرأة للمرأة.

رابعا: إن الاستنساخ خلاف فطرة الله التي فطر عليها البشر، وإن جاز الاستنساخ في الناس فإننا سنجد أن أبنية المجتمع سوف تهدم.

بحيث تندثر الأسر وتصبح لا أهمية للزواج وينتج من ذلك أناس يشبهون البشر في الشكل فقط، ولكن يخالفوهم في الطبع ويصبح الإنسان ممتهن الكرامة حيث يباع ويشتري عبر بنوك الحيوانات المنوية وبنوك البويضات ويصبح البشر تحت رحمة العلماء.

خامسا: إن الاستنساخ هو لون من الوان التلاعب بهندسة الجينات ومعايير المورثات، ومن المعلوم أن القرآن نبه إلى أن البيئة المناخية والاجتماعية والوراثية مركبة تركيبا كيميائيا وإحيائيا دقيقا وانه لا يجوز للإنسان التلاعب بمعاييرها فالله سبحانه يقول : (وكل شيء خلقناه بقدر) ثم يقول ناهيا عن التلاعب بهذه المعايير (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)

والسبب في نهي الإسلام عن التلاعب بمعايير البيئة بأنواعها الثلاثة أن أي عبث بها يزج المجتمع الإنساني في أخطار لا مفر منها وليس للعلم أن يغامر بحياة الإنسان ومصالحه.

وقد يكون ذلك من تغيير خلق الله المرفوض دينيا والقرآن الكريم يؤكد أن هذا التفكير وهذا السباق العلمي يكون مصدره وساوس الشيطان وقد جاء في الآية الكريمة (ولا أمرنهم فليغيرن خلق الله).

سادسا: و قد تزهق أرواح كميات كبيرة من الأجنة والحيوانات باسم التجارب وباسم العلم وذلك لأنه سوف يحصل في عملية التجارب للاستنساخ أن تموت أرواح كثيرة أثناء تلك التجارب , وقد يحدث خلل ينتج أجنة مشوهة فهل يقبل العلم استخدام الإنسان على أنه وسيلة لإجراء البحوث ؟ لهذا لقد ارتفعت أصوات كثيرة من أهل العلم الإحيائي والبيولوجي والاجتماعي والديني تنادي للوقوف ضد هذا التوجه الخطير.

سابعا: إذا وجد أشخاص كثيرون متشابهون،كيف نميز إنسانا عن آخر، علما بأن هذا التنوع من الصفات السائدة في الكون، فالله تعالى خلق الكون مختلفا ألوانه من الناس والدواب والأنعام، كذلك هذا التنوع يثري الحياة، أما عندما يكون الناس نسخا مكررة، فأي معنى للحياة ؟ وكيف سنميز بين فرد وآخر، تختلط الأمور في امتحانات الطلاب، ويرتكب أحدهم جريمة ويتنصل منها وقد تقع على آخر، ويستطيع الرجل أن يدخل على امرأة أخرى ؟! هذه قضية في غاية الخطورة من الناحية الاجتماعية ومن الناحية الأخلاقية ومن الناحية الأمنية.

ثامنا: وثمة خطورة أخرى.. هذا «القطيع» من الناس المتشابهين، إذا أصاب فيروس أو مرض ما أحدهم فإنه قد يقضي على الجميع، لأن ما يصيب واحدا يصيب الكل.. وما يدرينا، ربما تستطيع بعض الدول أن تستنسخ من إنسان قوي جيشا «انكشاريا» من الأقوياء تغزو به الدول الأخرى، وقد تفعل هذا بعض الدول الأخرى، فيحرّمون هذا الأمر على الناس ويبقونه لأنفسهم، كما فعلوا بالأسلحة النووية، فيصير من الأسرار العسكرية، ويمكن أن يتكرر بعض الأشرار، فنجد نسخا متعددة من هتلر أو موسوليني أو من بعض المفسدين في الأرض فهذه قضية خطيرة جدا، والعبث بالجينات ومكونات الوراثة تترتب عليه نتائج خطيرة للغاية.

تاسعا: وقالوا «استنساخ البشر غير إنساني» :

هذا ما قاله الرجل الذي استنسخ الشاة «دولي» العالم الاسكتلندي ايان ويلموت (٥٢ عاما).

وأضاف : صحيح إن تقنية الاستنساخ أصبحت متاحة، لكني أدعو للسيطرة عليها، كالعمل عبر حدود الأمم المتحدة لإعداد مشاريع قوانين بهذا الخصوص، وخاصة فيما يتعلق باستنساخ البشر، ولقد رحب «ويلموت» بأي ضوابط لهذا العمل، خاصة وإن استنساخ البشر سيثير أسئلة عديدة بشأن تعريف الإنسان لذلك قال: وإني أخاف منه...

عاشرا: أدان المدير العام لمنظمة الصحة العالمية د. «هيروشي ناكاجيما» استنساخ البشر قائلا : إن المنظمة تعتبر استخدام الاستنساخ لإنتاج نسخ متشابهة من البشر أمرا غير مقبول أخلاقيا، لأنه سيؤدي إلى انتهاك بعض المبادئ الأساسية التي تحكم الإنجاب، والتي تتضمن احترام كرامة الإنسان وحماية سلامة المورثان الإنسانية.

الحادي عشر: إن هناك مخاوف عديدة مترتبة على هذا الاختراع الخطير: منها خوف الإنسان على ذاته بأن تفقد كيانها أو شخصيتها أو كرامتها إذا وجد جنس مستنسخ آخر يقاسمه الحياة وقد يتغلب عليه.

والخوف من استغلال هذا الاختراع في القيام بعمليات إجرامية كبيرة لا تستطيع الدول التحكم فيها لتكرر النسخ.

والخوف الأكبر أن يوسوس الشيطان للإنسان للعبث بهذا الاكتشاف كالقيام بعملية اندماج بين بويضة امرأة مع خلية حية من ذئب أو نعجة أو كلب وهكذا يبتلى المجتمع الإنساني بخلائق مشوهة تفسد على الإنسان حياته واستقراره وتطوره.

والخوف الأعظم هو أن يفقد العلماء السيطرة على هذا الاكتشاف وتكون نتيجة هذا العبث دمار البشرية وليس انحلال أخلاقها وموازينها فقط.

وبالرغم من كل هذه الأسباب التي تدعو إلى منع الاستنساخ وتحريمه

لأنه يخالف ويعارض مبادئ الخلق الإلهي ومصادم للفطرة ومدمر للأخلاق التي تحفظ الأمم و للخوف من العبث بهذا الاكتشاف الخطير وعدم قدرة العلماء على السيطرة عليه كما سبق بيانه :

فإنه ينبغي عدم التسرع في الحكم على الاستنساخ حتى تتضح معالمه ويتأكد من صحة ما قيل فيه من اختراعات واكتشاف لأننا نكاد نجزم بأن الاستنساخ على البشر لا يمكن له النجاح لا حاضرا ولا مستقبلا.

قال تعالى (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله). الروم٣٠ .

فالله عز و جل خلق الكون كله بطبيعة معينة، وهذا تغيير في الطبيعة، وفي الخلق.

رأي آخر:

ويجب أن لا نغفل بأن هناك آراء أخرى تشجع على الاستنساخ وتقول بأن هناك فوائد وراء الاستنساخ : في الطب الحديث وفي تطوير التكنولوجيا لمعالجة أنواع من الأمراض التي تصيب الخلايا.

وقد ذهب البعض إلى عدم منعه ولكن بضوابط وشروط للاستفادة من فكرة الاستنساخ في مجالات عدة نذكر منها استبقاء الحيوانات المهددة بالانقراض، اختيار وتحسين نسل الحيوانات، تحسين نوعية وكفاءة المنتجات النباتية، احتمال استنساخ أعضاء أو أنسجة لنقلها إلى من يحتاج إليها.

وقد ذكرت قصة عن امرأة تقول : أصيبت ابنتي بفشل كلوي ونقلت لها واحدة من كليتي، ثم أصيب ابني بنفس المرض ورأيته يموت أمام عيني لعدم توفر كلية سليمة له فاتركوا العلماء يستنسخوا الأعضاء البشرية للملايين حول العالم.

ولهذا فإن الاستنساخ مشروع في الولايات المتحدة الأمريكية وفي دول أخرى كثيرة.

وكان الأولى أن يواكب العالم الإسلامي والعربي التقدم العلمي عموماً وموضوع بحثنا - الاستنساخ - بخاصة لتوظيفه فيما يعود بالمصلحة والمنفعة على الأمة بما لا يتعارض وأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وحتى لا نظل متفرجين مستهلكين لما نستورده ولما تتفضل به علينا بقية دول العالم.

والله ولي التوفيق الهادي إلى سواء السبيل.

« وللبحث صلة»



واقع الإعلام المعاصر
في
العالم الإسلامي

نـــدوة

"التحديات المستقبلية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل"

المنعقدة بجامعة الإمارات العربية المتحدة

في الفترة من ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

إعداد : أ . محمد فاتح زغل

رئيس القسم الثقافي والإعلامي في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث -
عضو هيئة تحرير مجلة آفاق الثقافة والتراث

دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة ص ب ٥٥١٥٦

هاتف ٦٢٤٩٩٩ ٤-٩٧١



واقع الإعلام المعاصر في العالم الإسلامي

مدخـــل :

لاحظ ابن خلدون ظاهرة تغير المجتمعات وقررها في مقدمته على أنها سُنّة اجتماعية لا تختص بمجتمع دون آخر. وليست من خصائص المجتمعات الإسلامية أو غيرها فقال : " إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقرة ".

وتقر النظرة الإسلامية التغير بصفته سُنّة اجتما عية ماضية تمر بها كل المجتمعات وهو قانون الحياة. فليس للزمن ثبات أو دوام على أنه لابد من التوازن بين التغير والاستمرار. وإذا اختل هذا التوازن كان يتحكم الإستمرار بالتغير أو يتسلط التغير على الاستمرار فإن ذلك سينتج آثاراً خطيرة تنعكس على المجتمع والحضارة، وإن التوازن بحاجة إلى التناسب، ويقول د. سعيد بن مبارك آل زعير في كتابه " التليفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية " والجمع بين هذين الأمرين هو ما تفتقده الإنسانية اليوم، فالجاحدون يحرمون أمتهم من فوائد التقدم الحضاري، ودعاة التغير الشامل يذيبون أمتهم في فكر غيرها. وتضيع هويتها لكن التوازن من الثوابت ومقتضيات التطور هو المطلب الذي تتعطش له الإنسانية.

ونكاد نتفق أن الإعلام السائد الآن على الساحة المحلية أو العربية أو الإسلامية أو الدولية لا يعبر محتواه وشكله عن عقيدة الإسلام ولا قيمها وأخلاقياتها والأنماط السلوكية التي تفضلها كما أنه لا يعبر عن الدين الإسلامي كدين له رؤية وفلسفة ونظام للحياة هذا على الرغم من أن المسلمين يشكلون خمس سكان العالم تقريبا.

ومن هنا فإن هذا الكم البشري الهائل من حقه أن يكون له إعلام ينبع من واقع احتياجاته العقلية والفكرية والمعرفية والعقائدية والإنسانية، يعبر عنه ومن خلاله عن نفسه ومشكلاته وقيمه وأخلاقياته، والنظم السلوكية التي يريدها كما يعبر عن طموحاته وآماله لأن الاتصال والذي يعد الإعلام أحد أقوى

السبل المحققة لأهدافه عبارة عن نشاط إنساني لازم لاستمرار الحياة وتقدمها وأنه الأساس الذي يقوم عليه البنيان الاجتماعي للأفراد باستخدام الرموز المختلفة مهما كان شكله أو محتواه، تمت ممارسته بشكل عفوي أو منظم.

١ - واقع الإعلام في العالم الإسلامي

العوامل التي ساعدت على تشكيل الإعلام في العالم الإسلامي

من المسلم به أن واقع الإعلام على الساحة العربية والإسلامية بات متأثراً بأساليب وأنماط الممارسة الإعلامية في الدول الأوروبية والولايات المتحدة نظراً لأنهم الأسبق في إنتاج التكنولوجيات المتعلقة بهذه الوسائل والأسبق أيضا في ابتكار أساليب توظيفها مما أضفى عليهم خبرة مهنية في هذا المجال. إضافة إلى ما تتيحه الحرية السياسية في تلك البلاد من حرية الأداء و الممارسة.

أما على الجانب الآخر، فإن البلاد العربية والإسلامية أدخلت تلك التكنولوجيا عن طريق الاستيراد من تلك الدول، كما قامت بتشغيل تلك الأنظمة الاتصالية معتمدة ولمدة طويلة على خبرات أبناء الدول الغربية أيضا، هذا إضافة إلى أن أساليب الأداء والممارسة الاعلامية اتخذت من المحاكاة وسيلة للتدريب ونقل الخبرات والتي تمت أيضا بمعرفة أبناء الدول الغربية وبإشارة منهم وباعتبار أن تلك هي افضل الطرق وأقصرها للتعلم والإجادة.

ومن هنا فإن عملية الإحلال التي تمت باستبدال العنصر الأجنبي في الدول العربية والإسلامية لم تتم إلا في بعد واحد فقط وهو الخبير المهندس أو المذيع مقدم البرامج أو المعد أو الصحفي... الخ.

لكن الأساليب والأنماط والقوالب وطرق العرض وطبيعة المضامين ومقياس أهميتها كل ذلك لم يتبدل وهو ما يمكن أن نطلق عليه) أسلوب الأداء (بكل أبعاده الثقافية والتعليمية والتي باتت تشكل نموذجاً مثالياً في أذهان الممارسين للإعلام في دول العالم الإسلامي وهو ما تقول به الباحثة) ريتا أوبرين (إن هيئات مثل هيئة الإذاعة البريطانية B. B. C وهيئة الإذاعة

والتلفزيون الأمريكية C. B. S, N. B. C لا تصدران نبأهما فحسب وإنما تصدران الفلسفات التي تنظم سير العمل وتدعم هذه الآثار عن طريق التدريب والتوظيف والبرامج المستوردة والنموذجية ذات القوة والجاذبية إذا ما قورنت بتلك البرامج المنتجة في بعض دول العالم الإسلامي ببدائيتها وأساليبها التي تخطاها الزمن.

ولا شك أن تقدم بحوث الاتصال والمجالات المرتبطة به في الدول الغربية قد عزز هذا الاتجاه في العالم العربي والإسلامي. هذا إضافة إلى التقدم المذهل في تكنولوجيات الاتصال والأقمار الصناعية وتوابعها والآلات الحاسبة وغيرها. والتي تأكد من خلالها أنه لا فكاك لمختلف الدول النامية من هذا الأثر الإعلامي على الأقل في الظروف الراهنة إلا بوعي ذاتي يتضح من خلاله أهمية البحث عن الخصوصية المستمدة من الذاتية الثقافية لهذه الدول، لأن استمرار هذا التأثر أو بالأحرى استمرار استخدام أساليب الأداء المستمدة من دول تختلف في ذاتيتها الثقافية وقيمها وأخلاقيتها وسلوكها يشكل تهديداً ساحقاً للخصوصية والهوية الثقافية، ويعد أمراً مكرساً للتبعية في مختلف المجالات، إذ لم يعد الأمر قاصراً على التعليم وطلب الخبرة؛ وإذا كان السعي نحو الحد من تلك الآثار الضاغطة على أساليب الأداء والممارسة الإعلامية في دول العالم الإسلامي تجابهه العديد من الصعاب، نظراً لأن هذا التأثر بالغرب أصبح يستمد نفسه من قوة الدفع الذاتي والتي تولدت من تبني أو محاكاة أساليب تلك الدول والتي اصطبغت بها الطبيعة المهنية في وسائل الإعلام في دول العالم الإسلامي بحيث أصبحت تشكل جزءاً من نسيجها الوجداني.

المجالات التي يخاطبها الإعلام الإسلامي :

- مجال التبادل الثقافي والإعلامي، لأن التبادل الثقافي بالنسبة للدول التي تحترم شعوبها لا يسعى لمجرد النشر أو النقل أو لملء مساحات زمانية أو مكانية بل يقوم على انتقاء المحتوى وتقدير مدى الإبداع فيه وبما يتناسب والواقع الاجتماعي بكل مكوناته القيمية والمعرفية والعقلية وقدراته الاستيعابية.

- مجال التوجه إلى الأقليات الإسلامية، حيث أن المطلوب هو مخاطبة الجماهير المسلمة وتلبية احتياجاتها من المعرفة والفكر والثقافة الإسلامية والتعبير في نفس الوقت عن واقع هذه الجماهير ومساعدتها على حل مشكلاتها، فكيف ونحن في أزمة مع نفوسنا ؟

- في مجال تقديم خصوصيتنا الحضارية إلى العالم، حيث ينبغي نشر العلوم والمعارف والأفكار والقيم والأخلاقيات ونماذج السلوك والعادات والتقاليد الرشيدة التي تميز ذاتيتنا الثقافية والتي تسعى للارتقاء بالفرد والمجتمع وتحثه على الطرق المثلى التي ينبغي عليه اتباعها للتغلب على مشكلاته وقضاياه في ظل ظروف وطنه ولكن كيف يمكن لنا تحقيق جزء من هذا ونحن منغمسون إلى آذاننا في تمجيد كل ما هو دخيل علينا وخاصة ما إذا كان غر بيا، دون أي محاولة منا إلى التطلع بجد نحو المجالات الأخلاقية المعرفية والعقلية والفكرية والعلمية التي ارتقت بها ومن خلالها الحضارة الغربية، حيث بات يدرك كتاب الغرب أن التقدم التقني الذي قامت عليه الحضارة الغربية يواجه حالياً ازمة لأن تطور البنى الفكرية للوعي الأخلاقي والسياسي لم يحدث بالتوازي مع هذا التقدم التقني كما يقول (مكسيم رودنسون).

- مجال التعريف بالإسلام ودرء الشبهات عنه، لا شك أن واقعنا الإعلامي الحالي بصورته الراهنة ليس مستعداً لتقديم الصورة المثلى للإسلام سواء على الساحة الداخلية أو في ساحة المجتمع الدولي نظراً للظروف التي تمر بها المجتمعات العربية والإسلامية، حيث التنامي المتزايد للمد الإسلامي بالشكل الذي تعتبره الأنظمة السياسية يشكل تهديداً لها وبالتالي ينبغي مقاومته إعلامياً وتقويض الأركان التي يرتكز عليها، فكيف نتمكن إذاً من شرح أبعاد الإسلام وقيمه وأخلاقياته بالشكل الذي يجعل العالم الخارجي يغير من مفاهيمه المشوهة عن الإسلام وهو نفسه يشارك أو يعمل جاهداً لمحاصرته والقضاء عليه أو على الأقل إبقاءه ضعيفاً معزولاً في دور العبادة والممارسات الخاصة.

٢- الإعلام الإسلامي والخصوصية الحضارية

أسس الإعلام الإسلامي ومنطلقاته الذاتية الثقافية

الذاتية الثقافية تمثل واحدة من أهم الخصائص الحضارية لأي أمة، وتتكون من خلال تفاعلات معطيات الواقع الحياتي لتلك الأمة، على امتداد التاريخ أو خلال مرحلة تاريخية معينة وتتحدد تلك الذاتية الثقافية من خلال ثوابت معينة تغذيها وتنظم حركتها وتحدد مسارها ومضمونها بالشكل الذي يمكن من صياغة العقل الجمعي للأمة صياغة تحقق أهداف الثوابت التي انطلقت منها. ولا شك في أن تلك الثوابت في حضارتنا الإسلامية هي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة التي مازلنا نسعى من خلال محاولتنا الدائمة والمستمرة استجلاء مقاصدهما وفهمهما فهما صحيحاً.

وإذا كان حجم تأثير أي حضارة يقاس بمدى قدرة هذه الحضارة على ترميز الوجود وأساليبه فإن الخطاب القرآني بخصائصه الكونية وتركيبته المجازية حرك ولا زال قادراً على تحريك الحياة والوجود وهي لا شك خاصية اتصالية فريدة يتوقف رجع صداها على الحالة العقلية والمعرفية والإيمانية للمتلقي في أي مكان وأي زمان. هذا إضافة إلى أن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بهيبتها وثقلها الاجتماعي ومبادراتها وأساليب ممارستها قد أضفت بعداً جمالياً على هذه الخاصية الاتصالية مما ادى إلى سطوع فجر الإسلام واتساع رقعته جغرافياً من خلال تمثل هذا الخطاب من قبل الصحابة بجد وإخلاص والذي على أثره تم دخول المركب الثقافي الإسلامي العربي إلى تلك البلاد بثوابته وفروعه فأصبحت الثقافة في البلاد الإسلامية خليطاً من التنوع والتصارع ثم التفاعل والاندماج وهذا يعني أن الإسلام قد أنتج أبعاداً عقلية وفكرية استوعبت وتفاعلت مع المعطيات الاجتماعية والفكرية والعلمية والثقافية والفلسفية في تلك البلاد مما أكسبها الصبغة الإسلامية إلا أن هذا الحال لم يدم طويلاً.

٣ - طبيعة الإعلام الإسلامي

الثنائية الثقافية وأثرها على الإعلام الإسلامي

يتضح لنا مما سبق أننا نبحث عن إعلام مغاير لطبيعة الإعلام السائد على الساحة المحلية و الدولية وإذا كان الإعلام السائد الآن على الساحة المحلية والدولية من خلال افتراض مؤداه، أنه انعكاس للنشاط الإنساني وتعبير عنه وتحليل له وتقييم في ضوء فلسفة المجتمع وظروفه الآنية والمستقبلية والمعطيات الناتجة عنهما على المستوى النفسي والمعرفي والعقائدي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والأمني وفي إطار علاقات المجتمع الدولية بمؤثراتها المختلفة.

فماذا يمكن أن يكون الإعلام الإسلامي وما حدود اتفاقه أو اختلافه مع طبيعة الإعلام السائد على الساحة المحلية والدولية ؟

من المؤكد أن الإجابة عن هذا السؤال قد لا تكون بالبساطة التي يتوقعها البعض، نظراً لطبيعة العلاقة القائمة بين موضوعنا وهو الإعلام الإسلامي والمجتمع الإسلامي كأفراد من جهة وكأنظمة سياسية حاكمة مهيمنة على البنى المؤسسية والتنظيمية والتشريعية والتربوية الخ من جهة أخرى ثم أيضاً ما هي طبيعة العلاقات القائمة بين المسلمين حكاماً ومحكومين وبين المنهجية الإسلامية كإطار تشريعي وفلسفة للحياة ؟

لا شك أن محاولتنا التعرف على مقدار التنافر أو التجاذب الحادث بين الأطراف المكونة لتلك العملية وهي الإعلام والأفراد والأنظمة السياسية والعقيدة الإسلامية كمنهجية ذات أبعاد تشريعية منظمة لحركة الإنسان والمنظومة الكونية المحيطة به. تلك المحاولة سوف تسهم إلى حد ما في توجيه أنظارنا إلى الظروف والملابسات التي تتحدد عليها ومن خلالها طبيعة الإعلام الإسلامي لأن طبيعة العلاقات المتبادلة أو القائمة بين الفرد والنظام السياسي تتحدد من خلال المنهج أو الفلسفة التي يحكم من خلالها الفرد والمجتمع وتنظم من خلالها مؤسساته وتوضع نظمه وقوانينه وتشريعاته وتحدد توجهاته

ولا شك أن مدى تناسب تلك الفلسفة مع الواقع الاجتماعي بمكوناته العقائدية والفكرية والمعرفية والثقافية هو الذي يوحد نظرة المجتمع وينظم مسيرته وحركته وبمحاولة بسيطة لاستقراء الواقع يتضح لنا أن مدى تناسب فلسفة الحكم مع الواقع في العالم العربي والإسلامي يكاد يكون غير موجود، وهو ما نتج عنه هذا الكم من التناقضات السياسية والفكرية والمعرفية والاجتماعية والمذهبية على المستوى الداخلي لكل دولة أو على مستوى العالم العربي والإسلامي إذ لم يعد العالم العربي والإسلامي قادراً الآن على الاجماع على رأي أو فكرة أو موقف ومن هنا يمكن أن نستنتج مقدار التباين في نظرة المسلمين الآن إلى الإسلام ودوره في الحياة المعاصرة، ولعل وجهات النظر إلى دور الإسلام في الحياة المعاصرة تنحصر في الاتجاهات التالية :

الاتجاه الأول : ويتلخص اتجاهه الفكري في النظر إلى الإسلام على أنه التراث الوافد إلينا عبر التاريخ الإسلامي غير مفرق بين الإسلام كعقيدة دينية هي جملة تعليمات الوحي من قبل الله الواحد الأحد رب العالمين، وبين التاريخ الإسلامي باعتباره ناتج الخبرات والسلوك الإنساني عظم فيه دور الإسلام أو همش.

الاتجاه الثاني : وينظر إلى الإسلام على أنه مجموعة من الشعائر والعبادات وفقه الأحوال الشخصية يجب أن تظل قيد دور العبادة والممارسة الشخصية رافعة شعار الدين لله والوطن للجميع.

الاتجاه الثالث : وينظر إلى الإسلام على أنه دين ودولة ونظام للحياة يحاول من أن لآخر طرح أفكار عن تصوراته لمجابهة المشكلات والقضايا الحياتية التي يعيشها المجتمع في سياقها المحلي والدولي.

تلك هي أهم الاتجاهات السائدة على ساحة الفكر بشأن دور الإسلام في الحياة المعاصرة، ولا شك أن تبني أيا من الاتجاهات الثلاثة يأتي من واقع العمق الإيماني للشخص ومن واقع القدرة على التكيف مع طبيعة المنهج أو الفلسفة التي توجه مسيرة المجتمع وتصيغ أفكاره وقيمه وتنظم مؤسساته، ولما كانت معظم الأفكار والقيم والنظم والقوانين والمؤسسات التربوية والاقتصادية

والإعلامية العالمية الآن في المجتمعات الإسلامية قد تشكلت متأثرة بالفلسفة الاستعمارية أن قدومها ووجودها كنوع من تمهيد الطريق أمام ثقافتها وقيمها وعاداتها لتحل مكان الريادة في توجيه المجتمعات المستعمرة، وهو ما نتج عنه اختلال وظيفي في بنية تلك المجتمعات نتيجة الهوة القائمة بين العادات والتقاليد الداخلية والبنى الاجتماعية لتلك المجتمعات وهو ما يطلق عليه الثنائية الثقافية.

لكل هذا نجد أن هناك ردود فعل متباينة تجاه هذه الثنائية الثقافية على المستوى الفردي والجماعي في العالم العربي والإسلامي.

وصف المتلقي الذي يشكل الجمهور في بلدان العالم الإسلامي :

في الجانب الإجتماعي :

- ارتفاع نسبة الأمية.
- ارتفاع نسبة الأطفال.
- انتشار نسبة البطالة.
- محدودية ثقافة الآباء، وانشغالهم بتحصيل أسباب العيش.
- عدم وضوح الأهداف المحددة أو الوظائف التي يمكن أن تعمل على تحقيقها المحطات في الدول الإسلامية.
- غلبة المجتمع الريفي.

في الجانب التعليمي :

- ندرة أدوات الاتصال بسبب ا لفقر.
- غلبة اللغات الأجنبية أوالمحلية على اللغة العربية الفصيحة لغة القرآن.
- تعذر ترجمة الكتب العلمية والتقنية إلى اللغات المحلية أو العربية.

في الناحية الفنية وتتميز :

- قلة الإنتاج المحلي الذي يفتح الباب لاستيراد المواد الخارجية وبالتالي

يترك الإنتاج المحلي يدور في فلك التقليد.

- إن وسائل الاتصال في أغلب البلدان الإسلامية لايتمتع بالاحترام والحماية من قبل المجتمع،وكذلك فهو يفقد الكثير من مصداقيته.

- غياب اللغة القومية الجامعة لغة القرآن الكريم مع أن الحرف العربي الإسلامي كان هو السائد في الدول الإسلامية إلا أن اللغة الرسمية لكثير من البلدان الإسلامية تفرض نفسها وهذه الميزة تشترك فيها الكثير من الدول الإسلامية، وفي كثير من الأحيان تصبح هذه المشكلة مركبة لأن بعض هذه اللغات ليست لها أبجدية، وكثير من مشاكل الاتصال ترجع لغياب هذه اللغة باستثناء الدول المتحدثة باللغة فتقوم الفجوة الإعلامية (الاتصال) بين الجماهير الوطنية المختلفة والذين يعيشون في دولة واحدة.

بل إن الحرف العربي، وهو القاسم المشترك في لغة الاتصال للدول الإسلامية، بدأ يختفي من بعض الدول (ظاهرة دول الاتحاد السوفياتي سابقاً) لتحل محله لغة قومية أخرى.

هذه المشاكل وغيرها من المشاكل المشابهة قد أصبحت من الملامح الشائعة لدول العالم الإسلامي، وإنه ليبدو ساذجاً الاستدلال بأن هذه الدول لديها نظم إعلام متشابهة لأن لديها تجارب مشتركة ودين مشترك.

- إن العالم الإسلامي نسيج فسيفسائي من كل أنواع المنابر السيا سية التي تمتد من اقصى اليمين إلى اقصى اليسار، وفيه تمارس سياسات أيديولوجية متباعدة بل متنافرة في رؤيتها الداخلية والخارجية.كما أن التنوع الاقتصادي فيها لا يمكن أن يخضع للوصف لكثرته ولكن يمكن النظر فيه إلى مقياس الدخل القومي العام، فهناك دولة غنية وأخرى فقيرة وثالثة متوسطة.

ويمكن ان نجمل من خلال العرض السابق

أهم المميزات لهذا الإعلام

أولاً : إن الإعلام السائد على الساحة قائم على تبني أساليب الأداء في الدول الغربية بما تحمل من قيم وأخلاقيات وأنماط للسلوك تتعارض مع الذاتية الثقافية والخصوصية الحضارية للأمة الإسلامية.

ثانياً : إن الإعلام السائد الآن على الساحة بما يحمله من مفاهيم وقيم متعارضة مع الواقع الاجتماعي والذاتية الثقافية لا يساعد على التنمية أو الممارسة الديمقراطية بل يكرس الهيمنة والتبعية للغرب.

ثالثاً : إن الإعلام السائد على الساحة لا يعبر عن الإسلام سواء في الإطار المحلي أو الدولي نظراً لعدم ارتكازه على المنهج الإسلامي أو الإلمام به وإن كان يخصص مساحات زمانية ومكانية وخدمات إعلامية لهذا الغرض.

رابعاً : إن الأسس والمنطلقات التي يرتكز عليها الإعلام الإسلامي على الرغم من حضورها الدائم في المجتمع الإسلامي إلا أن الذاتية الثقافية والخصوصية الناتجة عنهما ظلت لمدة طويلة غير قادرة على تحقيق التواصل والتفاعل المنشود بين مختلف جوانب الأمة.

خامساً : إن الإعلام الإسلامي تتحدد أبعاده ومكوناته من خلال واقع الذاتية الثقافية والخصوصية الحضارية للأمة الإسلامية وتفاعلاتها مع الواقع الحياتي للمجتمعات الإسلامية والعالم الخارجي.

سادساً : إن وجود الإعلام الإسلامي بشكل فعال على الساحة الإسلامية يستلزم وجود متغيرات هيكلية وتنظيمية وتشريعية في بناء المجتمعات الإسلامية تستمد نفسها من الذاتية الثقافية والخصوصية الحضارية للأمة وترتكز على المنهج الإسلامي (القرآن والسنة).

سابعاً : إن طبيعة الإعلام الإسلامي تنطلق من وتؤسس على منهجية واضحة من القرآن والسنة وما يرسيانه من قيم وأخلاقيات وحث على العلم والبحث والاجتهاد ومن خلال خطط علمية مدروسة للتفاعل مع الواقع والتعبير عنه بمختلف مكوناته الإنسان والكون والحياة.

ثامناً : إن الإعلام الإسلامي يقوم برسالته مؤسساً على فهم كامل لمكونات العملية الاتصالية بمختلف أبعادها وبأهدافها ولا يتقيد بشكل محدد للرسالة إلا فيما يتعارض مع المنظور الإسلامي، كما أن مضمونه هو الحياة بمختلف تفاعلات ها إلا فيما يتعارض مع القيم والأخلاق ويهدد هوية المجتمع وذاتيته الثقافية وخصوصيته الحضارية ويحد من قدرته على التفاعل مع الواقع الإسلامي داخلياً وخارجياً أو يحد من قدرته على التعامل مع العالم الخارجي.

تاسعا : الإعلام الإسلامي يقوم معتمداً على ذاته في إنتاج الرسائل الاتصالية لكنه لا يرفض التبادل المعرفي أو الثقافي البناء الداعم للقيم والأخلاق والقدوة الصالحة والمساعد على شحذ الهمم والسعي نحو الرقي بالذات والمجتمع.

عاشراً : الإعلام الإسلامي يسعى لتشجيع التنمية والتقدم والممارسة الديموقراطية من خلال الأسلوب الانتقائي للعلوم والمعارف والأفكار والتكنولوجيا كما يشجع على تنمية القدرات الذاتية في تلك المجالات.

إمكانيات وسائل الإعلام
وقدرتها في التأثير على المجتمعات الإسلامية

وسيدور حديثنا حول محاور ثلاثة، نتناول فيها الإمكانيات التي تتيحها وسائل الاتصال الحديثة، وتأثيراتها المحتملة، سواء منها الإيجابية أو السلبية، وأخيراً كيفية الاستفادة من هذه الإمكانيات وتطويعها لخدمة مجتمعاتنا الإسلامية.

أولاً : الإمكانيات التي تتيحها وسائل الاتصال الحديثة، ويدور الحديث حول القدرة ذاتها وليس على طريقة استغلالها أو أهداف الاستغلال، ويمكن إيجاز أهم هذه الإمكانيات التي أصبحت متاحة بفضل تكنولوجيا الاتصال الحديثة فيما يلي:

١ - التواصل الآني بين أجزاء العالم المختلفة، فقد ألغت تكنولوجيا اقمار الاتصال عنصري الزمان والمكان ن فلم يعد البعد المكاني حائلاً دون التواصل بين مجتمعات وأفراد تبعد بينهم الشقة باتساع الكرة الأرضية كلها، فالحدث الذي يقع في الصين مثلاً، وهي التي كانت تعد أقصى الأرض، يتردد صداه في أي مكان آخر من العالم، وما ينطبق على الأحداث يمكن أن ينطبق على المعلومات والمعارف، فقد أصبح العالم كله شريكاً في كل ما يمكن أن يجد في أي مكان في العالم في شتى مجالات المعرفة، وأصبح من الممكن التلاقي بين الأفراد والمجتمعات عبر الهاتف أو الفاكس أو القنوات الفضائية أو الأنترنيت ليدور الحديث أو النقاش في أي موضوع يخطر على البال، ويتم تبادل الآراء والمعلومات.

وعندما نتحدث عن انتقال الحدث من أي مكان في العالم إلى أي مكان آخر، فلا يقتصر الأمر على أخبار السياسة أو الحروب أو الكوارث الطبيعية، بل إن الأمر يتعدى ذلك بكثير، ولعل إذاعة شعائر الحج من مكة المكرمة على الأقمار الصناعية لتصل إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، يقدم المثال الواضح لما نقول.

وهناك العديد من المناسبات والمهرجانات واللقاءات الثقافية والرياضية أصبح الناس يتواصلون حولها بغير أي اعتبار لعنصر المكان.

وكما ألغت التكنولوجيا الحديثة عنصر المكان، فقد ألغت عنصر الزمان. فالأحداث بمختلف أشكالها تنتقل ساعة وقوعها، أو بعد ذلك بقليل من مكان وقوعها إلى أي مكان آخر يمكن الوصول إليه ويهتم بمتابعة هذه الأحداث.

وهذا التواصل الجماهيري الآني يتم بأوضح ما يكون من خلال القنوات التليفزيونية عبر الأقمار الصناعية، ولكنه يتم بالصوت أيضاً عن طريق الإذاعة وهو ما لا تستطيعه الصحف ووكالات الأنباء غير الصورة، التي رغم اعتمادها في تلقي أخبارها وموادها على الاتصالات الفضائية، إلا أن مقتضيات الطباعة والتوزيع تحتم مرور بعض الوقت بين تلقي المواد ونشرها مطبوعة.

ولكم استفادت الصحف بشكل أو بآخر من التكنولوجيا الاتصالية الحديثة، فأصبح في الإمكان ظهور الصحيفة في أكثر من مدينة في نفس الوقت، بصرف النظر عن بعد المسافات بين هذه المدن، إذ تتولى الأقمار الصناعية نقل صورة الصفحات بين مراكز الطباعة المختلفة، فتدور الات الطباعة رغم تعدد أماكنها في وقت واحد. فجريدة الشرق الأوسط مثلاً تطبع في نفس الوقت في كل من لندن، وجدة، والدار البيضاء. وتظهر في كل هذه المناطق في وقت واحد،وكذلك الحال بالنسبة لجريدة " الأهرام الدولية " التي تطبع في وقت واحد في كل من القاهرة ولندن ونيويورك، وصحف عربية ودولية أخرى كثيرة.

٢ - تعدد وسائل الاتصال الحديثة فقد تعددت أقمار الاتصال وزادت إمكانياتها وقدرتها على حمل المزيد من القنوات التي يمكن تخصيصها للتليفزيون او الإذاعة او لنقل البيانات والمعلومات، وبدأ استخدام ما يسمى بالنظام الرقمي والإشارة المضغوطة التي ضاعفت من عدد قنوات الاتصال الفضائية عدة مرات، على القمر الواحد دون زيادة في التكلفة.

هذه الإمكانيات شجعت الدول على استخدام القنوات التليفزيونية

الفضائية سواء في تغطية كامل التراب الوطني في حالة اتساع الرقعة الجغرافية، أو الوصول إلى الخارج أيضا. ففي خلال عامين اثنين فقط ٩٢، ١٩٩٣ ارتفع عدد القنوات الفضائية العربية على سبيل المثال حتى وصل إلى أكثر من أربعة عشر قناة، واليوم بلغت ٢١ قناة ومن المتوقع زيادتها.

وبدأت الشركات الخاصة تطرق هذا الباب لتحقيق أهداف تجارية بالإضافة إلى الأهداف العامة، وهي ظاهرة عالمية انعكست آثارها على الشعوب المتقدمة والنامية على السواء، رغم أن السياسات الإعلامية التي كانت متبعة إلى وقت قريب في معظم الدول النامية، تقصر استخدام وسائل البث الإذاعي والتليفزيوني على الدولة دون غيرها.

وقد ترتب على هذه التعددية، الدخول في عصر المنافسة بين القنوات العامة المملوكة أو الموجهة من الدولة، وبين القنوات الخاصة التي تمتلكها شركات، متعددة الجنسية في الأغلب الأعم. وكذلك المنافسة بين هذه القنوات كلها مع بعضها البعض للحصول على ثقة المشاهد.

وأدت المنافسة من بين ما أدت إليه إلى الاتجاه لتخصص القنوات من حيث المادة والجمهور المستهدف، فبدلاً من تقديم قنوات تليفزيونية شاملة تتضمن الإعلام والتثقيف والترفيه معاً، بدأت بعض القنوات، تتخصص في الأخبار أو الرياضة أو برامج الأطفال أو الأفلام الروائية أو غيرها. واكتفت كل قناة بجمهور محدود وفقاً لاهتماماته، بعد أن كان التطلع دائماً نحو أكبر قاعدة ممكنة من جمهور المشاهدين.

٣ - التطور الكمي والكيفي في أدوات الإنتاج الإعلامي والثقافي، ذلك أن تطور تكنولوجيا الاتصال لم يقتصر على وسائل البث والتوزيع وحدها، بل تعداها إلى عمليات إنتاج المادة الإعلامية ذاتها، وينطبق هذا على الإنتاج الإعلامي والثقافي المطبوع أو المرئي أو المسموع، فظهرت تكنولوجيات جديدة في مجال الجمع الإليكتروني والطباعة والتصوير الصحفي أدت إلى اختصار الوقت وإضفاء لمسة جمالية على المنتج. وظهرت معدات جديدة في مجال

الإنتاج التليفزيوني والإذاعي من شأنها تطوير جمالياته وتوسيع مدى استخداماته مع اختصار وقت الإنتاج. وصاحب هذا أيضاً تطور في كم المنتج حتى يتلاءم مع الاحتياجات المتزايدة من جانب وسائل الاتصال الجماهيري الحديثة.

وينطبق هذا كذلك على مجال المعلومات والمعلومات هي الركيزة التي يعتمد عليها النشاط الإعلامي فتطورت صناعة الحاسب وأصبح في مقدوره القيام بوظائف لم يكن أحد يتخيل من قبل إمكانية القيام بها، وبالسرعة الهائلة التي تتم حالياً، وقد تراوحت هذه الوظائف بين عمليات جمع الكلمات وبالحروف والأحجام المتنوعة، وترتيب الصفحات وتخزين المعلومات وتنظيمها وتكشيفها واسترجاعها، وإجراء التفاعل بين المعطيات والوصول إلى نتائج ومعلومات جديدة، بالإضافة إلى الوظيفة التقليدية المتعلقة بالحسابات مهما بلغت درجة تعقيدها، وأصبح التفاهم يتم بين الإنسان والحاسب، وبين الحواسب بعضها مع البعض الآخر، وارتبطت تكنولوجيات الكومبيوتر بتكنولوجيات الاتصال سواء في مجال الإنتاج أو التوزيع والبث، فزادت من كفاءة كل منهما.

٤ - تطور شبكات توزيع المادة الإعلامية والثقافية، ولابد أن نلاحظ هنا أن وسائل الاتصال الجماهيري تقوم بالضرورة على ركيزتين أساسيتين، الأولى هي إنتاج المواد الإعلامية والثقافية والترفيهية التي تريد توصيلها لجمهور عام أو محدد، والركيزة الثانية هي عملية التوصيل ذاتها، وهي ما تسمى بعمليات التوزيع أو البث، وكل من الركيزتين مكمل للآخر، فلا قيمة لأي مضمون مهما علا قدره إذا لم يصل إلى الجمهور المستهدف وبدرجة عالية من الكفاءة، سواء من حيث السرعة في تقديم الخدمة، أو الوصول إلى الأماكن المختلفة مهما كان تباعدها.

وقد أتاحت تكنولوجيا الاتصال الحديثة إمكانيات هائلة في تطوير وسائل التوزيع والبث، واستحداث وسائل وبدائل جديدة جعلت في الإمكان وصول الرسالة الإعلامية إلى أي مكان وتحت أي ظروف وفي أسرع وقت ممكن.

فإلى جانب أقمار البث المباشر التي تستطيع أن تبث القنوات التليفزيونية إلى المستقبلين في المنازل مباشرة دون المرور على محطات أرضية للاستقبال، ودون اعتماد على قنوات التليفزيون الوطنية القائمة، فهناك أقمار التوزيع التي توصل الإشارة إلى محطات أرضية صغيرة تتولى توزيعها في الأماكن المحيطة عن طريق الميكروويف أو أنواع الترددات المختلفة. وهناك شبكات التوزيع الأرضية أو شبكات الكوابل التي توزع الإشارة على المشاركين في الخدمة التليفزيونية، وتستخدم هذه الشبكات تكنولوجيا " الألياف الضوئية " القادرة على حمل أكثر من مائة قناة تليفزيونية بكفاءة عالية من حيث الجودة ونقاء الصوت والصورة، أو تستخدم الترددات الكهرومغناطيسية وتسمى في هذه الحالة بتسمية متناقضة هي " شبكات الكوابل بلا كوابل " !.

وأمكن تطوير محطات البث الإذاعي والتليفزيوني بحيث تضاعفت قدراتها ووصلت إلى أماكن لم تكن لتصل إليها من قبل.

هذا عدا استخدام طريقة الطباعة عن بعد في أكثر من موقع في نفس الوقت عل نحو ما وصفناه من قبل، وهي مسألة تيسر عملية التوزيع بالنسبة للصحف والمجلات.

٥ – استحداث وسائل للتعليم الذاتي والتعليم عن بعد.، أي قدرة الإنسان على تعليم نفسه بنفسه خارج إطار التعليم النظامي، أصبح ضرورة من ضرورات عصر المعلومات. فقد أصبح من الواضح، مع التطور الهائل والمستمر في مجالات العلوم المختلفة أن الإنسان المتعلم والمتخصص في فرع معين من فروع المعرفة، سيتخلف في مجال تخصصه إذا لم يواكب كل جديد فيه ويحرص أولاً بأول على تحديث معلوماته. وفي هذا الإطار فإن وسائل الاتصال " الجماهيري " لا تستطيع أن تسهم الإسهام المناسب في تحديث المعلومات في المجالات المختلفة، ولكن وسائل الاتصال لم تعد كلها موجهة إلى الجمهور العام، إذ أن النزعة إلى التخصص في مجالات معينة هو الاتجاه السائد الآن بالنظر إلى المنافسة الحادة التي تواجه الوسائل الجماهيرية

العامة الأمر الذي يدفعها إلى الحرص على استقطاب جمهور محدود له اهتمامات خاصة، وهو اتجاه يستجيب في نفس الوقت إلى احتياجات " سوق"، ونعني بها هنا احتياجات فئات الجمهور المختلفة، والمتخصصين منهم على وجه الخصوص.

وإذا كان هذا يبدو واضحاً في الصحف والمجلات والدوريات المطبوعة، إلا أنه أصبح أيضاً الاتجاه الذي تأخذ به كثير من القنوات الإذاعية والتليفزيونية الأرضية أو الفضائية، سواء بتخصيص القناة بكاملها لفئة متخصصة بعينها أو تخصيص ساعات منها.

على أن استخدام الحاسب " الكومبيوتر " بما يتضمنه من برامج بالغة التخصص، مع القدرة على التواصل مع الحاسبات الأخرى، وبالتالي مع المتخصصين في نفس المجال، وكذلك مع مراكز المعلومات المخصصة، أصبح هو الوسيلة الأولى للتعليم الذاتي للمتخصصين في العلوم المختلفة، وأصبح موضع اهتمام كثير من الهيئات العامة والخاصة التي تعمل في مجال التعليم المتخصص أو المعلومات.

على أن الحاجة إلى التعلم الذاتي لا تقتصر على المتخصصين، بل تبدأ من الراغبين في التعلم من فئات الشعب المختلفة التي لم تنل حظاً مناسباً من التعليم، أو التي تريد أن تحصل على المزيد منه في أي فرع من فروع المعرفة.

والدور الذي تلعبه البرامج التعليمية في الإذاعة والتليفزيون، والتي تهدف إلى مساعدة الطلاب في تحصيل مناهجهم الدراسية، أو التي تهدف إلى تعليم اللغات الأجنبية أو حتى اللغة الوطنية، دور معروف، وأصبح موضع منافسة بين المؤسسات الإذاعية والتليفزيونية المتقدمة وشبه المتقدمة، بل إن المؤسسات الخاصة اقبلت عليه أيضاً لاتساع حجم المستفيدين منه، وأصبحت التسجيلات التعليمية الصوتية أو المرئية، تجارة رابحة تسهم في النفع العام، وفي نفس الوقت تحقق الربح المادي للقائمين عليها. وكثيراً ما تصاحب هذه التسجيلات مواد مطبوعة تتكامل مع الصوت أو الصورة أو معهما معا.

بل لقد أجرت اليونسكو تجارب تثبت إمكانية استخدام التعليم الذاتي بالاعتماد على التسجيلات الصوتية والمواد المطبوعة، في الجهود الرامية إلى محو الأمية، ولو أن هذه التجارب لم تعمم أو تثبت جدواها حتى الآن.

أما عن التعليم عن بعد، أو التعليم المفتوح، فقد أصبح هو الوسيلة التي يلجأ إليها كثير من الدول لسد الاحتياجات التعليمية التي لا تستطيع تحقيقها الأنظمة التعليمية القائمة، إما لاتساع الرقعة الجغرافية وتخلخل الكثافة السكانية، أو لاضطرار الكثيرين إلى الدخول مبكراً في سوق العمل، مع الرغبة في استكمال المسيرة التعليمية، أو لتوزع المستهدفين من العملية التعليمية في أكثر من بلد، أو لعدم قدرة المؤسسات التعليمية على استيعاب كل الراغبين في التعليم والقادرين عليه.

ويعتمد التعليم المفتوح، الذي يسمى في بعض الأحيان الجامعة المفتوحة، على إسهام بعض وسائل الاتصال الجماهيري عن طريق الدروس المذاعة بالراديو أو التليفزيون أو التسجيلات بالإضافة إلى المادة المطبوعة.

ثانياً : التأثيرات المحتملة لتطور استخدام وسائل الاتصال الحديثة، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا التطور يحمل بين طياته الكثير من النتائج، التي قد تكون في بعض الأحيان إيجابية، وقد تكون سلبية، ومن هنا كان لابد من دراسة هذه النتائج التي يمكن إجمالها فيما يلي :

١ – زيادة تعرض الجمهور بفئاته المختلفة للإنتاج الأجنبي، على الأخص من مراكز الإنتاج المتقدمة وشبه الاحتكارية في أمريكا وأوروبا، وبعضه ينشر عن طريق وسائل الاتصال المحلية ذاتها، وإذا كان بعض هذا الإنتاج يحمل مضامين علمية وثقافية جيدة، فالكثير منه يقدم نماذج من القيم والسلوك الاجتماعي تمثل ثقافة المجتمعات التي أنتجتها، وقد تكون مرفوضة من الثقافة الإسلامية.. واحتمالات التأثر بها واردة.

وقد أثارت هذه القضية اهتماماً واسعاً في أوساط المثقفين على الأخص بعد انتشار ظاهرة الاستقبال المباشر للبث الوافد عن بعض القنوات الفضائية

الأجنبية، دون المرور على أية جهة رقابية، وكذلك اختلفت السياسات التي أخذت بها الدول الإسلامية في هذا المجال. فلم تر بعض الدول في هذه الظاهرة ما يدعو إلى القلق اعتماداً على أن المواطن هو المسؤول عن اختيار القنوات أو المواد التي يتعرض لها، وهو يستطيع رفض إدخال وسائل استقبال هذه القنوات على إطلاقها، إذا رأى أنها تبث ما لا يرضى عنه، كما أنه يستطيع امتلاك هذه الوسائل مع التحكم في اختيار ما يريد مشاهدته من قنوات.

بالإضافة إلى أنه يكاد يكون من المستحيل عمليا منع الناس من استقبال القنوات الأجنبية التليفزيونية. فالأقمار الصناعية ليست هي الوسيلة الوحيدة لتوصيل هذه القنوات، فقد تنتشر موجاتها من الدول المجاورة، على الأخص في ظل ظروف جغرافية ومناخية معينة، كما أن تطور أجهزة الاستقبال التليفزيوني تتجه إلى أن تدخل الهوائيات ضمن تكوين الجهاز بحيث لا يحتاج إلى إضافات لاستقبال القنوات الفضائية.

ودول أخرى رأت الإباحة مع رفض معايير معينة في حيازة أجهزة وهوائيات الاستقبال، أو فرض رسوم خاصة على هذه الأجهزة حتى يقتصر استخدامها على فئة القادرين وهي فئة محدودة نسبياً في كل الأحوال.

على أنه لابد من ملاحظة أن الإنتاج الأجنبي لا يصل عن طريق القنوات التليفزيونية الفضائية وحدها، بل إن القنوات الوطنية تعتمد عليه بنسب متفاوتة لسد احتياجاتها البرامجية. وستظل هذه القضية في كل الأحوال موضع بحث ومناقشة.

٢ - هبوط مستوى الإنتاج الإعلامي الثقافي، بالنظر إلى زيادة الطلب على مراكز الإنتاج بما لا يسمح لها بتقديم الكم المطلوب من إنتاج جيد، بالإضافة إلى محاولة هذه المراكز إرضاء مختلف المستويات الثقافية لأسباب اقتصادية بما يؤدي إلى الهبوط بالمستوى الفني إلى الحد الأدنى الذي يجعله مقبولاً من الجميع، وهذه النتيجة تأتي بعكس ما كان متصوراً من أن المنافسة

تؤدي إلى الإجادة.

ويحسن في هذا المجال الإشارة إلى أن وسائل الاتصال الجماهيري، التي تقوم بحكم طبيعتها بمهام إعلامية وثقافية أو ترويحية، كانت في معظم الأحيان وفي كثير من الدول الإسلامية تحت سيطرة الدولة بشكل أو بآخر، وكانت ومازالت، تعتبر أجهزة موجهة للخدمة العامة، شأنها شأن التعليم والصحة وغيرها، ولذلك فقد كان حرصها الأول هو تحقيق المصلحة العامة في تخطيطها للبرامج حتى الترفيهية منها غير أن التطور الذي حدث في مجال تكنولوجيا الاتصال على المستوى العالمي، قد أدى إلى دخول رأس المال الخاص بدرجات متفاوتة في العملية الاتصالية، سواء من حيث الإنتاج أو البث والتوزيع، ورغم أن المؤسسات الإعلامية الخاصة التي تهدف أساساً إلى الربح، لا تستطيع تجاهل الصالح العام في سياساتها لأسباب كثيرة، إلا انها تميل بطبيعة الحال، ورغبة في الحصول على أكبر قدر من الاهتمام الشعبي، وبالتالي على مزيد من الإعلانات والاشتراكات، إلى الاهتمام الشديد بعوامل الجذب التي تأتي في مقدمتها عمليات الإثارة والمبالغة، حتى ولو كان ذلك على حساب الحقيقة، والمعرفة العلمية الصحيحة.

والمؤسسات الإعلامية الخاصة، القليل منها قائم في بعض الدول الإسلامية، ولكن الغالبية العظمى منها في خارجها، وهي التي تطلق الأقمار الصناعية، وتقدم القنوات الفضائية والخدمات الإذاعية الموجهة، وهي التي تنتج الأفلام والمسلسلات والبرامج المختلفة الموجهة إلى الكبار والصغار أيضاً، وهي التي تصدر الصحف والمجلات وتنشىء وكالات الأنباء العالمية والإقليمية. وبالتالي فقد أصبحت هي المتحكمة إلى حد ما، وقد يكون كبيراً، فيما نقرأ أو نسمع أو نشاهد. وإذا كان المفترض أن هذه المؤسسات الخاصة تهدف إلى الربح، إلا أنها لها في بعض الأحيان انتماءات سياسية أو ثقافية أو عقائدية معينة تبعا للمصالح المتحكمة في تمويلها، وهو لابد أن ينعكس على توجهاتها فيما تقدمه من مواد، إعلامية وثقافية.

وتضطر وسائل الاتصال الجماهيري في الدول الإعلامية، وهي

مؤسسات للخدمة العامة، إلى الدخول في منافسة مع المؤسسات الخاصة حتى تحافظ على قدر من جماهيرها وتأثيرها، فتتنازل نسبيا عن بعض توجهاتها الثقافية رغبة في الوصول إلى الجماهيرية التي تؤهلها للمنافسة.

ومع رغبة مراكز الإنتاج العالمية أو الإقليمية في مواجهة الاحتياجات المتزايدة للمادة الإعلامية والثقافية، واضطرارها إلى التعامل مع كل الثقافات العالمية منها والمتدنية، نجدها تلجأ إلى الحد الأدنى الثقافي الذي يتلاءم مع الجميع، وهو ما يعني بالضرورة البعد عن المستويات الثقافية التي تتلاءم مع تطور المجتمع وتحقق طموحاته.

٣ - سيطرة الاعتبارات الاقتصادية على مقتضيات الخدمة العامة، وينطبق هذا على الإنتاج الذي تقدمه الشركات الخاصة، والذي تقدمه أيضاً الخدمات العامة الممولة من الدولة، فالكل يريد الحصول على عائد اقتصادي بالنظر إلى التكلفة الباهظة للتكنولوجيا الحديثة وهو عائد يأتي من الإعلانات ومن الاشتراكات أو البيع، وبالتالي فهو يرتبط بالرغبة في الوصول إلى أكبر قدر من الجماهيرية.

فمع تطور التكنولوجيا الاتصالية، والرغبة الجادة والمشروعة في الاستفادة منها، فإن وسائل الاتصال الجماهيري العامة والخاصة، تجد نفسها مواجهة بضرورة سد نفقات اقتناء هذه التكنولوجيا، الأمر الذي يجعلها أسيرة في عملها إلى حد كبير لاعتبارات اقتصادية.

فتكلفة عمليات الطباعة الحديثة لابد أن تدفع الصحف إلى أن تلهث وراء الإعلان، بل وفي كثير من الأحيان نجد أن أهميته في نظر المسؤولين عن المؤسسة الصحفية، يتقدم أهمية المادة التحريرية ذاتها، وهو ما نجده أيضاً في كثير من وسائل الاتصال الأخرى. حتى الرسمية منها. ولهذا الوضع انعكاسات خطيرة، أقلها سيطرة المصالح التجارية والاقتصادية الخاصة على السياسة الإعلامية والاتصالية، بل وفي بعض الأحيان، المصالح الأجنبية.

وهناك ما لا حصر له من الأمثلة للتدليل على هذا الوضع.

على أنه لابد من التحفظ في تعميم هذه الظاهرة. فإلى جانب الوسائل الإعلامية التي تجد نفسها خاضعة لهذه الاعتبارات، هناك الوسائل التي تنأى بنفسها عن التورط في هذا المسار، وتدبر تمويلها من مصادر تبعدها عن شبهة الخضوع للمصالح الاقتصادية الخاصة داخلية أو خارجية.

٤ - الانحسار التدريجي لسلطة الدولة وسيطرتها ورقابتها على وسائل الإعلام، وتحول المسؤولية إلى الفرد، الأمر الذي يقتضي تأهيله وتدعيم قدراته النقدية والأخلاقية، وإمكانياته في الاختيار بين البدائل المختلفة، وهي نتيجة يسعد بها كثير من التربويين وعلماء الاجتماع الذين يرون أن بناء الشخصية السوية، لابد أن يقوم على أساس القدرة على الاختيار، وعلى تحمل المسؤولية، بالإضافة إلى أن في هذا ما فيه من احترام حق من حقوق الإنسان الأساسية وهو حقه في الحصول على المعلومات من أي مصدر يشاء.

والحديث هنا بطبيعة الحال ينصب على الفرد البالغ العاقل المميز، ولذلك فهو لا ينطبق على الأطفال الذين تقع مسؤولية الاختيار بالنسبة لهم على رب الأسرة.

على أن الانحسار التدريجي لسلطة الدولة ورقابتها على وسائل الاتصال لم تأت طواعية، بل إن تطور تكنولوجيا الاتصال هو الذي أدى إلى هذا بالضرورة، فإذا كان في مقدور الدولة عرض حظر جزئي أو كلي على المطبوعات الواردة من الخارج، أو فرض رقابة شديدة عليها، فان هذا يستحيل عمليا في حالة الإذاعات الأجنبية الواردة من الخارج، وقد تضخم عددها وهي تذيع بمختلف اللغات المستخدمة في العالم الإسلامي، ويكفي لاستقبالها امتلاك جهاز ترانزستور، وقد أصبح سعره في متناول الجميع، ويكاد يكون هذا هو الحال أيضا بالنسبة لبرامج التليفزيون الوافدة، إذ أن بعضها يصل مباشرة من دول مجاورة بغير اعتماد على البث الفضائي، وهذه لا يمكن بداهة التحكم فيها أو رقابتها، أما البعض الآخر فيصل عن طريق أقمار الاتصال، وهنا تستطيع الدولة أن تنجح جزئيا في منع استيراد هوائيات الاستقبال

الفضائي، ولكنها إذا فعلت ستضحي بأشياء كثيرة، أولها أن القنوات الفضائية تشكل مصدراً أساسياً للمعلومات لسلطات الدولة المختلفة، ولكافة وسائل الإعلام الأخرى المطبوعة والمسموعة والمرئية، ثم إن من حق السفارات ومكاتب التمثيل الأجنبية أن يكون لديها وسائل التواصل مع الخارج، وكذلك الأجانب الوافدين ولا نتحدث هنا عن حق المواطن العادي في الحصول على المعلومات.

ثم ماذا سيكون عليه الحال عندما تنتشر أجهزة التليفزيون ذات الهوائيات الفضائية الداخلية، ولا تحتاج لاستيراد أو تركيب أية أجهزة مضافة لاستقبال القنوات الفضائية، وستطرح هذه التكنولوجيا قريبا في الأسواق وبأسعار اقتصادية ؟ !.ثم يأتي دور الأنترنت وأهميته القصوى في الاتصال، والحديث عنه يحتاج إلى بحث مستقل.

ثالثاً : نحو الاستفادة من إمكانيات وسائل الاتصال الحديثة.. والعبرة هنا هي في الموقف الإيجابي الذي يحرص على توظيف الإمكانيات المتاحة لصالحه، بديلا عن الموقف الدفاعي أو السلبي، وفي هذا الإطار هناك عدة مجالات للاستفادة من التقدم الاتصالي :

١ - الاستفادة من إمكانيات الإنتاج والتوزيع التي توفرها تكنولوجيا الاتصال الحديثة لدعم عمليات التعليم والتنمية البشرية في المجتمعات الإسلامية، الأمر الذي يقتضي ابتداء، تدعيم شبكات التوزيع الداخلي والوصول إلى المناطق الأكثر احتياجا.

فإذا كان البعض يرفض ما تتيحه التكنولوجيا الاتصالية الحديثة من قنوات فضائية وبرامج أجنبية، تليفزيونية أو إذاعية أو مسجلة، فإن أحدا بالقطع، لا يمكن أن يعترض على استخدام المناسب من هذه التكنولوجيا لدعم العملية التعليمية مثلاً في أي بلد إسلامي، ابتداء من محو الأمية إلى التعليم عن بعد الجامعي والتعليم المستمر، يكفي استخدام قنوات التليفزيون الأرضية، أو الفضائية في حالة اتساع الرقعة الجغرافية، لتقديم البرامج التي

تدعم التعليم المدرسي، أو تساعد على التعليم الذاتي والتعليم المستمر، وقد تقدمت تكنولوجيا الإنتاج، إلى جانب تكنولوجيا البث، بحيث يمكن استخدامها بكفاءة في دعم العملية التعليمية على نحو لم يكن معروفاً من قبل بالإضافة إلى إمكان استخدام التسجيلات الصوتية أو المرئية، على شرائط أو اسطوانات للاستفادة بها استفادة جماعية، توفيراً لنفقات الاستخدام الفردي.

وهناك قضايا التنمية البشرية التي تحتاجها المجتمعات الإسلامية، والتي تبدأ بالتوجيه والإرشاد في كل ما يتعلق بالرعاية الصحية وتربية الصغار ورعايتهم، وبالدعوة إلى المشاركة في التنمية الاقتصادية للمجتمعات المحلية انتهاء بعمليات التوعية والتعليم. ويمكن توظيف وسائل الاتصال المعتمدة على التكنولوجيا الحديثة، استخداما مؤثراً في كل هذه المجالات، خصوصاً إذا اتجهت السياسات الاتصالية إلى إنشاء وسائل محلية لخدمة المجتمعات الريفية والبدوية أو الشعبية الحضرية التي لا تصل إليها عادة وسائل الاتصال القومية العامة. وهو أمر تيسره تكنولوجيا الطباعة الحديثة، وتكنولوجيا البث الإذاعي والتليفزيوني بوسائله المتعددة.

٢ - إيجاد آليات للتواصل الإعلامي والثقافي بين الشعوب الإسلامية، باستخدام بعض إمكانيات القنوات الفضائية المتاحة لبعض الدول الإسلامية، بهدف دعم الهوية الثقافية الإسلامية بقيمها وأخلاقياتها.

ومعروف أن قضية التبادل الإعلامي والثقافي بين الدول الإسلامية كانت ومازالت موضع اهتمام بالغ من جانب كل المعنيين بأمور الإعلام والثقافة الإسلامية، حتى لقد اقترح البعض إطلاق قمر صناعي يخصص لهذا الغرض، مع أن تجربة القمر الصناعي العربي في تنشيط التبادل بين الدول العربية مازالت محدودة، ولا تعتبر مثلا يحتذى، بالإضافة إلى كم هائل من المشاكل المالية والتنظيمية، تحول دون وضع هذه التجربة موضع التطبيق. على أن هذا لا يمنع من التفكير بطريقة أكثر واقعية في استخدام تكنولوجيا الفضاء لتحقيق قدر من تبادل المواد الثقافية والإعلامية بين الدول الإسلامية، وتعرف بعضها بالبعض الآخر، أخذا في الاعتبار أن بعض الدول الإسلامية تؤجر في

الوقت الحاضر قنوات قمرية على الأقمار الدولية، يمكن استغلالها جزئيا لتحقيق هذا الهدف، كما أن بعض الدول الإسلامية في سبيلها إلى إطلاق أقمار صناعية خاصة بها، يمكن أن تغطي مساحة شاسعة من أراضي الدول الإسلامية، وبالتالي يمكن تخصيص بعض قنواتها لعمليات التبادل.

على أن هذا يقتضي أولاً، الاقتناع بالفكرة الاقتناع الذي يدفع إلى العمل والتضحية بالمال والجهد والخبرة، كما يقتضي وضع صياغات عملية لمضمون وشكل هذه المواد القابلة للتبادل، ثم الاتفاق على الجوانب التنظيمية والإدارية، وأولها ضمان مصادر التمويل الكافية، ولا ننسى في هذا المجال أن يكون شعار التبادل عرض كل دولة ما تشاء من مواد وفق معايير يتفق عليها الجميع سلفا، ولكل دولة الحق في أخذ ما تشاء مما يعرض، وتعديله وتطويعه بما يناسب الجمهور المحلي، مع الاحتفاظ بالأفكار الأساسية الواردة في المادة وعدم تحريفها.

٣ - إنشاء نظام للتعليم المفتوح على مراحل باستخدام الإمكانيات التي يمكن أن تتاح بالفعل على الأقمار التي تغطي أجزاء كبيرة من الأراضي الإسلامية، ويمكن أن يبدأ النظام بعدد محدود من الدول يتسع بعد ذلك لدخول أعداد أخرى، وذلك لمواجهة الاحتياجات التعليمية لهذه الشعوب.

ولا يجادل أحد في أن أحد الاحتياجات الأساسية لمعظم الشعوب الإسلامية ينصب على مجال التعليم، سواء من حيث ضرورة زيادة رقعة انتشار المؤسسات التعليمية ووصولها إلى الأماكن النائية، أو من تحديث المناهج وتأهيل المعلمين التأهيل المناسب مع متطلبات العصر.

ولعل وسائل الاتصال الحديثة أن تكون أحد العناصر التي يمكن الاعتماد عليها لدعم العملية التعليمية وعلى الأخص التليفزيون والإذاعة والتسجيلات المرئية والمسموعة. وإذا كانت الاحتياجات التعليمية للشعوب الإسلامية تنصب أساساً في هذه المرحلة على التعليم الأساسي، ودور وسائل الإعلام فيها قاصر على عكس دور المعلم، فإن الاحتياج إلى تطوير التعليم

الجامعي وتحديثه وتبادل الخبرة فيه، من الأمور التي يمكن أن تلعب فيها وسائل الاتصال الحديثة دوراً مؤثراً، على الأخص إذا أخذنا بفكرة الجامعة المفتوحة على النحو السابق الإشارة إليه.

والخبرات والدراسات والنماذج في هذا المجال قائمة، وللعلماء والخبراء العرب والمسلمين فيها إسهام واضح، ويمكن الاعتماد عليها في وضع النظم الكفيلة بنجاح مثل هذه الجامعة في إيجاد الفهم المشترك لأسس الدعوة والشريعة الإسلامية، وطرح المفاهيم الجديدة، والتفاعل الواعي مع مشكلات العصر.

ولا يخفى على أحد أن هذه القضية بالغة الصعوبة وينبغي الاتفاق أساساً على الفلسفة التي يقوم عليها مثل هذا النظام التعليمي المفتوح وأهدافه.

٤ - إمكان اختيار الدول الإسلامية لنظم تكنولوجية معينة لتوزيع القنوات الفضائية الأجنبية محلياً، بما يقلل من حجم التعرض لقنوات أجنبية معينة.

وقد سبقت الإشارة إلى أن هناك عدة بدائل تكنولوجية في توزيع الإشارة التليفزيونية الصادرة من أقمار الاتصال، ففي حالات معينة يتم التقاط هذه الإشارة إذا كانت ضعيفة أو متوسطة القوة عن طريق محطة أرضية، وتتولى المحطة توزيعها على المشتركين عن طريق الكوابل أو الألياف الضوئية، أو المايكروويف، وإذا كانت الإشارة قوية فيمكن أن يتم بثها والتقاطها بواسطة أجهزة الاستقبال المنزلي مباشرة.

وقد رأت بعض الدول أن فتح الباب على مصراعيه لالتقاط إشارات القنوات الفضائية الأجنبية قد يؤدي من وجهة نظرها ولأسباب خاصة بها إلى أضرار اجتماعية أو ثقافية أو عقائدية معينة، فعمدت إلى أحد طريقين، الأول منع استيراد أو تصنيع هوائيات الاستقبال الفضائي، وفي نفس الوقت إتاحة الفرصة للتعرض للقنوات التي تختارها الدولة وتجمعها فيما يسمى " حزمة " تصل إلى حوالي عشرين قناة، تبثها للمشتركين بأحد الطرق سالفة الذكر، فلا

تلغي حق المواطن في الاستمتاع بالقنوات الفضائية، ولكنها تختار له القنوات التي ترى انها لا تؤدي إلى عواقب سلبية.

أما الطريق الثاني فهو إباحة الاستقبال الفضائي المباشر، وتقديم "حزمة" من القنوات الفضائية الممتازة بتكلفة أقل من تكلفة استخدام الهوائيات وبالتالي تضمن أن الغالبية ستلجأ إلى هذا النظام البديل، وتبقى أقلية محدودة هي التي تتعرض لما تشاء من قنوات فضائية.

٥ - التدريب المتواصل لحسن الاستفادة من التكنولوجيا الجديدة في تطويروسائل الاتصال، وهي قضية، وإن كانت تبدو بديهية، إلا أنها كثيراً ما تتوه في زحمة العمل، فيصبح الاهتمام مركزاً على اقتناء التكنولوجيا الجديدة، دون التفكير المتعمق في تطوير الكفاءات البشرية التي عليها أن تستخدم هذه التكنولوجيا الاستخدام المؤثر، بطريقة اقتصادية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن عدم الاهتمام بالعنصر البشري يؤدي إما إلى عدم الانتفاع بالتكنولوجيا الاتصالية على النحو الأمثل، أو إهدار فترة صلاحيتها بحيث تنتهي قبل التاريخ المحدد لها، الأمر الذي يستلزم استبدالها أو الاعتماد على تغيير مكوناتها الرئيسية، وفي هذا ما فيه من إهدار للمال والجهد.

ومفهوم أن للتدريب، وسائله وأنواعه المختلفة، التي تبدأ بتدريب المبتدئين فيما يسمى بالتدريب التأهيلي.

وتتواصل مع المنفذين والممارسين فيما يسمى بالتدريب الإنعاشي، وتستمر الحاجة إلى التدريب مادام هناك تطور تكنولوجي، وهو ما يحدث الآن بخطوات واسعة وسريعة.

ومن الطبيعي أن يستند نجاح التدريب على ما يتوفر من قاعدة علمية متخصصة تلم بأصول النظريات، ولا تركز كل اهتمامها فقط على الجوانب التطبيقية والحرفية.

وبعد، فإن وسائل الاتصال المعتمدة على تكنولوجيا الاتصال الحديثة،

ليست شرا في ذاتها، ولا يمكن كذلك أن تكون خيراً مطلقاً، والعبرة هي في طريقة استخدامها وتطويعها لاحتياجات المجتمع وأماله في التقدم والازدهار، وبعبارة أخرى في التوجهات والمبادىء التي تقوم عليها السياسة الاتصالية للدول الإسلامية.

بقي في هذا البحث نقطة أخيرة مهمة وهي أن هناك فرقاً بين الإعلام الإسلامي وإعلام فيه فقرات إسلامية. الأول: كما لا يخفي إسلامي الأساس،إسلامي التوجيه، إسلامي الضوابط، والثاني: يضع المعلومة الإسلامية ضمن منهجه جنباً إلى جنب مع المعلومات الأخرى التي تتناقض أحياناً مع أبسط قواعد الإسلام فهو أشبه بمراكز البيع الكبرى التي تجمع بين أشتات لا صلة بينها من أدوات السباكة والكهرباء إلى المأكولات والأزياء وتقدم المعلومة الإسلامية مهما بلغت نسبتها إلى إجمالي ما يقدم فإنها تقدم بمعزل عن باقي المواد والمعلومات لا ترابط بينها ولا وحدة في التوجه.

لا يمكن أن نتهاون في الثوابت الإسلامية وأحكام الحلال والحرام ونخرج عن إطار الشرع ثم نسمي ذلك الشيء بالإعلام الإسلامي وهذا ليس معناه أيضاً المطالبة بالامتناع عن تقديم المعلومات الإسلامية في إعلام يتضمن مثل هذا الخليط من الآراء والأفكار والمعتقدات ولكن نطالب بأن لا يظلم الإسلام وقيمه ومبادئه ونطلق على ذلك الخليط العجيب إعلاماً إسلامياً.

وأخر دعونا أن الحمد الله رب العالمين وصلاته وسلامه على نبيه الأمين وصحابته والتابعين.

إعداد: محمد فاتح زغل

المصادر والمراجع

١ - الإعلام الإسلامي : أسسه وأهدافه.. د. أحمد عمر هاشم.

٢ - الإعلام الإسلامي : أسسه وطبيعته .. د. سمير بن جميل الراضي.

٣ - التصور الموضوعي لدراسة الإعلام الإسلامي .. سيد محمد ساداتي الشنقيطي الرياض عالم الكتب ١٤٠٨ هـ.

٤ - وسائل الاتصال الحديثة وأثرها على المجتمعات الإسلامية المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ١٩٩٦ م.

٥ - هربرت شيللر، المتلاعبون بالقول، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة ١٩٨٦ م.

٦ - مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي (بيروت) ١٩٨٦ م.

٧ - محمد اركون، الإسلام الأخلاق والسياسة، ترجمة هشام صالح، اليونسكو بالتعاون مع مركز الإنماء القومي، بيروت، باريس ١٩٨٠ م.

٨ - هشام جصيط، أوربا والإسلام، ترجمة طلال عتريس، دار الحقيقة، بيروت ١٩٨٠ م.

٩ - أنور الجندي : عالمية الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٧ م.

١٠ - الإعلام من المنطلق الغربي إلى التأصيل الإسلامي.. د. أحمد حسن حمد.

١١ - وسائل الاتصال الحديثة وتأثيرها على المجتمع.. د. سعد لبيب.

١٢ - ابن خلدون : المقدمة.

١٣ - التليفزيون والتغير الاجتماعي (د. سعيد بن مبارك آل زعير).

١٤- قوة وسائل الاتصال الحديث في التأثير على المجتمع أ. محمد فاتح زغل. بحث مقدم للإيسيسكو عام ١٩٩٤.



الإعـلام الإسـلامي
وتحديات القرن القادم

نـــدوة

"التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل"
المنعقدة بجامعة الإمارات العربية المتحدة
في الفترة من ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

إعداد
السيد عبد الرؤوف
رئيس تحرير عقيدتي - القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

[ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا].

"سورة الإسراء الآية ٣٦"

يلعب الإعلام بأشكاله وأساليبه ووسائله وصوره المختلفة دوراً حيوياً في بناء المجتمعات ورقي الشعوب ونهضة الأمم. وتحتاج المجتمعات إلى العمل الإعلامي في زمن السلم وزمن الحرب على حد سواء.

وقد إزداد دور الأعلام وتنامى نمواً مطرداً مع تطور المجتمعات البشرية ونموها وازدياد حاجتها للمعرفة على مختلف مستوياتها وبكافة أشكالها.

وقد شهد ربع القرن الأخير تطوراً مذهلاً في مجالات الإعلام فاق ما تحقق منذ اكتشفت الحفريات القديمة التي دلت على رغبة الإنسان في المعرفة وفي الإعلام والتواصل من خلال اللغة بكل مستوياتها وذلك بفضل التقدم الهائل في مجموعة متكاملة من العلوم الفيزيائية والكيميائية والرياضية والإنسانية كذلك التي أفرزت إنجازات غير مسبوقة في مجالات الاتصال وعلومه وفنونه. وبفضل هذا التقدم صار العالم أشبه بقرية إلكترونية صغيرة يستطيع الإنسان بلمسة زر وبطريقة التحكم عن بعد أن يعرف ما يجري فيها من أقصى شرقها إلى أقصى غربها ومن أبعد نقطة في شمالها إلى أدنى بقعة في المحيط المتجمد الجنوبي.. وصرنا نتحدث لا عن المعلومات ولكن عن المعلوماتية وعن الانفجار المعرفى وعن الطريق الدولي السريع للمعلومات وأخيراً عن شبكة الإنترنت التى بدت في البداية لغزاً محيراً وعالماً مجهولاً لكنها من خلال ملايين أجهزة الهاتف والحاسب الآلي المبثوثة في كل مكان من العالم أصبحت متاحة لا في مراكز صنع القرار ولا في المؤسسات والمراكز العلمية والتعليمية والبحثية أو المؤسسات الاقتصادية والإنتاجية الكبرى فحسب بل صارت متاحة للباحثين والدراسين والأفراد العاديين مقابل اشتراكات تُعد رمزية بأي مقياس اقتصادي.

ويتبادل الإعلام والمجتمع التأثير والتأثر سلباً وإيجاباً .. فلا يمكن تخيل إعلام متقدم يستخدم أحدث أساليب التكنولوجيا ومنجزات العلوم الحديثة ويمارس حرية تداول المعلومات وحقوق النقد وحرية التفكير والتعبير في مجتمع متخلف اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.

ولا يمكن للإعلام بالتالي أن يقود التغيير في الرأي العام ما لم تتوافر له الإمكانات التي تمكنه من أداء وظائفه على نحو صحيح. وكذلك لا يمكن أن يحقق المجتمع تطوره المنشود ويصل إلى أهدافه بغير إعلام رشيد يستشرف واقعه ويحمل تطلعات مجتمعه إلى مستقبل أفضل ويعبر عنها أفضل تعبير ومن ثم يعزز إرادة التغيير ويؤهلها ويدفعها إلى الأمام.

وقد كان التطور في الإعلام مواكباً للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية .. ومن ثم ففي خط مواز للحديث عن النظام العالمي الجديد طرحت مقولة النظام الإعلامي العالمي الجديد.

وفي خط مواز لتحرير التجارة وتحويل اتفاقية الجات G.A.T.T إلى منظمة للتجارة الدولية تشرف وتهيمن على تحرير التبادل التجاري بين دول العالم طرحت فكرة الكوكبة أو العولمة التي يتم من خلالها الحديث عن ثقافة عالمية واحدة تتجاوز حدود المحلية والإقليمية. وهذا كله يمثل تحديات للإعلام بصفة عامة.

الإعلام الإسلامي .. أين موقعه؟

والإعلام الإسلامي وإن كان يشترك مع الإعلام على المستوى العالمي في الظروف والوظائف إلا أن له خصوصيته التي تميزه. وعندما نتحدث عن الإعلام الإسلامي فليس لنا أن نضيع الوقت أو الجهد في إثبات إن كان هناك إعلام إسلامي أم لا؟! ولا فيما هو مقصود بالإعلام الإسلامي وهل هو كل ما يصدر وينشر ويذاع في البلاد الإسلامية أو هو الإعلام الديني؟ ونقول: إن الإعلام في البلاد الإسلامية سواء كان مقروءاً أو مسموعاً أو مرئياً وسواء أكان عاماً أو متخصصاً وسواء أكان مملوكاً للدولة أو للأفراد والهيئات أو كانت ملكيته مختلطة له ذات الخصوصية – مع فروق غير ذات تأثير كبير – ويواجه ذات المشكلات وذات التحديات.

وإذا كانت للإعلام أهدافه العامة ووظائفه التي يؤديها فإن الإعلام الإسلامي له أهداف خاصة تضاف إلى الأهداف والوظائف المشتركة ،هي:

أولاً: تحقيق الشريعة الإسلامية التي ينبغي أن تصبغ المجتمع كله وهي مهمة الإعلام الأولى وهدفه الأول.

ثانياً: مواكبة مرحلة الدعوة التي تعيشها في الزمن الذي يبث فيه الإعلام برامجه.

ثالثاً: درء المفاسد التي يمكن أن ترد على الإعلام والأخرى التي ترد من إعلام آخر(١).

وتأتي أهمية معرفة هذه الأهداف والتمسك بها من هذه الحقائق التي يجب أن تكون حاضرة في وعي القائمين على العمل الإعلامي في الدول الإسلامية(٢).

– أن مبادىء الإعلام السليم الذي نحن في أشد الحاجة إليها الآن، سواء في الدعوة الدينية أو الاجتماعية أو السياسية تتضح لنا في أجلى صورة وأوضح بيان في القرآن الكريم، وهي بعد تمثل توجيهاً إلهياً وسنة تتصف بكل الكمال.

– أننا نواجه في هذا العصر بتيارات فكرية معادية لمبادىء الإسلام وللأديان بصفة عامة وهي تغزو عقول الشباب في كل أنحاء العالم. ومقاومة مثل هذه التيارات ينبغي أن تتم في إطار الأساليب والوسائل التي اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوجيه من ربه وحققت كل هذا النجاح والانتشار للدين القيم.

– أن غياب هذا الإعلام السليم قد أتاح الفرصة للدعايات المغرضة التي تسعى لاحتكار الدعوة لنفسها والتأثير بها على الجماهير وخاصة الشباب سواء لدفعهم نحو التطرف أو التقوقع مما يمثل دعوة إلى الهدم أو الجمود في عالم يبنى ويتقدم بإيقاع سريع.. مما يؤخر الأمة الإسلامية عن ملاحقة التقدم الحضاري الذي نجحت في تحقيقه أول عهدها بالإسلام.

– أن ثورة الاتصال العالمية وما حققته في هذا العصر من تقدم يتيح لوسائل الإعلام السليمة وأساليبه التي اتبعت في نشر الإسلام، أن يحقق

افضل النتائج.

ونسأل أنفسنا :

* هل يحقق الإعلام الإسلامي هذه الأهداف التي ذكرناها بأكملها؟

* وهل هو قادر على تحقيقها؟

* وهل يستطيع النهوض بأعباء تحقيقها في القرن الحادي والعشرين؟؟

وسوف تكون الإجابة :

* إن الإعلام الإسلامي لا يحقق هذه الأهداف إلا بنسبة ضئيلة جداً.

* وإن إمكاناته وظروفه الحالية تعوقه عن أن يحقق هذه الأهداف كما هو مفترض.

* وأنه بالتالي مطلوب معالجة الكثير من العلل والأخطاء التي يعاني منها الإعلام الإسلامي حتى يمكن أن ينهض بمهمته على النحو المأمول.

التحديات

يمكن أن نعتبر المشكلات التي يعاني منها الإعلام الإسلامي سواء على المستوى الداخلي أو على المستوى الخارجي تحديات يجب أن نواجهها بصراحة وموضوعية.

من هذه المشكلات - أو المتطلبات - المواءمة بين الأصالة والمعاصرة بين المحافظة على الشخصية الأصيلة للمجتمع الإسلامي وقيمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها وبين المستجدات العالمية الوافدة وإيجاد صيغة مناسبة لحل الصراع بين قوى التجديد والقوى المحافظة.

ومن هذه المشكلات مساحة الحرية المتاحة: حرية الحصول على المعلومات.. حرية تداول المعلومات.. حرية نقل المعلومات .. حق وسائل الإعلام في التعبير .. حق المواطن في المعرفة .. والتوازن بين هذه الحقوق والحريات وبين متطلبات الأمن القومي أو متطلبات استقرار النظم السياسية .. والمعروف أن هذه الحقوق والحريات تتناسب تناسباً طردياً مع مقدار ما يتمتع به

المجتمع من حريات سياسية عامة فإن أجهزة الإعلام هذه في مقدمة من يتأثر سلباً أو ايجابياً بما هو متاح من مساحة للحرية.

ومن هذه المشكلات مشكلة ملكية وسائل الإعلام وهل هي مملوكة للدولة مباشرة أو في شكل غير مباشر أو هي مملوكة لأحزاب سياسية أو لشركات أو هيئات أو أفراد؟ ولا يخفى تأثير عامل الملكية على وضع السياسات ورسم التوجهات الخاصة للجهاز الإعلامي سواء أكان صحيفة أو مجلة أو خدمة إذاعية أو تليفزيونية. وقد كانت هذه المشكلة ظاهرة في المجتمعات الغربية وغير محسوسة نسبياً في المجتمعات الإسلامية حتى تعددت وسائل الإعلام المملوكة ملكية خاصة أو مشتركة وأصبح الجمهور قادراً على المقارنة واكتشاف الفروق بين ما يقدم في كل من هذه الوسائل.

ومن هذه المشكلات ضعف البنَى الاقتصادية والإدارية والفنية والبشرية في غالبية وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية وعدم مسايرتها للتقدم العلمي والتكنولوجي العالمي، ورغم أن بعض المؤسسات الصحفية الكبرى صارت تطبع صحفها في عدة مراكز على مستويات وطنية وعالمية مستخدمة في ذلك الأقمار الصناعية والميكروويف وأن قنوات فضائية متعددة قد أصبحت تبث إرسالها من الدول الإسلامية وللدول الإسلامية وغيرها فإن مجمل الصورة يحتاج إلى الكثير من رأس المال والكثير من التطوير والكثير من الحرية.

ومن هذه المشكلات أن القوى البشرية العاملة في أجهزة الإعلام بحاجة إلى كثير من الجهد والإعداد والتوجيه . فمناهج التعليم والإعداد للإعلاميين في معظم البلاد الإسلامية تخلو تقريباً من أي مضمون دينيٍ دعوي وتركز على علوم الاتصال وفنون العمل الإعلامي المتخصصة .. وكثير من وسائل الإعلام لا تشترط للعمل فيها دراسة متخصصة في الإعلام.. والقائمون على الدعوة لا يدرسون بأي قدر مناسب علوم وفنون الاتصال. ومن ثم فإن ثمة فجوة لابد من العمل على سدها.

ومن هذه المشكلات أن المجتمعات الإسلامية تواجه غزواً فكرياً تغريبياً.. وقد كان هذا الغزو محل خلاف وهل هو حقيقة أو وهم؟ ولكن الحقيقة أن

التيارات العلمانية الموجودة في العديد من البلاد الإسلامية والتي ترفع شعارات الحداثة والتنوير إنما هي في حقيقة الأمر إفرازات غربية وردت إلى البلاد الإسلامية من خلال الباحثي والكتب والبعثات ومن خلال المبعوثين المسلمين الذين درسوا في الغرب وتأثروا بمناهجه وثقافاته.

ومن هذه المشكلات الحملة الضارية ضد الإسلام والمسلمين ومحاولة ربط الإسلام بالإرهاب وربطه بالتخلف .. وليس خافياً ما يحاول الكثيرون في الغرب على المستويات السياسية والثقافية والإعلامية غرسه في أذهان ووجدانات الجماهير الغربية من أن الإسلام هو الخطر القادم والعدو البديل بعد انهيار الشيوعية العدو الأحمر .. وهذا يمثل تحدياً للإعلام الإسلامي الذي يتعين عليه العمل على تغيير هذه الأفكار وتصحيح هذه الصورة.

ومن المشكلات غياب التنسيق الإعلامي بين الدول الإسلامية لعدم وجود استراتيجية واضحة متفق عليها بين الدول الإسلامية .. وبسبب هذا الغياب فإن الجهود التي بذلت من أجل تقديم الإسلام تقديماً صحيحاً لغير المسلمين ظلت قاصرة لأنها فردية تفتقر إلى التجانس والتكامل.

والحلول

أدرك المسئولون عن الإعلام في البلاد الإسلامية مخاطر التخلف والقصور والتشرذم في المجال الإعلامي فبدأت الاتصالات واللقاءات والندوات والمؤتمرات على مستويات رسمية وغير رسمية لدراسة واقع الإعلام الإسلامي ومشكلاته وطموحاته وتحدياته. وعقد مؤتمر تحضيري في قبرص عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م أقر عدداً من التوصيات كانت هي محور مناقشات المؤتمر العالمي الأول للإعلام الإسلامي الذي عقد في جاكارتا عاصمة أندونيسيا في العام التالي. وصدرت عن هذا المؤتمر عدة توصيات تتعلق بدعم الإعلام الإسلامي. ولعل من أبرز ما أسفر عنه المؤتمر هذه الأمور:

الأول: إقرار ميثاق جاكارتا للإعلام الإسلامي المكون من أربع مواد تدور في مجملها حول واجبات الإعلاميين المسلمين في الدعوة للإسلام والدفاع عنه

وجمع كلمة المسلمين ومناهضة الأفكار الهدامة ومواجهة الحملات المغرضة والالتزام بالآداب الإسلامية في ممارسة المهنة الإعلامية.

الثاني: الدعوة لإنشاء صندوق عالمي لدعم الإعلام الإسلامي.

الثالث: إنشاء أمانة عامة دائمة للمؤتمر في مكة المكرمة تنظم وتنسق شئون الإعلام والإعلاميين المسلمين[٣].

وفي ضوء قرارات وتوصيات مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الثاني في كراتشي تم تأسيس وكالة الأنباء الإسلامية الدولية لخدمة الدول الإسلامية واعتمد لها دستور عمل. ولكن هذه الوكالة لم تنهض بالدور المنوط بها ولم تتحول إلى وكالة حقيقية قادرة على منافسة وكالات الأنباء العالمية (٤).

وكذلك تأسست منظمة إذاعات الدول الإسلامية لتحقيق الأهداف التالية:

نشر الدعوة الإسلامية

١ - الاهتمام بالتراث الإسلامي.

٢ - التعريف بالقضايا الإسلامية والدفاع عنها.

٣ - تعريف الشعوب الإسلامية ببعضها وتعميق روح الإخاء الإسلامي فيما بينها.

٤ - دعم العلاقات بين أعضاء المنظمة لتوحيد جهودها في خدمة أهدافها المشتركة.

٥ - التعريف بالأسس السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية التي ترتكز عليها دعوة التضامن الإسلامي.

٦ - تبادل البرامج الإذاعية والأخبار والمعلومات الفنية وكذلك تدريب الموظفين في المجالات الإذاعية للمنظمة.

٧ - التنسيق في مجال الإرسال الإذاعي وتخطيط البرامج فيما بين أعضاء المنظمة.

٨ – تنظيم التعاون مع المنظمات الدولية للإذاعات بحيث تضمن المنظمة دفاعاً موحداً عن متطلباتها في الجداول اللاسلكية للموجات وفي غيرها من المسائل التي تهمها.

٩ – حل كافة المشاكل الإذاعية التي تحدث بين الأعضاء بروح الأخوة الإسلامية وضمن إطار المجلس التنفيذي أو الجمعية العامة للمنظمة.

١٠ – تنمية التعاون بين المؤسسات الفنية للدول الأعضاء وتطويرها وصولاً إلى مستوى العلاقات الأخوية بين الأقطار الشقيقة(٥).

كذلك بدأت خطوات للتنسيق على المستوى الرسمي وبدأت تعقد مؤتمرات للإعلام على المستوى الوزاري. وكان أول مؤتمر في مدينة جده بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م وكان المؤتمر الثاني في القاهرة عام ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م وتوالت الاجتماعات على المستويات الرسمية.

كما توالت محاولات إنشاء أجهزة مشتركة للقيام بتنسيق الجهود الإعلامية بين الدول الإسلامية. ولكن هذه الجهود لم تترجم بعد إلى مشروعات وبرامج ومن ثم إلى واقع ملموس.

وعندما نتحدث عن الحلول فليس لنا أن نبالغ أو أن نغرق في الخيال. فإن تطبيق أي مقترحات أو توصيات أو دعوات سيظل مرتبطاً بأشخاص الإعلاميين وبقدرة المؤسسات الإعلامية وبالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي بإفرازاته الفكرية والثقافية وكذلك بالعلاقات السياسية بين الدول الإسلامية.

وهذا لا يعني بأي حال أن نتوقف عن النظر والبحث والسعي للتغيير بل إن النظر والحث والسعي للتغيير هي في مقدمة أولويات الإعلاميين المسلمين.

ونحن إذ نبحث عن الحلول فإننا بحاجة ماسة للعودة إلى ما سبق إصداره من قرارات وتوصيات ومراجعة ما تم تنفيذه وما لم يتم تنفيذه ونعزز أي إنجازات تحققت ونعمل بكل جد على تنفيذ ما لم يتم تنفيذه.

وللتذكير ببعض ما صدر من مقترحات وتوصيات نورد بعضاً منها على النحو التالي:

* توفير الحرية الكاملة لوسائل الإعلام في الدول الإسلامية على أن يقابل هذه الحرية التزام الإعلاميين بالقيم الإسلامية. والتزام أجهزة الإعلام بإتاحة الفرصة للرأي والرأي الآخر احتراماً لحق الإنسان في المعرفة.

* تبني المفكرين والمثقفين الإسلاميين للعمل على تثبيت ودعم فكرة استلهام القيم الإسلامية في مختلف المجالات و إثبات قدرتها على استيعاب مختلف أشكال المعرفة والعلوم الحديثة وقدرتها على تحقيق تنمية وتقدم المجتمع والرقي بأفراده.

* التحرك السريع والواعي بأبعاد المرحلة الحالية بكل تحدياتها لمواجهة الخطر القادم من خلال الغزو السافر للبث المباشر بمحطاته الإذاعية (راديو - وتليفزيون) والذي يهدف إلى تشويه عقائد الأمة والتشكيك في قيمها، وذلك بإنتاج برامج متطورة على مستوى علمي وفني متقدم تواجه البرامج الموجهة إلينا في إطار خطة منظمة وهادفة لتثقيف الفرد المسلم وتحصينه ضد الثقافات الوافدة والغريبة على مجتمعاتنا الإسلامية.

* قيام وزراء الإعلام في الدول الإسلامية بتبني مواثيق شرف الإعلام الإسلامي الصادرة عن المؤتمرات والندوات السابقة وتحويلها إلى دساتير ومناهج عمل يلتزم بها العاملون في قطاعات الإعلام الرسمية وتبني المسئولين عن أجهزة الإعلام غير الرسمية نفس المواثيق والتعريف بها وتحويلها كذلك إلى دساتير ومناهج عمل للعاملين في هذه الأجهزة.

* العمل على إنتاج مواد وبرامج خاصة للأطفال ذات بعد إسلامي يمكن إستخدامها في مختلف محطات وقنوات الإذاعة والتليفزيون للدول الإسلامية مع مراعاة عمومية الفكرة واستخدام الأفكار والمفردات المشتركة بين الدول الإسلامية.

* تبني ميثاق شرف الإعلام في المؤسسات العاملة في هذا المجال في

البلاد الإسلامية يكون ملتزماً بالقيم والأخلاقيات الإسلامية في التأليف والتصميم والتنفيذ. وألا تتضمن الإعلانات أية إشارات أو تلميحات مثيرة للغرائز.

* دعوة العاملين في مجال البرامج الدينية إلى تغيير مفهوم البرامج الدينية في الأشكال التقليدية التي تقدم بها، وتقديمها في صورة جديدة تتناسب ومعطيات العصر.

* قيام أقسام وكليات الإعلام في البلاد الإسلامية بدراسة العلوم الإسلامية ضمن دراساتها بحيث يمكن تخريج إعلاميين دراسين لعلوم الإعلام والعلوم الشرعية في نفس الوقت.

* قيام أجهزة الإعلام في البلاد الإسلامية بإتاحة الفرصة لخريجي أقسام وكليات الإعلام الدارسين للعلوم الشرعية للالتحاق بها.

* الإلتزام في نشر أخبار الجريمة بتحري الحقيقة وصيانة الأعراض والحفاظ على الصورة العامة للمجتمع المسلم وتوخي الحذر في نشر تفاصيل وأساليب ارتكاب الجريمة.

* قيام تعاون حقيقي بين وكالات الأنباء في الدول الإسلامية يتمثل في تبادل الخدمات الإعلامية والمصورة والتغطية المشتركة للأحداث في الدول الإسلامية في العالم.

* العناية بتدريب وتأهيل الكوادر الإعلامية العناية الكافية، ووضع برامج متنوعة لإعداد هذه الكوادر منذ بداية التحاقها بالعمل لربطها بالتطورات الحديثة في مجالات أساليب العمل والأداء المهني والتطورات التكنولوجية في مجالات الاتصال المختلفة، وتزويدها بالثقافة الإسلامية التي تمكنها من الاستفادة بتحصيلها العلمي والتدريبي في خدمة قضايا المجتمعات الإسلامية.

* توجيه عناية خاصة بالأقليات المسلمة في الدول المختلفة وخاصة للمجتمعات المسلمة في الغرب ويشمل ذلك:

– الاهتمام بقضايا هذه الأقليات والتعريف بها تعريفاً كافياً لدى أبناء الدول الإسلامية لتهيئة جو متعاطف والنظر في توجيه خدمة إذاعة خاصة لتبليغ المفاهيم الإسلامية الصحيحة لهذه البلاد والأقليات.

– توجيه عناية خاصة لنشر الأخبار والتحقيقات والتحليلات عن الدول الإسلامية لتحقيق تواصل معرفي بين أبناء المسلمين في دول العالم.

– الإفادة من إمكانات القمر الصناعي العربي Arab Sat لتحقيق الترابط بين الدول الإسلامية وخدمة أهداف التنمية الشاملة فيها من خلال البرامج المشتركة وتبادل بث الخدمات الإذاعية والتليفزيونية بين هذه الدول.

– الالتزام بالمظهر الإسلامي والسلوك الإسلامي من جانب الإعلاميين خاصة عند الظهور على شاشة التليفزيون في الشكل والملبس والأداء[٦].

ونضيف إلى ما سبق:

– إنتاج برامج ومواد إعلامية موجهة للمجتمعات الغربية تعرض الصورة الصحيحة للإسلام والمسلمين.

تشجيع الحوار بين البلاد الإسلامية وغير الإسلامية على المستويات العلمية والفكرية والإعلامية المختلفة لإقامة جسور من التفاهم المشترك.

– الإستفادة من إمكانات شبكة المعلومات الدولية الانترنت Internetفي تقديم معلومات صحيحة عن الإسلام ومحادثة إزالة المعلومات الخاطئة والمضللة التي سبق وضعها على هذه الشبكة من قبل المنظمات المعادية للإسلام.

متابعة ما يبث وينشر من معلومات وبيانات وأخبار مضللة حول الإسلام والمسلمين والرد عليها وإنشاء الأجهزة المختصة القادرة على اداء هذه المهمة.

والله من وراء القصد .. وهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.

هوامش البحث

(١) نحو إعلام إسلامي، إعلامنا إلى أين؟ المستشار الدكتور علي جريشة. مكتبة وهبة. القاهرة ١٩٨٩ ص٨١.

(٢) الإعلام في القرآن الكريم، الدكتور محمد عبدالقادر حاتم، القاهرة. ص١٤ - ١٥.

(٣) البيان الصادر عن مؤتمر جاكارتا.

(٤) دستور وكالة الأنباء الإسلامية العالمية (إينا).

(٥) النظام الأساسي لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية.

(٦) البيان الختامي لندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل بجامعة الأزهر بالقاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

الملاحق

الملحق رقم (١)
توصيات المؤتمر العالمي الأول
للإعلام الإسلامي

تليت في حفل الافتتاح رسائل خاصة وجهت إلى المؤتمر من أصحاب الجلالة والفخامة ملوك وزعماء الدول الآتية:

قبرص التركية الاتحادية، منظمة التحرير الفلسطينية، الجمهورية العراقية، المملكة المغربية، المملكة العربية السعودية، جمهورية الباكستان، الجمهورية التركية، المملكة الأردنية الهاشمية.

كما تحدث أيضا معالى وزير الشئون الدينية لجمهورية أندونيسيا ومعالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي والقيت كلمة عن معالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

ثم تفضل فخامة الجنرال سوهارتو رئيس الجمهورية الأندونسية بافتتاح المؤتمر رسميا بكلمة ضافية عبر فيها فخامته عن ترحيب الشعب الأندونيسي بانعقاد المؤتمر، كما تحدث عن ملامح مواقف وسياسة أندونيسيا الداخلية والخارجية تجاه قضايا العالم الإسلامي.

وكانت جميع جلسات المؤتمر ولجانه تفتتح وتختتم بتلاوات كريمة من القرآن المجيد.

ثم باشر المؤتمر أعماله بانتخاب معالي الشيخ محمد على الحركان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيساً لهذا المؤتمر، كما انتخب الأخوة الخمسة التالية أسماؤهم نوابا لرئيس المؤتمر:

١ - سعادة الأستاذ روسهان أنور من أوندونيسيا (عن آسيا).

٢ - معالى الأستاذ قاسم الزهيري من المغرب (عن أفريقيا).

٣ - سعادة الأستاذ محمد عبدالمنعم من أمريكا (عن أمريكا).

٤ - سعادة الأستاذ حاشر فاروقي من انجلترا (عن أوربا).

٥ - سعادة الأستاذ م.س القادري من كندا (عن كندا).

كما انتخب المؤتمر الدكتور عبدالرحمن الشبيلي (المدير العام السابق للتليفزيون السعودي) وأستاذ الإعلام بجامعة الرياض مقررا للمؤتمر.

وقد ساد الحفل جو روحي أخوي رائع كما أجمع الخطباء على دعم قضية فلسطين واستنكار اغتصاب القدس وتأييد دعوة الجهاد المقدس وتأييد قضايا المسلمين في مختلف أنحاء العالم.

وقد رأى المؤتمر في بداية اجتماعاته توجيه برقية إلى فخامة الجنرال سوهارتو رئيس الجمهورية الأندونيسية للتعبير له عن شكر المؤتمر وتقديره لرعاية أندونيسيا له وتفضله شخصيا بافتتاح المؤتمر واختياره رئيساً فخريا على المؤتمر.

كما وجه المؤتمر برقيات شكر جوابيه لأصحاب الجلالة والفخامة ملوك وزعماء الدول الذين وجهوا رسائل خاصة إلى المؤتمر.

وفي مستهل الاجتماعات أيد المؤتمر بالإجماع ورقة العمل العراقية التي تنص على ما يلي:

أ - تأييد العراقي/ السعودي حول المقاطعة السياسية والاقتصادية لكل دولة تفتح سفارتها في القدس.

ب - فضح الكيان الصهيوني الذي تحدى مشاعر المسلمين بقرار جعل القدس عاصمة دائمة موحدة له.

جـ - مقاومة ورفض أي عمل فني أو إعلامي يعادي الإسلام ويشوه مبادئه السمحة.

د - دعوة الدول الإسلامية إلى تعزيز التعاون فيما بينها للدفاع عن مبادىء الإسلام الحنيف وعدم السماح لأي جهة أن تتحدى مشاعر المسلمين.

هـ - دعوة الدول الإسلامية ومن خلال أجهزتها الإعلامية والثقافية إلى الوقوف بوجه الحملة الإعلامية ضد امتلاك الدول الإسلامية للتكنولوجيا النووية للأغراض السلمية.

وانبثقت عن المؤتمر أربع لجان فرعية لدراسة البحوث وأوراق العمل المقدمة للمؤتمر وذلك على النحو التالي:

أ – لجنة التحديات الفكرية والقضايا الإسلامية.

ب – لجنة إعداد الميثاق والبطاقة الصحفية الإسلامية.

جـ – لجنة مشروعات الإعلام الإسلامي.

د – لجنة تطوير وسائل الإعلام.

وبعد مناقشة وتدارس ما اتخذته مختلف اللجان من توصيات، توصل المجتمعون إلى المقررات التالية:

أولاً: رأى المؤتمرون: إعادة إقرار وتأكيد أبرز التوصيات السابقة التي أقرها المؤتمر التحضيري السابق قبرص (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) والمتعلقة بشئون الإعلام وهي:

أ – أن تعمل الجامعات الإسلامية على إنشاء أقسام للصحافة الإسلامية بها لتخريج الصحفيين المدربين والمؤهلين للقيام بجميع فروع العمل الإعلامي. إضافة إلى إنشاء معهد لتخريج الكوادر العليا.

ب – الاستعانة بالطاقات الإسلامية في مختلف مجالات العمل الإعلامي.

جـ – أن تتبنى رابطة العالم الإسلامي إنشاء مركز للمعلومات لإمداد الحقل الإعلامي بالمعلومات الموثقة.

د – حث الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي على تنشيط دور وكالة الأنباء الإسلامية في العالم الإسلامي بأسرع وقت مستطاع.

هـ – دعوة وكالات الأنباء فى العالم الإسلامي إلى إبراز أخبار العالم الإسلامي والعناية بها لكسر العزلة التي تفرضها وسائل الإعلام المعادية للإسلام.

و – دراسة إمكانية إنشاء صحيفة يومية ومجلات أسبوعية وشهرية إسلامية بعدة لغات تصدر فى يوم واحد بالعواصم العالمية والإسلامية.

ز – دراسة إمكانية إنشاء شركة أو شركات إعلانات إسلامية حماية للصحف الإسلامية من الوقوع تحت ضغط شركات الإعلانات الأجنبية.

ح - يناشد المؤتمر البلدان والمنظمات الإسلامية منع دخول أو طبع الصحف والنشرات والكتب التي تعادي الفكر الإسلامي أو تؤثر في عقيدة الشباب المسلم وكذلك حجب الإعلانات التجارية عن وسائل الإعلام المعادية للإسلام.

ثانياً: ميثاق جاكرتا للإعلام الإسلامي

إيمانا بالله ورسوله.

واستلهاما لكتاب الله عزوجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعملاً بالإسلام وعطائه الموصول.

ووعيا بما يحدق بهذه الأمة من أخطار وبدور الإسلام فى حمايتها وانبعاثها.

وتقديرا لأهمية الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام على اختلاف أصنافها.

وحفاظا على الجواب الإعلامي وسمو أهدافه وشرف المهنة وتقاليدها.

وانطلاقا من الأهداف التي تمثل أمال الأمة الإسلامية وطموحاتها.

يقر الإعلاميون المسلمون ميثاق الشرف الإعلامي الإسلامي الذي يلتزمون به ويجعلونه نبراس أعمالهم ومصدر التقنين لواجباتهم وحقوقهم.

المادة (١)

الالتـــزام:

أ - بترسيخ إيمانه بقيم الإسلام ومبادئه الخلقية.

ب - بالعمل على تكامل شخصيته الإسلامية.

ج - بتقديم الحقيقة له خالصة في حدود الآداب الإسلامية.

د - بتبيين واجباته له تجاه الآخرين وبحقوقه وحرياته الأساسية.

المادة (٢)

يعمل الإعلاميون على جمع كلمة المسلمين ويدعون إلى التحلي بالعقل والأخوة الإسلامية والتسامح في حل مشكلاتهم ويلتزمون:

أ – بمجاهدة الاستعمار والإلحاد في كل أشكاله والعدوان في شتى صوره والحركات الفاشية والعنصرية.

ب – بمجاهدة الصهيونية واستعمارها الاستيطاني بأشكال القمع والقهر التي يمارسها العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية.

جـ – باليقظة الكاملة لمواجهة الأفكار والتيارات المعادية للإسلام.

المادة (٣)

يلتـزمون :

أ – بالتدقيق فيما يذاع وينشر ويعرض حماية للأمة الإسلامية من التأثيرات الضارة بشخصيتها الإسلامية وبقيمها ومقدساتها ودرء الأخطار عنها.

ب – بأداء رسـالتـهم في أسلوب عف كريم حـرصـا على شـرف المهنة وعلى الآداب الإسلامية، فلا يستخدمون ألفاظا نابية ولا ينشرون صورا خليعة ولا يتعرضون بالسخرية والطعن الشخصي والقذف والسب والشتم وإثارة الفتن ونشر الشائعات وسائر المهاترات.

جـ – بالإمتناع عن إذاعة ونشر كل ما يمس الآداب العامة أو يوحي بالانحلال الخلقى أو يرغب فى الجريمة والعنف والانتحار أو يبعث الرعب أو يثير الغرائز سواء بطريق مباشر أو غير مباشر.

د – بالامتناع عن إذاعة ونشر الإعلان التجاري في حالة تعارضه مع الأخلاق العامة والقيم الإسلامية.

المادة (٤)

يلتزمون بنشر الدعوة الإسلامية والتعريف بالقضايا الإسلامية والدفاع عنها وتعريف الشعوب الإسلامية بعضها ببعض والاهتمام بالتراث الإسلامي والتاريخ والحضارة الإسلامية ومزيد العناية باللغة العربية والحرص على سلامتها ونشرها بين أبناء الأمة الإسلامية وبالخصوص بين الأقليات الإسلامية.

وبإحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية لاسترجاع السيادة التشريعية للقرآن والسنة. ويتعهدون بالمجاهدة من أجل تحرير فلسطين وفي مقدمتها القدس وكافة الأقطار الإسلامية المضطهدة. ويلتزمون بتثبيت فكرة الأمة الإسلامية المنزهة عن الإقليمية الضيقة والتعصب العنصري والقبلي واستنهاض الهمم لمقاومة التخلف في جميع مظاهره وتحقيق التنمية الشاملة التى تضمن للأمة الأزدهار والرقي والمناعة.

ثالثاً :

أ - يقرر المؤتمر إنشاء (أمانة عامة دائمة) للإعلام الإسلامي مقرها مكة المكرمة تنظم وتنسق شئون الإعلام والإعلاميين المسلمين في العالم من حيث عقد المؤتمرات واللقاءات إلى تستهدف الارتقاء بالإعلام الإسلامي ككل وسيلة وغاية.

ب - يقرر المؤتمر تعيين معالى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي أمينا للأمانة الدائمة للإعلام الإسلامي بحكم منصبه يساعده أمين عام مساعد تنفيذي ومكتب تنفيذي يضم خمسة اعضاء يمثلون قارات العالم ويتم اختيار هؤلاء جميعا من قبل الأمين العام.

جـ - يشغل الأمناء المساعدون مناصبهم لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد.

د - يفوض الأمين العام للأمانة الدائمة للإعلام الإسلامي بوضع اللائحة الداخلية للأمانة وتعتبر سارية المفعول بعد تصديق المكتب التنفيذي عليها بالإجماع.

هـ - تتولى الأمانة العامة للإعلام الإسلامي إعداد الدراسة التفصيلية لنظام هذا الجهاز وطريقة تمويله، وتمويل نفقات مشاريعه. تمهيدا لعرض ذلك على مؤتمر القمة الإسلامى ووزراء الخارجية للدول الإسلامية والمنظمات الإسلامية الأخرى.

رابعاً :

أ - يقرر المؤتمر إصدار بطاقة إعلامية يحملها كل منتسب من رجال الإعلام

المسلمين للأمانة العامة للإعلام الإسلامي.

ب - يصدر الأمين العام للإعلام الإسلامي البطاقات الإعلامية لمستحقيها وفق سجل رجال الإعلام المسلمين الذي تحفظه الأمانة العامة لديها للمنتسبين لها منهم.

جـ - يفوض المؤتمر الأمانة العامة للإعلام الإسلامي باختيار الشكل والحجم واللون المناسبين للبطاقة الإعلامية كما يفوضها فى وضع شروط منحها والحقوق المترتبة على حملها وكذلك شروط سحبها من حاملها إذا اقتضى الأمر.

خامساً:

أ - إنشاء المجلس الأعلى العالمي للإعلام الإسلامي ويتكون هذا المجلس من أربعة وعشرين عضوا من رجال الفكر والاختصاص يمثلون مختلف مناطق العالم، وتكون مهمة هذا المجلس وضع السياسة العامة للإعلام الإسلامي فى العالم ويجتمع أعضاؤه ويديرون الأعمال وفقا لنظام معين يضعونه بعد أول اجتماع يعقدونه، وتكون مكة المكرمة مقرا دائماً لاجتماعات هذا المجلس. وتتولى الأمانة العامة لمؤتمر الإعلام الإسلامي العالمى مهمة إدارة أعماله بشكل مؤقت لحين وضع النظام وذلك بإشراف رابطة العالم الإسلامي.

ب - ينبثق عن هذا المجلس جهازان، جهاز لتخطيط الإعلام على المستوى العالمى وجهاز لتنفيذ الخطة الموضوعية في شتى الحقول والميادين الإعلامية.

جـ - ينشىء المجلس الأعلى العالمي للإعلام الإسلامي مراكز فرعية له يسمى كل منها بالمركز الإسلامي للإعلام وذلك في كل من المدن ذات الفاعلية الإعلامية في العالم.

د - دراسة إنشاء شركة مساهمة عالمية إسلامية مستقلة للتوزيع على أسس اقتصادية وفقا للأبحاث المقدمة للمؤتمر بهذا الشأن.

هـ - العمل على إنتاج ما يخدم الدين الإسلامي وقضاياه من الأفلام السينمائية التليفزيونية والأشرطة الإذاعية والنشرات وكتب الجيب بغرض شرح وجهة النظر الإسلامية عن كثير من الموضوعات والقضايا الهامة كتعليم أركان الإسلام ومبادئه بشتى اللغات.

و - يقرر المؤتمر التأكيد على أهمية الدور الملقى على عاتق كل من وكالة الأنباء الإسلامية واتحاد الإذاعات الإسلامية ويدعو لتطويرهما للقيام بمسئولياتها كاملة تجاه الأمة الإسلامية.

ز - دراسة إنشاء اتحاد للناشرين المسلمين في العالم يوضع له نظام خاص ينظم أعمالهم ويرعى شئونهم.

حـ - إقامة معارض للكتاب الإسلامي في مختلف اللغات ينتقل بين مختلف بلدان العالم الرئيسية.

ط - إقامة مسابقات للبرامج الدينية التليفزيونية وتخصيص جوائز للأفضل منها وإقامة سوق لبيع وتبادل البرامج الإسلامية.

ي - دراسة وعقد الدورات التدريبية واللقاءات بين المختصين في المجالات المتشابهة.

ك - ويرجو المؤتمر من حكومة المملكة العربية السعوية تقوية ودعم إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة فنيا وإداريا وبرامجيا بحيث تسمع صوت الإسلام إلى كافة أنحاء المعمورة.

ل - كما يرجو كافة الدول الإسلامية الأخرى دعم وتطوير الإذاعات الإسلامية فيها.

سادساً: تطوير الوسائل الإعلامية:

في ظل النهضة الإسلامية الشاملة يقدم إضافات جديدة إلى فهمهم الإسلامى لعصرهم، إلا أن العالم الإسلامي لايزال بعيدا عن تحقيق تقدم فعلى فى مجال العمل الإسلامي المنشود وخاصة في مجال الإعلام.. ولذا فإن على الإعلام الإسلامي أن يواجه النمو الهائل الذي حققه العالم في مجال وسائل الإعلام والاتصال.

إن تقدم وسائل الإعلام الإسلامي يحتاج إلى فلسفة ومنهاج متطور يواكب هموم الجماهير وقضاياه المعاصرة ويحقق التواجد والتوصيل الإعلامي الشامل واستخدام أرقى الوسائل الفنية المتاحة.

إن الإعلام الإسلامي يفتقر إلى ربط القول بالعمل وإلى مواكبة فهم العصر وإفهامه، كما يفتقر إلى التنسيق بين المؤسسات الإعلامية من أجل زيادة فاعليتها وتأثيرها.

ومن أجل المساعدة على تحقيق بعض هذه الأفكار فإن المؤتمر يأمل من الأمانة العامة للإعلام الإسلامي بعد قيامها العمل على:

أ - إنشاء مؤسسة إعلامية إسلامية غير حكومية تتعهد الدول والمنظمات الإسلامية باحترام حريتها واستقلالها.

ب - إنشاء معهد للإعلام الإسلامي تكون مهمته التدريب السريع للإعلاميين الحاليين وتكوين كوادر بشرية إسلامية.

ويمكن اختيار بيروت مقرا لهذا المعهد نظرا لظروف العمل الإعلامية المتوفرة فيها.

جـ - إنشاء مؤسسة لإنتاج الوسائل والأدوات الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية.

د - التأثير في وسائل الإعلام العالمية عن طريق مدها بالكفاءات أو دعمها بشتى الوسائل وصولا لموضوعيتها أو حيادها وتأييدها للقضايا الإسلامية.

هـ - التزام كل إذاعة إسلامية بشراء وإذاعة المسلسلات الإسلامية التي تنتجها غيرها من الإذاعات.

و - التعاون مع وفيما بين وسائل الإعلام الإسلامية الموجودة في أوربا وأمريكا لدفعها وتنشيطها فى الاتجاه الصحيح ولدعم استمرارها فى خدمة مسلمي هذه البلاد وتوضيح معاني الإسلام لغير المسلمين من سكانها.

ز - إنتاج رسالة إخبارية أسبوعية عن العالم الإسلامي يمكن توزيعها بواسطة الأقمار الصناعية لتتمكن المحطات الإسلامية وغيرها من استقبال أخبار إسلامية بشكل منتظم.

ح - العناية ببرامج وكتب ووسائل الإعلام للأطفال وتشجيع كل اهتمام وجهد إسلامي في هذا المجال.

سابعاً: التحديات الفكرية والقضايا الإسلامية:

أ - التحديات التي تواجه الإنسان

تحاول التحديات الوافدة أن تواجه مفهوم الإنسان الذي كرمه الله تبارك وتعالى بأن جعله مستخلفاً في الأرض فجعله خاضعا للمفهوم المادي ولا يقيم وزنا لا لحريته ولا لكرامته بأن تجعل القيمة للمجتمع وحده أو تجعله خاضعا للرغبات الجنسية وغريزة الطعام وتمزيق تكامل الروح والمادة فيه بأن تجعله ماديا خالصا.

ب - التحديات التي تواجه العقيدة

تحاول التحديات الوافدة إنكار الديانات السماوية والادعاء بأنها أفيون الشعوب ولا نفع لها والحقيقة التي أقرها العلماء الطبيعيون المظنون بهم الإلحاد حتى اليوم هي أن العلم التجريبي يفتح الباب أمام فهم وجود الخالق تبارك وتعالى من أمثال هكسلي وغيره وكذلك الزعماء الذين كافحوا من أجل الحرية أمثال جورج واشنطون في وصيته التي أكد فيها على أنه لا يمكن المحافظة على الأخلاق من غير دين.

جـ - التحديات التي تواجه الإسلام

١ - تواجه عقيدة التوحيد تحديات لا من المعتقدات الخارجة وحدها بل من بعض الفرق المنسوبة إلى الإسلام وهي تنكر جوهره القائم على الجمع بين الألوهية والربوبية وإنكار أية قوة أو صفة إلهية لأي مخلوق.

٢ - يواجه التشريع الإسلامي تحديات ادعاء بعض النقاد الغربيين من أنه لا يصلح للعصر الحديث وأنه يتعارض مع تطور المدنية. والحقيقة أن

القوانين الوضعية المنقولة عن الغرب بعد مرور مائة سنة تطبيقها في بعض البلاد العربية والإسلامية قد ثبت فشلها في تحقيق الأمن والسعادة في المجتمعات الإسلامية كما أن علماء الغرب أكدوا عظمة التشريع الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان.

د - موقف الإسلام من الحضارة الغربية

للإسلام ذاتيته الخاصة وطابعه المميز وهو يفرق في مجال الاقتباس من الحضارات بين أسلوب العيش والعلوم التجريبية فهو له أسلوبه الأخلاقي الخاص وفي نفس الوقت يتقبل كل منجزات العلوم العصرية والتكنولوجيا ويطبقها فى إطار مفهومه الإسلامي الأصيل.

كذلك فإن للإسلام موقفه الذي يفتح أبواب البحث العلمي وقد وضع المسلمون أصول المنهج التجريبي الذي قامت عليه الحضارة الحديثة وكانوا معلمي الغرب إلى عهد قريب.

والإسلام لا يعارض الفنون الجميلة ولكنه يضعها في إطار مفهوم التوحيد.

هـ - تحديات الحياة الاجتماعية والمرأة

تعرضت الحياة الاجتماعية والمرأة إلى تحديات الكفر الوافد الذي غذاه الانحلاليون فحاول انتقاص مفهوم الإسلام الاجتماعي الذي يقوم على الأخلاق والكرامة والرحمة والإطار الإنساني في بناء المجتمعات الكريمة والأسرة الفاضلة. كما أعطى الإسلام المرأة من الحقوق مالم تنله في شريعة من الشرائع ولكنه أطلق حريتها في العمل وحماها أخلاقيا وركز على دورها الحقيقى في بناء الأسرة وإنشاء الأجيال الجديدة.

و - موقف الإسلام من الديانات الأخرى

حاولت التحديات الوافدة أن تصف الإسلام بأنه صورة مكررة من الأديان الأخرى وهو ما قام عليه مفهوم بعض علماء الأديان المقارنة اليهود لإعلاء شأن ديانتهم ولذلك ينبغي لنا أن نضع مفهوما أصيلا لعلم مقارنة

الأديان مستوحى من نبعه الصافي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى يؤكد أن الأديان السماوية مصدرها واحد وفي الوقت الذي أدخلت تفسيرات على بعض الأديان غيرت مفهومها التوحيدي فإن الإسلام قد حفظ المفهوم التوحيدي نقيا خالصا.

ز - تحديات التبشير الغربي

إن التبشير هو أخطر التحديات التى واجهت العالم الإسلامي فى العصر الحديث وكان مدخلا إلى النفوذ الاستعماري والتضليل الفكري والتحلل الخلقى والإلحاد الوثنى بما لهيئاته المختلفة من وسائل وموارد وطاقات وما يزال نفوذه في كثير من مناطق العالم الإسلامي قائما وممتدا إلى اليوم بأساليب متطورة وماكرة وخفية وخاصة في سيطرته في الفترة الأخيرة على الثقافة والصحافة وعلى كثير من وسائل الإعلام (السينما والمسرح والتلفاز والراديو) ولذلك فإننا نوجه النظر إلى هذا الخطر والعمل على توجيه وسائل الإعلام الوجهة الصحيحة وعرض الإسلام في سورة ميسرة مشرقة.

جـ - التحديات التي تواجه اللغة العربية

تواجه اللغة الفصحى بوصفها لغة القرآن تحديات خطيرة تستهدف القضاء عليها وإعلاء شأن العاميات في البلاد العربية وإحياء اللهجات واللغات القديمة باستعمالها في وسائل الإعلام من طباعة وصحافة وإذاعة وتلفاز وذلك للحيولة دون فهم القرآن الكريم والحيلولة دون الاعتزاز بالتراث الإسلامي العربي ومن هذه التحديات محاولة إخضاعها لمناهج اللغات الذي وضع أساسا على مقايسة اللغات الأجنبية وكذلك محاولة تصويرها بأنها لغة قومية تخص العرب وحدهم ولهم حق تطويرها بينما هي لغة ألف مليون مسلم من بينهم العرب. ولذلك فتأمل العمل على حماية اللغة العربية من هذه الأخطار وذلك بنشر الوسائط التي تحقق تعليم الأجيال الجديدة الفصحى لغة القرآن وخاصة فى البلاد الإسلامية وتقديم الدعم المادي للمؤسسات التي تقوم بهذا الغرض واستعمال جميع الوسائل العصرية فى تقديمها إلى مختلف الأجيال والأوطان بطريقة مبسطة ومشوقة.

ثامناً :

يرغب المؤتمر أن تقوم الأمانة العامة المستخدمة للإعلام الإسلامي بدراسة فكرة إيجاد صندوق لدعم الإعلام الإسلامى يتلقى الهبات والتبرعات والمساعدات ويقوم بتقديم العون لكل ما من شأنه دعم الإعلام الإسلامي وخاصة فى البلدان غير الإسلامية.

هذا وبمزيد من الأمتنان والتقدير يشكر المؤتمر شعب وحكومة أندونيسيا لرعايتها الكريمة لهذا المؤتمر وتقديم التسهيلات له ويسجل التقدير أيضا لرابطة العالم الإسلامي علي تبني فكرته والسعي إلى إقامته وتقديم الدعم من أجل تحقيقه.

هذا واستجابة للدعوة التي وجهها رئيس الحكومة التركية بعقد الاجتماع القادم فى تركيا، فإن المؤتمر يؤكد شكره وتقديره لهذه الدعوة ويرجو أن تقوم أمانة هذا المؤتمر بالتنسيق والتشاور مع الحكومة التركية بأمل عقد دورته القادمة إن شاء الله.

وفي الختام يتوجه الإعلاميون المسلمون الذين يعقدون أول اجتماع تاريخى لهم إلى الله تعالى القدير أن يمدهم بالعون لقول الحق وإعلاء كلمته وأن يكشف الضر عن بلاد المسلمين في جميع أرجاء الأرض وصدق الله العلي العظيم إذ قال (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

الملحق رقم (٢)
وكالة الأنباء
الإسلامية الدولية (إينا)

١ - دستور وكالة الأنباء الإسلامية الدولية

تمشيا مع قرار وزراء الخارجية الإسلامي الثاني بكراتشي تؤسس وكالة انباء إسلامية دولية "إينا". تتكون المرحلة الأولى من جميعه لوكالات الأنباء الوطنية أو منظمات مشابهة حسبما تعين من قبل الدول الأعضاء.

٢ - المركز الرئيسي

يكون المركز الرئيسي لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية في جدة.

٣ - الأهداف

إن أهداف وكالة الأنباء الإسلامية الدولية في جدة كما يلي:-

(أ) تعزيز وحماية التراث الإسلامي الضخم.

(ب) إنشاء علاقات أوثق بين الدول الأعضاء.

(جـ) تعزيز الصلات المهنية والتعاون الفني بين الوكالات الأعضاء.

(د) العمل على توحيد أهداف العالم الإسلامي.

(هـ) العمل على إيجاد تفهم أكبر بين الشعوب الإسلامية للمسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

(و) العمل على إنشاء وكالة انباء إسلامية دولية متكاملة يكون لها مراكز إقليمية خاصة بها.

٤ - الوظائف

وظائف وكالة الأنباء الإسلامية تكون كما يلي:-

(أ) تسهيل تبادل الأنباء والمقالات والصور.

(ب) تنسيق وتوزيع الأنباء التي تهم العالم الإسلامي.

(جـ) تسهيل تبادل المراسلين الصحفيين.

٥ - هيئات وكالة الأنباء الإسلامية الدولية

يكون لوكالة الأنباء الدولية الهيئات التالية:

(أ) الجمعية العامة.

(ب) المجلس التنفيذي.

٦- الجمعية العامة

تؤلف الجمعية من ممثلي وكالات الأنباء الوطنية أو من منظمات مشابهه لها من قبل الدول الأعضاء.

٧ – تنعقد الجمعية العامة مرة كل سنتين.

٨ – يجب أن يتفق زمان ومكان مثل هذا الاجتماع مع إجتماع مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ويعقد اجتماع فوق العادة للجمعية العمومية عند استلام المجلس التنفيذي طلبات خطية لا يقل عن نصف أعضاء وكالة الأنباء الإسلامية الدولية.

٩- المجلس التنفيذي

يتألف المجلس التنفيذي من سبعة أعضاء ستة منهم ينتخبون من قبل الجمعية العامة الأمين العام للمؤتمر الإسلامي أو ممثله بحكم منصبه مقام عضو، وينتخب المجلس التنفيذي:-

١٠ – يخدم أعضاء المجلس التنفيذي المنتخبون لمدة سنتين ويعاد انتخاب الأعضاء لمدة سنتين أخريين.

١١ – تتخذ قرارات المجلس التنفيذي بأغلبية بسيطة.

١٢ – يفوض للمجلس التنفيذي في تعيين سكرتير للمساعدة في أعماله.

١٣ – يحق للمجلس التنفيذي حينما تقتضي الضرورة، أن يستشير أعضاء وكالة الأنباء الإسلامية الدولاية بمراسلة خطية ويعتبر الاقتراح المعمم على أعضاء وكالة الأنباء الإسلامية الدولية خطيا من قبل الأغلبية المطلوبة نافذ المفعول.

١٤- المالية

تمول وكالة الأنباء الإسلامية الدولية من:

(أ) رسوم العضوية وتحدد من قبل الجمعية العامة.

(ب) الهبات والإعانات المقدمة من الدول الأعضاء على أن تحدد من قبل الجمعية العامة.

١٥- اللغة

إن لغات وكالة الأنباء الإسلامية الدولية هي:

العربية والإنجليزية والفرنسية.

الملحق رقم (٣)
البيان الختامي
للمؤتمر الإسلامي الثاني
لوزراء الإعلام
القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

البيان الختامي
للمؤتمر الإسلامي الثاني لوزراء الإعلام - القاهرة
جمهورية مصر العربية ١١ - ١٢ رجب ١٤١٢هـ
١٥ - ١٦ يناير ١٩٩٢م

١ - عملاً بقرار المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الإعلام، الذي عقد بجدة في يومي ٢.١ ربيع الأول ١٤٠٩هـ (١١ - ١٢ أكتوبر ١٩٨٨) وبدعوة لوزاره الإعلام في القاهرة، جمهورية مصر العربية، يومي ١١، ١٢ رجب ١٤١٢هـ (١٥، ١٦ يناير ١٩٩٢).

٢ - وقد شاركت في المؤتمر الدول الأعضاء التالية:

١ - المملكة الأردنية الهاشمية.

٢ - جمهورية أذربيجان.

٣ - أفغانستان.

٤ - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٥ - جمهورية أندونيسيا.

٦ - جمهورية أوغندا.

٧ - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٨ - جمهورية باكستان الإسلامية.

٩ - دولة البحرين.

١٠ - بروناى دار الإسلام.

١١ - بوركينا فاسو.

١٢ - جمهورية بنغلاديش الشعبية.

١٣ - جمهورية بنين.

١٤ - الجمهورية التركية.

١٥ - جمهورية تشاد.

١٦ – الجمهورية التونسية.

١٧ – جمهورية غامبيا.

١٨ – الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

١٩ – جمهورية القمر الاتحادية الإسلامية.

٢٠ – جمهورية جيبوتى.

٢١ – المملكة العربية السعودية.

٢٢ – جمهورية السنغال.

٢٣ – جمهورية السودان.

٢٤ – الجمهورية العربية السورية.

٢٥ – جمهورية سيراليون.

٢٦ – الجمهورية العراقية.

٢٧ – سلطنة عمان.

٢٨ – جمهورية غينيا.

٢٩ – جمهورية غينيا بيساو.

٣٠ – دولة فلسطين.

٣١ – دولة قطر.

٣٢ – جمهورية الكاميرون.

٣٣ – دولة الكويت.

٣٤ – الجمهورية اللبنانية.

٣٥ – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

٣٦ – جمهورية مالي.

٣٧ – ماليزيا.

٣٨ – جمهورية مصر العربية.

٣٩ – المملكة المغربية

٤٠ – الجمهورية الإسلامية الموريتانية

٤١ – جمهورية النيجر.

٤٢ – الجمهورية اليمنية.

٣ – وحضر المؤتمر بصفة مراقب كل من: جمهورية البانيا وطائفة القبارصة المسلمين الأتراك وجبهة مورو للتحرير الوطني.

٤ – كما شارك في المؤتمر من الأجهزة الفرعية لمنظمة المؤتمر الإسلامي مركز الأبحاث للتاريخ والفن والثقافة الإسلامية بأسطنبول.

٥ – واشتركت في المؤتمر مؤسسات منظمة المؤتمر الإسلامي المتخصصة التالية:–

– وكالة الأنباء الإسلامية الدولية (اينا).

– منظمة إذاعات الدول الإسلامية (اسبو).

– المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيكو).

٦ – وحضر المؤتمر المنظمات الدولية والإقليمية التالية بصفة مراقب ومدعو

– منظمة الأمم المتحدة.

– منظمة الوحدة الإفريقية.

– جامعة الدول العربية.

٧ – استقبل فخامة الرئيس محمد حسني مبارك – رئيس جمهورية مصر العربية، أصحاب المعالي الوزراء ورؤساء الوفود.

٨ – افتتح المؤتمر معالي الأستاذ على بن حسن الشاعر، وزير الإعلام في المملكة العربية السعودية، رئيس المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الإعلام، والقى معاليه كلمة نقل فيها تحيات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، ملك المملكة العربية السعودية وتمنياته للمؤتمر بالنجاح والتوفيق، راجياً للقائمين على العمل الإعلامي الإسلامي المضي قدماً في خدمة قضايا الأمة الإسلامية بالكلمة الواعية والصادقة والواثقة عبر

جميع وسائل الإعلام المختلفة.

ودعا معاليه فى كلمته إلى ممارسة المسئوليات الإعلامية بأمانة الكلمة في القول والعمل لمواصلة الجهود في هذا الشأن وتكثيفها من أجل إبراز وتطبيق مقررات القمم الإسلامية في المجال الإعلامي مسترشدين ببلاغ مكة المكرمة وإعلان دكار لتوحيد صفوف الأمة الإسلامية والدفاع عن كرامتها وحماية حقوقها تعزيزاً للعمل الإسلامى المشترك في جميع المجالات والعمل على صيانة حقوق الأقليات المسلمة في العالم وكذلك التصدي للحملات الإعلامية التي تمس الدين الإسلامي ومقدساته.

٩ - ألقي معالى الدكتور حامد الغابد، الأمين العام كلمة أعرب فيها عن وافر الشكر وخالص الامتنان لفخامة الرئيس محمد حسني مبارك لرعايته للمؤتمر ولحكومة جمهورية مصر العربية على ما تم اتخاذه من ترتيبات ممتازة لكفالة النجاح له. وعبر عن ارتياحه لوضع مسودات مشروعات هامة تتعلق بالخطة الإعلامية وميثاق الشرف التي خلصت إليها أعمال لجنة المتابعة الوزارية منذ تشكيلها فى عام ١٩٨٨. ووجه التهنئة لمعالي الأستاذ علي بن حسن الشاعر وزير الإعلام في المملكة العربية السعودية ورئيس المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الإعلام، على هذه الإنجازات وأشار معاليه إلى الدور الهام الذي يمكن للإعلام الإسلامي أن ينهض به في ضوء قرارات وإعلام دكار القمة الإسلامية السادسة وتقرير فخامة الرئيس عبدو ضيوف رئيس جمهورية السنغال، ورئيس اللجنة الدائمة للإعلام والشئون الثقافية (كومياك).

١٠ - استمع المؤتمر إلى رسالة موجهة من فخامة الرئيس محمد حسني مبارك، رئيس جمهورية مصر العربية، ألقاها نيابة عنه معالي السيد محمد صفوت الشريف وزير الإعلام فى جمهورية مصر العربية. وقد رحب فخامته في رسالته بالوفود المشاركة على أرض مصر الطاهرة التي بقيت دائماً وأبداً تعتز بانتسابها للإسلام، انتماء وعطاء، وإثراء لحركة أمتها في كل الظروف، وعبر فخامته عن تقديره للجهود الدؤوبة

التي يبذلها فخامة الرئيس عبدو ضيوف رئيس اللجنة الدائمة للإعلام والشئون الثقافية على رأس هذه اللجنة الإسلامية الهامة.

وأكد فخامته على الأهمية الخاصة لهذا المؤتمر الذي يعقد بعد القمة الإسلامية السادسة في دكار وفي ظل ظروف تواجه فيها الأمة الإسلامية عدداً من القضايا والمشكلات في المجالات السياسية، والاقتصادية والاجتماعية ويشهد العالم فيها تحولات جذرية ورئيسية.

وفي إطار شرحه لأولويات الإعلام الإسلامي في هذه المرحلة، أكد فخامة الرئيس محمد حسني مبارك أن قضايا الدول الإسلامية تحتاج دائماً إلى التضامن الإسلامي وهو يحتاج بدوره إلى التضامن الإعلامي، كما أشار أنه يتعين علي الدول الأعضاء أن لا تنعزل عن ملاحقة التطور التكنولوجي واستبعاده، ودعا المؤتمر إلى دراسة رؤية إعلامية مستنيرة تزود الشعوب الإسلامية بالإنتاج الإعلامي الرفيع. كما أشار فخامته إلى أن بعض الأخطاء التي وقعت من بعض المنتسبين للإسلام قد زودت خصومه بأسباب الطعن فيه ومحاولة ربطه بالتخلف والسلبية فضلاً عن محاولة إلصاق تهمة الإرهاب بأتباعه.

كما أكد فخامته على أهمية أن يبذل الإعلام والاتصال أقصى درجات الاهتمام للمساهمة في بناء الإنسان المسلم المعاصر. واستعرض فخامة الرئيس في هذا السياق المبادىء السامية التي يدعو إليها الإسلام في مجال احترام حقوق الإنسان وحرياته والدفاع عنها مبيناً أن أمة هذه قيمها المستمدة من الإسلام الذي يبرؤ من كل صنوف الإرهاب والعدوان والتفرقة والتمييز والاضطهاد والقهر، جديرة أن تسهم بشكل مؤثر وفعال في قيادة حركة الحياة وسيرة الحضارة.

١١ - ألقى وزراء الإعلام في كل من جمهورية النيجر وجمهورية أندونيسيا ودولة البحرين كلمات نيابة عن الدول الأعضاء الأفريقية والأسيوية والعربية، أعربوا فيها عن تقديرهم البالغ للرسالة المسلمة التي وجهها فخامة الرئيس محمد حسني مبارك، كما أعربوا عن امتنان الوفود

المشاركة لما لقيته من حفاوة حارة وضيافة كريمة من جانب حكومة جمهورية مصر العربية وشعبها، وشكروا فخامة الرئيس على ما قدمه للمؤتمر من توجيهات قيمة أثناء لقائه بهم لتعزيز دور الإعلام الإسلامي لمواجهة التحديات والمتطلبات الناشئة عن التغيرات العالمية المتلاحقة.

١٢ - بناء على اقتراح من معالي الأستاذ علي بن حسن الشاعر وزير الإعلام في المملكة العربية السعودية ورئيس المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الإعلام، قرر المؤتمر اعتبار خطاب فخامة الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية وثيقة رسمية من وثائقه.

١٣ - وبناء على اقتراح من معالي الأستاذ علي بن حسن الشاعر وزير الإعلام بالمملكة العربية السعودية ورئيس المؤتمر الإسلامى الأول لوزراء الإعلام، انتخب المؤتمر بالإجماع معالي السيد محمد صفوت الشريف وزير الإعلام بجمهورية مصر العربية، رئيساً للمؤتمر الإسلامي الثاني لوزراء الإعلام.

١٤ - ألقى معالي السيد محمد صفوت الشريف، وزير الإعلام بجمهورية مصر العربية، ورئيس المؤتمر، كلمة رحب فيها بالوفود على أرض مصر المباركة التي خصها الله سبحانه وتعالى بالذكر في محكم كتابه الحكيم فكانت دوماً حصناً للإسلام وقلعة من قلاعه الصامدة.

أكد أهمية هذا المؤتمر الذي يعقد في فترة من فترات التحول الكبرى في العالم، مشيراً إلى أن عالم اليوم يشهد تحولات وتطورات سياسية كبيرة وسريعة ومفاجئة في معظم الأحيان.

وأضاف معالي السيد محمد صفوت الشريف أنه في مواجهة المتغيرات التى طرات على العالم في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال، يتعين على العالم الإسلامي أن يدرس أسلوب التعامل مع هذه المتغيرات وفق المتطلبات المتمثلة أساساً في قيام كيان إعلام إسلامي موحد، وتدعيم البنية الأساسية للإعلام الإسلامي، والاهتمام بالإنتاج الإعلامي الإسلامي.

وأكد معالي السيد صفوت الشريف على ضرورة دعم وكالة الأنباء

الإسلامية الدولية ومنظمة إذاعات الدول الإسلامية، ثم أعلن أنه بناء على تكليف من الرئيس محمد حسني مبارك، وبتعضيد كامل من حكومة جمهورية مصر العربية، يضع كل قدرات الإعلام المصري وخبراته، وهي موضع اعتزاز كل مسلم، في خدمة تلك الأهداف السامية، في تعاون غير محدود.

١٥ – انتخب المؤتمر بقية أعضاء المكتب على النحو التالي:

- جمهورية بنغلاديش الشعبية.
- جمهورية مالي.
- دولة فلسين – نواباً للرئيس.
- جمهورية السنغال – مقرراً.

١٦ – أقر المؤتمر جدول الأعمال الذي اقترحه اجتماع كبار المسئولين.

١٧ – بحث المؤتمر تقرير كبار المسئولين ومشاريع القرارات والتوصيات الواردة فيه واعتمدها.

١٨ – شارك العديد من وزراء الإعلام ورؤساء وفود الدول الأعضاء في المناقشة العامة. وأكدوا أهمية تعزيز دور الإعلام الإسلامي من أجل تنشيط العمل الإسلامي المشترك ودعمه، أكدوا على ضرورة الاستفادة من أحدث مظاهر التقدم التكنولوجي في ميدان الاتصال، بما في ذلك تكنولوجيا الفضاء والأقمار الصناعية لتدعيم كفاءة الإعلام الإسلامي. وفي معرض الإشارة إلى التغيرات العميقة التي شهدتها العلاقات الدولية، أكدوا ضرورة أن يتجاوب الإعلام الإسلامي تجاوباً فعالاً مع المتطلبات الجديدة، كما أشاروا إلى عديد من القضايا السياسية الملحة التي يواجهها العالم الإسلامى والتي كانت موضع بحث مستفيض فى مؤتمر القمة الإسلامي السادس الذي حدد مواقفه بشأنها في قراراته وفي إعلان دكار.

١٩ – أكد المؤتمر أهمية الدور الذي يقوم به الإعلام الإسلامي في إطار دعم جميع القضايا الإسلامية العادلة، وحث في هذا الصدد، الأجهزة

والمؤسسات الإعلامية في الدول الأعضاء على اتخاذ التدابير الملائمة للدفاع عن هذه القضايا والبحث عن حلول لمختلف القضايا والمشكلات التي تعني الأمة الإسلامية، وذلك في إطار المبادىء والتوجهات العامة التي تتجلى في إعلان دكار والقرارات الصادرة عن مؤتمر القمة الإسلامي السادس.

٢٠ - صادق المؤتر على الخطة الإعلامية للبلدان الإسلامية، والتقييم المالي لها، وأوصى باعتمادها من قبل اللجنة الدائمة للإعلام والشئون الثقافية، وحث الدول الأعضاء على تقديم التبرعات الطوعية من أجل دعم تنفيذ البنود المختلفة لتلك الخطة، وقرر كذلك أن يتم تمويل الفلم الذي تقوم منظمة الإذاعات الدول الإسلامية بإنتاجه عن القدس الشريف، في إطار الخطة الإعلامية وأن تكون له الأولوية.

٢١ - صادق المؤتمر على مشروع ميثاق الشرف للإعلامي الإسلامي ليكون وثيقة يستهدي بها الإعلام الإسلامي في مسيرته وأوصى بعرضه على الدورة القادمة للجنة الدائمة للإعلام والشئون الثقافية لاعتماده وطلب من الأمين العام تعميم ميثاق الشرف على الدول الأعضاء أجهزة الإعلام الإسلامي للاسترشاد به في العمل الإعلامي الإسلامي.

٢٢ - صادق المؤتمر على مشروع النظام الأساسي للبرنامج الإسلامي لتنمية الإعلام والاتصال، وأوصى بعرضه على رئيس اللجنة الدائمة للإعلام والشئون الثقافية لاعتماده، كما ناشد اليونسكو تقديم الدعم والمساعدة للبرنامج الإسلامي لتنمية الإعلام والاتصال.

٢٣ - صادق المؤتمر على تقرير وتوصيات فريق الخبراء المكلف بدراسة تعريفات الاتصال لوسائل الإعلام وطلب إلى الأمين العام اتخاذ التدابير الملائمة لتنفيذها.

٢٤ - صادق المؤتمر على تقرير وتوصيات لجنة الخبراء المكلفة بدراسة توزيع الترددات الكهرومغناطيسية، وطلب إلى الأمين العام اتخاذ التدابير الملائمة فيما يتعلق بالتوصيات الواردة في تقرير الخبراء.

٢٥ – درس المؤتمر قرارات وتوصيات الاجتماعين اللذين عقدتهما لجنة المتابعة الوزارية المنبثقة عن المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الإعلام.

وطلب من الأمين العام في إطار المشاورات التى طلبت القمة الإسلامية السادسة إجراءها باعتبارها جزءاً من العمل لتنفيذ أحكام القرار ١٨/٦ أ.ف.، وأحكام القرارات الصادرة عن المؤتمرين الإسلاميين التاسع عشر والعشرين لوزراء الخارجية، أن يعيد طرح مسألة إمكانية الإبقاء على كل من وكالة الأنباء الإسلامية الدولية ومنظمة إذاعات الدول الإسلامية كمؤسستين مستقلتين متخصصتين للإعلام الإسلامي، وذلك في تقرير الأمانة العامة الذي سيعرض على المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية وعلى أن تتقدم الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي بنفس الطلب مجدداً إلى القمة الإسلامية المقبلة، لإبراز وجهة النظر الإعلامية الإسلامية.

٢٦ – أعرب المؤتمر عن ارتياحه للجهود التي بذلت خلال السنوات الثلاث الماضية لتحسين الوضع المالي والإداري والتقني لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية، وحث الدول الأعضاء على تسديد مساهماتها في ميزانية الوكالة، وأن تحدد مواعيد لسداد المبالغ المتأخرة كما حث المؤتمر وكالات الأنباء والأجهزة المختصة في البلدان الإسلامية على تزويد وكالة الأنباء الإسلامية بالأخبار والتقارير والمعلومات المتعلقة بالقضايا الإسلامية والمشاريع الإنمائية.

٢٧ – أعرب المؤتمر عن تقديره للجهود التي بذلتها منظمة إذاعات الدول الإسلامية، وخطة العمل التي وضعتها، وأنشطتها في إطار برنامجها لعام ١٩٩٢. وحث المؤتمر الدول الأعضاء على دعم المشاريع والبرامج المقترحة في إطار عمل تلك المنظمة، وأن تنظر في إمكانية المشاركة فى تنفيذ بعضها، وطلب من منظمة إذاعات الدول الإسلامية أن توجه اهتماماً خاصاً لتحقيق وعي أفضل بأوضاع وشئون وشعوب الجمهورية الإسلامية التي استقلت مؤخراً، وكذلك بشئون شعوبها.

٢٨ – أحاط المؤتمر علماً، مع الارتياح، بورقة العمل التي قدمها وفد جمهورية

مصر العربية، بناء على تكليف من المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الإعلام وباقتراح المقدم من وفد الجمهورية الإسلامية الإيرانية بشأن إنشاء اتحاد إسلامي للصحفيين، وأكد المؤتمر أهمية إنشاء هذا الاتحاد، وطلب من الأمين العام أن يعمم مشروع النظام الأساسي للاتحاد على الدول الأعضاء، ومن خلال حكوماتها، على اتحادات ونقابات الصحفيين في العالم الإسلامي، بغية إبداء الرأى فيه قبل تقديمه إلى لجنة الخبراء لبحثه وتقديم توصياتها بشأنه.

٢٩ - أكد المؤتمر ضرورة تعزيز التعاون في ميدان الاتصالات الفضائية والأقمار الصناعية، واستخدام المرافق الإقليمية والدولية المتاحة في خدمة الإعلام الإسلامي من أجل توثيق الروابط وتعميق التفاهم والتضامن فيما بين شعوب ودول العالم الإسلامي، وأعرب المؤتمر عن ارتياحه لما قدمته كل من ماليزيا ودولة الكويت، من اقتراحات مهمة من ورقتي العمل بشأن مشروعي "إسلامفيزيون" والأقمار الصناعية والإعلام الإسلامي" وطلب المؤتمر من الأمين العام عقد اجتماع للخبراء، لإجراء دراسة جدوى عن الجوانب الهندسية والبراميجية والمالية بمشاركة ممثلين لوزارات المواصلات السلكية واللاسلكية.

وتدعى إليه منظمة إذاعات الدول الإسلامية وعربسات واتحاد إذاعات الدول العربية والاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية.

٣٠ - كما قرر المؤتمر استمرار لجنة المتابعة الوزارية بنفس تشكيلها، وبرئاسة جمهورية مصر العربية، على النحو التالي:

- المملكة العربية السعودية.
- دولة الكويت.
- دولة فلسطين.
- ماليزيا.
- جمهورية السنغال.
- الجمهورية التونسية.

- الأمين العام.

وقرر المؤتمر بناء على دعوة كريمة من دولة الكويت عقد الاجتماع القادم للجنة المتابعة الوزارية في الكويت.

٣١ - قرر المؤتمر بناء على دعوة كريمة من الجمهورية العربية السورية عقد المؤتمر الإسلامي الثالث لوزراء الإعلام في سوريا في أبريل عام ١٩٩٤م.

٣٢ - وفي ختام أعمال المؤتمر، أعرب معالي السيد محمد صفوت الشريف، رئيس المؤتمر عن شكره للمشاركين فيه على إسهامهم البناء في مداولاته، وأعرب عن تقديره لروح التفاهم والتعاون التي سادت المناقشات وأتاحت التوصل إلى قرارات بالغة الأهمية لتعزيز العمل الإسلامي المشترك في مجال الإعلام.

٣٣ - وألقى عدد من رؤساء الوفود عن المجموعات الإقليمية الثلاث، كلمات أكدوا فيها امتنانهم لفخامة الرئيس محمد حسني مبارك ولجمهورية مصر العربية حكومة وشعباً على ما أعدته من ترتيبات ممتازة للمؤتمر، كما أعربوا عن تقديرهم البالغ لمعالي السيد محمد صفوت الشريف لما أبداه من اقتدار في إدارة مداولات المؤتمر وتوجيهه نحو النجاح.

٣٤ - وأعرب المؤتمر عن شكره وتقديره لمعالي الدكتور حامد الغابد، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي لما أسداه من خدمات جليلة دفاعاً عن القضايا الإسلامية كافة، وما يبذله من جهد طيب لتعزيز العمل الإسلامي المشترك، ولما قدمته الأمانة العامة من عون كبير خلال انعقاد المؤتمر.

الملحق رقم (٤)
النظام الأساسي
لمنظمة الإذاعات الإسلامية

النظام الأساسي
لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية

أولاً - التاسيس:

١ - تنشأ منظمة تدعى (منظمة إذاعات الدول الإسلامية) وتعتبر منظمة متخصصة متفرعة من المؤتمر الإسلامي.

٢ - تكون المنظمة ذات شخصية اعتبارية طبقا لمواد هذا النظام.

٣ - مدة المنظمة ليست محدودة بتاريخ أو وقت معين.

٤ - مقر المنظمة مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية.

ثانياً - أهداف منظمة إذاعات الدول الإسلامية:

١ - نشر الدعوة الإسلامية.

٢ - الاهتمام بالتراث الإسلامي.

٣ - التعريف بالقضايا الإسلامية والدفاع عنها.

٤ - تعريف الشعوب الإسلامية ببعضها وتعميق روح الإخاء الإسلامي فيما بينها.

٥ - دعم العلاقات بين أعضاء المنظمة لتوحيد جهودها في خدمة أهدافها المشتركة.

٦ - التعريف بالأسس السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية التي ترتكز عيها دعوة التضامن الإسلامي.

٧ - تبادل البرامج الإذاعية والأخبار والمعلومات الفنية وكذلك تدريب الموظفين في المجالات الإذاعية للمنظمة.

٨ - التنسيق في مجال الإرسال الإذاعي وتخطيط البرامج فيما بين أعضاء المنظمة.

٩ - تنظيم التعاون مع المنظمات الدولية للإذاعات بحيث تضمن المنظمة دفاعا

موحداً عن متطلباتها في الجداول اللاسلكية للموجات وفي غيرها من المسائل التي تهمها.

١٠ – حل كافة المشاكل الإذاعية التي تحدث بين الأعضاء بروح الأخوة الإسلامية وضمن إطار المجلس التنفيذي أو الجمعية العامة للمنظمة.

١١ – تنمية التعاون بين المؤسسات الفنية للدول الأعضاء وتطويرها وصولا بها إلى مستوى العلاقات الأخوية بين الأقطار الشقيقة.

ثالثاً – الوسائل:

تحقيقا لأهداف منظمة إذاعات الدول الإسلامية تقوم المنظمة بوضع واتخاذ كافة الترتيبات اللازمة وعلى وجه الخصوص:

١ – إنشاء الأجهزة الدائمة للقيام بالأعمال الإدارية والفنية والمالية.

٢ – إنشاء اللجان الدائمة والمؤقتة ومجموعات العمل الدائمة والمؤقتة للبحث والدراسة والمتابعة لكل ما يجدُّ من أعمال خاصة بالمنظمة.

٣ – إقتناء العقارات والأجهزة اللازمة مع احتمال إمكانية التوسع والتطور.

٤ – جمع الوثائق والبيانات والإحصاءات والمعلومات والبحوث والدراسات وإصدار النشرات والمطبوعات الدورية والمؤقتة التي تتعلق بنشاط المنظمة وباللغات الرسمية للمنظمة.

رابعا – العضوية :

ينقسم الأعضاء في منظمة إذاعات الدول الإسلامية إلى:

(١) أعضاء عاملين.

(٢) أعضاء منتسبين.

(١) الأعضاء العاملون :

الأعضاء العاملون في المنظمة هم إذاعات الدول الإسلامية التي تكون دولهم أعضاء عاملة في المؤتمر الإسلامي.

إذا وجدت أكثر من هيئة إذاعية في دولة إسلامية عضوا في المؤتمر

الإسلامي فإن الإذاعة التى تعتمدها حكومتها تعتبر عضوا عاملا في المنظمة أما باقي الإذاعات فيمكن قبولها كأعضاء منتسبين.

(٢) الأعضاء المنتسبون:

الأعضاء المنسبون هم:

أ - إذاعات الدول الإسلامية من غير أعضاء المؤتمر الإسلامي والتي توافق الجمعية العامة للمنظمة على طلب انتسابها بالأغلبية البسيطة.

ب - إذاعات الدول الإسلامية في المؤتمر الإسلامي التي لم يتم اعتمادها من قبل حكوماتها عضوا عاملا إذا وافقت الجمعية العامة للمنظمة على طلب انتسابها بالأكثرية المطلقة للدول الأعضاء.

خامساً - هيئات المنظمة :

أ - الجمعية العامة.

ب - المجلس التنفيذي.

جـ - الأمانة العامة.

الجمعية العامة:

١ - تشكيلها واختصاصها:

١٠١: تتألف الجمعية العامة من جميع الأعضاء العاملين المعتمدين من الدول الأعضاء في المؤتمر الإسلامي.

١٠٢: الجمعية العامة تعني الهيئة العليا لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية ولها كل السلطات الكفيلة بتحقيق أهدافها ويحكمها النظام الأساسي لها واللوائح الصادرة عنها وما يتخذه مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية من قرارات بشأنها.

١٠٣: تضع الجمعية العامة نظاما داخليا لها تسير بموجبه.

١٠٤: يعتبر النظام المالي والإداري للأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي أساسا لأي لوائح إدارية أو تنظيمية أو مالية لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية

وتصدر هذه اللوائح عن الجمعية العامة للمنظمة بالأغلبية البسيطة.

٢ - رئيس الجمعية ونائبه :

٢٠١: تختار الجمعية العامة للمنظمة في كل دورة رئيساً لها ونائبين للرئيس.

٣ - اجتماعات الجمعية العامة:

٣٠١: يتم انعقاد دور عادي للجمعية العامة للمنظمة مرة واحد في كل سنة على أن يسبق موعد اجتماع مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي ومن الأفضل أن يكون الاجتماع قبل شهر واحد على الأقل.

٣٠٢: تنعقد الجلسات العادية للجمعية العامة للمنظمة في الدولة التي يتفق بالاكثرية البسيطة عليها إثر طلب الدولة الداعية.

٣٠٣: يدعو رئيس المجلس التنفيذي الجمعية العامة للاجتماع في الدور العادي وفقا لما يتقرر في الدورة العادية السابقة وعليه أن يرسل جدول الأعمال إلى الأعضاء قبل موعد الإجتماع بشهرين على الأقل.

٣٠٤: يقوم رئيس المجلس التنفيذي بالتعاون مع الأمين العام للمنظمة بإعداد الدورة.

٣٠٥: تدرج الاقتراحات المقدمة من أعضاء المنظمة قبل شهرين على الأقل ويجوز إضافة اية اقتراحات جديدة إذا اتفق عليها بالأكثرية البسيطة تعقده الجمعية العامة لإقرار جدول أعمالها.

٣٠٦: يحق لرئيس المجلس التنفيذي للجمعية المنظمة الدعوة إلى دورة استثنائية بخطية من نصف الأعضاء العاملين ويتم إبلاغ الدعوة برقيا للاعضاء قبل شهر على الأقل من موعد الاجتماع مع بيان جدول الأعمال ومكان الاجتماع.

٣٠٧: تعتبر اجتماعات الجمعية قانونية إذا حضرتها الأغلبية البسيطة.

٣٠٨: تتخذ القرارات بالأغلبية البسيطة للحاضرين.

٣٠٩: يقوم الرئيس بإدارة الجلسات ويحافظ على النظام أثناء المناقشات.

٣١٠: تكون اجتماعات الجمعية العامة للمنظمة مغلقة ما لم تتخذ الجمعية العامة قرارا بخلاف ذلك.

٣١١: لكل عضو عامل في الجمعية صوت واحد.

٣١٢: يتم التصويت برفع الأيدي أو المناداة بالاسم أو الاقتراع السري.

٤ - الأعمال التي تقوم بها الجمعية العامة في انعقادها الدوري

تقوم الجمعية العامة للمنظمة خلال إنعقاد جلساتها في الدورة العادية السنوية.

٤٠١: إقرار برنامج العمل للدورة الحالية.

٤٠٢: الموافقة على محاضر جلسات الدورة العادية السابقة للجمعية العامة أو أية جلسات عقدت بين الدورتين.

٤٠٣: مناقشة تقرير المجلس التنفيذي عن نشاطات المنظمة في الفترة ما بين الدول وما تم تنفيذه من قرارات الدورة العادية السابقة أو الاستثنائية للجمعية العامة.

٤٠٤: دراسة التقرير المالي للسنة الفائتة والمصادقة على الحسابات الختامية.

٤٠٥: دراسة إقرار ميزانية العام التالي.

٤٠٦: تحديد الالتزامات المالية لكل عضو في ميزانية العام التالي.

٤٠٧: تعيين مراجع حسابات قانوني للسنة المالية بناء على ترشيح رئيس المجلس.

٤٠٨: مناقشة المواضيع المدرجة في جدول الأعمال.

٤٠٩: تجديد تاريخ ومكان الانعقاد للدورة العادية التالية للجمعية العامة للمنظمة على مكان بديل تحسبا للطوارىء.

٥ - اللجان:

٥٠١: تنبثق عن الجمعية العامة لجنتان دائمتان.

أ - لجنة البرامج الدائمة وتتكون من خبراء البرامج في جميع الدول الأعضاء

على ألا يقل مستوى الحضور عن مراقبي البرامج ويمكن لهذه اللجنة أن تستعين بمن تشاء من العلماء ورجال الفكر الإسلامي لتعينها في مهمتها.

ب - اللجنة الهندسية الدائمة وتتكون من المهندسين الذين يمثلون جميع الدول الأعضاء. على أن يكون اختيار رئيس لكل من اللجنتين من مسئولية الجمعية العامة. ومدة الرئاسة ثلاث سنوات (ولا يشترط النصاب لصحة انعقاد اللجنة).

وتعمل هاتان اللجنتان على تحقيق أهداف المنظمة المشار إليها في هذا النظام، كما تدرس المواضيع التي تقرر الجمعية العامة تكليفها بها كل في مجال اختصاصه ومن خلال تحديد الجمعية العامة لهذا الاختصاص وتشمل البرامج فيما تشمل الأخبار والرياضة.

٥٠٢: يحق للجمعية العامة أن تشكل لجاناً أخرى حسب مقتضيات المصلحة كما يحق لكل اللجان أن تنشيء بصفة دائمة أو مؤقتة مجموعات عمل تابعة لها لدراسة جوانب محددة ترجع إلى اختصاصه.

٥٠٣: ترفع اللجان اقتراحاتها ونتائج أبحاثها ودراستها مع توصياتها إلى الجمعية العامة خلال المدة المحدودة لها في قرار التكليف.

ب - المجلس التنفيذي:

(١) يتألف المجلس التنفيذي من تسعة أعضاء يختار ثمانية منهم من قبل الجمعية العامة ويعتبر الأمين العام للمؤتمر الإسلامي بحكم منصبه أو من يمثله عضوا دائماً في المجلس التنفيذي، ويكون أمين عام المنظمة سكرتيرا للمجلس.

(٢) ينتخب المجلس التنفيذي رئيساً له من بين أعضائه بالأكثرية.

(٣) يعمل أعضاء المجلس التنفيذي المختارون لمدة ثلاثة أعوام ويجوز للجمعية العامة إعادة اختيار أي عضو منهم لنفس المدة لمرة واحدة، أما الأعضاء الجدد فيتم اختيارهم حسب تسلسل الحروف الأبجدية للدول الأعضاء مع

مراعاة التوزيع الجغرافي للدول الأعضاء.

(٤) تتخذ قرارات المجلس التنفيذي بأغلبية بسيطة.

(٥) يجتمع المجلس التنفيذي مرتين على الأقل في السنة بدعوة من رئيسه.

(٦) يتولى المجلس التنفيذي كافة الصلاحيات التي تخص الجمعية العامة فيما بين دورتي الانعقاد العاديتين واتخاذ القرارات اللازمة عدا الأعمال والاختصاصات التي تحتفظ بها الجمعية العامة لنفسها ويتم عرض ما يتخذه المجلس التنفيذي من قرارات بموجب ذلك على الجمعية العامة في أول دورة عادية.

(٧) يحق للمجلس التنفيذي حينما تقتضي الضرورة استشارة أعضاء الجمعية العامة لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية في أمور خارجة عن حياته، وعند ورود أجوبة الأعضاء الخطية وحصوله على موافقة الأغلبية البسيطة يقرر اللازم وفق راي الأغلبية ويعتبر قراره نافذ المفعول.

(٨) يقوم المجلس التنفيذي بمتابعة وتنفيذ قرارات الجمعية العامة للمنظمة وكذلك متابعة أعمال اللجان.

(٩) يقدم رئيس المجلس التنفيذي تقريرا مفصلا للجمعية العامة أول كل دورة عادية عما تم إنجازه في الفترة السابقة كما يقوم بإعداد تقرير ختامي لكل دورة ويرسله لجميع أعضاء المنظمة.

(١٠) يقوم المجلس التنفيذي بإعداد برنامج لنشاط المنظمة ومشروع الميزانية للعام التالي ومراجعة الحسابات الختامية للعام الماضي.

(١١) يقوم المجلس التنفيذي بدراسة تقارير اللجان المختصة في المنظمة واتخاذ اللازم بشأنها.

(١٢) يعرض المجلس التنفيذي على الجمعية العامة طلبات القبول الجديدة المقدمة من الإذاعات الإسلامية.

(١٣) يقترح المجلس التنفيذي على الجمعية العامة تعيين أمين عام للمنظمة وكذلك إنهاء خدماته ويصدر القرار اللازم من الجمعية العامة بالأغلبية

البسيطة.

(١٤) يقرر المجلس التنفيذي بالأكثرية البسيطة تعيين مدير للشئون الهندسية ومدير للشئون المالية والإدارية ومدير للشئون البرامجية وتبادلها أو أي مدير آخر يراه المجلس التنفيذي ضروريا. ويضع المجلس التنفيذي اللوائح الداخلية المتعلقة باختصاصات الإدارات ومديريها.

(١٥) يحق للمجلس التنفيذي تفويض الأمين العام للمنظمة في متابعة مهام المجلس باعتباره متفرغا.

(١٦) يتولى المجلس التنفيذي صلاحية تقرير مهمة الادعاء والمحاماة والمصالحة أمام المحاكم المختصة أو الجهات الإدارية المعنية وهو الذي يقرر أية التزامات أدبية أو مالية تتعلق بالمنظمة إذا كانت تزيد عن الصلاحيات الممنوحة للأمين العام وفي الحدود التي تقررها الجمعية العامة للمجلس التنفيذي وللأمين العام.

(١٧) لا يتقاضى رئيس وأعضاء المجلس التنفيذي أي أجر لقاء عملهم.

ج - الأمانة العامة للمنظمة

(١) تشكل للمنظمة أمانة عامة وتتألف من الأجهزة التالية:

الشئون الهندسية - الشئون المالية والإدارية - الشئون البرامجية.

(٢) يكون مقر الأمانة العامة هو مقر المنظمة.

(٣) يرأس الأمانة العامة أمين عام يمارس الصلاحيات والاختصاصات التالية:

٣.١: تنفيذ كافة الأعمال المتعلقة بالأمانة العامة والجمعية العامة للمنظمة والمجلس التنفيذي وتقديم المساعدة اللازمة للجان.

٣.٢: تحضير مشروع الميزانية للعام التالي وتقديم الحسابات الختامية للسنة المالية السابقة.

٣.٣: تنفيذ قرارات الجمعية العامة والمجلس التنفيذي.

٣.٤: جمع المعلومات والبيانات المطلوبة وإصدار المطبوعات اللازمة.

٣٠٥: إدارة ومراقبة أموال وممتلكات المنظمة وفق اللوائح التي تصدر بذلك.

٣٠٦: تعيين وفصل موظفي الأمانة العامة للمنظمة وفق اللوائح الإدارية.

٣٠٧: التنسيق بين الشئون الهندسية والشئون المالية والشئون الإدارية.

٣٠٨: الإشراف على مجلس المنظمة.

سادساً: موارد المنظمة وميزانيتها:

(١) تتألف موارد المنظمة وميزانيتها من:

٦٠١: اشتراكات الأعضاء العاملين.

٦٠٢: المساعدات والهبات.

٦٠٣: مبلغ يرصد في ميزانية الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامى فى كل عام.

٦٠٤: يدفع كل عضو في المنظمة اشتراكا سنويا تحدده الجمعية العامة في أول دورة انعقاد عادية.

٦٠٥: توزيع الميزانية على جميع الدول الأعضاء بنسبة مساهمة كل عضو بميزانية الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي.

سابعاً - مدة العضوية وإسقاطها:

(١) العضوية من حيث المبدأ دائمة وتسقط إذا قرر مؤتمر الإسلامي إسقاطها.

(٢) العضو المنسحب من المنظمة بموجب كتاب خطي يقدم إلى المجلس التنفيذي لا يعتبر انسحابه نافذا ما لم توافق الجمعية العامة للمنظمة عليه بالأغلبية البسيطة ومن ثم المؤتمر الإسلامي على أن تبقى الالتزامات المالية عليه سارية المفعول إلى نهاية السنة المالية.

ثامناً - تعديل النظام الأساسي وحل المنظمة :

(١) لا يتم تعديل النظام الأساسي للمنظمة إلا بطلب من المجلس التنفيذي أو أكثر من سبعة أعضاء وبموافقة ثلثي أعضاء الجمعية العامة.

(٢) لا تحل هذه المنظمة بعد تأسيسها إلا بقرار من مؤتمر وزراء الخارجية

للدول الإسلامية وإثر ذلك تؤول كافة ممتلكاتها وصافي أموالها للأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي، فيما عدا ما هو تحت تصرفها وليس ملكا لها.

تاسعاً – احكام عامة :

(١) يتمتع أعضاء المنظمة بكافة المزايا والحصانات التي يتمتع بها أعضاء الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي.

(٢) اللغات الرسمية للمنظمة هي – العربية – الإنجليزية – الفرنسية.

(٣) يعمل بهذه الاتفاقية فور مصادقة وزراء خارجية الدول الإسلامية عليها.

الملحق رقم (٥)

مشروع تنظيم

جهاز الإعلام الإسلامي

للأستاذ الدكتور: محمد عبد القادر حاتم

تنظيم جهاز الإعلام الإسلامي

يمكن تنظيم جهاز الإعلام الاسلامي على الأسس الآتية:

١ – انشاء جماعة في كل دولة من الدول الإسلامية وتقوم بهذا الفرض الكفائي الذي يكون واجباً على الخصوص وعلى العموم.

فعلى الخصوص يكون.

فرضاً عينياً بالنسبة لهذه الجماعة وعلى العموم يكون جميع المؤمنين عليهم أن يكونوا هذه الجماعة.

٢ – أن يكون هناك تربية دينية لكل المهن المختلفة كالطب والتجارة والتعليم ... الخ .. أي تخريج اطباء وتجار واقتصاديين في البنوك ومعلمين وأئمة المساجد .. الخ لديهم القدرة على القيام بالإعلام الاسلامي مع فهمهم التام لمهمتهم الأصلية وأصول الإسلام.

٣ – إنشاء اقسام في كل الجامعات الإسلامية للدعوة الإسلامية مع التربية الدينية وأصول الإعلام الإسلامي كما بينا في هذا واتباع أساليب القرآن الكريم في الإعلام.

٤ – إنشاء اقسام لتدريس اللغات الأجنبية والمصطلحات الدينية مع تعليم الإعلام في القرآن وأساليبه، وذلك في أقسام الدعوة الإسلامية في جهاز الإعلام الإسلامي.

٥ – تدريس العادات والتقاليد الاجتماعية للدول التي ترسل إليها الدعاة حتى يعرفوا كل أحوالهم الاجتماعية.

٦ – تشمل الدراسة علم النفس والإعلام والنظم السياسية ودروس الخطابة والحديث وعلم مقارنة الأديان مع دراسة التفسير والفقه.

٧ – أن يختاروا هؤلاء الدعاة من خيرة المتقدمين خلقا وسيرة ... فهم أنفسهم قدوة ليحتذى بهم السامعون لهم ... المراقبون لعملهم.

٨ – أن تمنح شهادات لهم بعد امتحانات خاصة تجيز لهم القيام بالدعوة والاطمئنان لمستواهم؛ فعملهم هو تبليغ رسالة سيد المرسلين والدعوة إلى

الحق والصراط المستقيم.

٩ - ان تدرس لهؤلاء .. كل ما يقوله أعداء الإسلام وكيفية الرد عليهم بالحجة والمنطق والمجادلة الحسنة والعشرة الطيبة والرفق والمودة.

١٠ - أن يكون في هذا الجهاز الإعلامي الإسلامي .. أقسام مختلفة وإشراف تام للتخطيط والمتابعة.

١١ - أن يقوم هذا الجهاز بدراسة وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة - وهي متعددة ومتطورة - في هذا الكتاب.

١٢ - ان تؤلف رسائل مبسطة كخطب الجمعة والمحاضرات بأساليب إعلامية حديثة تربط الدين بالدنيا، وبها نظريات العلاقات الإنسانية في الإعلام والتكافل الاجتماعي، والعبادات السهلة والادراك.

١٣ - يلزم البعد عن الخلافات التي أضاعت جهد ووقت المسلمين وفرقتهم شيعاً وأحزاباً وأبعدتهم عن الصراط المستقيم، وينبغي أن يكون الجهد كله للإعلام الإسلامي الذي هو بمرتبة الجهاد.

١٤ - يلزم معرفة الأساليب الإعلامية الحديثة التي تستخدم في أجهزة الإعلام الحديثة حتى تكون الموضوعات مشوقة بها ترغيب وتشويق، تجمع ولا تفرق، تقنع العقول وتربط المستمع بما يقوله الداعي.

١٥ - إنشاء مجلة إسلامية بطباعة حديثة بها مقالات شارحة الإسلام الحنيف ومبادئه القويمة والحقائق الإسلامية، وبها أبواب متخصصة.

١٦ - إنشاء خدمات اجتماعية واقتصادية إسلامية ثم مصحات علاجية ومراكز للتدريب ومدارس لتقوية التعليم وملاجىء للأيتام ومنازل لكبار السن والرعاية الاجتماعية وبنوك إسلامية ... الخ، ومساجد للعبادة والتعليم ومجمعات اسلامية حيوية وتعليمية وثقافية.

١٧ - أن يكون تنظيم لكل مناطق العالم في الشرق والغرب، ويكون هناك متخصصون لكل منطقة من المناطق وإذا كان للإسلام اعوان وأنصار وقلوب في كل جهات العالم وأن البيئات التى وجدوا فيها لم تكن حائلة

دون تطبيق تعاليمه وأن أجناسهم وألوانهم ولغاتهم لم تقف حائلا دون اعتناق هذا الدين الحنيف والتفاعل مع مبادئه، لذلك يمكن الاعتماد على هؤلاء لنشر الدعوة الإسلامية وفهمهم أصول الدين الإسلامي ليكونوا قدوة لغيرهم.

١٨ - كذلك يمكن معرفة المناطق في العالم التي بها تفرقة باللون أو تفرقة عنصرية أو عدم مساواة .. أن الدين الإسلامي يدعو إلى المساواة ولا فصل لا حمر على أسود أو أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح، والجميع بشر أمام الله يتمتعون حسب مبادىء الدين الإسلامي بالمساواة التامة في الحقوق والواجبات.

١٩ - كذلك هناك شعوب ترزح تحت الاستعمار وهذه الشعوب يلزم أن نوضح لها بأن الإسلام دين الحرية ولا استعباد ولا استغلال في الاسلام فقد خلق الله تعالى الإنسان ليكون حر الإرادة حر التفكير - لا سلطان لأحد عليه - ولا إكراه في الدين. والإسلام لا يعرف إلا المساواة والحرية والإخاء والعمل الصالح وعقيدة التوحيد والمعاملات والشريعة السمحة وسمو الأخلاق.

٢٠ - أن المرأة المسلمة الداعية لدين الله يمكن أن تتعلم أصول الاعلام الإسلامي، وتبين للشعوب المختلفة ونسائها بأن المرأة في الإسلام لها دور اجتماعي وإنساني هام وقامت بهذا الدور في مرحلة قيام الإسلام، وإنها بدورها الإنساني يمكنها أن تكون قدوة تحتذى للنساء في العالم من حسن خلقها وعملها الصالح الذي يتفق مع مبادىء الإسلام الحنيف ويلزم ان تبين أن الاسلام دين انساني عالمي وعقيدته شاملة عامة تجمع كل الأجناس تحت لوائها وأن تعاليمه تبث العزة والكرامة والإنسانية في الإنسان، وإنه دين تحَضّر وعلم، وانه دين يوفي جميع مطالب الإنسان الروحية والبدنية.

٢١ - أن هناك محطات إذاعية وتلفزيونية في العالم يمكن شراؤها ويمكن أن تدار من أجل الدعوة الإسلامية بطريقة إعلامية سليمة .. تبث اللغات

الأجنبية للمتكلمين بغير العربية وباللغة العربية للجاليات الإسلامية. فيا حبذا لو قام جهاز الإعلام الإسلامي بتنظيم تأجير أو شراء مثل هذه المحطات الإذاعية والتلفزيونية لشرح الدين الإسلامي الحنيف بأسلوب إعلامي سليم يتفق مع الإعلام القرآني الذي بيناه في هذا الكتاب.

٢٢ – أن دولاً إسلامية كثيرة لا تعرف اللغة العربية مثل الباكستان وبنجلاديش وغيرها وهؤلاء يطلبون آلافاً من المدرسين للغة العربية وواجب جهاز الإعلام الإسلامي أن يمد هذه الدول بأسرع ما يمكن بمدرسين للغة العربية والدارسين للإسلام وأسلوب الإعلام الإسلامي السليم، وخصوصاً وقد قررت دولتا الباكستان وبنجلاديش بأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية، بل اللغة الأولى، أليس من الواجب الإسلامي أن نمد هؤلاء بكل ما يحتاجونه من المدرسين؟.

٢٣ – أن الأفلام السينمائية بأجهزة الفيديو والتمثيليات التلفزيونية لها معول كبير في شرح الإعلام الإسلامي بما يمكن أن تقدمه من مسلسلات إسلامية تاريخية للشخصيات الإسلامية ودورها الإنساني والاجتماعي في الحرية والمساواة والعفو والتسامح والتعامل مع أسرى الحروب بالحسنى والمودة .. وما تتمتع به من علم وأخلاق لذلك يجب على هذا الجهاز الاعلامي الاسلامي أن ينشيء قسماً خاصاً بهذه الأفلام والمسلسلات التلفزيونية لتؤدي دورها كوسيلة من وسائل الإعلام الإسلامي الذي يتلاءم مع العصر الحديث.

٢٤ – إذا كان عالم الاتصال الجماهيري في المستقبل سيستخدم الأقمار الصناعية التي يمكنها بث برامجها ويستقبلها مباشرة أي جهاز تلفزيوني في أي منزل دون رقيب، فواجبنا إنشاء محطة تلفزيون متصلة بالأقمار الصناعية لتستفيد من هذا الاختراع الحديث، وتبث من هذه المحطات التلفزيونية الكثير من المسلسلات الإسلامية التي تبين عظمة الإسلام الحنيف.

٢٥ – أن يقوم جهاز الإعلام الإسلامي بالإعلام بطريقتين الأولى الإعلام العام

أي اتباع كل ما جاء في الاقتراحات السابقة لعامة الناس في كل بقاع العالم والثانية الإعلام على مراحل في كل دولة من الدول وهنا نتذكر المراحل التي اتبعت في صدر الإسلام ويمكن الأخذ بهذا الأسلوب بشرط الا يكون سرياً حتى لا تتكون عداوات رسمية ضد الإسلام.. بل يمكن اختصار هذه المراحل حسب ظروف كل دولة من الدول التي ستقوم بالدعوة بها، أي يمكن تكوين جماعات ثم يتسع نطاقها ويزداد أعدادها ... الخ.

٢٦ - الإعداد الحسن للداعي من ناحية حسن الخلق وأن يتخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة.

وليتذكر ما قاله النبي حينما صدع بالدعوة كما أمره ربه كثر نداؤه لقومه بأسلوب بارع في فرض الحجة واستمالة النفوس والتشويق لما يقول، وقد قال لهم في أحد هذه النداءات.

«ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذي لا إله إلا هو أني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة».

كذلك كان النبي يود من كل قلبه أن يسلم قومه وكان يأسف ويألم عندما يلقى منهم هذا العناد وذلك الصدود مع ما يلاقيه من ضروب الاستهزاء والإنكار والإيذاء (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً * وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً) "المزمل ١٠ - ١١".

(ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) "الحجر ٩٧ - ٩٨".

٢٧ - أن يراعي الدعاة ان ينشروا الدعوة الإسلامية بلا تفريق بين الأغنياء والفقراء .. ولا ننسى ما قاله الله تعالى .. في كتابه الكريم (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك الا يزكى * وأما من

جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا إنها تذكرة) "عبس: ١ - ١١".

ونتذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة حينما غفل الرسول صلى الله عليه وسلم، عن نداء فرد من عامة المسلمين الضعفاء مكفوف البصر جاء لا ليدخل في الدين فقد كان مسلماً ولكن يريد مسائل أخرى يمكن أن يجاب عليها في غير هذا الوقت الذى يرى النبي أن هناك أهم من ذلك وهو ادخال الكبار في الإسلام لتكثير سواد المسلمين بمن يسلمون معهم ولكن هذه الصورة توحي إلى من يراها أو على الأقل توحي للضعيف أن الرسول يميز بين الناس ويؤثر الأغنياء على الفقراء والأشراف على الضعفاء وربما يكون لهذه الصورة أثرها غير المحمود في نفوس بقية المسلمين الذين سبقوا إلى تصديقه ونصرته.

٢٨ - وقد يقابل الدعاة البعض من المتعصبين فلا يجوز الاهتمام بعنادهم وليمض الدعاة في دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى لأنهم على حق ويجب ألا يطيلوا معهم المجادلات فهي غير مفيدة لأن روح التعصب تسودها ونتذكر قول الله تعالى: (وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون * الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) "الحج: ٦٨، ٦٩".

٢٩ - يجب أن يأخذ الدعاة من أعمال النبي صلى الله عليه وسلم، مثلاً يحتذى بأن يخلصوا في الدعوة ولا يريدون شهرة ولا منفعة ذاتية ولا طمعاً في ملك أو مال.

ولذلك إذا استشعر المرسل إليهم من الدعاة ان لهم مأرباً شخصياً أو منفعة ذاتية أو مطمعاً في جاه أو مال .. فهنا تسقط أسس الدعوة كلها .. فغير المسلم ينظر إلى الدعاة المسلمين على أنهم يطبقون خلق القرآن الكريم.

٣٠ - أن يقوم جهاز الإعلام الإسلامي .. بجهد في فض المنازعات بين الدول الإسلامية وكذلك بإرسال الإرشادات الإسلامية إلى بعض الشعوب الإسلامية التي لا تتبع تعاليم الإسلام بأسلوب يدل على الأخوة الإسلامية بعيداً عن أسلوب التدخل في الشؤون الداخلية أو الاستيلاء أو السيطرة.. فإن ما نراه ويراه غير المسلمين من أحوال الدول

الإسلامية التي يحارب بعضها البعض وكل منها تدعي انها تطبق الشريعة الإسلامية بينما الذي تطبقه يخالف الشريعة الإسلامية .. كل ذلك يعطي صورة تستغل ضد الإسلام الحنيف.

فواجب جهاز الإعلام الإسلامي .. القيام بدور هام حتى لا يستغل ما يحدث بأنه من الإسلام، ويكون مثلاً سيئاً ودعاية ضد التعاليم الإسلامية الحنيفة والتي هي منها براء.

٣١ - ينبغى على أجهزة الإعلام الإسلامي أن تضع مناهج تعليمية دينية مبنية على فهم عقلية الطالب مراعية مقدرته في الاستيعاب هذه المناهج وعلى قدر سنه ومستواه التعليمي تتناول هذه المناهج الرسالة السماوية، عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

٣٢ - عقد ندوات دينية في المدارس والنوادي والمساجد تناقش شؤون الدين والدنيابرحابة صدر وبأسلوب علمي ومجادلة حسنة لا تعصب فيها ولا سيطرة ولا إكراه حرية تامة في المناقشة وربط مسائل الدنيا بمسائل الدين؛ فالإسلام دين ودنيا. بتلاءم مع كل عصر ومكان.

٣٣ - أن الندوات التي تعقد للشباب لها أهمية خاصة ويلزم عرض كل الشكوك الدينية وبخاصة ما يثور منها في عقل الشاب على الخصوص فيجب أن تحصر هذه الشكوك حصرا مستوعباً وتدرس مصادرها ومواضع الضعف الكمينة فيها والتي تخفى في العادة على عقول الناشئين لم تناقش مناقشة واضحة حية تظهر ضعفها وزيفها وتنجي الناشئين من شرها وضررها.

٣٤ - استخدام أسلوب الإعلاء العلمي الإسلامي .. فاختيار الأفلام العلمية التي يمكن عرضها فى التلفزيون، ستعطى للمشاهد ملكة التأمل والتفكير في قدرة الله سبحانه وتعالى، فالإسلام نشأ حليفاً للعلم ويقول سبحانه وتعالى:

(اقرأ بإسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) "سورة العلق : ١ - ٥".

وهذه الآيات الكريمة وما يشبهها من القرآن الكريم، لا تحتاج إلى تأمل بالغ، أو تفكير بجهد، من أجل فهم معانيها، وذلك أن المعنى في هذه الآيات الكريمة واضح كل الوضوح، فهي تبين أن الحكمة في إرساله صلى الله عليه وسلم تتمثل في أمرين:

١ - العلم.

٢ - التزكية.

والعلم إذن في الرسالة الإسلامية شطرها، بل هو شطرها الأساسي، أي الشطر الذي تقوم عليه التزكية، إذ لا يتأتى أن تقوم التزكية على الجهل.

نشأ الإسلام حليفاً للعلم.

ولعل مما يبين الأهمية الكبرى التي منحها الإسلام للعلم أن نرجع بنظرة سريعة إلى اللحظات الأولى التي أشرق فيها فجر الرسالة الإسلامية.

وحينما قرأ المرحوم الشيخ محمد عبده هذه الآيات عقب عليها قائلا: (لا يوجد بيان أبرع، ولا دليل أقطع، على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه، من افتتاح الله كتابه بابتدائه الوحي بهذه الايات الباهرات).

لقد افتتح الوحي في الدين الإسلامي بهذه الآيات المعجزة الخالدة، التي تذكر القراءة والكتابة والقلم، والتي ترددت فيها مادة العلم أكثر من مرة:

وبعد أن نزلت هذه الآيات الكريمة، نزل قوله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون) (سورة القلم: ١).

أما اسم الكتاب الموحى به، فإنه: القرآن، يقول الراغب الأصفهاني: (قال بعض العلماء: تسمية هذا الكاب قرآناً من بين كتب الله لا لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله: (وتفصيل كل شيء) وقوله: (تبياناً لكل شيء) أ - هـ.

منزلة العلم في الإسلام عن طريق القصص:

لقد نشأ القرآن حليفاً للعلم، وأشرق نوره مبشراً بالعلم، وأخذ القرآن

فيما بعد. بوالي الحث على العلم بشتى الأساليب.

الطريق المباشر لبيان مكانة العلم في الإسلام:

والآن نأتي إلى موقف القرآن من العلم عن طريق مباشر، أي من خلال الآيات التي تتحدث عن العلم حاثة عليه مشيدة به

يقول الله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) "فاطر: ٢٨".

وانه بمقدار تعمق الإنسان في الجانب العلمي في صدق واخلاص تكون خشيته لله تعالى ذلك أنه يرى من نواميس الكون ومن الاتقان في الصنع، ومن الحكمة في التدبير ما يجعله ساجداً لمبدعه ومنسقه.

والآيات والأحاديث التي وجهت الأمة الإسلامية إلى العلم كثيرة مستفيضة، وإذا كان العلماء يشهدون التوحيد مع الله ومع الملائكة، فإن منزلتهم بالمكان السامي، ودرجاتهم سامية، في الرفعة والعلو.

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) "المجادلة: ١١".

ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء، أمر الله سبحانه وتعالى رسوله – وهو قدوة المسلمين وأسوتهم – أن يقول:

(رب زدني علماً) "طه: ١١٤".

رب زدني علماً في كل يوم، بل قل كل لحظة، ذلك ما يجب أن يكون شعار المسلم، وإذا ما ازداد المسلم علماً: ازداد خشية تحقق فيه إسلام الوجه على صورة أكمل.

ومن الملاحظات التي يجب أن تكون دائماً في الذاكرة، أن الكلمة الأولى التي نزل بها الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلم – مبشرة بعهد من النور جديد، هي كلمة: اقرأ.

يقول فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود في باب العلم الذي يدعو إليه القرآن والحديث:

وقد يظن بعض الناس أن العلم الذي يدعو إليه القرآن إنما هو العلم

بالدين، أى العلم بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والعلم بالفروض الدينية من صلاة وصيام وزكاة وحج. والعلم بالقانون والأخلاق والتشريع الإلهي.

والواقع أن العلم بالدين: عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً مما يحث عليه الإسلام، بل هو في المرتبة الأولى، لأن الإيمان هو الأساس في كل دعوة دينية منذ أن كان الدين. ومعرفة الإنسان بالله وصلته بالله عن طريق رسله، هي أسمى معرفة بالنسبة للإنسان باعتباره فردا، وبالنسبة لأمن المجتمع، وطمأنينته على الدماء والأموال والأعراض.

بيد أنه إذا كانت المعرفة بالله عن طريق رسله لها الصدارة في الأجواء الدينية، فإن القرآن بين لنا أن الكون كله هو كتاب العلم بالله سبحانه وتعالى. إنه مجموعة من النواميس الإلهية التي يؤدي اكتشافها إلى زيادة المعرفة بالله وزيادة الخشية منه.

(١) العلم في الإسلام شطر الغاية التي من أجلها نزلت الرسالة وذلك أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم - ، كما حددها القرآن التعليم، والتزكية: (ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) "سورة البقرة: ١٢٩".

(٢) نشأ الإسلام حليفاً للعلم منذ أن ابتدأ الوحي بقوله تعالى: (اقرأ).

(٣) الاشادة بالعلم في القرآن والسنة لا يماثلها في سموها وجلالها، اشادة في الآداب العالية.

(٤) العلم الذي يدعو إليه القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، هو العلم بكل نافع فى مجال الكون وفي مجال ما وراء الكون، في مجال العقائد، وفي مجال الأخلاق، وفي مجال الطبيعة.

(٥) المنهج العلمي الأوروبي الحديث، منهج أخذته أوروبا عن الإسلام باعتراف الواضع الحقيقي للمنهج وهو "روجر بيكون".

(٦) لا تعارض بين الدين والعلم، لأن دائرة الدين: الإيمان، ودائرة العلم المادة، وأن الأمل لكبير في أن تستجيب الأمم الإسلامية لدعوة الله ورسوله، فتجعل من العلم أساساً لنهضتها وشعاراً لها في قيامها برسالتها.

٣٥ - ان اهتمام الدعاة وجهاز الإعلام الإسلامي بالخدمة الاجتماعية الإسلامية عمل هام. فالخدمة الاجتماعية جزء أساسي من الديانة الإسلامية ولكنها لا تتمتع في حياة المسلم المعاصر بالمكانة التي يجب أن تتمتع بها فمؤسسات الخدمة الاجتماعية الإسلامية قليلة إذا قيست بنظائرها لدى الأمم الأخرى.

والإسلام كان دائماً ضد الظلم الذي يعيش فيه الفقير واليتيم في المجتمع، ولذلك يلزم أن توزع على الأسر المعوزة والأطفال الغذاء والملابس والكتب واللعب وبعض الأموال مع الاهتمام بالعناية الطبية المجانية، ورعاية الأمومة والطفولة والشيخوخة والأيتام والتمريض في المستشفيات.

ويلزم أن نبين أن الزكاة ليست التكليف الإسلامي الوحيد فقد طالب الله عزوجل المسلمين بالصدقة أيضاً وحثهم على بذل المال في جميع طرق الخير. ويقول الغزالي: «فإن لم تملك شيئاً فليست الصدقة كلها في المال لكن كل كلمة طيبة وشفاعة ومعونة في حاجة وعيادة مريض وتشييع جنازة وفي الجملة أن تبذل شيئاً مما تقدر عليه من جاه ونفس وكلام لتطبيب قلب مسلم فيكتب جميع ذلك لك صدقة».

٣٦ - يلزم على جهاز الإعلام الإسلامي أن يقيم المساجد وتهيئتها تهيئة كاملة في البلاد الإسلامية أو في غيرها من الدول وقد أجاز بعض العلماء أن يبذل أقصى جهد في اظهار بنائها بالمظهر الرائع الذي يشعر النفوس بعظمة الإسلام واهتمام المسلمين بها، وكذلك أن تبقى المساجد نظيفة مضاءة في الليل بها أجهزة للتدفئة والتهوية ما أمكن وتكون مكاناً للعبادة والتعليم وأن تؤدي رسالة الإسلام من خدمات دينية ودنيوية التي يتطلبها العصر.

٣٧ - يلزم الا يدخل جهاز الإعلام الإسلامي في الخلافات التي أخرت الدعوة الإسلامية.

٣٨ - ينبغي على هذا الجهاز أن يسعى إلى الوحدة القوية بين المسلمين وإلى التقريب بين المذاهب المختلفة وإلى تطهير المجتمع من الأفكار الضالة

والفلسفات الملحدة لكي يقف المسلمون صفاً واحداً أمام التكتلات والمؤامرات المعادية للإسلام والدول الإسلامية سواء المؤامرات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية وغيرها.

٣٩ - ينبغي للجهاز الإعلامي الإسلامي تبني النهضة النسائية الحديثة التي تهدف إلى تحرير المرأة من القيود الثقيلة التي كبلتها قروناً طويلة لتسير مع الركب الناهض الثائر لبناء نفسه من جديد. والمرأة المسلمة إذا أعدت لتحمل رسالتها فيمكن أن تؤدي أجل الخدمات في بناء الأسرة المسلمة والمجتمع الإسلامي السليم.

٤٠ - أن الجهاز الإعلامي الإسلامي عليه دور هام في مقاومة الجرائم الاجتماعية وأن يقول رأي الدين في هذه السموم القاتلة مثل المخدرات وغيرها، ومثل اللامبالاة والكسل وعدم الإنتاج وكثرة الاستهلاك والسفه الذي نراه من البذخ الذي يفعله بعض أغنياء الإسلام في الدول الغربية مما أصبح عملاً مشينا سيئاً يؤذي الشعور الإنساني.

٤١ - على الجهاز فى التدبير إنشاء جمعيات تعاونية إسلامية هدفها المعاونة فى الحصول على الغذاء والكساء والمسكن والعلاج والتعليم بلا استغلال، فإن مثل هذه الجمعيات التعاونية الإسلامية التي يمكن أن تنشيء المصانع والمتاجر ستؤدي دورا إعلاميا وخدمة إسلامية ضرورية ويقول الله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعانوا على الإثم والعدوان) "المائدة: ٢".

فالذي ينقصنا هو التعاون .. ويلزم أن يتجسد في مشروعات إنتاجية أو خدمية إسلامية.

٤٢ - ينبغي على الجهاز الإعلامي الإسلامي أن يهتم بدور هام وهو محاربة الأمية في البلاد العربية، فانتشارها وصمة عار في جبين الأمة الإسلامية، والدول قادرة بالمال والاخصائيين أن يقضوا على هذه الوصمة التي هي سبب التخلف والفقر.

٤٣ - أن يقوم جهاز الإعلام الإسلامي بجمع التراث الإسلامي وتصنيفه وتحقيقه وجمعه في أجهزة كمبيوتر يمكن الاطلاع على كل هذا التراث مع ترجمة الصالح للترجمة بواسطة ديوان الترجمة الإسلامي وإن كتب النهضة الإسلامية وأئمة العلماء المسلمين وما قدموه من ذخائر علمية في شتى العلوم جعلت الغرب والشرق تقتني هذه الذخائر مما يجعلنا أن نكلف جهاز الإعلام الإسلامى بإنشاء قسم للتوثيق خاص بالتراث الإسلامي، وكذلك تبسيط بعض ما جاء في التراث بالنشر في نشرات. والأسرة والمجتمع والكيان الإسلامي وحديث الإيجابيات يحتاج إلى عناية وواقعية بلا مبالغة .. حتى تقنع وتحث المستمعين على المزيد وكذلك يجب أن يبتعد الإمام عن أسلوب النقد العنيف والعصبية وذكر النار دائماً وبئس المصير... ومن الصعب أن يجذب المستمعين لو كان عنيفاً في نقده.. هدّاماً في قوله.. مستغلاً الحرية ليقول ما يشاء.. ولكن إذا رجعنا إلى أسلوب الإعلام الإسلامي فإننا نجد قول الله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) "النحل: ١٢٥".

إن الإمام القادر على إيجاد الصلة بينه وبيه المصلين يجعل المسجد حبيباً إلى قلوبهم ويشجعهم على احضار ابنائهم معهم وتصبح صلاة الجمعة لقاء علمياً يتحقق فيه قوله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) "المجادلة: ١١".

٤٤ - ان ينشيء الجهاز الإسلامي الإعلامي مكتباً فنياً مكوناً من العالم الديني والسياسي القدير والاقتصادي الكفء والاجتماعي المتخصص والعالم المتخصص في الإعلام ويتألف هذا المكتب الشامل الجامع من كل هؤلاء ليضعوا نماذج لخطب الجمعة الأسبوعية تتناول أحداث الأسبوع والتعليق عليها والمشاركة الدينية في حلها ومقاومة العادات السيئة والجرائم الاجتماعية الأسبوعية ويا حبذا لو تكون أكثر من مكتب فني به مثل هذه المجموعة لتقوم بتأليف أكثر من خطبة حتى تتنوع

الخطب في كل حي وفي كل إقليم وفي كل محافظة وفي كل مدينة، وبذلك يكون هناك خطب معدة جيدة تكون تحت تصرف أئمة المساجد.

٤٥ - أن إخراج موسوعة معارف عامة إسلامية في أحجام مناسبة سواء المطولة منها أو الموجزة، أصبحت ضرورة إسلامية يجب على الجهاز الإعلامي الإسلامي القيام بها. وبالنسبة للموسوعات الموجزة يمكن مراعاة ناحية الحجم وبساطة الأسلوب وحسن الإخراج ودقة المعلومات ليجعل الشباب المسلم هذه الموسوعة الإسلامية صديقة له، ويا حبذا لو قمنا بترجمة هذه الموسوعات إلى اللغات الأجنبية.

٤٦ - يا حبذا لو أنشأ الجهاز الإعلامي الإسلامي نشرة مبسطة بها كل تعاليم الإسلام التى تحقق:

أ - إصلاح حال العباد فيما بينهم وبين ربهم.

ب - إصلاح حال العبد فيما بينه وبين نفسه.

جـ - إصلاح حال المجتمع الإسلامي وواجب الفرد نحو أسرته ومجتمعه وعلاقة المجتمع الإسلامي بالدول الأخرى.

ومرفق نموذج مختصر لهذا العمل ليكون قدوة لكل مسلم، وكذلك أن ترجمة هذا النموذج ستكون لها أهمية كبيرة ليعرف الأجنبي ما هي الأخلاق الإسلامية وأركان الإسلام..

٤٧ - لا دعوة بلا دعاة، لذلك فواجب جهاز الإعلام الإسلامي التعريف بالمنهج السليم للدعوة الإسلامية، لتوجيه الحياة الإنسانية في كل جوانبها إلى غايتها الكريمة التي يسعد بها الإنسان في اخراه ودنياه.

٤٨ - العمل على إعادة بناء الحضارة الإسلامية البناء المتكامل ليلبي دائماً حاجات البشرية وتحقيق مطالب الروح والجسم معاً على أسس إسلامية سليمة.

٤٩ - يعمل جهاز الإعلام الإسلامي على قيام تنسيق كامل بين «وزارات الدولة المسؤولة» أي وزارات الإعلام والتربية والتعليم والأوقاف والعدل

والشؤون الإسلامية وكذلك نقابات الصحافة والمؤسسات الإعلامية والثقافية في جميع البلاد الإسلامية وذلك من أجل تحقيق أهداف رسالة الإسلام الخالدة في داخل البلاد الإسلامية والعالم أجمع عن طريق الإعلام السليم الناجح لغرس الروح الإسلامية. وتعميق التدين العلمي في حياة الفرد والمجتمع والمجتمعات الدولية.

٥٠ - على جهاز الإعلام الإسلامي دراسة كل وسائل ومشاكل وصعوبات تنفيذ الدعوة وتصحيح مسارها مع العمل على حل المشاكل والصعوبات بالوسائل الممكنة.

٥١ - يقوم جهاز الإعلام الإسلامي بمتابعة يومية سريعة لكل ما ينشر أو يذاع في جميع وسائل الإعلام المختلفة، ويصحح كل ما يقال من معلومات غير سليمة عن الإسلام وكذلك الرد على كل الدعوات والاتجاهات المضادة للإسلام.

٥٢ - على جهاز الإعلام الإسلامي أن يكلف مجموعة من العلماء بدراسة كتابة التاريخ الإسلامي بما يبرز أمجاد الأمة الإسلامية، على أن تكون هذه الدراسة على مستويات الطالب الذي في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي وما بعد الجامعة.

٥٣ - تشجيع إقامة المسرح الإسلامي في كل المدارس والجامعات وتقديم التاريخ الإسلامي من خلال مسلسلات وروايات بها بعض أعمال وبطولات وأمجاد الشخصيات الإسلامية.

٥٤ - يشجع تعليم الفتاة .. التعليم الديني السليم فالمنزل هو المدرسة الأولى وربة البيت هي التي ستخرج المسلم المؤمن بدينه عقيدته وشريعه وأخلاقه، لذلك يجب الاهتمام بالتثقيف الديني للمرأة حتى تكون قادرة على القيام بوظيفتها وأداء رسالتها في الحياة.

٥٥ - العمل على إقامة المساجد المتعددة الأغراض، وقاعات حفظ القرآن وقاعة الندوات .. إلخ وذلك في المدارس والجامعات والمصانع والأحياء.

٥٦ - أن يعمل جهاز الإعلام الإسلامي على إرسال النشرات الإسلامية إلى السفارات الإسلامية ويلزم أن يكون أفراد السفارات قدوة إسلامية، فالعالم الأجنبي يرى الإسلام من خلال سلوك وأخلاق المسلمين ولاسيما أعضاء سفارات الدول الإسلامية.

٥٧ - أن يقوم جهاز الإعلام الإسلامى في بعث الدعاة للبلاد المحتاجة على أن يكون هناك تعاون بين الدول التي لديها قدرة مالية مع تلك التي لديها طاقات بشرية.

٥٨ - يلزم الإعداد السليم للدعاة .. فالداعي يعرف الرسالة .. يكون قدوة ونموذجاً حياً لتعليم الإسلام .. درس وسائل وأساليب الإعلام .. فيعرف دعوته تماماً ويعرف لمن يدعو وكيف يدعو والمجتمع الذي سيرسل له .. والمنهج المناسب للدعوة .. وأن يكون لديه قدر من الثقافة العامة والعلوم الحديثة وبخاصة العلوم الإنسانية.

ويفضل لمن يرسل إلى نقابة الأطباء أن يكون الداعي طبيباً درس الإعلام الإسلامي.

ولمن يرسل إلى نقابة المهندسين أن يكون مهندساً درس الإعلام الإسلامي.. وهكذا فإن لم يتوفر الداعي من المهنة المرسل إليهم .. فيرسل الداعي المثقف الملائم للجماعة التي سيتحدث إليها.

٥٩ - العمل على إنشاء كليات إعلام إسلامية يدرس فيها الإسلام وكذلك الإعلام الإسلامي والنظريات الإعلامية المختلفة والعلوم السياسية .. والمذاهب المعاصرة والدراسة المقارنة للأديان.

على أن يكون الاختيار للطلبة المتقدمين دقيقاً ولا يقبل بها إلاّ كلّ من يتوفر فيه الاستعداد المطلوب للداعية من حيث المواهب والأخلاق والصفات الخلقية.

٦٠ - تدريب المرأة الداعية للإسلام تدريباً متكاملاً .. فالمرأة يمكنها أن تؤدي دوراً هاماً في المجتمعات النسائية.

٦١ - وضع قواميس باللغات الأجنبية للمصطلحات الإسلامية حتى يمكن أن يعرفها الداعي ليستخدمها في أعمال الدعوة.

٦٢ - من واجب جهاز الإعلام الإسلامي أن يبحث عن البديل لبرامج التليفزيون والإذاعة الحالية فقد تعود المشاهد على هذه البرامج والأمر يحتاج إلى نموذج لبرنامج إسلامي به التسلية والترفيه البريء والثقافة الرفيعة المشوقة والمسلسلات والروايات المحببة التي يفضلها المشاهد عن البرامج الحالية.

فكثير من المشرفين على برامج التليفزيون والإذاعة في حيرة من عدم وجود البديل الذي يتفق مع الروح الدينية وخصوصاً .. فلا سيطرة على المستمع في الإذاعة فيمكنه أن يغير البرنامج في ثوان.

لذلك فإن الأمر يحتاج إلى دراسة عميقة لاقتراح البرامج المشوقة الإسلامية. إن هذه الدراسات ضرورية وهي التي تعطي الحلول الإيجابية لهذه المشكلة.

٦٣ - يلزم إيجاد وكالة أنباء إسلامية تعطي الأنباء الصحيحة عن الدول الإسلامية، وخصوصاً هناك نوع من التعتيم الإعلامي عن كل الدول الإسلامية وتقدمها.

٦٤ - يقوم الجهاز الإعلامى الإسلامي بإنشاء معارض للكتب الإسلامية باللغة العربية واللغات الأجنبية.

٦٥ - إن مجلة علمية إسلامية أصبح صدورها من الأمور الضرورية، بها كل الاكتشافات الحديثة، وشرح وتفسير لكثير من الآيات القرآنية الكريمة؛ فإن عدو المسلمين اللدود هو الجهل فإن المسلمين بحاجة إلى محو الأمية وإلى الثقافة وإلى الوعى وإلى نقل مراكز العلم إلى العالم الإسلامي.

٦٦ - إن إنشاء محطة تلفزيون إسلامية في الدول الكبرى تذيع باللغات الأجنبية وبها أصول التعاليم الإسلامية أمر حيوي.

وهناك الكثير من الدول يمكن شراء محطات إذاعية بها سواء المرئية أو السمعية والعالم الإسلامي لا ينقصه المال.

المجتمع الإسلامي وقضية البث المباشر
الإشكالات وأساليب المواجهة

نـــدوة

"التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل"

"الذي تقيمه جامعة الإمارات العربية المتحدة بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية خلال الفترة

من ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧

الدكتور/ نبيل السمالوطي

أستاذ ورئيس قسم الاجتماع - جامعة الأزهر

مقدمة :

واجه العالم تطوراً علمياً هائلاً منذ سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م يتمثل في توظيف الأقمار الصناعية في خدمة الإرسال التلفزيوني المباشر(١)، دونم حاجة إلى محطات أرضية. وأصبح الإرسال يصل إلى المنازل مباشرة دون إمكان تدخل الأجهزة الرقابية في الدول. وأصبح هذا التطور يمثل مشكلة تعاني منها الدول دون إمكان وقف البث أو السيطرة عليه. وقد استخدمت معظم هذه القنوات من جانب دول الغرب، سواء من خلال قنواتها المباشرة، أو من خلال إنتاجها الذي يمثل حوالي ٥٠٪ من الإنتاج التي تبثه قنوات العالم الأخرى، في خدمة تسويق قيمهم وأساليب الحياة وطرق التفكير والعلاقات السائدة في المجتمعات الغربية، هذا إلى جانب تسويق منتجاتهم الاقتصادية(٢) والسيطرة على عقول ابناء المجتمعات النامية وتحقيق ما يطلق عليه الاختراق الإعلامي للدول الذي هو مدخل لكل الاختراقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .... الخ.

ويشير استعراض التراث أو أدوات الإرسال التي تعدد الآراء والمنظورات والاستنتاجات والتحليلات ونستطيع إيجاز أهمها فيما يلي:

أولاً: يرتبط البث المباشر وتزايد القنوات الفضائية بالتقدم الضخم الذي تم إنجازه في مجال تقنية الاتصالات الفضائية، خاصة فيما يتصل بتنافي قوة الأقمار الصناعية وصغر حجم الهوائيات ورخص ثمنها(٣).

ثانياً: يصعب جدا - إن لم يكن مستحيلا - السيطرة على هذا البث من خلال التشويش أو الإلغاء، فضلا عن تكاليفه التي لا تستطيع الدول النامية تحملها.

ثالثاً: هناك من يرى أن الدول الغربية، وهي الأقوى علمياً وتقنياً وخبرة تكيف البث المباشر لتحقيق الهيمنة الاتصالية Media Imperialism وهي أحد ابعاد الهيمنة الثقافية، والتي هي بدورها احد مظاهر أو مداخل الهيمنة الشاملة على الدول النامية.

رابعاً: بذلت عدة محاولات خلال عقود الستينات والثمانينات الميلادية لإيجاد حلول جادة لمشكلات اختلال نظام الاتصال الدولي، ومنها لجنة «شون ماكبرايد»[٤]. وقد باءت هذه المحاولات بالفشل فبقي القوي قوياً والضعيف إزداد ضعفا.

خامساً: هناك مواثيق واتفاقيات ومبادىء دولية صادرة في إطار الأمم المتحدة واليونسكو واتحادات الإذاعات الإقليمية، تنظم استخدام الاتصالات الفضائية والتداول الحر للأخبار والمعلومات والبرامج لها قوة ملزمة لجميع الدول، وهي في بعض جوانبها في غير صالح الدول النامية.

سادساً: أسهم موقع الدول العربية الجغرافي، في استقبال المشاهدين العديد من قنوات البث المباشر من آسيا وأوروبا وأمريكا والدول العربية الأخرى دون حاجة إلى هوائيات إضافية.

سابعاً: يذهب البعض في التحليل إلى التفسير التآمري للبث المباشر أو على أنه محاولة تآمرية ضد الإسلام والمسلمين في حين يذهب آخرون إلى مخالفة هذا التفسير، والقول بأن هذا هو تفسير المسبوقين المغلوبين على أمرهم، فالبث نتيجة منطقية للتقدم العلمي والتقني. ولابد من مواجهة إشكالياته من خلال التخطيط العلمي[٥]، ويتمثل الأمر على الإسـلامي والمسلمين ليس في تطوير التـقنيـات ولكن في توظيف البرامج وما يتم بثه خلال القنوات.

ثامناً: ينظر بعض الدارسين إلى البث المباشر بشكل إيجابي على أنه يسهم في إثراء المعرفة ونشر الثقافات، وتعزيز التفاهم والتقارب والتفاعل بين الشعوب والثقافات، وتوسيع نطاق التعليم والوعي، واحترام حقوق الإنسان في نشر المعلومات والأخبار والحصول عليها[٦] في حين ينظر بعض الدارسين إلى هذا البث على أنه هيمنة ثقافية وتسلط على عقول العالم الثالث[٧]، أو على أنه «إيدز العصر»[٨]، أو أنه أخطر تحد للأمة المسلمة لا يقتصر على الاختراق السياسي، بل يمتد إلى اختراق عقول الأمة[٩]. فالغرب يحاولون تفريغ شباب المسلمين من إمكاناتهم وقدراتهم

وطاقاتهم من خلال المخدرات والجنس وإهدار القيم والسلوكيات من خلال البث المباشر. وبعض الباحثين الغربيين (ويستر) يرى أن البث المباشر يؤدي إلى إشكالية قيمية تتمثل في سيطرة الدول ذات الأنظمة الاتصالية القوية والمتمرسة على الدول الجديدة الغضة(١٠).

تاسعا: يذهب بعض الباحثين إلى أن قنوات البث المباشر الغربية والشرقية والتي تخضع لهيئات حكومية أو شبة حكومية تتميز بالأصالة والإبداع وبعيدة عن الإسفاف والتدني إلى حد كبير وتتمثل الخطورة والإسفاف في بعض القنوات التجارية التي تتجه للتركيز على العنف والإثارة الجنسية والإباحية مما يتصادم مع ثقافة الإسلام وثقافة العديد من دول العالم[١١].

عاشراً: إذا كان غالبية الدارسين الموضوعين يرفضون التفسير التآمري للبث المباشر، فإنهم يؤكدون توظيفه في الدول غير الإسلامية، خاصة الغرب بهدم القيم الإسلامية لدى المشاهدين المسلمين.

حادي عشر: على الرغم من اتجاه دول أوربا إلى التقارب السياسي والاقتصادي والإعلامي، إلا أن كل دولة تبذل جهوداً كبيرة للحفاظ على هويتها الثقافية المتميزة، وتحاول الوقوف في مواجهة الغزو الثقافي مع البث المباشر من دول أخرى في نفس القارة أو من خارجها هذا ما فعلته اليابان حفاظا على ثقافتها وفكر وسلوكيات ابنائها[١٢] وهذا ما فعلته فرنسا وكندا اللتان ضاقتا بالغزو الثقافي الأمريكي في وسائل الاتصال[١٣] وإذا كان هذا التخوف والإجراءات تتخذ من جانب دول ذات قوة اقتصادية وإعلامية، فالحاجة أشد من دولنا الإسلامية وخاصة وأن التأثير في هذه الحالة الأخيرة أحادي الاتجاه في غيبة التخطيط العلمي لتحديث الاتصالات الإسلامية.

ثاني عشر: تتمثل المشكلة في تعاظم تأثير التلفزيون في حياة البشر في كل مكان لدرجة أطلق عليها بعض الدراسين مصطلح «الإدمان التلفزيوني». ويقاس هذا الأثر بعدد ساعات المشاهدة اليومية بالنسبة للأطفال والشباب والنساء والرجال ... إلخ. ففي دراسة أجريت في الولايات المتحدة واليابان والنمسا وكندا، أكدت أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من ٩-١٠ سنوات، يشاهدون التلفزيون بمتوسط ٣ ساعات يومياً(١٤). ويشاهد الاكبر سنا، عدداً أكبر من الساعات يومياً. وكما يشير بعض الدارسين، يقضي الطفل، أمام التلفزيون وقتاً يماثل أو يزيد عن الوقت الذي يقضيه في الفصل الدراسي(١٥). وكشفت دراسة (ريبيل) و(مونتويا) سنة ١٩٨١م التي أجريت على الطلاب بين ١٢-١٦ سنة لمعرفة أثر التلفزيون عليهم مقارناً بتأثر المناهج الدراسية، عن أن هؤلاء الطلبة يقضون ٣,٦ ساعة يومياً في المتوسط أمام التلفزيون غير ساعات البرامج التعليمية وأنهم يفضلون محتويات التلفزيون التجاري على المناهج والبرامج التعليمية، وأنهم يحسون بالملل أمام البرامج التعليمية ولا يحدث ذلك بالنسبة للبرامج التجارية(١٦).

كل هذا يثير مجموعة من الأسئلة حول موقف البث المباشر من الإسلام والمسلمين، وأثره على المجتمع الإسلامي، ومدى صحة أو مبالغة الآراء المطروحة بصدد الهيمنة الاتصالية وفوائد ومضار البث، وحول أساليب التعامل العلمي مع هذا الوافد الإجباري على مجتمعاتنا.

أسئلة البحث:

يستهدف البحث الإجابة عن عدة أسئلة وهي:

أولاً: هل هناك هيمنة اتصالية من جانب بعض الدول على القنوات الفضائية، أم أن حركة انسياب الإنتاج الإعلامى تكشف عن التفاعل المتكافيء بين الدول في هذا الصدد؟ وما هي النظريات المطروحة في هذا الصدد؟

ثانياً: ما هو موقف الإنتاج الإعلامي الأكثر انتشاراً في العالم بشكل عام والعالم العربي بشكل خاص من الفكر الإسلامي ومن العرب والمسلمين؟

ونقصد بالإنتاج الإعلامي هنا الإنتاج الإعلامي المصنوع في دول غير إسلامية.

ثالثاً: هل هناك خطورة فعلية من البث المباشر عبر القنوات الفضائية وبخاصة المملوكة لدول وهيئات غير إسلامية؟ أو المنتجة في دول غير اسلامية، سواء تم بثها من خلال قنوات تلك الدول أو من خلال قنواتنا أو قنوات غيرنا من الدول وتمت مشاهدتها في العالم العربي والمسلم؟

رابعاً: هل يخلو البث المباشر من فوائد إلى جانب المضار التي أفاض فيها الباحثون؟ وما هي إن وجدت؟

خامساً: كيف يمكن التعامل العلمي مع ظاهرة البث المباشر من أجل استثمار فوائده وتخفيف أو تقليل مضاره؟

أهداف البحث:

يستهدف البحث تحقيق عدة أهداف نوجزها فيما يلي:

أولاً: الكشف عن اتجاهات انسياب الإنتاج الإعلامي أو الاتصالي، وهل يكشف عن هيمنة اتصالية أم لا؟

ثانياً: استجلاء موقف المواد الاتصالية الأكثر انتشاراً في العالم من الإسلام والمسلمين، أو التعرف على صورة العرب والمسلمين في الإعلام غير الإسلامي.

ثالثاً: التعرف على مدى خطورة المواد الاتصالية الأكثر انتشاراً في العالم على عقيدة وقيم وعقول المشاهدين المسلمين في عالمنا العربي، وبخاصة الأطفال والشباب.

رابعاً: محاولة التعرف على فوائد ومضار البث المباشر وآراء كل من المؤيدين والمعارضين.

خامساً: الخروج بخطة أو اقتراحات علمية واقعية للتعامل مع البث المباشر بفوائده ومضاره.

منهج البحث:

يعتمد البحث على الدراسات المكتبية التي تعتمد على استعراض الدراسات والأدبيات والآراء التي يطرحها خبراء وأكاديميون في مجال الاتصال وتحليلها والترجيح والوصول إلى استنتاجات بشأنها.

سبب اختيار الموضوع:

كثر الحديث حول خطورة البث المباشر على ثقافة الأمة الاسلامية وعلى تغير قيم الأطفال والشباب في اتجاه النمط الغربي، وهذا من شأنه إفساد قيم المسلمين وإفساد سلوكياتهم وتدمير عقول وطاقات الأمة، وهذا من شأنه الحفاظ على تبعية الأمة الإسلامية للغرب، والإبقاء على تخلفها أو تفاقمه.

ولهذا كثر الحديث عن الهيمنة أو الاستعمار الاتصالي، وعن اختراق عقول الأمة، وعن الغزو الثقافي ... وهذه أسوأ أشكال الغزو والاستعمار في العالم. وهذا الموضوع يستهدف البحث للكشف عن حقيقة البث المباشر وآلياته وأهدافه وآثاره. وللكشف عن أفضل الأساليب العلمية للتعامل معه.

ويهدف البحث أيضاً إلى استعراض ظاهرة البث المباشر من وجهة النظر الإسلامية للتعرف على فوائده ومضاره، وطرح حلول عملية لدعم الفوائد ومواجهة المضار.

أولاً: الإجابة عن السؤال الأول:

النظريات المفسِّرة المطروحة:

هل هناك هيمنة اتصالية تعكسها مواد القنوات الفضائية؟ بمعنى هل هناك دولاً محددة وعقائد بعينها تسيطر على المواد الاتصالة (معلومات – أخبار – برامج – تقنيات – إلخ). التي تبثها القنوات الفضائية الكبرى في العالم؟ وما هو اتجاه انسياب هذه البرامج؟ هل تسير في اتجاهين – من الدول المتقدمة علميا وتقنياً إلى الدول النامية؟ والعكس صحيح؟ أم أنها تسير في اتجاه واحد، من الدول المتقدمة إلى النامية فحسب؟ وما هي مظاهر هذه الهيمنة الاتصالية إن وجدت؟

يمكن تصنيف الاتجاهات المطروحة بصدد ظاهرة الهيمنة الاتصالية إلى اتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول: أنصار نظرية التبعية

الاتجاه الثاني: أنصار نظرية الانتشار.

ويرى أنصار الاتجاه الأول أن نظم الاتصالات هي أحد أبعاد النظام العالمي الذي يشمل الاقتصاد والسياسة والعقائد والثقافة. وهو يعكس ظاهرة المراكز والأطراف. فالقوى الدولية المتقدمة علمياً واقتصادياً وتقنياً هي المراكز التي تصدر الاتصال والبرامج والمعلومات والأخبار للدول النامية، وتوظف هذه الاتصالات - كماً وكيفاً - في خدمة مصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية، على حساب مصالح دول الأطراف.

فالدول الأقوى أو الغربية في نظر هذه النظرية تسعى لإيجاد أو تشكيل ثقافة عالمية متماثلة هي الثقافة التحررية الاستهلاكية، وتهيئة هذه الدول لتصبح سوقاً يسوق فيه:-

(أ) المنتجات الثقافية الغربية والقيم والعادات والسلوكيات.

(ب) الفكر الغربي - أساليب التفكير والتحليل.

(جـ) المنتجات الاقتصادية الغربية.

(د) الانتماء المستمر والارتباط بالفكر التحرري الغربي في مجال السياسة والاقتصاد والتعليم والحياة اليومية بشكل عام ويعد «فيجيز» و«شيلر» و«نورديسترينغ» و«فارس» و«أرجنيمندو» من أهم ممثلي هذا الاتجاه[١٧]. ويرى فيجيز «إن الهيمنة الاتصالية هي عملية تقوم من خلالها وسائل الاتصال الحديثة بالعمل على إيجاد وتوسيع نظم مهيمنة، وأخرى تابعة على الساحة الدولية، ومن ثم المحافظة عليها، وهذا النظام في نظره يحول دون تحقيق التوازن في التقدم الاقتصادي والاجتماعي بين الدول[١٨].

أما «شيلر» فإنه يرى أن الهيمنة الاتصالية هي جهود واعية ومنظمة تقوم

بها الاحتكارات الأمريكية في المجالين العسكري والاتصالي للمحافظة على تفوقها وبالتالي نفوذها في المجالات المختلفة الأخرى. وهو يرى أن هذه الجهود تنبثق عن وزارة الدفاع الأمريكية التي تسهم في وضع السياسة الأمريكية في مجال الاتصالات، وهذا هو الشكل المباشر للجهود. كذلك تنبثق عن الشركات الأمريكية الخاصة وهي من أكبر الشركات المرتبطة بعقود من الوزارة المذكورة. ويؤكد شيلر على أن هيمنة وسائل الاتصال الأمريكية مرتبطة بالسياسات الخارجية والدفاعية الأمريكية. وهذا يعني أن وسائل الاتصال الأمريكية ليست إلا أداة من أدوات الهيمنة الأمريكية - السياسة والاقتصادية والعسكرية على العالم من جهة[١٩]، والإبقاء على الأوضاع المتخلفة في الدول النامية كما هي، استمراراً للمصالح والمكاسب والهيمنة الأمريكية على العالم من جهة أخرى.

أما أنصار نظرية الانتشار فإنهم يفضلون مناقشة ظاهرة الهيمنة الاتصالية في ضوء العملية الوطنية لتنمية وسائل الاتصال، وبعيداً عن مفهوم الهيمنة الشاملة فهم يحاولون تحديد هذه الظاهرة على أنها تتمثل فى «تصدير البرامج التلفزيونية من الدول المتقدمة إلى النامية، وانتشار نماذج النظم الإذاعية (راديو وتلفزيون) للدول المتقدمة، وغلبة النموذج التجاري عليها. وهم يرون أن إقبال الناس والدول على منتجات الغرب في مجال الاتصال يرجع إلى طبيعة المنتجات الاتصالية (معلومات - أخبار - برامج - أفلام...) الغربية ذاتها، مثل الجاذبية والمتعة، وانخفاض السعر، وملاءمة الأذواق الشعبية والتقدم التقني[٢٠]. هذا يعني أن انتشار المواد الاتصالية لا يرجع إلى الرغبة الاستعمارية أو الهيمنة الاتصالية فحسب، ولكن إلى عوامل ترجع إلى ظروف الدول النامية نفسها، مثل نظمها السياسية والاجتماعية والثقافية ومستوياتها الاقتصادية ودرجة نموها ونوعية الأبنية التحتية التي تتمتع بها وعدم قيامها بإنتاج ما يكفيها من البرامج التلفزيونية، هذا بالطبع لا ينفي وجود ضغوط خارجية تتصل بمصالح الدول المتقدمة. ويؤكد انصار اتجاه الانتشار أن انصار نظرية التبعية يخطئون عندما يتجاهلون تماما هذه العوامل الداخلية

التي تؤثر في حركة انسياب المواد الاتصالية بين الدول المتقدمة والنامية[٢١].

ويمكن إبراز أهم جوانب الاختلاف بين أنصار نظرية التبعية، وأنصار نظرية الانتشار في فهم ظاهرة الهيمنة الاتصالية العالمية فيما يلي:

أولاً: منطلقات الدراسة: فأنصار الانتشار ينطلقون من عملية التنمية الوطنية لنظم الاتصال، ومن الدور الذي تؤديه القيم والمعايير الاجتماعية في تنمية هذه النظم، أما أنصار نظرية التبعية فينطلقون في تحليل ظاهرة الهيمنة الاتصالية من تحليل علاقات القوى الدولية وتصنيف الدول إلى تابعة أو هامشية، ودول مركز Center and Periphery .

ثانياً: النظر إلى حالة التبعية. فإنصار نظرية الانتشار ينظرون إليها على انها حالة مؤقته، يمكن زوالها من خلال استيعاب التقنيات والعلوم الغربية وتطويرها وتوظيفها في خدمة التنمية الوطنية أما انصار التبعية فينظرون إلى الهيمنة الاتصالية على أنها حالة دائمة ترتبط بسيادة الرأسمالية والنظم العالمية الحالية (التحررية).

ثانياً: النظرة إلى الدور الذي يؤديه النظام الاتصالي: فأنصار نظرية التبعية يرون أن هذا النظام يكرس قوة القوي وضعف الضعيف وإبقاء عدم التوازن على ما هو عليه. أما أنصار نظرية الانتشار، فينظرون إلى النظم الاتصالية على أنها وسائل تخدم عملية التنمية الوطنية وتنمى حوافز الإنجاز، والإنتاج وتسهم بالتالي في التنمية البشرية بشكل عام.

رابعاً: يسعى أنصار نظرية الانتشار إلى الحفاظ على الوضع العالمي على ما هو عليه، مع إجراء بعض التعديلات غير الجوهرية عليه قبل تشجيع الدول النامية على زيادة إنتاجها من البرامج الوطنية. فيذهبون إلى ضرورة تغيير النظام العالمي القائم على الرأسمالية وانعدام التوازن والهيمنة الغربية الشاملة على مقدرات العالم.

خامساً: يرى أنصار نظرية الانتشار أن التغيير يبدأ من الداخل وبجهود وطنية، وتتسع لتصبح جهوداً إقليمية. وتركز هذه الجهود على التنمية الوطنية

وإزالة الحاجة إلى منتجات دول الغرب. وهم يرون أن مطالبة العالم الغربي التخلي عن مصالحه وإلغاء النظم الرأسمالية، مطلب مستحيل وغير قابل للتحقيق. وهذا ما توصلت إليه لجنة «ماكبرايد» (رئيس اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال في العالم)(٢٢).

ويجد «الصرايرة» أربعة مظاهر رئيسة للهيمنة الاتصالية وهي:

أولا: التدفق الإخباري الدولي:

فهناك أربع وكالات أنباء عالمية هي المصدر الأساسي لتدفق المعلومات وهي (أسوشيتدبرس) (AP) و«يونايتدبرس» (UPI) ، و(رويتر) Reuters والفرنسية للأنباء (AFP) ويشير «أرجيمندو» Argamendo إلى أن الوكالات الغربية تسيطر على حوالي ٨٠٪ من الأخبار التي تذاع عبر وسائل الإعلام في العالم(٢٣) ويشير «العرموطي» إلى أن معظم محطات التلفزيون العربية يعتمد بشكل كامل على الوكالات الغربية في نقل الأخبار(٢٤).

ثانياً: البرامج والأفلام:

تشير الدراسات إلى غلبة البرامج والأفلام الغربية بشكل عام والأمريكية بشكل خاص على محطات تلفزيونات العالم. ويشير «العرموطى» إلى أن معظم الدول الأقل نموا تستورد أكثر من نصف البرامج التلفزيونية التي تعرضها، وأن الولايات المتحدة الأمريكية هي مصدر ثلاثة أرباع البرامج المستوردة. وهناك العديد من الإحصاءات المؤيدة في هذا الصدد(٢٥). وحتى في العالم العربي تعد الدول العربية من أكبر مستهلكي الرسائل الإعلامية الغربية. فقد أوضح «الكحلاوي» أن محطات التلفزيون العربية تستورد ما بين ٤٠٪ إلى ٦٠٪ من برامجها من مصادر متعددة أهمها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية وهذه البرامج في أغلبها برامج معلومات وتسلية وترفيه وتحتل ساعات كثيرة هي أغلب ساعات البث العربي(٢٦).

ويرجع «ريفاي» Rifai ظاهرة اعتماد محطات البث التلفزيوني العربي على منتجات مستوردة أنتجت أصلا لخدمة الأسواق الغربية التي تختلف

ثقافتها عن الثقافة العربية إلى عدة عوامل منها[٢٧]:

(أ) البرمجة وزيادة ساعات البث دون أن يساير هذا زيادة موازية في مجال صناعة البرامج التفزيونية المحلية، هذا إلى جانب تعدد القنوات التلفزيونية في الدول النامية.

(ب) قلة تكاليف البرامج المستوردة مقارنة بتكاليف الإنتاج المحلي للبرامج.

(جـ) شعبية البرامج الأجنبية لاحتوائها على عناصر الحركة والسرعة والدراما وارتقاء المستوى الفني والتقني.

(د) عالمية اللغة الإنجليزية يسهم في تسويق البرامج الأمريكية والبريطانية والأسترالية بعكس الحال بالنسبة للبرامج اليابانية والألمانية...

(هـ) العلاقات السياسية. وبعد، انهيار الاتحاد السوفيتي أصبح النظام العالمي أحادي القطب – فأغلب دول العالم النامي تشكل علاقات طيبة مع المغرب عامة ومع أمريكا خاصة.

ثالثاً: الإعلان الدولي:

يتسم عالم اليوم بتنامي الشركات العالمية العابرة للقارات المتعددة الجنسيات اسماً والمنتمية أساساً لدول الغرب، كما يتسم باتساع السوق العالمي في وجه المنتجات العالمية التي تسيطر عليها هذه الشركات. ويشير «فيجيز» إلى أن توسع إنتاج هذه الشركات، صاحبه توسع وتغير في نظم الاتصال العالمية أسهم وواكب توسع السوق الدولية، وصاحب تنامي شركات الإعلان الدولية ووكالاتها المتعددة. وتتضح أهمية الإعلان في النظام الاتصالي العالمي من حجم الانفاق عليه. ففي سنة ١٩٨١م أنفق على الإعلانات ٦٤ بليون دولار أمريكي، وأنفق أكثر من نصفه داخل الولايات المتحدة نفسها وقد ظهر في الستينات والسبعينات الميلادية الشركات الإعلانية متعددة الجنسيات اسما والتي تنتمي إلى دول الغرب أساسا، نتيجة لتنامي الأسواق العالمية للشركات الأمريكية والمتعددة الجنسيات التي تسيطر عليها الدول الغربية. وهذه الشركات أصبحت تنافس البضائع المحلية في الدول النامية وأصبحت

هذه الشركات الإعلانية تحقق مكاسب كبيرة من الإعلان في الدول النامية، ففي سنة ١٩٧٤ حققت أكبر شركات إعلانية عالمية وهي (يانج) و(ودايكام) و(ايريكسون) و(طمسون) ما يعادل ٢٦٨.٥ مليون دولار من دول نامية في إفريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية.

وتشير الدراسات إلى سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على قطاع الإعلانات في الدول النامية، فقد وجد أن ٨٠٪ من إعلانات الصحف في الفترة ما بين ١٩٧٠ - ١٩٧٦ كانت تأتي من شركات إعلانات أمريكية، و٨٤٪ من إعلانات الإذاعة في المكسيك سنة ١٩٧٦ تتعلق بمنتجات تخص الشركات متعددة الجنسيات. ونفس الأمر في إندونيسيا وتايلاند وغيرها من الدول. وتحتل الاعلانات حوالي ٤٧٪ من الصحف في أمريكا اللاتينية، وما بين ٣٠-٤٠٪ من زمن البث الإذاعي، و٣٠٪ من زمن البث التلفزيوني. وهذا الوضع يتكرر في أغلب الدول النامية[٢٨].

ولاشك أن الإعلانات في ثوبها المطور تشجع على استهلاك الصناعات الأجنبية، وبالتالي تتعارض مع مفاهيم التقشف وترشيد الاستهلاك والتوفير وتشجيع الإنتاج المحلي والأمر الذي يتعارض مع مصالح الدول النامية ويشير الباحثون إلى أن الإعلان الغربي يعمل على إيجاد ثقافة دولية تشجع استهلاك المنتجات الغربية بوصفها النموذج المرغوب. وبهذا تتم الهيمنة على الأذواق والسلوم الاستهلاكي للإنسان وهكذا أصبح كل ما هو غربي مرغوباً فيه، وكل ما عداه مرغوباً عنه. وهذا الأمر يؤدي إلى انحراف في السلوك الاستهلاكي كما أوضحت لجنة (ماكبرايد)، إلى جانب أنه يؤدي إلى مشكلات اقتصادية واجتماعية. وقد تهكمت إحدى الباحثات على هذا الأثر الخطير للإعلانات الغربية على الدول النامية بقولها: إن أهلنا ملزمون بغسل أسنانهم ثلاث مرات يومياً حتى وإن كانوا لا يملكون شيئاً ليأكلوه [٢٩]. ولعل الأخطر أن الإعلانات تسهم في ترويج قيم وعادات ومعايير وعادات حياة غربية تمهيد لقبول واستخدام المنتجات الغربية، الأمر الذي يمثل خطرا على الثقافات والقيم والسلوكيات المحلية أو الوطنية داخل الدول النامية.

رابعا: تقنيات الاتصال:

صاحب التقدم الهائل لتقنيات الاتصال، وعدم وجود معايير دولية تنظم امتلاك التقنية وتوزيعها، احتكاراً عالمياً في هذا المجال فقد سيطرت دول على عناصر التقنية بشقيها الأجهزة Hardware والبرامج Software وتكشف الإحصاءات أن ٩٦٪ من أجهزة التلفزيون، و٨٧٪ من أجهزة الراديو و٩٥٪ من مصادر الأخبار في العالم الثالث، مستوردة من دول تطبق نظم الاقتصاد الحر. ولا يتجاوز إسهام الدول النامية في إنتاج الحاسبات الالكترونية عن ٥٪ وأهم الدول التي تسيطر على تقنيات الاتصالات في العالم هي الولايات المتحدة الأمريكية، والمانيا الغربية، واليابان، وبريطانيا، وهولندا وفرنسا. ولا تقتصر العملية الاحتكارية على انتاج التقنيات فحسب، بل تمتد إلى احتكار العلماء والفنيين في هذا المجال. فاكثر من ٩٠٪ من العلماء والفنيين في مجال تطوير التقنية يعملون لصالح الدول الغنية، و٩٠٪ من أنشطة البحث العلمي في هذا المجال يوجد في هذه الدول. وهذا يعنى غياب مبادىء حرية التعبير، والسوق الحرة، والتدفق الحر للمعلومات، وهي المبادىء التي تتشدق بها دول الغرب(٣٠).

وتتضح سيطرة الغرب على الإعلام العالمي من الأرباح الهائلة التي تحققها الشركات المتعددة الجنسيات، وقد أسهمت دول العالم الثالث بنسبة ٦٠٪ منها. وبلغت استثمارات الشركات الأمريكية العاملة في دول العالم الثالث ما يعادل ٥ ,٢٢ بليون دولار سنة ١٩٨٧. وقد بلغ الدخل الإجمالي لشركة الاتصالات الأمريكية سنة ١٩٧٧م ٣٦ بليون دولار. وهذا الرقم يفوق الدخل الاجمالي لمائة وثماني عشرة دولة من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة(٣١).

ومع عدم الاتفاق مع منطلقات كلتا النظريتين (نظرية التبعية ونظرية الانتشار) ولا مع أهدافها لتصادم هذه المنطلقات والغايات مع حقائق الإسلام وأهدافه السامية إلا أن نتائج الدراسات الواقعية لكلتا النظريتين لها فوائدها ولها مضارها. ولا نستطيع الاتفاق مع نظرية الهيمنة الاتصالية لأن العديد من

الدول النامية والإسلامية تحاول تغطية أغلب برامجها التلفزيونية من خلال برامج محلية تعكس عقيدة وقيم وثقافة شعوبها، كما تحاول السيطرة على برامج القنوات الأجنبية عن طريق نظم وقرارات معينة، لكن المشكلة التي تحاول هذه الدول مواجهتها، تتمثل في كيفية تقديم بدائل محلية للقنوات الأجنبية تقنع المشاهد المحلي، وتحافظ على المضامين العقدية والثقافية لأبنائها، وبخاصة مع تزايد تقدم تقنية القنوات الفضائية وأجهزة الاتصال وتزايد صعوبة السيطرة عليها.

الاجابة عن السؤال الثاني:

بالنسبة للكشف عن موقف البث المباشر من المسلمين وأثره على المشاهدين من المسلمين، نود أن نشير إلى خمس حقائق يكشف عنها استعراض البحوث والدراسات التي تمت في هذا المجال.

الأولى: أن البث المباشر حدث نتيجة للتقدم في علوم وتقنيات الفضاء والاتصال في الغرب وبعض الدول المتقدمة في آسيا كاليابان وليس مستهدفا به الإسلام من حيث أصل نشأته وظهوره.

ثانياً: إن البث المباشر يعكس بطبيعته ثقافة (عقائد وقيم أخلاقيات وسلوكيات...) أبناء المجتمع الذي يصدر البث. وهذه الثقافات في العديد من دول العالم متناقضة مع ثقافة الإسلام والمسلمين، ومن هنا تأتي خطورة هذه المحطات بشكل عرضي على ثقافة وسلوكيات المسلمين .. وهذا يعني تهديد الهوية الثقافية للمسلمين وغلبة الاتجاه نحو التغريب.

ثالثا: يوظف البث المباشر لدى دول الغرب في خدمة الاقتصاد الغربي وخدمة الاحتكارات وترويج منتجات الغرب. فالإعلانات المدفوعة الأجر في محطات البث الغربية ومحطات الدول النامية بما فيها المحطات العربية تشجع الصناعات الأجنبية وبخاصة الأمريكية. وكما تشير الدراسات (مثل دراسة «أرجيمندو» سنة ١٩٨١) إلى أن الشركات متعددة الجنسيات توظف الإعلانات بصفتها أداة لفتح أسواق تجارية جديدة أمام المنتجات الغربية القائمة

والجديدة، والتوسع فيها[٣٢]. وهذا من شأنه محاولة تشكيل ثقافة دولية أو إيجاد حالة تجانس ثقافي عالمي، يتم دمج أبناء العالم الثالث من خلالها قيم وسلوكيات الغرب وأساليب تفكيرهم وأستهلاكهم وهذا يعني تحويل السلوكيات والقيم الغربية إلى قيم عالمية، فكل ما هو غربي متقدم ومتحضر. وأنماط الحياة الغربية هي الأنماط العصرية وما غيرها من الثقافات المحلية فتعكس التخلف والهبوط. وهذا بلاشك يحتل خطورة على ثقافة البلدان المستهلكة للمنتجات الاتصالية الغربية، وخطر على عقيدتها وسلوكيات أبنائها وخطر على اقتصادها. فتنمية عادات استهلاكية غربية ورفع المتطلبات الاستهلاكية لدي المواطنين[٣٣] في بلدان فقيرة يحطم اقتصادياتها، ويعوق خطط التنمية فيها، ويتصادم مع مفاهيم التقشف، وترشيد الاستهلاك، والتوفير، وتشجيع المنتجات المحلية، وهي أمور تحرص الدول النامية على تحقيقها. وهذا يشير إلى الأثر الضار للبث المباشر في بعض جوانبه على الهوية الثقافية للمجتمعات النامية، وعلى اقتصادياتها كذلك.

رابعا: يضاف إلى كل هذا أن الدول غير المسلمة توظف جزءاً من برامجها وأفلامها وأخبارها التي تبث من خلال الأقمار الصناعية، في خدمة تشويه الإسلام أمام المشاهد غير المسلم، ومحاولة إفساد عقيدة وقيم المسلمين نظرا لأن المشروع الإسلامي في التنمية والبناء والتعمير يتناقض مع المشروع الغربي في المنطلقات والقيم والأحكام والأهداف في رأيهم.

خامساً: وسائل الإعلام الأجنبية (البرامج والأفلام) التي تبثها الأقمار الصناعية تتسم بالتقدم التقني والفني الأمر الذي يجذب مشاهدي العالم الثالث: فهي على أعلى مستويات الإتقان والجودة وينفق عليها ببذخ ويتوافر لها أمهر الكفايات الفنية والإدارية وهذا يجعل مشاهدي العالم الثالث ومنها المجتمعات الإسلامية يفضلونها وينصرفون عن البرامج المحلية[٣٤].

الإجابة عن السؤال الثالث:

وإذا ما تساءلنا عن مدى خطورة البرامج والأخبار والمسلسلات والأفلام التي تبثها القنوات الفضائية الوافدة إلينا في البلاد العربية، وبخاصة على

الأطفال والشباب، نجد أن الإجابة التي تستنتج من أغلب الدراسات، هي إجابة بالإيجاب وهذا يتضح من الإجابة عن السؤال الثاني في هذا البحث. ويمكن حصر أوجه الخطورة في عدة أبعاد نوجزها فيما يلي:

أولاً: الخطورة الثقافية:

وهى التي تتمثل في محاولة التغريب وتهديد الهوية الثقافية الوطنية(٣٥) من خلال عرض المعايير والقيم والسلوكيات اليومية ونمط العلاقات الاجتماعية في الغرب بوصفه النمط الأرقى والأكثر تقدما، وعرض النماذج الثقافية السائدة في دول العالم الإسلامي والأنماط الإسلامية بوصفها نماذج بدائية بالتخلف. وفي ضوء هذه الحقيقة يمكننا تفسير انتشار نماذج ثقافية غربية في الدول النامية.

ثانياً: الخطورة الاقتصادية:

حيث إن أثر الإعلانات التي تنتجها الشركات متعددة الجنسيات، عن منتجات غربية، يؤدي إلى الإسهام في تعويق خطط التنمية في الدول النامية، حيث يقود أبناءها إلى سلوك استهلاكي يركز على المنتجات الغربية التي قد تكون من النوع غير الضروري، على حساب منتجاتهم الوطنية، وعلى حساب الادخار الذي هو عامل أساس من عوامل دعم الاستثمارات الوطنية وفي ضرورة هذه الفكرة نستطيع تفسير انتشار استخدام بعض المأكولات والأدوات الكمالية والمنتجات الغربية دون داع. وهذا من شأنه عدم تشجيع الصناعات المحلية الوليدة. ويتوقع أن تتفاقم هذه الخطورة مع تزايد الانفتاح الاقتصادي بين دول العالم العربي ودول العالم بعد تطبيق اتفاقية الجات.

ثالثا: الخطورة الاجتماعية:

وتتمثل في أن الإنجاز التقني المتصل بالبث المباشر أفقد الدول النامية القدرة على السيطرة على المواد التلفزيونية الوافدة وإخضاعها لرقابة دينية وثقافية وتربوية وسياسة واقتصادية(٣٦) وأفقدها القدرة على الانتقاء والتوجيه وحذف كل ما يضر بالقيم الدينية أو الاجتماعية والثقافية، أو بالأسرة

والتربية... وهكذا ظهرت الهجمة الغربية التي تمجد العدوان والعنف والقوة حتى في برامج الرسوم المتحركة والأطفال، وتؤدي بالتالي إلى تفكك الأسرة وتشجع على الفردية والخروج على السلطة الوالدية، وتهزأ بالقيم الدينية.

ولعل المشكلة أن البرامج الغربية لا تبث فقط من خلال القنوات الفضائية الغربية، بل تبث من خلال أغلب القنوات الفضائية لدول العالم الثالث. فالغرب هو الذي يصنع الأجهزة والمعدات والأقمار الصناعية والمحطات الأرضية وأجهزة الاستقبال وأجهزة وشرائط التسجيل وهو الذي يصنع البرامج التي يغطى بها العالم الثالث ساعات طويلة من إرساله اليومي. ويشير «كرم» إلى أن بعض بلدان العالم الثالث يبث على قناتين أو ثلاث، ولا يملك من إمكانات الإنتاج المحلي ما يكفي لبث عشر ساعات فقط»[٣٧]. ويشير «العرموطي» إلى أن معظم التلفزيونات العربية تعتمد بشكل كامل على الوكالات الغربية. وعلى الرغم من اختلاف نسبة اعتماد الدول على المواد التلفزيونية المنتجة في الغرب، فإن الدراسات تشير إلى أكثر من ٥٠٪ من برامج التسلية والترفية التي تبث من خلال تلفزيونات أمريكا اللاتينية منتجة في دول الغرب.

وتشير دراسة «فارس» Varis سنة ١٩٨٤م إلى أن نسبة ما استوردته بعض الدول العربية التي شلمتها الدراسة من برامج أجنبية كانت على النحو التالي: الجزائر ٥٥٪، مصر ٤١٪ تونس ٥٥٪.

الإجابة عن السؤال الرابع:

وإذا ما انتقلنا إلى التساؤل عن مدى وجود فوائد للبث المباشر تنعكس على الدول النامية بشكل عام، والإسلامية بشكل خاص، والتساؤل عن الفوائد والمضار، فإن المضار سبق ذكرها، لكن هناك إلى جانب العديد من الفوائد، التي يجب إبرازها والاستفادة منها بشكل موضوعي وعلمي وتوظيفها في خدمة مجتمعاتنا.

والواقع كما يشير بلال الحسن[٣٨]، أن البث المباشر هو انعكاس للتقدم العلمي والتقني ولا يمكن إلغاؤه أو رفضه لأنه حقيقة يجب علينا التعامل معها

بفوائدها ومضارها. ومن بين فوائده أنه يطلعنا على كل جديد من أخبار ومعارف. وهو يرى أن إشكالية تبني الغرب لقيم مناقضة لقيمنا، ومواقف مضادة للمواقف العربية هي إشكالية محلولة فقد حدث نفس الشيء مع تقدم الإذاعة والبث الإذاعي، وقد رافقه نمو الإذاعات العربية فكانت لها القدرة على السيطرة على المستمع العربي. وهكذا يجب تقوية برامج التلفزيون العربية داخل كل قطر وإنشاء شبكة لتبادل البرامج بين الأقطار العربية. ويذهب مسعد لبيب «إلى القول أن التلفزيون الأجنبي الوافد عبر الأقمار الصناعية يهدد ثقافتنا ويقتلعها من جذورها» قول غير صحيح «فإذاعات الراديو الأجنبية تحيط بنا من كل جانب ... ولم نرتعد أمامها»[٣٩]. ولا شك أن هذا الرأى لا يأخذ في الحسبان الفروق الضخمة بين تأثير الراديو وتأثير التلفزيون على المشاهدين.

ومن بين فوائد البث المباشر - تزايد وانتشار الثقافة العلمية وانفتاح أبناء المجتمعات النامية على أحدث الأبحاث ونتائج العلم والاستفادة منه فى حياتهم اليومية ويشير «الخطيب» إلى أن القمر الصناعي «مطالب أن يتبنى الثقافة العلمية المعاصرة»[٤٠].

ويرى بعض الدارسين أن هناك مجموعة من الفوائد التي يجنيها المشاهدون من برامج البث المباشر لدول أخرى، منها تعزيز التفاهم والتفاعل والتلاقح بين الثقافات المتعددة، من خلال إتاحة الفرصة أمام دول العالم لمعرفة الإنجازات الثقافية والعلمية والمعرفية في كل الدول، ومنها الإسهام في دعم برامج التنمية الاقتصادية من خلال رفع الدافعية للإنجاز ومواكبة الدول المتقدمة علمياً ومعرفياً وتضييق الفجوة العلمية والمعرفية بين الدول المتقدمة والنامية، ومنها تنمية الوعي العلمي والتفكير المنهجي لدى أبناء الدول النامية وما تتيحه من معارف وخبرات ووجهات نظر متباينة تستثير عند المشاهدين الرغبة في التفكير فيها والمقارنة بينها[٤١]. وفي بحث أجراه «شعبان شمس» بعنوان ضرورة الإعلام التربوي في ظل المتغيرات الاتصالية الحديثة»[٤٢] خرج الباحث بأن هناك نسبا كبيرة من أساتذة الإعلام والتربية والدعوة يرون أن

هناك مجموعة من الفوائد للبث المباشر على العملية التربوية، مع اختلافات في النسب بين التخصصات، وأهم هذه الفوائد كما أبرزها البحث تتمثل فيما يلي:

(أ) الانفتاح على ثقافات جديدة ممّا يتيح للطلاب قدراً واسعا من المعلومات.

(ب) التعرف على التطور التقني في الدول المتقدمة مما يساعد على الابتكار.

(جـ) تنمية القدرة على النقد (نقد المواد الإعلامية الأجنبية) نتيجة التعرض لنا وبالتالي يزداد تمسكا بمعطيات عقيدته وبيئته.

(د) مساعدة المدرس على التعرف على أساليب تربوية جديدة يمكن من خلالها إثراء العملية التربوية.

وبالنسبة للاثار الفوائد لوسائل الإعلام عموما فقد كشف البحث عن تأييد نسب متفاوتة بين التخصصات المفيدة (أساتذة أقسام كليات التربية والإعلام والدعوة) للعبارات التالية(٤٣):

(أ) تزيد وسائل الإعلام من معلومات الطلاب حول المقررات الدراسية.

(ب) تسهم في تأهيل المدرس وزيادة معلوماته.

(جـ) تفتح بابا للمناقشة بين المدرس والطالب حول ما تطرحه وسائل الإعلام فيما يتصل بالمقررات الدراسية.

(د) توفر بعض مصادر التعليم التي يصعب توفيرها في بيئة الفصل الدراسي.

(هـ) تثير عددا من القضايا الفكرية والعلمية المرتبطة بالمجالات الدراسية المختلفة.

(و) تتيح مراجعات لمحتوى المقررات الدراسية

ويرى بعض الدارسين إلى أن لهفة المشاهدين في العالم العربي لمشاهدة هذه القنوات الفضائية غير الوطنية سوف تنتهي بعد فترة، ويعودون بعدها لمشاهدة قنواتهم الوطنية لأنها تعكس واقعهم ومشكلاتهم وقضاياهم وثقافتهم ولغتهم. وأضيف إلى رأي هذا البعض من الدارسين؛ إلى أنه حتى يتحقق هذا،

ويجب أن تراعي القنوات الإسلامية الوطنية قيم الإسلام الفكرية والأخلاقية.

الإجابة عن السؤال الخامس:

وبالنسبة للتساؤل الخاص بالاجراءات التي على الدول الاسلامية العربية اتخاذها لاستثمار فوائد البث المباشر وتجنب مضاره، فقد افاض المتخصصون في هذه النقطة وكثرت الاقتراحات والتوصيات سواء في ندوات أو مؤتمرات أو مقالات وبحوث ومقابلات ... إلخ ويمكننا إيجاز اهم المقترحات في هذا الصدد فيما يلي:

أولاً: يذهب «سعد لبيب» إلى ضرورة اتخاذ موقف التحدي بديلا عن موقف الخوف في مواجهة البث التلفزيوني المباشر. فثقافتنا ليست هشة تتعرض للانقراض أمام الثقافات الغازية(٤٤) ويجب مواجهة البث المباشر بشكل مفيد يتمثل في تطوير الإنتاج التلفزيوني في بلادنا الإسلامية وجعله أكثر تنوعاً وجاذبية وذيادة عدد القنوات، وزيادة ساعات البث(٤٥)، وتوسيع دائرة البث. ويجب على البرامج المتطورة أن تكون شائقة، وأمينة في العرض، ومحققة للتوازن في المضمون، والتميز في الإنتاج وهذا يتطلب إبداع نماذج من البرامج التي تحرص على الفضائل وعلى التمسك بالعقيدة والقيم بشكل قادر على اختراق القلوب وامتلاكها، واختيار أكثر المتخصصين قدرة على كتابة البرامج وعلى إخراجها وعلى تقدميها على أن يقوم ذلك على أساس التخصص الدقيق واحترام التعلم والتقنية والتدريب.

ثانيا: دعم وتطوير وكالة الأنباء الإسلامية، وإنشاء قناة إسلامية للبث المباشر. فالإسلام قادر على اجتذاب القلوب والعقول وبناء الإنسان المتكامل القدر على مقاومة كل إغراءات الحياة، ونزعات الشر في النفس البشرية. ويجب عرض العطاء والقيم الإسلامية من خلال قناة متخصصة والاستعانة بأخر تقنيات العصر في البث والإخراج والتأليف والتمثيل والحوار. وهذا يعني مقاومة البث المباشر الأجنبي بنفس لغة العصر، وهي لغة التقدم العلمي والتقني(٤٦) والمسلمون هم أول من يقدر قيمة العلم. فأول آية نزلت في القرآن بدأت بـ (اقرأ) وتكرر الأمر بها مرتين. الأولى تقنص القراءة في كتاب الكون

والحياة «اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق» والثاني يعني القراءة في الحرف والكلمة «اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم» ولا شك أن الأمرين مرتبطان «فالقراءة في كتاب الكون مقدمة لفقه آيات الله في كتابه»(٤٧).

ثالثاً: تحقيق المناعة الإعلامية والأمن الثقافي بين أبناء العالم الإسلامي. فطالما أننا لا نستطيع وقف البث المباشر الوافد إلينا من ثقافات مخالفة مع الإسلام، ومن دول تكن العداوة للإسلام ولا نستطيع درء ما يسببه من مفاسد لعدم إمكان ذلك، ولا نستطيع منع أبناء المجتمع المسلم من مشاهدة برامج البث المباشر، فمن الواجب على المسؤولين والمتخصصين والمربين ورجال الإعلام والآباء والأمهات تحصين الأطفال والشباب ضد مختلف أوجه الإفساد المصاحبة لبرامج البث المباشر. ومادة التطعيم والتحصين هنا هي العقيدة الإسلامية الصحيحة، والتنشئة الإسلامية للأطفال على تمثل القيم الإسلامية وممارسة السلوك والفكر الإسلامي. هذا هو السبيل الأمثل لمواجهة الخطر، وهو سبيل يتطلب التعاون المثمر بين كل أجهزة التنشئة الاجتماعية في المجتمع وفي مقدمتها الأسرة والمدرسة والمسجد والنوادي وأجهزة الإعلام الوطنية ومختلف وسائل التثقيف في المجتمع.

رابعاً: ليس معنى هذا زيادة مساحة البرامج الدينية في ساعات البث اليومي في القنوات الوطنية فحسب، ولكن الأهم كما يشير «أحمد فراج» زيادة مساحة القيم الإسلامية في كل الأخبار والبرامج والمسلسلات والأفلام .. فلابد أن نطرح مشكلاتنا من منظور الدين(٤٨).

خامساً: تحقيق التعاون بين الدول العربية في مجال صناعة الأخبار والبرامج والمسلسلات والأفلام تحقيقا لمستوى أفضل يجذب المشاهد العربي والمسلم.

سادساً: هناك من يرى ضرورة سعي الدول العربية تدعمها العديد من دول العالم، إلى الوصول إلى اتفاق دولي يمنع كل البرامج المشينة والمخلة

بالأخلاق والتي تشجع على الفساد وارتكاب الجرائم. وهناك العديد من دول الغرب والشرق قد لمست أهمية هذا الاتفاق.

سابعاً: تزايد الوعي الأبوى بأهمية رقابة سلوك الأبناء - وبخاصة الأطفال وتوجيه الشباب، خاصة في مجال القراءة والمشاهدة والاستماع وأن يكون الوالدان قدوة في هذا المجال.

هذه هى أهم سبل التصدى لخطورة البث المباشر، أو لمحاولة سيطرة العقل غير المسلم على العقل المسلم .. وقضية إنتاج مادة إعلامية بديلة تجذب المشاهد المسلم وتغنيه عن غيرها من مواد إعلامية في قنوات أخرى، قضية تشغل الغربيين أنفسهم فالحكومات الأوربية تفكر وتعمل على تطوير برامجها رفعا للهيمنة والتأثير الأمريكي، وتعمل الحكومة الفرنسية حاليا على التخطيط لقناة فرنسية تصدر باللغة العربية للحد من إقبال أبناء الجاليات العربية والإسلامية في فرنسا على مشاهدة القنوات العربية من خلال الهوائيات[٤٩] ففرنسا تخشى من تعرض العرب والمسلمين بها للبث العربي وتحاول إيجاد البديل.

خاتمة البحث

يتضح من البحث محاولة الإجابة عن الأسئلة الخمسة أن هناك سيطرة أو هيمنة اتصالية من جانب الغرب على كل تقنيات الاتصال، وأن البرامج الغربية، وبخاصة الأمريكية هي الأكثر انتشاراً في العالم .. ولا شك أن هناك بعض الفوائد للبث المباشر، لكن مخاطرة أعمق وأكثر. وخرجنا من البحث أن رد الفعل لا يجب أن يتسم بالعاطفة أو الخيالية وإنما يجب أن يستند إلى لغة العصر التي هي لغة الإسلام قبل الغرب، وهي لغة العلم والتقنية والتخطيط والمنهجية في التفكير والتكامل العربي والإسلامي في وجه الخطر.

الهوامش

(١) كرم سلبي: البث المباشر بالأقمار الصناعية: مجلة الدراسات الدبلوماسية العدد (٥) ١٩٤٨ ص١٣٢.

(٢) عبدالقادر ياسين: أجهزة الإعلام والغزو والثقافي: الرأي الأردنية العدد ١٧، ٦٧ بتاريخ ١٩٨٨/٢/١ ص١٥.

(٣) تقرير توصيات ندوة الإعلام العربي والبث المباشر من من ١٠ – ١٣ يونيو ١٩٩٠ – المجلة العربية للثقافة ١٩٩٠ ص١٨٠.

(٤) ماكبر ايد وأخرون: أصوات متعددة وعالم واحد: تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال: الجزائر، الشركة الوطنية للنشر.

(٥) زين العابدين الركابي: حديث منشور بمجلة الحرس الوطني السنة (١٢) العدد (٩) ديسمبر ١٩٩١.

(٦) تقرير ندوة الإعلام العربي والبث المباشر: القاهرة من ١٠–١٣ ديسمبر ١٩٩١.

(٧) عواطف عبدالرحمن: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث: الكويت: عالم المعرفة يونيو ط١٩٨ العدد ٧٧.

(٨) مجدي الواعد: تحقيق عن ايدز العصر البث المباشر: مجلة منار الإسلام – الإمارات العربية – العدد ١١ أبريل ١٩٩٤ ص٦٦.

(٩) عبدالصبور مرزوق: بحث حول التحديات الفكرية مقدم للمؤتمر العام الثالث للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر من ٢٣–٢٦ فبراير ١٩٩٠ – منار الإسلام – العدد (١٠) أبريل ١٩٩٠ ص: ٦٠.

(١٠) وبستر: أضواء على عصر الأقمار الصناعية المخصصة للإرسال التلفزيوني المباشر: ترجمة فؤاد صندوق مجلة الاذاعات العربية جامعة الدول العربية: العدد (٥) من ١٩٨٥ ص: ٣.

(١١) تقرير وتوصيات ندوة الإعلام العربي المباشر من ١٠ – ١٣ يونيو ١٩٩٠م ص١٨٢.

(١٢) محمد عبده يماني: التلفزيون العالمي، هل يؤدي إلى نمو الجريمة في العالم الإسلامي: مجلة الأمن والحياة العدد (١٠٤) لسنة (٩) رجب ١٤١١هـ يناير ١٩٩١م.

(١٣) عبدالرحمن عسيري: البث المباشر والتدين الجديد الرياض - رقم ٩١٠٢٢ بمكتبة الملك فيصل ص١٢ ما رجع إلى يماني: مصدر سابق.

(١٤) شعبان أبواليزيد شمس: ضرورة الإعلام التربوي في ظل المتغيرات الاتصالية الحديثة: دراسة ميدانية على عينة من أعضاء هيئة التدريس في تخصصات الإعلام والعلوم والتربية - بحث غير منشور ص٤-٧.

(١٥) المصدر السابق ص٥.

(١٦) المصدر السابق ص٧.

(١٧) محمد نجيب الصرايرة: الهيمنة الاتصالية: المفهوم والمظاهر: مجلة العلوم الاجتماعية الكويت: المجلد (١٨) العدد الثاني - صيف ١٩٩٠ ص١٣٠ - ١٣١.

(١٨) المصدر السابق ص١٣٠.

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) المصدر السابق ص١٣٢-١٣٣.

(٢١) المصدر السابق: ص١٣٣.

(٢٢) المصدر السابق ص١٣٧ وارجع إلى ماكبرايد وآخرون أصوات متعددة وعالم واحد: تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال: الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص٣٠٣.

(٢٣) المصدر السابق.

(٢٤) العرموطي: دعوة لإنشاء سوق أخبار عربية مشتركة: مجلة الأفق العربي - الأردن ١٩٨١.

(٢٥) ارجع إلى دراسة العرموطي، دراسة الصرايرة ص٩ ١٠٥.

(٢٦) الكحلاوي: قراءة تحليلية في وسائل الاتصال والإعلام في المنطقة العربية: مجلة البحوث - بغداد - العدد ١٦ سنة ١٩٨٥ ص٦٧ - ٧٣.

(٢٧) الصرايرة: مصدر سابق ص١٤٣.

(٢٨) الصرايرة: مصدر سابق ص١٤٧.

(٢٩) المصدر السابق ص١٤٧ نقلا عن

(٣٠) المصدر السابق ص١٤٩.

(٣١) المصدر السابق ص١٥٠.

(٣٢) الصرايرة: مصدر سابق ص٧ طا.

(٣٣) راسم الجمال وآخرون: مقدمة في وسائل الاتصال، جدة مكتبة مصباح ٨٩، ١ ص١٥١٨.

(٣٤) كرم شلبي: البث التلفزيوني المباشر بالأقمار الصناعية مجلة الدراسات الدبلوماسية الرياض: العدد الخامس ١٩٨٨ ص١٣٨.

(٣٥) سوزان القليني: الاختراق الإعلامي الأجنبي في الوطن العربي مجلة شؤون عربية العدد (٧٠) يونيوي ١٩٩٢ ص٨٥.

(٣٦) كرم شلبي: البث التلفزيوني المباشر بالأقمار الصناعية مجلة الدراسات الدبلوماسية وزارة الخارجية السعودية - معاهد الدراسات العدد الخامس ١٩٨٨ ص١٣٧.

(٣٧) المصدر السابق ص١٣٦.

(٣٨) محمد عبدالله سيدي: كيف نتعامل مع البث التلفزيوني المباشر: مجلة الأمن والحياة المعهد العدد ٩٦ السنة التاسعة - ذو القعدة ١٤١٠ ص١٢.

(٣٩) عبدالرحمن إبراهيم عسيري: البث المباشر: التحدي الجديد: الرياض ص١٣ وارجع إلى سعد لبيب: تفرق الأخبار والمواد الإعلامية في المنطقة العربية الأمم المتحدة - اليونسكو ١٩٨٧ ص٢.

(٤٠) عمر عمودة الخطيب: ورقة عمل مقدمة لندوة ثقافتنا والإعلامي: ندوات ومحاضرين المهرجان الوطني للتراث والثقافة الخامس - ١٤١٠ - ١٩٩٠ إصدارات المهرجان ص١٣٤.

(٤١) راسم الجمال وآخرون: مقدمة في وسائل الاتصال جدة مكتبة مصباح ١٩٨٩ ص١٨٨.

(٤٢) شعبان شمس: ضرورة الإعلام التربوي في ظل المتغيرات الاتصالية الحديثة: دراسة ميدانية على عينة من أعضاء هيئة التدريس في تخصصات الإعلام والدعوة والتربية بحث غير منشور ١٩٩٤ ص٣٠ - ٣٢.

(٤٣) المصدر السابق - ص٢٨ - ٣٠.

(٤٤) عبدالرحمن عسيري: مصدر سابق: ص١٢.

(٤٥) تقرير وتوصيات ندوة الاعلام العربي والبث المباشر (١٠ - ١٣ يونيو ١٩٩٠) المجلة العربية الثقافية ١٩٩٠ - ص١٨٣.

(٤٦) عبدالصبور مرزوق، بحث حول التحديات الفكرية - مقدم للمؤتمر العام الثالث للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصدر سابق ص٦١.

(٤٧) المصدر السابق ص٦٢.

(٤٨) أحمد فراج. حديث منشور بمجلة المنار الإسلامي والصادرة عن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية - العدد (١١) لسنة (١٩) ابريل ١٩٩٤ ص٧٠.

(٤٩) عاطف صقر: الأطباق العربية في مهب الرياح الفرنسية - ملحق الأهرام الجمعة ١٩٩٤/١٢/٩ ص١٠.

أهم المصادر

١ - العرموطي: دعوة لإنشاء سوق أخبار عربية مشتركة: مجلة الأفق العربي الأردن ١٩٨٨.

٢ - الكحلاوي: قراءة تحليلية في وسائل الاتصال والاعلام في المنطقة العربية مجلة الحوث - بغداد ١٩٨٥م.

٣ - المصموي، مصطفى: النظام الإعلامي الجديد عالم المعرفة الكويت - (٩٤) ١٩٨٥م.

٤ - الصرايرة، محمد نجيب: الهيمنة الاتصالية: المفهوم والمظاهر مجلة العلوم الاجتماعية المجلد (١٨) العدد (٢) ١٩٩٠م.

٥ - الجمال، راسم: دراسات في الإعلام الدولي مشكلة الإختلال الإخباري جدة - دار الشروق ١٩٨٥.

٦ - الواعد، مجدي: تحقيق عن إيدز العصر: البث المباشر: مجلة منار الإسلام - الإمارات.

٧ - القليني، سوزان: الاختراق الإعلامي الأجنبي في الوجه العربي. مجلة شؤون عربية العدد (٧٠) يونيو ١٩٩٢.

٨ - الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، نحو تأصيل للدراسات الإتصالية: دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض ١٤١٥.

٩ - الركابي، زين العابدين: حديث بمجلة الحرس الوطني السنة (١٢) العدد (٩) ديسمبر ١٩٩١م.

١٠ - الخطيب، عمر عودة: ورقة عمل مقدمة لندوة ثقافتنا والبث الإعلامي - ندوات ومحاضرات المهرجان الوطني للتراث والثقافة الخامس - الرياض ١٩٩٠.

١١ - أبوغنيمة: السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية عمان - الأردن دار عمان للطباعة والنشر ١٩٨٤م.

١٢ - تقرير وتوصيات ندوة الإعلام العربي والبث المباشر من ١٠-١٣ يونيو ١٩٩٠م المجلة العربية للثقافة ١٩٩٠م.

١٣ - حسن، حمدي: التحديات الفكرية والمنهجية، مذكرة في كتاب الشنقيطي.

١٤ - سيدي، محمد عبدالله: كيف نتعامل مع البث المباشر: التحدي الجديد - الرياض.

١٥ - شلبي، كرم: البث التلفزيوني المباشر بالأقمار الصناعية: مجلة الدراسات الدبلوماسية - الرياض العدد الخامس ١٩٨٨م.

١٦ - شمس، شعبان أبوالزيد: ضرورة الإعلام التربوي في ظل المغيرات الاتصالية الحديثة دراسة ميدانية على عينة من أعضاء هيئة التدريس في تخصصات الإعلام والدعوة والتربية: بحث غير منشور ١٩٩٤.

١٧ - روجرز: فرانك: الإعلام الغربي والعرب: أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية لندن ١٩٧٩ وزارة الإعلام والثقافة الإمارات العربية.

١٨ - طاش، عبدالقادر، الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي الرياض شركة الدائرة للإعلام ١٤١٥.

١٩ - صقر، عاطف: الأطباق العربية في مهب الرياح الفرنسية - ملحق الاهرام ١٩٩٤/٢٣٩.

٢٠ - عفيف، البوني: صورة العرب في العقل الغربي من خلال الموسوعات العلمية العربية. بيروت المستقبل العربي - العدد (١٠) يوليو ١٩٨٩.

٢١ - عبدالرحمن، عواطف: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية، عالم المعرفة العدد ٨٩ - الكويت ١٩٨٤م.

٢٢ - عسيري، عبدالرحمن: البث المباشر: التحدي الجديد: الرياض.

٢٣ - غريب دواموند: الإعلام الأمريكي والعرب: أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية لندن ١٩٧٩ - وزارة الإعلام والثقافة بالإمارات العربية المتحدة.

٢٤ - مرزوق، عبدالصبور، بحث حول التحديات الفكرية مقدم للمؤتمر العام الثالث للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٢٥ - ماكبرايد وآخرون: أصوات متعددة وعالم واحد: تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر.

٢٦ - فراج، أحمد: حديث منشور بمجلة المنار الإسلامي المصادرة عن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة - العدد (١١) لسنة (١٩) ابريل ١٩٩٤.

٢٧ - لبيب، سعد: تدفق الأخبار والمواد الإعلامية في المنطقة العربية - الأمم المتحدة اليونسكو ١٩٨٧.

٢٨ - يماني، محمد عبده: التلفزيون العالمي: هل يؤدي إلى نمو الجريمة في العالم الإسلامي: مجلة الأمن والحياة - الرياض - العدد (١٠٤ لسنة (٩) رجب ١٤١١ - ١٩٩١.

٢٩ - ياسين، عبدالقادر، أجهزة الإعلام والغزو الثقافي، الرأي الأردنية - بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٤م.

٣٠ - وبستر: أضواء على عصر الأقمار الصناعية المخصصة للإرسال التلفزيوني المباشر: ترجمة فؤاد صندوق. مجلة الإذاعات العربية - جامعة الدول العربية العدد (٥) ١٩٨٥.

٣١ - وجيه، حسن محمد: مقدمة في علم التعاوض الاجتماعي والسياسي: عالم المعرفة الكويت العدد ١٩٠ أكتوبر ١٩٩٤.



جامعة الإمارات العربية المتحدة

«ندوة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل»

ورقة بعنوان

"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ....."

القوة الإعلامية

د. إبراهيم الشمسي



«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة...»

القوة الإعلامية

"سيعيد التاريخ نفسه مبتدياً من الشرق، عوداً على بدء، من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية الإسلامية في الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة، التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته الفكرية، وستثبت هذه القوة وجودها، إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها، وستقلب موازين القوى لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية".

باول شمتز

المقدمة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدء، فطوبى للغرباء) (أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود)، في ظاهر هذا الحديث الكريم شيء من التحدي، لكنه تحدٍ يحدوه الأمل، تحدٍ فيه بشرى لأبناء الأمة الإسلامية، وكلمة تحدي تحمل في طياتها معنى المقاومة والحركة الدعوية والبذل المتواصل، خاصة ونحن أمام العديد من التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، ولكن الله سبحانه وتعالى يطمئننا بأن هذه التحديات كلها لن يكون لها أي أثر ومصيرها أن تزول وتتحطم أمام صخرة الإيمان بالعقيدة الإسلامية، وذلك ما قرره سبحانه وتعالى عندما قال في كتابه الكريم «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» (آل عمران، ١٣٩).

ومن هذه التحديات التحدي الإعلامي التي تواجهه الأمة الإسلامية وخاصة ونحن نعيش مرحلة أصبحت فيها وسائل الإعلام القوة المهيمنة على مختلف مجالات الحياة وذلك لإدراك الجهات الضاغطة لأهمية الدور الذي تمارسه وسائل الإعلام وتأثيراتها الخطيرة على المجتمع، فهي تعمل على

تشكيل الرأي العام سياسياً، وتدعم خطط التنمية اقتصادياً، كما أن لها دوراً ثقافياً بارزاً في تنوير الناس وإطلاعهم على آفاق جديدة من المعرفة، واجتماعياً من خلال تأثيرها على أشكال أنماط الحياة الاجتماعية السائدة.

"فهاهم صُنّاع القرار السياسي الغربيين ينشغلون بالبحث عن بدائل تضمن استمرار السيطرة الغربية – وعلى وجه التحديد الأمريكية – على الدولية فاستقر رأيهم على التكنولوجيا كبديل، والتي تتمثل في شبكات الكمبيوتر (الإنترنت) ونظم الأقمار الصناعية، حيث تقوم هذه الشبكات ببث كميات هائلة من الأخبار والمعلومات عبر دوائر عابرة للحدود القومية، وأكثر من ذلك فإنها سوف تصبح في منأى من "الرقابة المحلية"، ولذلك فإن هذا التوسع سوف تكون آثاره الخطيرة على الثقافات القومية في الأعوام القادمة. (طاش، ص٥-٦، ١٩٩١).

وها هو المليونير اليهودي (روبرت مردوخ) لإدراكه أهمية الإعلام في التأثير والتحدي الحضاري، اتجه إلى توظيف واستثمار التكنولوجيا الإعلامية لخدمة أغراضهم، فقام ببناء امبراطورية ضخمة تشمل نصف سكان العالم، وذلك عندما وقع سفقة بقيمة ٣٥٠ مليون جنيه إسترليني مع رجل الأعمال (لي كاشينج) لشراء شركة (هاتشفيجن) لشبكات الأقمار الصناعية في آسيا لتنهض هذه الشركة بتشغيل نظام (استار) التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية، والذي يعد مجاله الأوسع في العالم، حيث يصل إلى ٣٨ بلداً أسيوياً تمتد من الخليج حتى أندونيسيا. (طاش، ص٤٤، ١٩٩٥).

التحديات التي تواجهها وسائل الإعلام في العالم الإسلامي

(انظر الشنقيطي وخليفة)

أولاً: ترعرعت وسائل الإعلام في عالمنا الإسلامي في تربة منبتة الصلة بالله، بعيدة كل البعد عن تقاليد وأعراف المجتمعات التي نشأت فيها، فهذه قاهرة الأزهر ومركز التوجيه الروحي والثقافي للمسلمين آنذاك – ولا تزال – لاحظنا أنها كانت محط أنظار المخططين والصحفيين المسيحيين المارونيين

الذين كانوا يرون أنهم إن أمكنهم إفساد القاهرة من الناحية الإسلامية، كان ذلك عوناً لهم لإفساد العالم الإسلامي كله، لأن الفساد سيصدر يومئذٍ وعليه خاتم القاهرة، فيكون أَفْعَلَ في الفساد مما لو جاء وعليه خاتم لندن أو باريس، ولذلك لا نعجب كثيراً من وجود ثلاث دور صحفية كبيرة لبنانية مسيحية مارونية في ا لقاهرة وهي (دار الأهرام) ويمتلكها (آل تقلا)، و(دار الهلال) ويمتلكها (آل زيدان)، و(دار المقطم) ويمتلكها (آل صرُّوف). (قطب، ص٢٣٩-٢٤٠، ١٩٨٨).

ويوم أن وُجدت هذه الوسائل كان المسلمون في درجة كبيرة من الضعة والاستكانة لم يشهدوا لها مثيلا من قبل، بل كانوا في حالة من الانبهار والانهزامية أمام وسائل الغزو الإعلامي والحضاري الأوربي بشكليه المادي والفكري فقدوا معها القدرة على الانتقاء والاختيار أو قل أنهم لم يعودوا يملكون معايير للرد والقبول.

ثانياً: عجز انظمة الإعلام التي وجدت فيما بعد في بلاد المسلمين عن القيام بدور الأصالة والمعاصرة بحيث تعيد للمسلمين ثقتهم فى أنفسهم وقدرتهم على قيادة الحياة في شتى مجالاتها تحقيقا لصفة العزة التي يتصف بها المسلمون حقا، وتبعيتها المطلقة لأنظمة الإعلام التي اقيمت للعمل في مجتمعاتنا ذات خصائص تتعارض معارضة صريحة مع خصائصه التي يتميز بها كالعقيدة والقيم والعادات الإسلامية باعتبارها ركيزة الحياة في المجتمعات المسلمة، ليس ذلك فقط بل عملت على تهيئة مناخ ملائم ليتحول "الغزو الثقافي المباشر" إلى صفة "الاستلاب غير المباشر" ثم إلى صفة (الانسلاب) الذاتي، فكانت تنهل من الأنظمة الإعلامية الغربية - كما يقول د. غازي القصيبي بدافع ذاتيٍ تلقائي، يتم دون مجهود من تلك الجهات والأنظمة، ويتم دون أن تدرك مجتمعاتنا العربية والإسلامية أنها معرضة لأي خطر، فتُقْبِل في حماسة وبلاهة لا على قبول الغزو فحسب، بل على اعتناقه واحتضانه، وهنا مكمن الخطر، إذ كيف يمكن أن تقاوم عدواً لا تشعر بوجوده؟ (مجلة اليمامة، العدد ٨٩٥، ١٤٠٦هـ)، ويقول السياسي اليميني (نيوت

جنجريتش) رئيس مجلس النواب الأمريكي: "أمريكا وحدها التي تستطيع قيادة العالم، وستبقى أمريكا الحضارة العالمية الكونية الوحيدة في تاريخ البشرية، إنّ نظام قيمنا يحظى بالتقليد والتمثيل حول العالم، بغير حضارتنا الأمريكية الحيوية، فإنّ البربرية والعنف والدكتاتورية ستخيم على كوكبنا الأرضي" (طاش، ١٩٩٥، ص١٦٨).

ثالثاً: معظم الممارسات الإعلامية في واقع الحياة آنذاك تصرف الناس عن أجهزة الإعلام، لأنها تقدم الإعلام في ثوب لا يقبل ذو فطرة سليمة ارتداءه، ذلك إن ما يتم فيها أو يقدم من خلالها من حيث الفكر والسلوك يقرنها بالسوء ويجعلها رجسا من عمل الشيطان، حيث تقدم بصورة تجعلها مناهضة لدينهم وقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم، مما نشأ عن ذلك نفرة طبيعية من وسائل الإعلام وما يتصل بها لدى الغيورين على دين الله بسبب بعدها عن الطهر والنقاء. (الشنقيطي، ١٩٩١، ص٥٢-٥٣).

رابعاً: التمزق الذي يسود الوطن الإسلامي والتشاحن والتناحر الذي نشاهده بين بعض قادة الدويلات الإسلامية وتوجيه أجهزة الإعلام للسب والقذف وذم غيرهم من أبناء المجتمع الإسلامي، دون أي نشاط ضد أعداء المسلمين، بل إن الدكتور عبدالحليم محمود يذهب إلى أكبر من ذلك عندما يقول "إن الغربيين يستمدون فكرتهم عن الإسلام من مجرد رؤيتهم للمسلمين، فإنهم يرون المسلمين متخاذلين ضعفاء أذلاء مستكينين، فرقت بينهم الأهواء والشهوات، وانصرفوا عن عظائم الأمور، بالإضافة إلى أنّ بعض المنحرفين من المسلمين أيضا يكتبون عن الإسلام كتابات متناقضة، تبين انه دين مليء بالاختلافات والتناقضات، مما يجعل الأجانب يشكون فيه ولا يفهمونه الفهم الصحيح، في حين ان الإسلام في حاجة إلى من يعرضه عرضا ميسرا سهلاً قوياً". (محمود، ١٩٧٣، ص٤١-٤٣).

خامساً: المحاولات المتكررة من قبل أعداء الإسلام أن يظهروا في وسائلهم الإعلامية أن الإسلام لا يصلح لأن يقدم عبر وسائل وأجهزة إعلام العصر الحديث، كما حاولوا أن يظهروا أنه ضد التقدم والتطور، وضد

الرسائل والأساليب الحديثة، غير أن هذا محض افتراء ومجرد تقولات لا نصيب لها من الصحة، وقد ساعدهم على ذلك غفلة المسلمين وانبهارهم بالحضارات الزائفة البراقة، وتناسيهم لما يمتلكون من ثروات إعلامية إسلامية هائلة، مما أدى إلى غيبة الإعلام الإسلامي من الميدان وانفراد أعداء الإسلام بساحة الإعلام يشهرون من خلالها بالإسلام ومبادئه السمحة وقيمه الأصيلة، ويتجنون عليه وعلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

سادساً: انصراف أجهزة الإعلام عن مخاطبة جماهير المسلمين من واقع احتياجاتها الإعلامية فحوالي ٩٠٪ من المادة المذاعة والمنشورة تبعد بعداً تاماً عن عقائد الجماهير الإسلامية وتهدم ما تبنيه المادة الإعلامية القليلة المرتبطة بالقيم الإسلامية والتي لا تتعدى ٤٪ من مجموع ما يوجه إلى الجماهير من برامج أجهزة الإعلام على اختلافها، حتى أن الإعلام المسجدي المعاصر يعيش أجيال مضى على فنائها مئات السنين، وإنما تحتاج جماهير المساجد إلى من يعاصر قضايا العصر ومشكلات الأجيال الحالية، وتبدد الظلام الديني الذي تحيطها به أجهزة الإعلام الإلحادية والمعادية لعقيدتنا الإسلامية، والتي تعمل على تشكيك المسلم في معتقداته وفي آراء قادته وأئمته من سبق منهم ومن بقى منهم. (خليفة، ١٩٨٢، ص١٢).

سابعاً: سيادة الإعلام الفاسد في ربوع الوطن الإسلامي ليقوم على إبراز نشاط النماذج الفاسدة من بني البشر، إلى جانب إهمال الإعلام وغض النظر عن القدوة الحسنة للإنسان المسلم بغرض العمل على انحلال المجتمع وإشاعة الفوضى والتسبب والفساد في أركانه، وهدم قيمه الإسلامية، مما أدى إلى فصل الدين الإسلامي عن الحياة وأمور الدنيا والعمل على حصره على ما بعد الحياة، حتى ظهرت لنا مناهجنا في كل المجالات التربوية منها والاقتصادية والسياسية والثقافية ناقصة، بل باطلة ومضطربة، وما نعمله اليوم تهدمه في الغد لفشله بحجة التعديل، وبذلك تمر الأيام ونحن نرجع إلى الوراء. (خليفة، ١٩٨٢، ص١٩).

ثامناً: الهيمنة الغربية على البُنى والصناعات الاتصالية، لقد أدّت

التغيرات الجديدة في البيئة الاتصالية والإعلامية الدولية إلى تكريس واقع الهيمنة الغربية على معطيات الإعلام وتوسيع نطاقها وتشديد قبضتها، ولاتقتصر هذه الهيمنة على بُعد واحد يتعلق بالإنتاج الإعلامي فحسب، بل هي ذات أبعاد متعددة، ففي مجال البُنى التحتية والصناعات الاتصالية يسيطر الغرب على جزء كبير من صناعة أدوات الاتصال والوسائل الإعلامية، كما تحتكر الشركات الأوروبية والأمريكية معظم أوقات الأقمار الصناعية.

أما في مجال الإنتاج الإعلامي، فلا تزال وكالات الأنباء الغربية الأربع الرئيسية وهي: رويتر والفرنسية والأسوشيتد برس واليونايتد برس، تتحكم في توزيع ما يقرب من ٩٠٪ من الأخبار في العالم، وتسيطر الولايات المتحدة الأمريكية وحدها على ما نسبته ٤٠٪ من الإنتاج التلفزيوني والسينمائي في السوق العالمية.

لقد نتج عن هذا الاحتكار للبُنى التحتية للإعلام الدولي والهيمنة على الصناعات الاتصالية، ما يسميه (موريس أبوناضر) بـ "عولمة الصوت والصور والكلمة"، ومن الطبيعي أن تكون هذه العولمة من نصيب الغرب، وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية لأنها القوة الأولى المصدرة للثورة التقنية الإلكترونية، إذ تتحكم بنسبة ٦٥٪ من مجمل الاتصالات الدولية. (طاش، ١٩٩٥، ص١٥٥ - ١٥٧).

لماذا هذه التحديات؟

رغم الصورة الباهتة للإعلام في دولنا الإسلامية فإن الغرب ينزعج عندما تحمل إليه وسائل إعلامنا كلاماً عن الإسلام، إلاّ أنّ أعداء الإسلام وظفوا تلك التحديات لصالحهم لأنهم أدركوا أن الإسلام قوة دولية عظيمة، تزلزل كيانهم، وتهدد وجودهم - إذا ما حمله رجال مخلصون - فبدءوا يشنون الحملات المضادة على الإسلام، وقد حدث مثل هذا قديما مع الكفار في مكة ومع المنافقين في المدينة، إلاّ أن الممارسة الصحيحة للإعلام الإسلامي كانت وراء دحر هؤلاء وإحباط مخططاتهم وكيدهم في ذات الوقت الذي كانت فيه السبب

في انتصار الإسلام والمسلمين وانتشار دعوتهم. (كحيل، ١٩٨٥، ص٧٧).

ويتضح لنا أن ما حدث للمسلمين من خسائر كان من جراء غيبة الإعلام الإسلامي عن الميدان، وقد انتهز أعداء الإسلام هذه الفرصة وبدءوا حربهم على الإسلام وقيمه ومبادئه، وذلك خوفاً من انتشاره وسيادته مما يؤدى إلى اندحار واختفاء سلطانهم، لذا بدءوا حملاتهم الشعواء ضد الإسلام ورجاله ومبادئه، وساعدهم على ذلك المسلمون أنفسهم، حين قل الإحساس بأهمية العمل الإعلامي لدى الكثيرين من العاملين للإسلام سواءً كانوا أفراداً كالعلماء والمشايخ، أو جماعات وتيارات، وخاصة حين انعزلوا بأنفسهم عن أخطار الاتصال الجماهيري، تاركين أفراد الأمة يسقطون صرعى في الهوان المتكرر، والإلحاد المدبر والتخطيط الشيطاني المدمر. (إمام، ١٩٨٠، ص٧٩).

وأنّ سكوت المسلمين وصمتهم إزاء ما تقوم به كتائب الظلام وجند الشيطان، يعتبر تخاذلاً ونكوصاً، فلابد من التصدي، وفضح النفاق، وكشف الخداع وإظهار الزيف، فالمسلمون أمة شديدة البأس وليس صمتها على المنافقين والمشركين دليل تصديقها لأباطيلهم.

ثم عاد أعداء الإسلام وجاء عليهم زمان غاب فيه الإعلام الإسلامي عن الساحة، واختفى فيه من الميدان، فانتهزوا الفرصة بعد أن أخذوا منه مبادىء الممارسة الصحيحة للإعلام، وبدءوا مستخدمين وسائلهم المستحدثة وأساليبهم الرخيصة المبتذلة المغرية، بدءوا يحاولون إبعاد المسلمين عن ماضيهم وعن دينهم، وحول ذلك يقول الأستاذ (جب) المستشرق الإنكليزي، حين يستعرض أنجح الوسائل لتغريب المسلمين تغريبا حقيقيا، يهضمون فيه الحضارة الغربية، حتى تصبح فيهم شيئا ذاتيا، لا مجرد تقليد للغرب، يقول: "للوصول إلى هذا التطور الأبعد الذي تصبح الأشكال الخارجية بدونه مجرد مظاهر سطحية، يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفا إلى خلق رأي عام، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة، إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذا في العالم الإسلامي. كذلك يبدي ملاحظة عن النتائج الرهيبة

لهذا الغزو فيقول: "إن النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة، قد ترك في المسلمين من غير وعي منهم أثرا جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد". .سعيد، ١٣٩٦، ص٤٧).

وقد صدق المستشرق الإنكليزي (جب) حيث أصبح كلامه حقيقة واقعة في حياة شعوب البلدان الإسلامية. تقول الدكتورة إجلال خليفة مقررة ذلك: "تتعدد وتتباين التحديات التي تواجه الإعلام الإسلامي والمواطن المسلم، وأخطر هذه التحديات الداخلية والتي تحيط بالإنسان المسلم عن قرب، وتصافح عقله ووجدانه وروحه وإحساسه صباحاً مساء".

كيف يمكننا مواجهة التحدي الإعلامي؟

قال الله عزوجل في كتابه المبين «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم، وأخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم» (الأنفال، ٦٠).

وأدرك المفكر البريطاني (جورج برنادشو) مدى فاعلية هذه القوة معارضا بذلك كثيرا من الأحكام السطحية عليها حين كتب: "لا يساورني أدنى شك في أن الحضارة التي تربط اجزائها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكا قويا وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون أيضا خطرا على أعدائه، ماذا لو يتعلم العالم الإسلامي ما تعلمناه في مجال التكنولوجيا؟ وفي مقابل هذا سوف يكون من الصعب علينا استعادة التعاليم الروحية، وهي من العوامل الأساسية لوحدة أوروبية – التي فقدتها المسيحية بينما لا يزال الإسلام يحتفظ بها". (شامة، ١٩٨٠، ص٢٠-٢١).

لقد ترك الله سبحانه وتعالى كلمة قوة (نكرة) حتى يبذل المسلمون أقصى ما يستطيعون من جهود فى مختلف المجالات كالقوة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية ... إلى جانب ذلك كله وغيره، القوة الإعلامية الفاعلة، وذلك لم ولن يكون إلاّ بما يلي:

أولاً: تحديد الهدف والفكر

فما يهمنا في مجال إعلامنا الإسلامي هو أن يوجد الهدف وأن يوجد الفكر الإسلامي أساسا، وأن يوجد الاتجاه إلى تنفيذه وتطبيقه والدعوة إليه لدى المخططين لوسائل الإعلام والقائمين على أمر أجهزة الإعلام حتى يصبح الإعلام إسلاميا، فمثلاً القائمون على أمر الإعلام في دول ذات فكر شيوعي ويهدفون إلى تنفيذه وتطبيقه، نرى كل أجهزة الإعلام من إذاعة بشقيها المسموع والمشاهد ومن صحف ومجلات وكتب وكتيبات وسينما ومسرح كلها في خدمة هذا الفكر الشيوعي، كلها تتضافر معا لتقدم مضامين ومفاهيم متناسقة ومتكافئة، يكمل بعضها بعضا لخدمة هدف واحد هو الفكر ولا تجد بينها أيّ تعارض، ولا تجد كل وسيلة أو كل جهاز إعلامي يدعو إلى بدأ يختلف عن الآخر، ونحن نضرب هذا المثل ليس تأييدا للفكر الشيوعي، بل لنرى مدى تسخير الإعلام وأجهزته لخدمة المبدأ والهدف، وهكذا لو أننا سخرنا أجهزتنا الإعلامية لخدمة الإسلام ومبادئه وأهدافه، لأمكن ذلك بسهولة ويسر عن طريق التخطيط السليم والتوفيق بين الأجهزة الإعلامية المختلفة.

فالإعلام الصادر عن الدول الإسلامية، يمكنه عن طريق تحديد الأهداف ووضوح الرؤية والوعي التام بالمنهج الإسلامي، وكذا الوعي بالأساليب الفنية الملائمة الجذابة والمعرفة التامة بالوسائل الحديثة المتطورة والملائمة للعصر وتقدمه، يمكن إذا ما حدث ذلك أن يكون إعلام الدول الإسلامية إعلاما إسلاميا بالمعنى والمفهوم الصحيح، وأن يشق طريقه في سهولة ويسر معبرا عن الإسلام، وروحه السمحة ومبادئه العظيمة، في صورة كل ما يصدر عن أجهزة الإعلام في الدول الإسلامية من مختلف الأشكال التحريرية والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، ليس فقط من البرامج المتخصصة أو وسائل الإعلام المتخصصة في النواحي الدينية، وليس هذا تقليل لشأن هذه الوسائل المتخصصة وإنما هي دعوة لأن يصبح كل إعلام الدول الإسلامية إعلاما إسلاميا.

ووضوح الهدف لدى القائم بالإعلام يؤدى إلى حسن التخطيط وحسن

رسم السياسات الإعلامية أول بأول، كما يؤدي إلى الوقوف على التأثير الناتج عن ممارسة الإعلام ومعرفة ما تحقق منه. (كحيل، ١٩٨٥، ص٥٤).

ثانياً: القائم بالإعلام

يجب العمل على تغيير أفكار القائمين على أمر الوسائل الإعلامية، وملء عقولهم بالمفاهيم الإسلامية، وذلك عن طريق إعداد القائمين على أمر الإعلام إعداداً إسلاميا سليما، وإقناعهم بأهمية الإسلام ونهجه وفائدته للبشرية، فمن أسس نجاح الداعية أو الإعلامي إيمانه واقتناعه التام بما يدعو إليه لأن ذلك الاقتناع يولد الحماس لدى رجل الإعلام، والحماس لدى رجل الإعلام إنما هو بمثابة التيار الكهربائي بالنسبة للأجهزة فإنها بدونه لا تؤدي عملا نافعا. إن الحماس إذا فقد من الإعلامي فإن حديثه يكون جافا وأسلوبه يكون أجوف خاليا من كل ما من شأنه الإقناع والتأثير. وكما قيل قديما "فاقد الشيء لا يعطيه".

لذا كان لابد من إعداد القائم على الإعلام إعدادا مناسبا للقيام بمثل هذه المهمة الشيقة، لأنّ الإعلام الإسلامي يجب أن يقوم به مسلمون عاملون بدينهم، متفهمون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة وجماهيره المتباينة، ومتى ما كان القائم بالإعلام الإسلامي عاملا بعلمه وبأمور دينه فإنه يكون متحمسا له، ويكون علمه بالدين هو دليله ومرشده في إعداده لبرمجته وأحاديثه وصياغته لسائر المواد الإعلامية التي يقدمها. كما أن ذلك الحماس ينتقل عادة من المرسل إلى المستقبل فيؤدي إلى حدوث التأثير المطلوب.

وهذا ما نستنتجه من سيرة رسولنا الكريم أن الله سبحانه وتعالى قبل أن يكلف نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة أعده إعدادا عمليا ثم علميا فكان حتى المعاندون يصدقونه، ولا يجدون أمينا ولا صادقا غيره، وكان الناس يتبعونه حبا فيه وفي حسن خلقه، وبالمثل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعد أصحابه إعدادا علميا وعمليا قبل تكليفهم بالإعلام والإبلاغ وبهذا كان انتشار الإسلام ونجاح رسالته الإعلامية. (كحيل، ١٩٨٥، ص٣٨).

ثالثاً: جمهور الإعلام الإسلامي

فالإعلام الإسلامي ليس قاصرا على المسلمين فقط وإنما جمهوره هم المسلمون وغير المسلمين في كل زمان وكل مكان حتى الجن، قال الله تعالى «وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين» (سورة الأنبياء، ١٠٧)، «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم مومهم منذرين» (سورة الأحقاق، ٢٩)، كما أن الإسلام لا يعرف التفرقة العنصرية بين البشر، ولأن مبادئه وتعاليمه السمحة إنما هي تعاليم لنشر الفضيلة بين البشر، قال تعالى: «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا» (الأعراف ١٥٨).

رابعاً: استخدام وسائل الإعلام الحديثة والمتطورة

وهذا يعنى أن الإعلام الإسلامي ليس معناه العودة إلى الوراء، لاستخدام الاتصال الشفوي، أو الوقوف عند حد الخطبة والدرس الديني، بل يجب أن يستخدم الإعلام الإسلامي جميع وسائل الاتصال والإعلام الحديثة، مع ما يلزمها من أساليب إعلامية متطورة لنشر الإعلام الإسلامي القائم على المحتوى المليء بالمنهج الإسلامي والمستعمل للأسلوب الفني الإعلامي.

لذا يقول بعض المفكرين الإسلاميين الغيورين على دينهم "إن الوقفة التي وقفها بعض فقهاء المسلمين في أوائل هذا القرن تجاه وسائل الإعلام الحديثة من هدم وتحطيم أو مقاطعة وإعراض جعلت كثيرا من الشباب لايقبل على تعلم أصولها وطرق تطويرها. وقد آن الأوان أن نقتنع بأن هذه الأدوات محايدة تنقل الفكر كما يملى عليها ولا يهمها من يتبناه. (سفر، ١٩٩٠، ص٦٤ – ٦٥).

خامساً: التأثير وقياس رد الفعل

ولو تأملنا تاريخ الإعلام الإسلامي لوجدنا مدى الاهتمام بعملية رجع الصدى هذه، ومدى الاهتمام بالوقوف عليها وقياسها أول بأول، فقد كان صلى الله عليه وسلم يحزن أشد الحزن حينما يرى إعراض المشركين والكفار عن دعوته حتى خفف الله عنه في سورة الكهف «فلعلك باخع نفسك على

آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا» (سورة الكهف، ٦).

من هنا كان لزاما على رجال الإعلام الاهتمام بعملية رجع الصدى الصادرة من الجماهير المستقبلة لرسائلهم الإعلامية ومحاولة الاستدلال عليها أول بأول من خلال قياسها بأحدث الوسائل والطرق المناسبة لذلك حتى يستطيعوا تعديل رسائلهم الإعلامية على ضوء ردود الفعل المنعكسة من المستقبل لإحداث التأثير المطلوب فيه.

وأخيراً نجد أن القارئ، والمستمع والمشاهد قد أصبح يعتمد على أجهزة الإعلام ليس فقط في نقل الخبر، وإنما في نقل المعلومة الثقافية، وفي تلقي الإرشادات والتوجيهات في شتى المجالات، وأيضا في التسلية والإمتاع، بل أصبحت التسلية نفسها تستغل كقوالب فنية جذابة لنقل بعض الأفكار وغرس بعض العادات والتقاليد، وتعليم الكثير من المعلومات، وذلك كالتمثيلية الإذاعية وبعض الرسوم والكاريكاتير في الصحف والمجلات.

حتى أنّ رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم اهتم وحث صحابته بسلامة وحسن الممارسة الإعلامية، وعمل على ترشيدهم لها بوعي وفطنة وذكاء، ومدى تمسكهم برسم السياسات الإعلامية للأمة لتسترشد بها ولتسير عليها إلى يوم القيامة، فليس هناك فارق سوى الوسائل والأساليب فقط، أما المضامين وطريقة استخدامها، فما كان بالأمس هو بذاته موجود اليوم وغدا، وذلك أن هذه الأمة مأمورة بالإعلام على سبيل التكليف والأمر والفرضية لنشر دين الله تعالى الذي هو دين الإبلاغ والإعلام. (كحيل، ١٩٨٥، ص ٧٥).

من هنا تظهر بجلاء أهمية الإعلام الإسلامي في الإعلام عن هذا الدين والإقناع به، لتعم السعادة البشرية جميعها ولتنقشع غشاوات الظلام وليبدد نور الإسلام ظلمات المادية والإلحادية ومذاهبها المقنعة تحت مسميات كثيرة براقة وزائفة، حسبنا انها تثبت فشلها يوماً بعد يوم، وهذه هي مهمة الإعلام الإسلامي ودور رجاله في إنقاذ البشر جميعاً وإسعادهم بالإسلام ونوره قولاً وعملاً.

من اين يمكننا أن نستمد قوتنا الإعلامية؟

القوة تعتمد على المصدر، فإن كان مصدرك قوياً فستبقى قوياً، ومتى تتخلى عن مصدرك القوي تتكالب عليك حتى الضعاف، وهذا ما حدث فعلاً لأمتنا العربية والإسلامية عندما قوتها وعزتها ألاّ وهو القرآن الكريم والذي يعتبر مع فارق التشبيه دليل أو - (كتلوج) - هذه الأمة، والمتتبع المتدبر لكتاب يبهره ما يجد فيه من نصوص تعرض قضايا الإعلام عرضاً أخاذاً بديعاً، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها ما يلي: (الشنقيطي، ١٩٩١، ص٣٦).

- قضية الاهتمام بالإنسان واعتباره هدف الرسائل الإعلامية، «الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيزر الحميد *» (سورة إبراهيم، ١)، ونصوص قرآنية أخرى توضح بجلاء أنّ القرآن كتاب هداية أنزله الله عزوجل، وهو حين يتوجه بنوره إلى بشر لإنقاذهم من النار، يهدف إلى تغيير الواقع الفاسد واستبداله بواقع جديد يعمر القلب وينير للسالك سبيل الرشاد، «أفمن يعلم انما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى، إنما يتذكر أولو الألباب *» (سورة الرعد، ١٩).

- جمهورنا أكبر فدائرة التوجه في القرآن اوسع فهو موجه للمكلفين من الثقلين الإنس والجن، وهذه ميزة تعطي الرسالة الإعلامية قوة أكبر وأعظم لأنه سيستفيد منها جميع خلق الله، ولذلك ستكون مهمة القائم على الاتصال ستكون أكبر وأضخم، فهو لابد أن يدرس ويراعي إمكانيات كل هذا الجمهور الضخم من الجن والإنس، «قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرانا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولم نشرك بربنا أحدا *» (سورة الجن، ١-٢).

- أن ينطلق الإعلام في الدول الإسلامية في أدائه لدوره في مواجهة التحدي الإعلامي العالمي هو التحرير من أثقال التبعية، لأن التبعية في المجال الإعلامي تؤدي بدورها إلى تعطيل النمو السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

- أن يقوم الإعلام في الدول الإسلامية بإرساء قواعد متينة لنظام إعلامي يستند إلى فلسفة وقواعد إسلامية تحدد إطاره الفكري وغايته الكبرى ووظائفه العامة والخاصة وأساليبه وطرقه ووسائله وقنواته ونظمه وسياساته.

- التأكيد على أهمية الدراسة والتخطيط، وإعداد البنى التحتية اللازمة، وبالتالي وعي المخاطر والمحاذير، فنقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة إنما يعكس الأوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لجزء واحد من العالم، ثم تبني الأجزاء الأخرى لذلك النقل.

- لابد لذلك من مواجهة واتخاذ خطوات إعلامية عملية فاعلة، خاصة ونحن نواجه تحديات القرن الحادي والعشرين، وذلك بإنتاج مواد إعلامية ذات المضامين الثقافية التنموية الشاملة، التي تستقي مادتها - ولو - من الثقافات المختلفة الأخرى، لكن بما لا يتعارض مع تراث هذه الأمة وحضارتها، حتى لا تشحن وسائل إعلامنا بمواد الترفيه المستوردة "والتي مهما قيل عن جودتها وقدرتها على التسلية والترفيه، إلا أنها تبقى لونا من ألوان السيطرة الحضارية التي تأتي بقيم تختلف عما نشأت عليه هذه الأمة".

- يبدو أنه لا مفر من الالتقاء و لكن لابد وأن يتبع ذلك شيء من التفاعل والابتكار والإبداع الذاتي لأننا لسنا بمعزل عن المجتمع العالمي، بل تغذية الحضارة العربية الإسلامية العريقة بما ينسجم مع الواقع المحلي، وإحياء معاني التراث وكل ما يساعد على ترسيخ الذاتية الثقافية، وخاصة بعد ما

اشتد التواصل والتداخل العالمي عن طريق الأقمار الصناعية والانتشار الواسع لشبكة "الإنترنت"، وعدم التكافؤ بين صانع المادة الثقافية والإعلامية وبين مستقبلها، ومع ذلك فإن الطريق الصحيح يتمثل في دراسة الواقع المحلي وتكيفه مع تحديات القرن الحادي والعشرين، ومعطيات التكنولوجيا الحديثة مع الحفاظ على قيم ومبادىء الأمة ثم تجاوز الانغلاق إلى التفاعل العالمي - أخذا وعطاء - وصولا إلى نمط متميز في الثقافة والتفكير الإنساني.

المراجع

- القرآن الكريم

- محمد قطب، واقعنا المعاصر، مؤسسة المدينة للصحافة، الطبعة الثانية، جدة، ١٩٨٨.

- د. عبدالقادر طاش، الإعلام والتغريب الثقافي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩١.

- د. عبدالقادر طاش، الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي، نقلا عن "جريدة الشرق الأوسط (لندن) بتاريخ ١٩٩٣/٨/٣". مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٥.

- د. عبدالحليم محمود، أوروبا والإسلام، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٧٣.

- د. غازي القصيبي، "معضلة الانتماء في الرؤيا الكونية الواحدة"، مجلة اليمامة العدد (٨٩٥)، الرياض، ١٤٠٦هـ.

- د. إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠.

- د. إجلال خليفة، مجلة الفن الإذاعي العدد (٩٤)، اتحاد الإذاعة والتفزيون، القاهرة، ١٩٨٢.

- د. عبدالستار فتح الله سعيد، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، مؤتمر الفقه الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٦.

- د. محمد شامة، الإسلام في الفكر الأوروبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠.

- د. محمود محمد سفر، الإعلام موقف، الكتاب العربي السعودي (٦٣)، الرياض، ١٩٩٠.

- د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، مدخل إلى الإعلام، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩١.



رؤية مستقبلية لدور جامعات العالم الإسلامي
في مواجهة بعض تحديات القرن المقبل

ورقة بحث مقدمة

إلى نـــدوة

«التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل»

٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٨٨٧م

اعداد

دكتور/ محمود عزالدين عبدالهادي



تقديم:

تواجه الأمة الإسلامية العديد من التحديات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتعليمية وهي على مشارف القرن الحادي والعشرين، ولذا فهي في حاجة إلى رؤية مستقبلية لمواجهة هذه التحديات، ولا يمكن وضع هذه الرؤية دون أن يكون للتعليم - خاصة التعليم الجامعي - جزءاً أساسياً فيها. فالتعليم هو وسيلة إعداد الأفراد وتزويدهم بالقدرات والمهارات الضرورية لمواجهة تحديات المستقبل، أيا كانت هذه التحديات. كما أن التعليم الجامعي يعتبر حجر الزاوية في دفع عجلة التنمية، خاصة في عالم يتسم بالتقدم التكنولوجي المتسارع والانفجار المعرفي المتراكم.

ويقع العبء الأكبر على الجامعات في العالم الإسلامي في مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين، حيث أنها تعد الدرع الواقي لحماية الأمة الاسلامية في مواجهة الغزو الثقافي الغربي من خلال وسائل الاتصال، وكذلك فهي التي تحافظ على القيم الإسلامية التي يجب أن يتحلى بها الشاب المسلم في مواجهة القيم الغربية والغريبة على أمتنا الاسلامية. فالجامعات منارة العلم لحماية وترسيخ الاتجاهات اللازمة لتشجيع التقدم والوصول إلى القرن القادم بخطى ثابته، خاصة أن الشاب المسلم سيكون في وضع أفضل إذا ما اكتسب مزيد من سمات المستقبل بما يحمله من مشاكل وتحديات والطرق المناسبة لمواجهتها.

وتقدم هذه الورقة المتواضعة رؤية مستقبلية لدور الجامعات في العالم الإسلامي في مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين من وجهة نظر الباحث، وتقع في عدة محاور كما يلي:-

أولاً: ماذا نعني بالرؤية المستقبلية؟

ثانياً: دور الجامعات.

ثالثاً: واقع الجامعات في العالم الإسلامي.

رابعاً: بعض التحديات التي تواجه الجامعات في العالم الإسلامي.

خامساً: أثر التحديات على التعليم الجامعي.

سادساً: الرؤية المستقبلية المقترحة لدور جامعات العالم الإسلامي في مواجهة بعض تحديات القرن المقبل.

أولاً: ماذا نعني بالرؤية المستقبلية:

يقصد بالرؤية المستقبلية تصور الجامعة كما نرغبها أن تكون عليه في المستقبل من حيث دورها ووظيفتها وقيمها وفلسفتها.

فالهدف من الرؤية المستقبلية هو التركيز على مواطن القوة في المؤسسة التعليمية (الجامعة) وكذا فرديتها (أي ما تتميز به عن المؤسسات الأخرى) فهي مرنه تتكيف مع تغير الأفكار والظروف والتكنولوجيا.

فالرؤية عبارة عن تصور مثالي لما يمكن أن تكون عليه المؤسسة (الجامعة) اذا استُغلت كل امكانياتها وقدراتها سواء المادية أو البشرية.

ويُقصد بالرؤية المستقبلية - في هذه هو وضع تصور - من وجهة نظر الباحث - لدور الجامعة في العالم الإسلامي - في مواجهة تحديات القرن المقبل، وذلك من خلال اقتراح كيفية استغلال امكانياتها المادية والبشرية أقصى استغلال.

فالرؤيةالمستقبلية ضرورية للجامعة، حيث يتجه العالم بسرعة نحو عصر المعلوماتية تاركا وراءه العصر الصناعي مما يتحتم على القائمين عليها اعادة تنظيمها حتى تتلائم مع العصر الجديد.

وحتى يمكن الوصول إلى رؤية مستقبلية لدور الجامعات في العالم الإسلامي لمواجهة تحديات القرن المقبل يرى الباحث أنه لابد من التعرف أولاً على مواطن القوة والضعف في جامعات العالم الإسلامي (مرحلة تشخيصية)، وذلك لإعادة النظر - ربما - في تحديد اهدافها ووظيفتها وقيمها، ومن ثم رسم صوره مثالية لها كما ينبغي أن تكون، وكذا لابد من التعرف على دورها والقوة الدافعة لها وقيمها الأساسية وعلاقتها بالبيئة والمجتمع، ثم التعرف على التحديات التي قد تواجهها في القرن القادم، وكيفية مواجهتها.

ثانياً: دور الجامعات:-

توجـد ثلاثة اتجـاهات تحـدد أهداف ووظائف ودور الجـامـعـة يمكن تلخيصها كما يلي:

الاتجاه الأول: ويركز على الاتجاه التقليدي للجامعة الذي يؤكد على الجانب المعرفي، وفيه تكون الوظيفة الأساسية للجامعة "علمية معرفية بحته"، فهو اتجاه يرى أن الهدف الأساسي من الجامعة هو العلم للعلم بغض النظر عن فوائد العلم وتطبيقاته العملية، وان المعرفة يجب ان تكون موضوعية خالية من القيم، صادقة، وأنها المكان الذي تنمو فيها الدراسة والبحوث العلمية المجردة، ويرى البعض أن الجامعة بذلك قد وضعت نفسها في برج عاجي بعيدا عن المجتمع.

الاتجاه الثاني: ويركز على اندماج الجامعة في المجتمع الذي نشأت من أجله، فهي تعمل على تلبية حاجاته، مع الحفاظ في الوقت نفسه على وظيفتها الرئيسية الخاصة بالتأكيد على الجانب المعرفي، ويؤكد هذا الاتجاه على الجانب الاجتماعي السياسي، ويرى أن الجامعة هي المكان الذي تُدرس فيه أوضاع المجتمع ومشكلاته وايجاد حلول لها، أي أنها تراعي النفع المباشر للمجتمع، وفيه تكون الجامعة في خدمة المجتمع وهو الاتجاه الذي يزداد قوة وانتشاراً في الدول المتقدمة النامية، وان كان يهدد بوقوع الجامعة تحت تأثير القوى السياسية والاقتصادية.

الاتجاه الثالث: ويركز على وجود الجامعة كأداة للتغير الاجتماعي، فالجامعة هي المكان الذي يجب أن يتصدى إلى كل ما يمس قيم المجتمع وتقاليده، ومنطلقاته السليمة السياسية والاقتصادية، فالجامعة يمكن أن تهيء المجتمع ليصير مجتمعاً ديمقراطياً، مثقفاً، كما يمكنها العمل على تأصيل وتعميق التقاليد القومية.

ويوجد كثير من الدول المتقدمة تعمل على تأكيد الثلاثة اتجاهات السابقة في جامعاتها، بل وبعض الدول النامية أيضاً، فهي تعمل على تأكيد الوظيفة

المعرفية والثقافية والاقتصادية والسياسية للجامعة، كما أنها تعمل من أجل حل مشكلات المجتمع وتغييره وتطويره إلى الأفضل بالاضافة إلى الوظائف الرئيسية للجامعة ومنها:

- إعداد الكفاءات المهنية والإدارية وتزويد المجتمع بها.
- القيام بالبحوث والدراسات التي تستهدف ايجاد حلول لمختلف المشكلات التي تقف في سبيل النمو الاقتصادي والاجتماعي.
- ترسيخ النظم والقيم والمعايير والاتجاهات اللازمة لتشجيع التقدم.
- الاسهام في رفع كفاية افراد المجتمع وذلك عن طريق ربط برامج مختلفة تتناسب مع حاجة أفراده.

فالجامعة أيضا تعتبر الأداة الرئيسية للتنمية في أي مجتمع، فمن أهدافها تخريج القوة البشرية العالية المستوى، وتوفير البحث العلمي والتدريب المتعلقين بالحاجات التي يتطلبها المجتمع، وكذلك تخريج المهارات الملائمة، ولذا يرى البعض ان التنمية تعد المعيار الأساسي في تقويم أداء الجامعة.

ومعظم الجامعات الاسلامية في العالم الاسلامي تتضمن اهدافها ما يلي:

- تقديم المعرفة ونشرها وحسن تطبيقها.
- تنمية الثروة البشرية وتطوير المجتمع والمساهمة في تقدم الدولة.
- بث الاخلاق الفاضلة وترسيخها والتمسك بها في السلوك.
- الاستناد إلى الإسلام في اصوله وقيمه السامية والدعوة إلى مبادئه وشرائعه كنظام متكامل يرقى بالانسان إلى أعلى المراتب ويحقق له الحياة الحره الكريمة.
- تنمية التقنية وتطويرها ووضعها في خدمة المجتمع.
- اعداد الانسان المزود بالقيم الاسلامية وبأصول المعرفة وطرق البحث المتقدمة والقيم الرفيعة ليساهم في بناء الوطن وخدمة المجتمع الإسلامي والانسانية.

- تنظيم الخدمات المجتمعيه.

- ايجاد صلات دائمة مع الجامعات الإسلامية والدولية بالمشاركة في المؤتمرات والندوات وإقامة المعارض وتبادل الخبرات.

ولكن هل هناك اختلاف بين الجامعات غير الاسلامية والجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي؟

ولنأخذ مثالاً من الجامعات في العالم العربي باعتبار انه جزء من العالم الإسلامي، كما يشير (التويجري، ١٩٩٥) أن الحضارة العربية الاسلامية لم تعرف هذا التقسيم إلى ما هو عربي وإلى ما هو إسلامي، ولم يعرف العقل العربي الإسلامي هذه التجزئه الذهنية على اي نحو من الانحاء، وإنما هي فكرة وافده من جملة الافكار الوافدة التي عرفها العرب والمسلمون في عهودهم الحديثة، فالعالم العربي الإسلامي كيان حضاري متجانس، وكتله بشرية مترابطة، هو عالم الاسلام والعروبة، أو عالم العروبة والاسلام فالعروبة هي قادة الإسلام، والعربية هي وعاء الدين الإسلامي، وهي لغة القرآن، ولغة العبادات، وهذا التلازم مع العروبة والإسلام، هو الذي يجعل من العالم العربي، ومن العالم الإسلامي، عالماً واحداً له من اسباب التجانس والترابط والتقارب الوثيق، ما يوفر له عناصر القوة والمناعة، ويكسبه سمات التميز والتفرد.

فالأمة العربية الإسلامية تضم المسلمين عرباً وغير عرب، كما تضم غير المسلمين الذي يعيشون في ظل المجتمعات المسلمة، والذين يعتبرون مسلمين حضارة وثقافة، فالمدلول الحضاري للأمة العربية الإسلامية، من السعة والرحابه والمرونة، بحيث يشمل المؤمنين بالاسلام ديناً وعقيدة، والمنتمين إلى الإسلام حضاره وثقافة.

فالأمة العربية الإسلامية هي أمة واحدة "إن هذه أمتكم أمة واحدة" لوحده عناصرها، ولوحدة مكوناتها، ولا يعني ذلك بالضرورة الوحدة السياسية، أو الوحدة الدستورية وإنما القصد هنا وحدة العقيدة، ووحدة الانتماء إلى الأصل

الواحد، ووحدة الشعور، ووحدة التوجه، ووحدة الثقافة والحضارة والتاريخ، ووحدة الأهداف والمصير.

ولنأخذ مثالاً من أهداف الجامعات غير الإسلامية

- تحصيل المعارف والعلوم والقدرات الفنية والإسهام في تقدمها والعمل على نشرها عن طريق التدريس والبحث العلمي.
- تزويد البلاد بالمتخصصين والفنيين والخبراء في مختلف المجالات وإعداد الإنسان المزود بالقيم الاسلامية والأصالة العربية وبأصول المعرفة وطرق البحث المتقدمة والقيم الرفيعة ليساهم في بناء الوطن وخدمة المجتمع العربي والإسلامي والانسانية.
- القيام بالبحث العلمي وتشجيعه وتنمية روح البحث العلمي والاستقلال الفكري والمبادرة الشخصية عند الطلبة.
- العناية بالحضارة العربية والإسلامية ونشر تراثها وتنمية الاهتمام بالثقافة القومية والعالمية.
- تنمية التقنية وتطويعها ووضعها في خدمة المجتمع.
- توثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية العربية والعالمية.
- تنظيم الخدمات المجتمعية، بما في ذلك تنظيم برامج دراسية لا ترتبط بمنح الدرجات والدبلومات والشهادات وتشجيع الطالب على المساهمة في الخدمة العامة خارج الجامعة. (جامعة البحرين).

أما أهداف جامعة (الملك سعود) فتنحصر في "تهيئة الجو الملائم للتعليم والتحصيل العالي لطلابها عن طريق توفير الأساتذة الأكفاء وتقديم العديد من الخدمات وتطوير برامج التعليم بهدف تطوير المعارف والعلوم التي تتاح لخريجيها لمساعدتهم في أداء أعمالهم بكفاءة في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي والوزارات، كما تهدف الجامعة إلى إيجاد صلات دائمة مع الجامعات

العربية والإسلامية والدولية بالمشاركة في المؤتمرات والندوات وإقامة المعارض وتبادل الخبرات بين الاساتذة، وتعمل الجامعة على إيجاد تفاعل دائم ومستمر مع المجتمع السعودي وذلك عن طريق الندوات والاجتماعات والزيارات لتحقيق هذا الالتحام".

أما فيما يتعلق بالجامعات الإسلامية، فلقد أشار (القطري - ١٩٨٥) إلى بعض الحقائق التي تتسم بها هذه الجامعات ومنها:

- ان الجامعات الإسلامية قد نشأت في مجتمع اسلامي تحكمه العقيدة والشريعة، وتسوده قيم الاسلام ومبادئه، يدعو إلى العلم ويعتبره فريضه على كل مسلم، والعلم عنده هو العلم بمفهومه الشامل الذي يتناول دنيا المسلمين ودينهم.
- أن الحياة الثقافية قد ازدهرت في المجتمع الاسلامي في الماضي، ويساعد على هذا الازدهار عدة عوامل، كان اهمها حرية الفكر التي اثارت العقول، وامتزاج الثقافات الناتج عن تعدد الأجناس في الدولة الإسلامية، والاحتكاك بين الاتجاهات الفكرية والمذاهب المختلفة، وتشجيع رجال الدولة للعلم والعلماء، فنشأت مراكز فكرية كثيرة في العالم الإسلامي، اجتذبت إليها رجال العلم والأدب، كالأزهر والزيتونة والقرويين وقرطبة.
- ان رباط اللغة والدين كان سببا من أسباب الازدهار الفكري وتطور الحياة العقلية، إذ اصبحت اللغة العربية في هذا العصر لغة المثقفين من العرب وغير العرب، وهي أداة التعبير عن الحضارة الإسلامية، في حين أن الاسلام قد مكن المسلمين من المحافظة على أواصر الوحدة العقلية بينهم زماناً طويلاً.

يتضح أن الفروق ليست كبيرة بين الجامعات الإسلامية والجامعات غير الإسلامية في العالم الاسلامي، خاصة ان معظم الجامعات الاسلامية، قد ادخلت بجانب علومها الدينية، العلوم الدنيوية مثل جامعة الأزهر، بهدف تخريج الطبيب الداعية، والمدرس الداعية... وهو هدف عظيم إذا ما تحقق بالفعل!!

ثالثاً: واقع الجامعة في العالم الإسلامي:

١ – غياب فلسفة تربوية إسلامية واضحة تحدد الأهداف وترسم السبيل وقد أدى ذلك إلى عدم مسايرة المناهج التي تدرس في الجامعات الإسلامية لواقع المجتمع الإسلامي ومشاكله وكذلك عدم ملائمة تلك المناهج لحاجات المجتمع.

٢ – وجود فجوة بين السياسة المعلنة للجامعات في العالم الاسلامي والتطبيق العلني لها، ويتضح ذلك في أهداف الجامعات المعلنة الخاصة بتركيزها على النواحي الإسلامية والتي لا تحققها في الواقع.

٣ – لا يوجد توازن بين تعليم الذكور والإناث في جامعات العالم الإسلامي ويمكن القول ان الأنظمة التعليمية سواء في الدول العربية او الإسلامية قطرية وليست قومية، نظرية وليست عملية لفظية وليست علمية، قديمة وليست متجددة، استهلاكية وليست استثمارية، مستوردة وليست تابعة من أصالة الأمة وحضارتها.

ويضيف حامد عمار ان التعليم في المجتمعات العربية الإسلامية ارتبط بمفهوم قاصر للتنمية محوره زيادة تطلعات الأفراد وارتفاع مستوى استهلاكهم الفردي. وتتطور هذه الرغبات والمطالب بالتطوير الحادث في المجتمعات الصناعية، وبرغبة المتعلمين في البلاد العربية – كجزء من العالم الإسلامي – في مسايرة الرموز المادية الشائعة في تلك المجتمعات. كما أن نظم التعليم فيها هي نظم معادية للمشاركة وتدعم نمط التربية التسلطية.

ويضاف إلى ذلك أن التربية القائمة في جامعاتنا تفتقر إلى التجديد بسبب الأساليب المستخدمة فيها، حيث لا تشجع مناقشة الموضوعات والجدال حولها، وإنما ترتكز في معظمها على إلقاء المحاضرات كما يوجد فارق كبير في عدد الجامعات في الدول المتقدمة ودول العالم الإسلامي، فمثلاً في حين نجد أن عدد الجامعات حوالي (١٠٠٠) ألف جامعة في اليابان في بلد يبلغ عدد سكانه حوالي (٦٠) ستين مليون نسمه، نجد ان لا يوجد سوى (١٠٠)

مائة جامعة في العالم العربي - كجزء من العالم الإسلامي - الذي يبلغ عدد سكانه حوالي (٢٠٠) مليون نسمة.

رابعاً: بعض التحديات التي تواجه الجامعات في العالم الإسلامي:

تواجه الجامعات في العالم الإسلامي الكثير من التحديات بعضها مباشر وبعضها غير مباشر، فمنها تحديات سياسية واقتصادية وتكنولوجية وعلمية وثقافية وتعليمية. ويمكن استيضاح هذه التحديات كما يلي:

١ - التحديات السياسية والاقتصادية:

وتظهر هذه التحديات في أشكال متعددة ومصطلحات كثيرة، اكثرها شيوعاً ما يطلق عليه بالعولمه Globalization أو علم النظام العالمي واكثر ما يهمنا فيه هو الاستقطاب الدولي من الثنائية إلى الأحادية، الذي نتج بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، والتخلص من ثنائية الاستقطاب العالمي. الايدلوجية والعسكرية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والتي دامت حوالي نصف قرن، وبداية ما يعرف براسمالية السوق Marketing Capitalism والذي سيغدو محاولة جديدة لتوحيد العالم (= العولمة) وذلك من خلال: (الجميل - ١٩٩٧).

- تدشين الحروب واستخدام العنف والتهديد بالابادة الجماعية لشعوب آسيا اساسا، ثم افريقيا وأمريكا اللاتينية.
- تفوق الآلة الحربية الأمريكية بعد خسران الاتحاد السوفيتي ليس لمصداقيته السياسية والايدلوجية فحسب، بل لإمكاناته العسكرية وتفرقها بعد تلاشي كيانه.
- ارتهان المنافسة الاقتصادية والمالية الأوروبية واليابانية للقوات العسكرية الأمريكية نظراً لهشاشه كل من أوروبا واليابان.

ولذا فمن المتوقع ان تتلاشى الكثير من المفاهيم والأفكار والمصطلحات السياسية مثل (شرق - غرب)، (شمال - جنوب)، (عدم الانحياز)، (العالم الثالث)، (البلدان الاشتراكية) .... الخ.

وقد نتج عن ذلك وجود ثلاثة قوى تحاول الهيمنة على النظام العالمي أولها المجموعة الأوروبية (بما فيها دول الاتحاد السوفيتي القديم) والتي تحاول أن تغدو كتله اقتصادية قوية ومستقلة ذاتيا بعيدا عن الايدلوجية الأمريكية أو اليابانية، إلا أنها لابد وأن تندمج مع دول شرق أوروبا التي هي في حاجة ضرورية لتحويل اقتصادياتها الاشتراكية إلى اقتصاديات السوق أولاً مما قد يأخذ وقتا ليس بالقصير. وثاني هذه القوى هي اليابان التي تحاول ان تغزو السوق العالمية، إلا انها لن تستسطيع ذلك لحاجاتها من المواد الخام ووقوف القوميات الآسيوية أمام صناعاتها، وكذلك القيود الأمريكية والأوروبية. وثالث هذه القوى هي الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة القوة العسكرية العظمى والوحيدة في القرن القادم، وعلى الرغم من انفراد إرادتها السياسية في العالم، الا ان ذلك قد يشكل عبئاً ثقيلاً عليها رغم ما تمتلكه من مقومات اقتصادية حقيقية.

ويمثل العالم الإسلامي مجالاً حيويا واستراتيجيا بارزاً، من جنوب غرب أسيا الممتدة بين باكستان شرقاً إلى وادي النيل غرباً، وصولاً من البحر الأسود شمالاً وحتى القرن الافريقي جنوباً، بالاضافة إلى الثروات التي تمتلكها المنطقة مثل:

- الثروة النفطية في الخليج العربي (السعودية، العراق، إيران، الكويت، البحرين، قطر، الإمارات العربية، عمان).
- الثروة الديموجرافية (مصر).
- الثروة المائية (تركيا).
- الثروة الزراعية (شرق الأناضول).

مما يجعل فيه مطمع للقوى التي تحاول السيطرة على العالم في القرن القادم، خاصة ما يتسم به دول العالم الإسلامي في الوقت الحالي حيث انهم مازالوا غير ممارسين البتة لأي تفكير جديد يمكنه أن يتعامل مع الظواهر الجديدة، فضلا عن الضعف السياسي الذي كان يتوقع به السياسيون من قادة وزعماء ومصلحين، وكذلك فضلاً عن الهزال الفكري الذي تتشبع به

النخب الوسيطة والفئات الوظيفية، ودون أي تجسيد ديمقراطي بين صناع القرارات وبين المفكرين والعلماء الذين برز منهم رجالات لا معين بأفكارهم الجريئة وأرائهم السياسية ومعتقداتهم النهوضية التحديثية (الجميل - ١٩٩٧). ولذا نجد أن النظام العالمي الجديد في محاولته للسيطرة على مقدرات العالم الإسلامي يركز على:-

أ - التناقض القائم بين الدول الاسلامية - خاصة الدول العربية - التي تعاني حاله من سوء التنمية من ناحية، والإمكانات الحقيقية التي تسمح في حالة استثمارها بشكل صحيح من رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للعالم الإسلامي، ولكن هذا لا يحدث لاسباب عديدة.

ب - التنافر العرقي/ الاثني والديني والطائفي في العالم الإسلامي، مثل ما يحدث في أفغانستان، والبوسنة والهرسك، وتركيا والجزائر ومصر، والهند وباكستان وبنجلاديش.

جـ - هيمنة الصيغة الأمريكية للديمقراطية، وتسارع الجميع إلى تلفقها، والتي لن تكون من الوجهه العملية سوى ترويج للشركات المتعددة الجنسيات ووكلائها وما يؤدي ذلك إلى نوع من الهيمنة الاقتصادية.

ويتطلع النظام العالمي الجديد إلى المزيد من هذه التناقضات والمشاكل لاستخدامها في المزيد من التفكك الإسلامي، وفي هذه الحالة من التفكك، أصبح هناك العديد من الدول الإسلامية من النظم التابعة للدول المهيمنة على النظام الدولي، مما سوف يؤثر على النظم السياسية للدول الإسلامية، وما يتبع ذلك من تبعية اقتصادية وثقافية ... الخ. فما تأثير ذلك على الجامعات في العالم الإسلامي؛ وما دورها في مواجهته؟

٢ - التحديات التكنولوجية والعلمية والثقافية:-

يعتبر القرن المقبل هو قرن وسائل الاعلام والاتصال، حيث انتشرت الثورة التكنولوجية والعلمية، خاصة تكنولوجيا وسائل الاتصال والمعلومات الإعلام، والتي ربطت كل دول العالم تقريبا ببعضها البعض حيث أصبح

يسمى - بقرية صغيره. فلقد انتشرت وسائل الاتصال المختلفة مثل التليفون والتلكس والراديو والتلفزيون والصحافة المكتوبة والالكترونية والحاسوب والاطباق اللاقطة والانترنيت. مما جعل الكبار والصغار معرضون لكل ما ينشره العالم بما في ذلك مجتمعاتنا الاسلامية ويسبب هذا التطور الهائل في وسائل الاتصال، فإن ذلك - على وجه الخصوص - سوف يخلق تحديا كبيراً في القرن القادم وذلك لتاثيره على حياة الناس وسلوكهم وثقافتهم، وكذلك حياتهم الاقتصادية والسياسية وتعد صناعة الوسائل. الاتصال والإعلام الحديثة من اكبر الميادين الصناعية، إذ بلغت نسبة الناتج القول للدول المتقدمة حوالي ٨٠٪ في الثمانينات بينما بلغت حوالي ١٤٪ فقط في الدول النامية - والتي معظمها من دول العالم الإسلامي (النجار - ١٩٩٧).

يضاف إلى ذلك ضعف "الثقافة المحلية" لتحل محلها "الثقافة العالمية" بكل ما تحمل من قيم واتجاهات قد لا تتناسب مع القيم والاتجاهات الاسلامية، فالإعلام الأجنبي الوافد أو السطحي العربي المقلد، والتهافت على شبكات الاتصال الدولية (الانترنيت) وغيره من وسائل الإعلام والثقافة بجميع اشكالها لن تسلم منه الذاتية الثقافية المحلية لمن هم في تبعيه، لأن العملية الإعلامية أصبحت عملية تجارية اقتصادية، تهدد الحرية الذاتية، كما تهدد الهوية الثقافية.

إن أهم ما يرتبط بموضوعنا هنا هو تقرير لليونسكو "أن الفجوة الحضارية الرهيبة بين الدول المتقدمة والدول النامية هي التي مكنت مجموعة الدول الأولى من السيطرة على مصادر الإعلام والثقافة في مجموعة الدول الثانية وهي تجعل في النهاية الدول النامية في موقف الاعتماد الكلي على وسائل الإعلام التي تمارسها الدول المتقدمة على الدول النامية.

فللإعلام دور كبير في تعليم وتثقيف وتوعية الشباب وإعدادهم للمستقبل بحيث تكون لهم ثقافة وطنية تتفاعل مع عالم منفتح على الحضارات المتنوعة، إلا أن الإعلام في العالم الإسلامي لا يزال يعمل على ترسيخ نوع من الانسلاب السياسي والثقافي والاقتصادي عن طريق قنوات الاتصال والإعلام

المحلي، الذي يركز على أحداث وأخبار ومعلومات مصاغة بشكل يخدم الاعلام الأجنبي ويشوه صورة الإسلام والمسلمين.

.. هل تستطيع وسائل الاتصال في العالم الإسلامي من مواجهة وسائل الإعلام المتدفقة من الدول الصناعية (هل تستطيع بدورها في المراقبة والترابط والتنشئة الاجتماعية). الإجابة بالقطع لا ... فالإعلام في بعض الدول الإسلامية لا يزال يعتمد على وكالات الأنباء العالمية والنقل عنها نقلاً حرفياً دون تبصر، ويظهر ذلك في الأحداث الأخيرة.

فالتليفزيون يعد أهم وأخطر وسيلة اتصال وإعلام في الدولة الإسلامية خاصة - إذا كان هناك عدد كبير من الأميين - فله تأثير مباشر وغير مباشر كوسيلة لنقل المعلومات والثقافة. وبخاصة عبر المسلسلات والأفلام التي تحمل في طياتها مفاهيم وقيم ثقافية واجتماعية غريبة عن حضارتنا وقيمنا الإسلامية.

ولقد تعزز هذا الدور في الوقت الحالي بانتشار الفضائيات، وبهذه الوسيلة الخطيرة زادت هيمنة الدول الصناعية والشركات الكبرى على الدول النامية ومنها الدول العربية، وزاد عدم التوازن في التدفق الإعلامي في اتجاه واحد.

وتشير عايدة النجار (١٩٩٧) إلي أن ٤٠ - ٦٠٪ من برامج التلفزيونات العربية - كجزء من العالم الإسلامي - ثم استيراده من شركات الانتاج العالمية، وتبث اكثر التلفزيونات برامج دعائية اعلامية تروج للبضائع الأجنبية وتهدف للربح المادي وتؤثر بالمشاهدين وتخاطبهم كمستهلكين. ووصلت نسبة البرامج المتخصصة للتسلية والترفيه الأجنبية التي تتمثل في المسلسلات والأفلام في بعض برامج التلفزيونات العربية بين ٦٠ - ٧٠٪ من مجمل ساعات البث اليومي وتستورد ما نسبته ٧٥٪ من تلك البرامج من الولايات المتحدة الأمريكية المحتكر الأول للإعلام في العالم.

وتبث بعض تلك القنوات برامجها دون رقيب في أخبارها ومسلسلاتها

وبرامجها، وتنتج صوراً سلبيه عن العالم العربي سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية وخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. وبالرغم من ذلك فالإقبال واسع على مشاهدة المحطات الأجنبية.

وربما يرجع السبب في ذلك إلى التكرار في البرامج الوطنية، وعدم جودتها، وفقدان مصادقيتها وضعفها، وكانت النتيجة تغلغل افكار جديدة لعقل الفرد المسلم تحت اسماء مختلفة مثل الواقعية، والمتغيرات الدولية، والمرونة، ونهاية الايدلوجية ... وكذلك تزييف الوعي الإسلامي بثقافة تراثية مشوهه، بل وتشويه العالم الإسلامي وجعله صوره للإرهاب، فما تأثير ذلك على الجامعات في العالم الإسلامي؟ وما دورها في مواجهته؟

خامساً: أثر التحديات على التعليم الجامعي:

يتضح من تحليل التحديات السابقة أن واقعاً جديداً أخذ في التبلور، وأصبحت له بصماته على التعليم الجامعي في دول العالم الإسلامي، فالجامعات اكثر عناصر الجهاز التعليمي تخصصاً وكفاية، ولذا فهي تمارس وظائف ذات علاقة بالايدولوجيات وبالمؤسسات، خاصة أنها تساهم في تشكيل مؤسسات المجتمع بشكل أو بآخر، فهي تؤثر وتتأثر بالعوامل السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ... في أي مجتمع.

فمن التحديات السياسية التي تؤثر في التعليم الجامعي - بشكل غير مباشر - تلك الخاصة بالأقمار الصناعية واندماجها مع تكنولوجيا الاتصال والمعلومات والتي أصبحت سبباً في تقليص السلطة السيادية لدول العالم الإسلامي، مما يجب معه اعادة التفكير في مفهوم الحدود الجغرافية والحدود السيادية والسياسية بشكل جديد، بالاضافة إلى ما تحمله هذه التكنولوجيا من مفاهيم ومصطلحات سياسية تحمل في ظاهرها الرحمة وفي باطنها النقمة.

ويلاحظ أن معظم جامعات العالم الإسلامي تستورد نماذج تنمويه مختلفة، أي نماذج نشأت في ثقافات مختلفة، وقد لا تتفاعل مع مجتمعاتنا

الإسلامية، ولعل من أكثر الآثار التي قد تنجم عن التحديات الاقتصادية هو النظر إلى التعليم الجامعي على أساس من حرية السوق، وما يترتب على ذلك من تغيير في أهداف التعليم الجامعي في ضوء متطلبات سوق العمل بما يخدم الأفراد حتى لو كان على حساب أهداف المجتمع.

كما أن المستحدثات التكنولوجية، خاصة تكنولوجيا المعلومات قد تؤثر - أن لم يكن حدث فعلاً - على الهوية الإسلامية لأننا قد ننظر إلى التكنولوجيا على أنها مجرد أداة أو وسيلة معزولة عن سياقها الاجتماعي والبيئة، فالتكنولوجية يصعب عزلها عن المجتمع وظروفه ونظمه وقيمه، وبالتالي فإن استخدامها دون وعي عميق بأبعادها الاجتماعية والاخلاقية قد يكون له اثار سلبيه على الطالب الجامعي.

ويضاف إلى ما سبق أثر تكنولوجيا الاتصال الحديثة على الهوية الاسلامية بسبب وسائل الاعلام، التي اصبحت تنافس المؤسسات التربوية، ومنها الجامعة، وما تحمله من مواد اعلامية غريبة على قيمنا وتقاليدنا الاسلامية، وكذلك شبكة المعلومات (الانترنت) واستخداماتها من قبل طلاب الجامعة بشكل قد يفوق في خطورته برامج القنوات الفضائية، فلقد أصبح الاختراق الثقافي يحل محل الصراع الايدلوجي الذي يهدف إلى تسطيح الوعي بجعله يرتبط بما يجرى على السطح من صور ومشاهد ذات طابع اعلامي إشهاري مسير للإدراك، حاجباً للعقل وموجه للخيال والسلوك، هذا الاختراق الثقافي محمل أيضاً بايدولوجيا معينه يقصدها الغرب.

كل هذا قد يؤثر على الهوية الثقافية للطالب الجامعي، من خلال الإقبال الأعمى على الثقافة الكونية واستهلاكها دون نقد أو تمحيص، وتغلغل افكار جديدة في العقل الإسلامي التي تدعو ظاهرياً إلى التجديد لكنها تنطوي في أعماقها على التخريب مثل انتشار الأنماط الاستهلاكية في المجتمعات النامية، ونتطرق هنا إلى اثر ذلك على التعليم الجامعي بشكل مباشر كما جاء في دراسة نوفل (١٩٩٢) والتي يمكن تلخيصها كما يلي:-

١ - الطلاب: فالحاضرات لن تحتل الأهمية التي تتمتع بها في الوقت

الحاضر، وسوف يستطيع الطلاب الاتصال بمصادر معرفة متنوعة في المكتبات من خلال الأجهزة الألكترونية .. وسوف تمكنهم هذه الأجهزة من الاتصال والحصول على المعلومات من مكتبة معهدهم ومن خارجه، بل من البلدان والدول الأخرى، وسوف تمكنهم من الحصول خلال دقائق على ترجمات للمقالات المنشورة في الصحف اليومية أو المجلات العالمية الصادرة في البلدان الأخرى. كما سوف يكثر استخدام الكمبيوتر الشخصي لكتابة البحوث والواجبات المنزلية .. بل هناك اتجاها نحو استخدام طلاب الدراسات العليا للإنترنيت في الاتصال بأساتذة الجامعة المشرفين على الدراسة.

٢ – الأساتذة: سوف يمضون وقتا أقل في تحضير دروسهم ومحاضراتهم ووقتا اكبر في صنع المعلومات وفي البحث والعمل الإبداعي، وسوف يضطر لاستخدام اجهزة تكنولوجيا المعلومات الحديثة بأنفسهم مباشرة، لتجهيز الأسئلة وواجبات الطلاب.

٣ – البحث العلمي .. قد يضطر الطلاب إلى التدريب على أساليب البحث العلمي في وقت مبكر، وسوف يغلب على دراستهم في الجامعة طابع البحث وسوف يكثر استخدام اجهزة الكمبيوتر في كثير من عمليات التعلم عن طريق المحاكاة (Simulations) بدلا من استخدام المواد الأصلية (مثل العمليات الكيميائية المختلفة).

٤ – التربية المستمرة .. سوف يتمكن الكبار الذين يريدون مواصلة تعلمهم النظامي من تحقيق ذلك وهم في منازلهم بدرجة كبيرة، والتي يمكن إشباع حاجاتهم التعليمية عن طريق شبكة معلومات واتصال بين المتعلم الكبير ومصادر التعلم.

٥ – التعليم غير التقليدي.. سوف يكون الكبار قادرين على الوصول إلى كمية هائلة من المعلومات المفيدة في مجال التعلم غير النظامي (التعلم الذاتي) غير المرتبط ببرامج محددة أو شهادات معينة، وذلك عن طريق الكتب أو التسجيلات وأقراص الكمبيوتر .. وغيره والبث التلفزيوني لمساحات

شاسعة .. من استخدامات الأقمار الصناعية.

يتضح من الصور السابقة، أن التعليم الجامعي قد يحتاج إلى مزيد من الإنفاق التعليمي – على الرغم من عدم قدرة معظم الدول الإسلامية من الانفاق على التعليم الجامعي في الوقت الحاضر. كما سيكون هناك انقساماً بين المتعلمين الجامعيين، مضموناً وشكلاً واتجاهاً وذلك يتوقف على المستوى الاجتماعي والاقتصادي لهم، فهناك الطالب الجامعي (العصري) أوروبي أو أمريكي التكوين والميول والرؤية، والطالب الجامعي (التقليدي) العربي الإسلامي.

سادساً: الرؤية المستقبلية المقترحة لدور جامعات العالم الإسلامي في مواجهة بعض تحديات القرن المقبل:

في ضوء دراسة دور الجامعات وواقعها في العالم الإسلامي، وكذلك التحديات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية والتعليمية لهذه الجامعات في القرن المقبل، فإنه يمكن إعطاء بعض التصورات المقترحة حول دورها في مواجهة هذ التحديات:

١ – يجب أن تركز الجامعات في العالم الإسلامي على التكامل بين اتجاهات ثلاثة، الجانب المعرفي، والجانب الذي يؤكد على اندماجها مع المجتمع، والجانب الذي يؤكد على أن الجامعة أداة للتغيير الاجتماعي، على أن يكون مبدأها في ذلك هو المنهج الإسلامي والتي اكدت عليه المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة سنة ١٩٩٦ كما يلي:-

أ – تحديد مواصفات المرجعية الإسلامية لبناء القيم التربوية في مختلف المجالات.

ب – تأكيد الريادة للمنهج التربوي الإسلامي.

جـ – إعداد الإنسان المسلم وترقيته وفق المنهج الإلهي.

د – تأكيد مبدأ التكامل بين أشكال الوعي المعرفي في منهج التربية الإسلامية.

هـ - تحرير النظريات التربوية السائدة وصيانتها من تأثير المناهج المستوردة المضلله.

و - تبيان موقف المنهج التربوي الإسلامي من قضايا العصر ومشكلاته.

ز - تشجيع البحث والتعاون في المجال التربوي.

جـ - استشراق آفاق المستقبل لتتبوأ القيم التربوية الإسلامية مكانة الصداره في القرن المقبل.

ويجب أن ينطلق ذلك كله من واقع المجتمع الإسلامي بحيث لا تحجب الجامعات نفسها في برج عاجي بعيداً عن مشكلات المجتمع الحقيقية.

٢ - ينبغي على الجامعات في العالم الإسلامي الانفتاح على الثقافات الأخرى والاستفادة منها، وأخذ ما يتفق مع ديننا الإسلامي الحنيف وتراثنا الحضاري، ودراسته جيداً وتطبيقه بعد جعله شيئاً مستحدثاً حاملاً سمات الشخصية الإسلامية.

وعلى ذلك فإنني أوصي بتبني النموذج الذي اتبعته بعض دول العالم الثالث غير الإسلامية والتي استطاعت ان تشق طريقها إلى القرن المقبل بخطى ثابته مثل الصين وكوريا والهند ودول جنوب شرق آسيا، ثم البرازيل والمكسيك في أمريكا اللاتينية بعيداً عن التبعية الغربية والتي يمكن جعلها تتفق مع قيم العالم الإسلامي كما يلي:-

أ - التنظيم وتنويع الوظائف واقامة التوازن بين الدولة والمجتمع، ومحاولات اجتثاث كل رواسب الماضي، وتأسيس شبكة منظمة من المعادلات التي باستطاعتها الحوار مع الآخرين من خلال اختلاف الوظائف في النظام العالمي دون الاعتماد عليها.

ب - رفض التبعية والأحادية سياسياً واقتصادياً، ومحاولة إقامة فلسفة "تبعية متبادلة ثقافياً وحضارياً".

جـ - تنوع استراتيجيات التنمية وهيمنة الايدلوجيا التنموية التي تتعمق فيها الثقافة الإسلامية، ومعالجة أزماتها المتنوعة، ثم تقوية فرص النمو السريع والتكيف معها.

د - الانفتاح على الآخرين، والتنافس العلمي والاقتصادي، شريطة تبني الواقعية دون اقامة هيكليات فارغة، وشعارات إعلامية فضفاضه.

هـ - إن كل ما ورد أعلاه لا يتحقق مطلقا دون الديمقراطية وتنمية التفكير المدني، ومنح الحريات المتنوعة (والسياسية بشكل خاص) والتعددية الاجتماعية وحوار الفكر، وسيادة القوانين.

٣ - يجب على الجماعة في العالم الإسلامي أن تعمل على التوعية الشاملة للمسلمين - متمثله في الطلاب - بأن أمتهم الإسلامية أمة متميزة، وليست كغيرها من الأمم الأخرى، لها عقيدة متميزة وشخصية فريدة، ورسالة واضحة، قال الله تعالي موضحاً ذلك «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله». علينا أن نتخلص من "عقيدة الخواجه" التي تشعرنا بالدونية، على الرغم من علماؤنا ومفكرينا الذين يملكون من الكفاءة والتفوق العلمي وهو ما يشهد له الغرب نفسه.

٤ - يجب أن تقوم الجامعة بمجابهة الغزو الثقافي والإعلامي من الغرب لعالمنا الإسلامي، وذلك من خلال توعية الشباب الجامعي وغير الجامعي بالتوعية السليمة التي تبين الحضارة الإسلامية الأصيلة، وذلك من خلال كيفية تطوير استعمال التكنولوجيا الحديثة، خاصة في مجال وسائل الاتصال الجماهيري، وذلك بالتعاون بين الجامعة ووسائل الإعلام المختلفة من خلال تقديم الدراسات العلمية، والمساهمة في تقديم برامج تلفزيونية إسلامية مبينة على القيم والحضارة الاسلامية.

كما يمكن للجامعة التعاون مع المؤسسات العالمية المختلفة للاستفادة من التقدم التكنولوجي والتدريب، ووضعها في اطار النسق القيمي الإسلامي حتى تتلائم مع مجتمعاتنا الإسلامية واستخدامها للقنوات الفضائية في توعية شبابنا المهاجرين إلى الدول الغربية، ويمكن للجامعات في الدول الإسلامية ان تتعاون في تقديم هذه البرامج.

٥ - الاهتمام بالتعليم كمصدر للتخلص من الأمية التي هي أصل كل

مظاهر التخلف في العالم الإسلامي، وكذلك الاهتمام بصيغ جديدة في التعليم تسمح بنمو الفرد في تعليم غير نظامي، حيث تتاح لكل فرد الفرص المستمرة لكي يواصل تعليمه بجانب العمل، على أن تؤكد على إكساب الأفراد مهارات التفكير واتقان تحصيل المعرفة العلمية والتكنولوجية المناسبة وذلك لمواجهة تحديات العالم في مجال التقدم التكنولوجي خاصة في عالم متغير، والاستعداد لهذه التغيرات المستقبلية، وكذلك تحقيق مبدأ التعلم الذاتي ومحاولة تبني خطة للتعليم عن بعد في الدول الإسلامية.

٦ – توفير الامكانات وتضافر جهود الجامعات في العالم الإسلامي لوضع استرانيجية للتنمية الثقافية في ضوء المنظور الإسلامي، لخدمة الانسان المسلم من جميع النواحي العقلية والوجدانية والفكرية والسلوكية مما يساعد العالم الإسلامي على مواجهة التحديات الحضارية المتعددة بقدرات اكبر. فالثقافة الاسلامية انسانية النزعة والهدف تنظر إلى الناس بمقياس واحد لا تفسدها القومية أو العنصر أو الجنس أو اللون. كما أن هذه الثقافة تدعو إلى الإنسانية العالمية كما يقول الله عزوجل "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم" سورة الحجرات.

٧ – الاهتمام بالتعليم العالي كماً وكيفاً، خاصة ان استخدام المعلومات والحصول عليها هو الطريق للوصول إلى القرن المقبل، لذا يجب أن يكون من أولويات الجامعات في العالم الإسلامي هو إعداد طلابها للمستقبل كأفراد ومجتمعات وكمواطنين في عالم واحد، وهذا لن يحدث إلا إذا استطعنا تغيير قيم وعادات وسلوك الطلاب إلى الأفضل طالما يتفق ذلك والمنهج الإسلامي القويم.

بالإضافة إلى التأكيد على البحوث العلمية التي تركز على تقويم حلول حقيقية لمشكلات المجتمع، وتعميق الصلة بين الجامعة والمجتمع، وكذلك التأكيد على استقلالية الجامعة والاهتمام بتعليم الفتاة المسلمة بما يسمح به ديننا الإسلامي الحنيف.

المراجـع

أولاً المراجع العربية:

١ – إبراهيم أحـمـد الشـمـسـي، الإعـلام بين المحـافظة والتـغـير، "نحـو إطار حضاري للمجتمع العربي في القرن الحادي والعشرين "الندوة العلمية الثانية والثالثة التي عقدت في دبي من ٦ – ٨ ديسمبر ١٩٩٥.

٢ – أحمد محمد القاسمي: منهج التغيير الإسلامي، دبي، دار المنار، ١٩٩٢.

٣ – افاكوف.ب.م: مستقبل التربية وتربية المستقبل، التقرير النهائي والوثائق لحلقة دراسية عقدها المعهد الدولي للتخطيط التربوي، تعريب صادق إبراهيم عوده، تونس: ١٩٧٨.

٤ – الايسيسكو: العالم العربي، العالم الإسلامي، إلى أي ننتسب، العدد ٢٥، ديسمبر ١٩٩٥، ص١٨ – ١٩.

٥ – الايسـيسكو: دعوة إلى إشـراك القطاع الخاص والجـامعـات المحلية في العملية التعليمية، ومناشدة الحكومات في العالم الإسلامي الزيادة في الإنفـاق العـام على التـعليم، ندوة الايسـيـسكو حـول التـعليم في الدول الإسلامية ومتطلبات التنمية، العدد ٢٩، ديسمبر، ١٩٩٦ ص٨ – ٩.

٦ – الايسـيسكو: مـقومات المنهج التربوي الإسـلامي، ندوة الايسـيسكو في صنعاء بالجمهورية اليمنية من ١٥ – ١٨ يوليو ١٩٩٦ العدد ٢٨، اكتوبر ١٩٩٦، ص١٧.

٧ – الايسـيسكو: التنمية الثقافية في ضوء المنظور الإسلامي، العدد ٢٦، مارس ١٩٩٦، ص١٠ – ١١.

٨ – الايسيسكو: النظام الأساسي لاتحاد جامعات العالم الإسلامي، العدد ٣٠، مارس ١٩٩٧، ص١٩.

٩ – بيكاس س. سانيال: التعليم العالي والنظام الدولي الجديد، ترجمة محمد أحمد الرشيد، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٩٨٧.

١٠ – جرهام: إيان، ل: الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة، ترجمة شوقي جلال، القاهرة: مؤسسة الأهرام، ١٩٩٧.

١١ – سعيد الأعظمي: لماذا مصطلح إسلاموفوبيا؟ البعث الإسلامي، العدد السابع، أغسطس – سبتمبر ١٩٩٧ ص٣-٥.

١٢ – سيار الجميل، العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط: مفاهيم عصر قادم، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٧.

١٣ – عايدة النجار: وسائل الاتصال والإعلام العربية وتحديات المستقبل، المنتدى، العدد ١٤٦، نوفمبر، ١٩٩٧ ص١٠ – ١٣.

١٤ – ماجد عرسان الكيلاني: التربية والتحديد وتنمية الفاعلية عند المسلم العاصر، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧.

١٥ – محمد أحمد الله فيصل: الثقافة الإسلامية: خصائصها ومزاياها، البعث الإسلامي، فبراير – مارس، ١٩٩٧ ص٣٨ – ٤٧.

١٦ – محمد القطري: الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦.

١٧ – محمد بن أحمد الرشيد: التحديات المعاصرة والمستقبلية في التعليم الجامعي في دول مجلس التعاون، مجلة كلية التربية، جامعة الإمارات العربية المتحدة. الجزء الأول ١٩٩٧، ص١ – ٤٧.

١٨ – محمد نبيل نوفل: تأملات في مستقبل التعلم العالي، الكويت: مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، دراسات في التربية (٨)، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢.

١٩ – محيا زيتون: مستقبل التعليم في الوطن العربي في ظل استراتيجية إعادة الهيكلة الراسمالية، المجلة العربية للتربية، العدد الأول، ١٩٩٧، ص٧٥ – ١٢٢.

٢٠ – مكتب التربية العربية لدول الخليج: وقائع الندوة الفكرية لدول الخليج

الثالثة لرؤساء ومديري الجامعات في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربية لدول الخليج، بغداد ١٩٨٧.

٢١ - مكتب التربية العربية لدول الخليج: دليل التعليم العالي والجماعي في دول الخليج العربي، الرياض، ١٩٨٨.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Delors, J.; Learning: The Treasure Within; Paris, UNESCO, 1996.

2. Koy, A.J & Thompson, D.J; Privak; Zation: Policy in Search of a Rationale; The Economic Journal, Vol.96.1986, PP.19 - 30.

3. SPORN, B; Managing University Culture: an analysis of the relationship between institutional Culture and management approaches; Higher Education, Vola.32:41-61, 1996.

4. The World Bank, Privati Zation: The Lesson of Experience, The World Bank. Country Economics Department. PP.6-9.



البحث العلمي في الجامعات الإسلامية
واقعه ومشكلاته

بحث مقدم
لندوة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية
في القرن المقبل
في الفترة من ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

أ. د. محمد منير سعد الدين
أستاذ في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية



- مقدمة
- أهداف البحث
- مشكلة البحث وتساؤلاته
- منهج البحث
- حدود البحث
- المصطلحات
- الجامعة رسالتها وأهدافها
- واقع البحث العلمي في الجامعات الإسلامية
- مشكلات البحث العلمي في الجامعات الإسلامية

أولاً: مشكلات البحث العلمي في الجامعات الإسلامية (ظواهر عامة):

١ - نقص الكفاية العلمية عند بعض أعضاء هيئة التدريب.

٢ - كثرة الأعباء الملقاة على عاتق عضو هيئة التدريس.

٣ - إنعدام التحدي العلمي الى حد كبير.

٤ - إنزلاق بعض الأساتذة والباحثين في تكتلات ضد بعضهم.

٥ - ندرة المؤتمرات والندوات العلمية التي يشارك بها الأساتذة الباحثون.

٦ - انقطاع الصلة بين الباحثين وأساتذة الجامعات ومراكز البحث العلمي من جهة والمؤسسات الإنتاجية الكبرى من جهة أخرى.

٧ - ضعف فرص نشر الأبحاث العلمية ومشكلاتها.

٨ - عدم توفر المراجع العلمية والدوريات وقواعد المعلومات لأعضاء هيئة التدريس.

٩ - إفتقار البحث العلمي إلى الوسائل والأدوات.

١٠ - ضعف الإنفاق على البحوث العلمية.

١١- عدم توفر طبقة مساعدي الباحثين.

١٢ – قلة البحوث المشتركة بين الأساتذة، وتوجه بعضها لخدمة الآخرين.

١٣ – عدم الإستقرار المادي للباحثين والأساتذة الجامعيين.

١٤ – ضعف ربط البحث العلمي بخطط التنمية.

١٥ – الإفتقار الى التعاون والتنسيق في مجال البحوث العلمية بين الجامعات.

١٦ – انعدام الحرية الأكاديمية والإستقلال الأكاديمي للجامعات.

١٧ – الروتين والبيروقراطية.

١٨ – التخلف في الكوادر العلمية وتطويرها .

١٩ – عضو هيئة التدريس في الجامعات والترقية.

٢٠ – عدم تبلورسياسة و طنية للبحث العلمي.

٢١– مشكلات تتعلق بالطلاب الباحثين في الدراسات العليا .

أ – تدني المستوى الثقافي العام لكثير من الطلبة.

ب – ضعف الطالب باللغة العربية الأم.

ت – ضعف معرفة الطالب باللغة الأجنبية.

ث – انعدام المنهجية العلمية وطرائقها لدى بعض الطلبة.

ج – تدني مستوى بعض الأطروحات، والرسائل والأبحاث الجامعية.

ح – الفجوة والغربة بين طالبنا والتقنيات الحديثة.

خ – تهرب كثير من الأساتذة من الإشراف على الرسائل العلمية والأطروحات.

د – معاناة الطلبة الباحثين في الدراسات العليا من افتقار الجامعات إلى المختبرات، والمكتبات، والمصادر والمراجع.

ثانياً: مشكلات خاصة بالجامعات الإسلامية وبحوثها العلمية.

١ – اقتصار معلومات طلاب الدراسات الإسلامية على ما ورد في الكتب القديمة.

٢ – جمود التفكير عند فقه العبادات وفقه الأسرة.

٣ – فقه المذاهب وفقه الإسلام.

٤ – الإرهاب الفكري.

٥ – ورع عند بعض الطلبة مؤثر في البحث العلمي.

٦ – فقدان المنهج العلمي في كثير من الدراسات البحثية الإسلامية.

٧ – طغيان الناحية الكمية في البحوث.

٨ – مضامين البحوث والرسائل تفتقد المعالجة العصرية والمنهجية لمشكلات المسلمين العاجلة إلا في بعضها.

٩ – خوف بعض الطلبة من التعامل مع تكنولوجيا المعرفة.

١٠ – العلاقة البحثية العلمية والمجتمع.

١١ – الأساتذة المشرفون على البحوث العلمية الإسلامية.

– مقترحات وتوصيات

مقدمة

يمر العالم وفي القرن العشرين ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين، بأضخم ثورة في مجال التأليف والنشر والبحث العلمي، والترجمة، والمعلومات حيث يتوفر في عالم اليوم "كم هائل من المعلومات ولا يمكن لأي مؤسسة مهما كبر حجمها وتوسع نشاطها أن تدعي ملكيتها لطاقة المعلومات التي تحتاجها، فالإكتفاء الذاتي من المعلومات غير ممكن وبتوفر أساليب الاتصالات الحديثة والأجهزة التي يمكن الإرتباط بواسطتها أصبح الإكتفاء الذاتي غير ضروري أيضاً." (١)

لذا لم يعد بإمكان أي شعب من الشعوب يرغب في مواكبة حركة العالم المذهلة في هذه المجالات إلا أن يدعم البحث العلمي، ويسعى نحو تكوين المراكز المتخصصة واللجوء للحصول على المعلومات من المصادر المعتمدة عالمياً وإقليمياً والمتمثلة ببنوك المعلومات بواسطة شبكات الإتصال، هذه المراكز المكونة في صورة مؤسسات متكاملة ومكفولة الإمكانات البشرية والمادية والمعنوية.

وبالتالي المطلوب الإهتمام بالعلم وباحثيه وذلك نتيجة طموحات المجتمعات على اختلاف نموها وتقدمها، والثورات التقنية والمعرفية التي يعيشها العالم.

لقد بدأت المجتمعات تبحث عن الأساليب العلمية لحل المشكلات التي تواجهها، فكان أن لجأت الى البحث العلمي ومراكزه، وخصوصاً ما يرتبط منه بالتعليم الجامعي العالي ودراساته العليا. حيث اعتبرت الجامعة ركيزة البناء العلمي والثقافي، والتي تجعل البحث العلمي أحد الوظائف الهامة لها.

ثم لا بد من الإشارة الى أن البحث العلمي لم يعد مقتصراً على فئة معينة من الناس واخص بالذكر العلماء والباحثين وأساتذة الجامعات، وطلاب الدراسات العليا، بل أصبح ضرورة ماسة لكل إنسان مهما كان عمله أو مركزه بحيث أصبح التفكير العلمي والمنهجية العلمية يلعبان دوراً هاماً في حل المشكلات اليومية التي تصادف الأفراد في المجتمع.

وفي العالم الإسلامي عامة ولبنان خاصة أصبح من الضروري أن يزداد الإهتمام بالبحث العلمي ويزداد الإستخدام الأمثل للأسلوب العلمي وبحثه وذلك بعد الأحداث الأليمة التي مر بها، وبعد أن اصبح بأمسّ الحاجة للقيام بالدراسات العلمية لتحديد مشكلاته التربوية، والإجتماعية، والإقتصادية، واللجوء الى التخطيط العلمي، والبحوث العلمية، بعيداً عن إرتجال الحلول والمواقف، وبحيث يكون البحث العلمي مثار الإهتمام والدراسة لطلاب جامعاتنا واساتذتها، ومؤسساتنا الإقتصادية والإجتماعية، كيف لا والبحث العلمي "يعد في موقع القلب من وظائف الجامعة الثلاث، والجامعة على هذا النحو هي عقل المجتمع والبحث العلمي هو عقل الجامعات والدراسات العليا هي اداته الأساسية التي تقود حركته وترشد حركة التنمية"[٢].

فالتفكير العلمي، والمنهجية العلمية، والبحث العلمي، والتوجه نحو العلم، كل هذه اصبحت ضرورات بحيث "لم يعد في وسع أي مجتمع أو أي فرد أن يختار بين طريق العلم والطريق غير العلمية. فالمجتمعات المتقدمة اختارت طريقها منذ أكثر من أربعة قرون وقطعت أشواطاً طويلة في ميادين الحياة المختلفة. أما المجتمعات النامية فليس امامها إلا ان تتبع الأسلوب العلمي لتقليص الهوّة بينها وبين المجتمعات المتقدمة. صحيح أن الطريق شاقة وصعبة، وأنها تتطلب تضحيات ولكنها تبقى الطريق الوحيدة للتقدم الإجتماعي والإنساني، وللتقدم العلمي في مختلف النشاطات الإقتصادية والثقافية والإجتماعية والسياسية."[٣]

والتفكير العلمي أو البحث العلمي يحتاج إليه كل الناس من علماء وأساتذة وطلاب، ومهندسين، وأطباء ومحامين، ومزارعين، وصناعيين، وتجار، وعمال، وغيرهم.

أهداف البحث:

إن الهدف من هذا البحث هو الكشف عن المشكلات التي تواجه البحث العلمي في جامعاتنا الإسلامية، والتحديات التي تواجهه، وبالتالي تواجه الأمة الإسلامية ونحن على أبواب العام ٢٠٠٠.

مشكلات البحث وتساؤلاته:

يطرح البحث السؤال الرئيسي التالي:

كيف يمكن استخدام البحث العلمي بفعالية في الجامعات الإسلامية، وليكون أحد ثلاثة أهداف للجامعة، توفير التعليم العالي، والبحث العلمي، وخدمة المجتمع، ولمواجهة التحديات في القرن المقبل؟

وتتفرع عن ذلك التساؤلات التالية:

- ما هو واقع البحث العلمي في الجامعات الإسلامية.
- ما هي مشكلات البحث العلمي كظواهر عامة في الجامعات الإسلامية؟
- ما هي مشكلات البحث العلمي والخاصة بالجامعات الإسلامية؟
- ما هي المقترحات والتصورات لما ينبغي أن يكون عليه البحث العلمي ليستطيع مواجهة التحديات في القرن المقبل؟

منهج البحث:

يعتمد الباحثون على المنهج الوصفي التحليلي، فيصف ويحلل ما كتب في ادبيات البحث العلمي، حول البحث العلمي ومشكلاته في الجامعات الإسلامية.

حدود البحث:

الحد المكاني: الجامعات في العالم العربي والإسلامي.

الحد الزماني: البحث العلمي في الجامعات الإسلامية في إطار العصر الحاضر.

الحد المؤسساتي: الجامعات الإسلامية، التي هي احدى مؤسسات التعليم العالي في العالم الإسلامي.

وكل ذلك يتم في إطار عنوان البحث:

" البحث العلمي في الجامعات الإسلامية، واقعه ومشكلاته".

المصطلحات:

تقتضي المعالجة العلمية لاي موضوع العناية بتحديد مسميات الالفاظ والمفاهيم المستخدمة. وتبرز دائماً مشكلات التعريفات لتعرض نفسها بالحاح. وتنطلق من اشتراط المناطقة ان تكون تعريفاتهم جامعة مانعة، اي محددة واضحة شاملة، واصبح من معايير اي دراسة علمية مدى التزامها بالتعريفات.

لذلك سنلجأ الى تعريف المقصود بالبحث العلمي والجامعة عامة، والجامعة الإسلامية خاصة، مع الإشارة الى أن التعاريف في هذه المجالات تعددت من قبل العلماء المعاصرين، ولم يتفقوا على تعريف محدد، ولعل ذلك يعود الى تعدد اساليب البحث، والمدارس التي ينتمون اليها

أولاً: البحث العلمي:

١- يعرف فاندلين Van Dalen البحث العلمي بأنه المحاولة الدقيقة الناقدة للتوصل الى حلول للمشكلات التي تؤرق البشرية وتحيرها.[٤]

٢- يعرفه ويتني Whitney بانه استقصاء دقيق يهدف الى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التأكد من صحتها[٥].

٣- ويعرفه بولنسكي Polansky بانه استقصاء منظم يهدف الى اكتشاف معارف والتأكد من صحتها عن طريق الإختبار العلمي[٦].

٤- ويعرفه أحمد بدر، بانه وسيلة للفحص، والإستقصاء المنظمين، والتفتيش الدقيق، وهو ما يقوم به الباحث لاكتشاف معلومات او علاقات جديدة أو لتطوير معلومات موجودة، أو تحقيقها، على أن يتبع في ذلك خطوات المنهج العلمي، ومنهج الطريقة العلمية، ويتخذ الأدوات اللازمة للبحث، وجمع البيانات والمعلومات[٧].

ويعرفه هيرتز (Hertz) بانه استعمال التفكير البشري بأسلوب منظم لمعالجة المشاكل التي لا تتوفر لها حلول[٨].

ويعرفه هيلاوي Hillway بانه اسلوب للدراسة يمكن عن طريقه

التوصل إلى حل مشكلة محددة، ذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد التي يمكن التحقق منها والتي تتعلق بمشكلة محددة(٩).

يغلب على كثير من هذه التعاريف انها تصدق على العلوم الطبيعية العملية والتطبيقية اكثر من أن تصدق على العلوم والأبحاث النظرية، كاللغة والأدب، والإجتماع والإقتصاد، والتاريخ، والتربية وعلم النفس، والعلوم الشرعية والتي يلاقي الباحث صعوبات وعقبات في اجراء بحوثها العملية.

ويمكن ان يعرف البحث العلمي بأنه "العمل العلمي الذي يتبع في القيام به خطوات المنهج العلمي، ومنهج الطريقة العلمية بالتفكير والتأمل، وبذل اقصى ما نستطيع من القدرة والدقة والأمانة والتقصي لجمع الحقائق والمسائل المتصلة به للحصول على معلومات جديدة، وربطها بمعلومات سبقت معرفتها، او لتطوير معلومات معروفة من قبل، أو لتصحيحها وتقويمها أو تحقيقها وتوثيقها، ثم صياغتها في أسلوب موثّق، وقانون علمي(١٠).

والبحث في لغتنا العربية يعني طلب الشيء والسؤال عنه، والإستشارة والتفتيش(١١) ويحمل معنى الإستقصاء والتحري، للوصول إلى المعرفة أو الحقائق والمبادىء الجديدة، وكذلك يحمل البحث لغوياً ونتيجة لذلك معاني الصبر والجد والمثابرة، ومعاني الوعي، والحرص، ومحاولة معرفة الحقائق والأسس، واكتشاف حقائق جديدة بالدراسة العلمية لموضوع ما(١٢).

اما العلم لغة فهو نقيض الجهل، وهو المعرفة، والشعور(١٣)، وإدراك الشيء على حقيقته ومعرفة الحقائق المتصلة به(١٤).

ثانياً: الجامعة:

إذا أردنا أن نتعرف الى مفهوم الجامعة، بصفة عامة، فنبحث في المفهوم الحديث للجامعة Universitas، وكيفية تطوره عبر التاريخ، فنجد انفسنا امام فلسفات وايديولوجيات متعددة، يحدد كل منها مفهوم الجامعة من خلال الزاوية التي ينظر فيها الى وظيفة الجامعة.

فهناك من يرى أن الجامعة هي السلطة العليا، التي تحوي جميع أنواع

المعرفة والعلوم والحقيقة والمبادىء والبحث والإكتشاف والتجربة والتأمل، انها تجدد اطار الفكر وتعمل على ألا يكون هناك طغيان واذعان. أما المعرفة المفيدة فإنها تعتبر من سقط المتاع، أي أن الجامعة رواق علمي يجمع الطلاب. ويشبع منهجهم للمعرفة اياً كان نوعها. هذا ما ذهب اليه الكاردينال (نيومان New-man) عندما كان يعمل لتأسيس جامعة (دبلن) منذ اكثر من قرن تقريباً. وهذا يمثل رأي مدرسة اكسفورد في ذلك الوقت، وعلى النقيض فإن الفيلسوف (بيكون) يرى أن الجامعة هي أم المعرفة المفيدة التي توجه الإنسان أي أن الجامعة جهاز لإجراء البحوث الموجهة لخدمة الإنسان.

وقد تطور مفهوم الجامعة في القرن العشرين بتطور الحركة الإجتماعية فأخذت الجامعة تغير من فلسفتها واتجهت الى المجتمع تتلمس حاجاته وتعمل على تلبيتها حيث أنها صارت جزءاً من ذلك المجتمع وليست معزولة عنه ومن هنا ظهر شعار الجامعة في خدمة المجتمع والجامعة المفتوحة[١٥].

والجامعة هي الترجمة العربية للكلمة اللاتينية Universitat أو Uni-versitas وهي كلمة لها معان لغوية وتاريخية وأكاديمية.

وفي المعجم الإنجليزي الجديد للأصول التاريخية للكلمات ان لهذه الكلمة مدلولات عدة هي:

١ – المدلول اللغوي العادي وهي: المجموع–العدد كله–العموم.

٢ – وفي اللاتينية المتأخرة ولاتينية العصور الوسطى وخاصة في الإستعمال القانوني تطلق على (الجماعة) و(الشركة).

٣ – اما المعنى الثالث فهو: مجموع المدرسين والطلاب يجتمعون في مكان مخصوص لإعطاء العلم وتلقيه في الفروع العليا من المعرفة. وهؤلاء الأشخاص يكونون معاً جماعة وهيئة تكوين محدودة وطاقات وحقوق معروفة وبخاصة حق منح الدرجات العلمية ويتألف منهم معهد لتقديم التعليم في الفروع العالية أو الهامة.

ويندرج تحت ذلك مجموع الكليات والأبنية وغيرها مما يمت بصلة إلى

هذه الهيئة[١٦].

والجامعة بالمعنى اللغوي السابق لم تكن معروفة في اللغة العربية، ففي لسان العرب، جمع عن الشيء عن تفرقه، والجامعة الغُل لأنها تجمع اليدين الى العنق[١٧].

ثالثاً: الجامعة الإسلامية:

أطلق هذا الإصطلاح على الجامعات التي تعتني بالدرجة الأولى بعلوم الشريعة الإسلامية، واللغة العربية وآدابها، والعلوم الإجتماعية، التي لها صلة بتاريخ الأمة الإسلامية، وتطورات الحياة في المجتمعات الإسلامية، والتغيرات التي حدثت، وآثارها وعوامل القوة والضعف في بناء الأمم، والدول والمنظمات والحركات الدينية والقبلية والإجتماعية. وهذا المصطلح قد يفسر من القراء أو الباحثين على أن الحلقات الأخرى تنتفي عنها الصفة الإسلامية من هذا الوجه، على الرغم من انها تضم دراسات تتصل بالعلوم الإسلامية. ولهذا فقد حدثت اشكالات أو تحسسات عند هؤلاء، ورغبوا ان لا تقترن بعض الجامعات بهذه الميزة من التسمية، إما لأن هذا الإسم يجعل النظرة إليها تبعدها عن الأسلوب الحديث في التعليم، أو للقصور في فهم فلسفة هذا الأسلوب. وخوفهم من أن يحدث هذا الإستعمال خطراً في الوقوف أمام الإفادة من العلوم العصرية المدنية والتقنية، وهو موقف بعيد عن العدل ومجانب للصواب[١٨].

والجامعة الإسلامية هي تلك التي رصدت نفسها لخدمة الدراسات الإسلامية تنمية للعلوم الإسلامية، وإعداداً للعالم والفقيه والقاضي والمدرس، وتثبيتاً لمعالم الحضارة الإسلامية، وتطويراً وتحسيناً في المجتمعات الإسلامية عن طريق العلم، وهي الجامعات التي ركزت جهودها على الدراسات الاسلامية والتي لم تنصرف إلى غيرها، فهي بهذا متميزة بالاختصاص، ومتميزة بالتسمية ايضاً. (١٩)

وكما نرى فإن الجامعة الإسلامية تجمع عناصر ثلاث: علماً وتثقيفاً

وخدمة للمجتمع، وهذا ما يدعو إليه الإسلام، وتلتزم الجامعة الإسلامية بتطبيقه، وهذه الجامعة جامعة عقيدة، وفكر، ونظر، وعمل، وتطبيق، وسلوك، وتدرس العلوم فيها من خلال التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، أي من الأصول العقيدية للإسلام.

الجامعة رسالتها وأهدافها:

تحمل جامعة اليوم رسالة تفرض عليها مهام منها:

١ – اثراء المعرفة وتنميتها.

٢ – نشر العلم وإعداد الكفاءات المتخصصة.

٣ – تنمية المجتمع اقتصادياً واجتماعياً.

٤ – نشر الثقافة.

٥ – النهوض بالشباب فكرياً وسياسياً.

٦ – بناء السلام والتضامن الإنساني.

ويرى أحمد الضبيب أنه اصبح للجامعات أدواراً اساسية في خدمة المجتمعات التي تقام فيها وهي بشكل عام تنقسم الى ثلاثة اهداف: (٢٠)

١ – توفير التعليم العالي لأبناء المجتمع وذلك لإمداده بالقوة البشرية المؤهلة تاهيلاً عالياً.

٢ – القيام بالبحث العلمي الذي يعد حجر الأساس في أي تنمية منشودة.

٣ – القيام بخدمة المجتمع الذي تنشأ فيه الجامعة.

من خلال ما عرضنا حول رسالة الجامعة ووظيفتها نقف عند البحث العلمي الذي "يعد في موقع القلب من وظائف الجامعة الثلاث، والجامعة على هذا النحو هي عقل المجتمع والبحث العلمي هو عقل الجامعات والدراسات العليا هي اداته الأساسية التي تقود حركته وترشد حركة التنمية.

وعندما نقول إثراء المعرفة وتنميتها فالجامعة تعمل في هذا المجال ومن

خلال البحث العلمي على تنمية قدرات الطالب على التحليل، والتمحيص، والبحث، والإبتكار، والإبداع، وتساعده على ابراز ملكاته الخلاّقة وتكوين شخصيته وذاتيته، فاذا كان التعليم العام الذي يحصل عليه الطالب في المرحلة الأولى من حياته يعتمد أساساً على التلقين واستظهار الحقائق والمعلومات، فإن التعليم الجامعي ينبغي أن يعتمد أساساً على التوجه والإرشاد وصقل مواهب الطالب وملكاته، وبناء شخصيته، وتنمية قدراته ومساعدته على ابراز واستخدام كل ما لديه من امكانيات في الترشيد والتطوير والإبتكار[٢١].

وتقاس أهمية البحث العلمي "بقدر ارتباطه بمشكلات المجتمع وبالدرجة الأولى بقدر ارتباطه بهوية المجتمع الذي يتعايش معه ويستمد منه مقوماته الأساسية"[٢٢].

وخدمة المجتمع هي الهدف الثالث في ثالوث أهداف الجامعة "ومسؤولية الجامعة اليوم لم تعد محصورة في طلابها بل شملت جميع أفراد المجتمع، فالجامعة جزء من المجتمع الذي تعيش فيه وتتفاعل معه، ولم يعد كما كان ينظر إليها في السابق، ذلك البرج العاجي الذي لا يصل إليه إلا فئة معينة من الناس"[٢٣].

أما بالنسبة لما يوفره التعليم العالي لأبناء المجتمع وذلك لإمداده بالقوة البشرية وإعدادها، فلا شك "أن التغيرات المحلية والإقليمية والعالمية في الجوانب الثقافية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية زادت من أهمية دور الجامعة في اعداد القوى البشرية لمواجهة هذه التحديات والتغيرات إما بالتغلب عليها أو تذليلها وتطويعها لصالح مجتمعاتنا ومن ثم لصالح الأمة بصفة عامة"[٢٤].

أما الباحث العلمي وهو عضو الهيئة التدريسية في الجامعة فهو الركن الأساسي بعملية البحث العلمي "وإذا نظرنا الى أحوال الباحثين في العالم العربي (والإسلامي) نجدهم يتركزون عادة في الجامعات باحثين متفرغين أو اعضاء في الهيئة التعليمية ولا شك ان هذه الفئة تنتمي إلى صنف من المؤهلين

تأهيلاً خاصاً كما ان أعدادهم محدودة وتلقى على عواتقهم العديد من المسؤوليات"(٢٥).

والجامعات في العادة "لا تحاسب أعضاء هيئة التدريس فيها على بعض القصور الذي يبدر عنهم في مجال التدريس، ولكنها على الأغلب لن تتساهل معهم إذا لم يصدر عنهم انتاج علمي مستمر، حيث إن كل واحد منا يتذكر جيداً العبارة القائلة Publish or Perish (انشر أو مت). ان عضو هيئة التدريس لا يُعرف في الوسط الأكاديمي الذي يعمل فيه من خلال عمله التدريسي وانما من خلال دراساته المنشورة ومؤلفاته، ولذلك فلا حياة له داخل بيئته الأكاديمية إلا من خلال الأبحاث والمؤلفات التي يقوم بها من عام لآخر(٢٦).

ولذلك من الضروري لعضو هيئة التدريس في الجامعة أن يحمل رسالة الجامعة ويثري معارفه وينمّيها، ويبحث فيها، ويسعى لاشباعها ونشرها، ويبدو أن هذا أحد التحديات المطروحة على الجامعة وعلى كل مؤسساتها التعليمية.

واقع البحث العلمي في الجامعات الإسلامية:

يعتبر البحث العلمي أحد العمد الثلاثة التي يستند إليها التعليم الجامعي في مفهومنا المعاصر، ولا يمكن أن يكون هناك جامعة بالمعنى الصحيح إذا لم تعر الإهتمام للبحث العلمي وإعطاءه ما يستحقه من العناية. "يجب أن تكون لدى أساتذتها وطلابها اتجاهات قوية نحو الاهتمام بالبحوث العلمية وتقدمها. ويجب أن تحرص الجامعة على رسالتها في البحث العلمي وتدريب المشتغلين به. بل يجب أن تعتبر ذلك جزءاً لا يتجزأ من انشطتها العلمية. وتستطيع الجامعة في هذا المجال ان توفر المناخ العلمي للبحث وما يستلزمه من معدات وأجهزة وكتب ومراجع وغيرها من مصادر علمية وتوفر استخدام كل ذلك بالنسبة للأساتذة والطلاب على السواء وبهذا تعمل الجامعة على التنمية الذاتية والتدريب الذاتي لأعضاء هيئة التدريس والطلاب والباحثين الذين

تعدّهم الجامعة، والجامعة لديها القدرة على تنمية المعرفة واغنائها بما تملكه من رصيد ثقافي خلفها وبما تصحبه من كفاءات علمية بشرية فهي مجتمع المثقفين والعلماء وهي مجتمع التخصصات المختلفة في كل ميادين المعرفة الأدبية والعلمية والنظرية والتطبيقية"[٢٧].

أمام هذا العرض، ما هو واقع البحث العلمي في جامعاتنا في العالم الإسلامي بشكل عام، وفي البلاد العربية بشكل خاص؟

الجواب أن أحوال البحث العلمي وبشكل عام لا يمكن أن تعتبر مشرفة قياساً إلى ما نصبو إليه من كم ونوع، فالبحوث العلمية التي تجري حالياً تعاني من التشتت في مواضيعها ومعالجتها، كما تتصف بالندرة مقارنة بالسيل الجارف من التحديات والمشاكل التي تواجه مجتمعاتنا تربوياً واجتماعياً وثقافياً، واقتصادياً، وسياسياً ومقارنة بالطموحات التنموية العريضة في بلدان العالم الإسلامي.

ولنأخذ الإنتاج العلمي في البلاد العربية نجده ضئيلاً جداً فالأرقام تؤكد على أن هناك ٧٥٠ عالماً منتجاً في ١٣ قطراً عربياً للعام ١٩٧١، أي أن الواحد منهم ينشر مقالات ودراسات وكتباً علمية، ومن بين هؤلاء المنتجين تجد أكثر من نصفهم (٤٣٣) عالماً هم في مصر، و٨٩ في لبنان، وواحد فقط في سوريا.

ولكن هل تعلم بأن إسرائيل وحدها لديها ١,٧٣٩ عالماً منتجاً، رغم تعداد سكانها وصغر حجمها بالنسبة للأقطار العربية الكثيفة الواسعة الأرجاء.[٢٨]

ويمكن أيضاً تقدير انتاجية القوى البشرية العلمية، إذ تشير أرقام اليونسكو ... إلى توفر حوالي سبعة الاف عالم ومهني في ميدان البحوث والإنماء في الوطن العربي في عام ١٩٧٣.

وكان على هؤلاء إذا استخدمنا المقاييس الدولية للأداء أن ينشروا ما بين (٨٠٠٠-١٤٠٠٠) بحث سنوياً. وكان الرقم الذي أعطاه معهد المعلومات العلمية (ISI) بالنسبة للعام ١٩٧٣ هو ٨٧٤ بحثاً أي مستوى إنتاجية يقدر بأقل من ١٠٪.

وتستند طريقة ثانية لتقييم الوضع إلى حجم الفئة الطالبية في الجامعات العربية، ففي عام ١٩٧٣، كان هناك حوالي ٤٥٠ الف طالب مقيدين في سجلات الجامعات العربية، ولو كانت هذه الجامعات قد بلغت مستوى أكاديمياً مرضياً لكان من الواجب ان يبلغ عدد الأساتذة فيها ٤٥ الف أستاذ يقومون بنشر ٩٠ الف مقال وكتاب سنوياً في كل ميادين المعرفة، ولكان حوالي ثلث إلى نصف هذه المنشورات حول العلم والتكنولوجيا. ومهما كانت الطريقة المتبعة في تقييم انتاجية الباحثين العلميين فان الهوة بين ما هو منتج فعلاً وبين ما هو منتظر من القوى البشرية العاملة في البحث والتطوير ومن الموظفين والأكاديميين في المؤسسات الموجودة، كبيرة إلى أبعد حد[٢٩].

ولو قابلنا الإنتاج العربي بالإنتاج الإسرائيلي العلمي "يلاحظ المرء أن الإنتاج العربي في عام ١٩٦٧ كان يعادل ٤١٪ من إنتاج إسرائيل وان انخفاض هذه النسبة الى ٤٠٪ في عام ١٩٧٦ ليس سوى تغير ضئيل. وعلاوة على ذلك فقد ظلت نسبة الإنتاج العلمي العربي إلى الإنتاج العلمي الإسرائيلي ثابتة على الرغم من التغيرات الهامة التي حدثت في المنطقة خلال الفترة ١٩٦٧-١٩٧٦، فقد ازداد عدد السكان العرب، على سبيل المثال، بحوالي ٣٠ مليون نسمة، وازداد الناتج القومي الإجمالي العربي من حوالي (٢٥) ألف مليون دولار في عام ١٩٦٧ إلى أكثر من (١٤٠) الف مليون دولار في عام ١٩٧٦، وازداد عدد الجامعات العربية من ٣٥ إلى ٤٨ جامعة في حين ازداد عدد خريجي الجامعات من ٣٠٠ الف إلى ٨٥٠ الفاً".[٣٠]

ويقول محمد عبد العليم مرسي انه "في التقرير السنوي لاحدى اقدم الكليات الجامعية في الخليج وجدنا ان (٢٤٣) عضو هيئة تدريس لم ينتجوا خلال عام ١٤٠٣هـ/ ١٤٠٤هـ الا (٤٦) بحثاً فقط، اي أن كل فرد منهم لم ينتج إلا نحو خمس بحوث فقط.

ومعنى هذا أن كل خمسة أشخاص قد انتجوا بحثاً واحداً، وبمعنى آخر أنه إذا كان لدينا عضو نشيط (!!!!) ينتج بحثاً باكمله في العام فإن هناك أربعة بجانبه لا ينتجون شيئاً.... وإن هؤلاء الأعضاء كان لهم (٦٠) بحثاً تحت

الطبع، وهذا يحسّن الصورة بعض الشيء، وإن كان يضع بعض الضباب عليها أن نعلم ان بهذه الكلية ١١١ محاضراً ومعيداً وإنهما اشتركوا في هذه البحوث، وللعلم فقد استبعدناهم عند احتساب النسبة السابقة"[٣١].

والبحوث التي تتم داخل جدران جامعاتنا الإسلامية "هي في معظمها تمارين بحثية يقوم بها طلاب الجامعات لنيل شهادات الماجستير أو الدكتوراه وينطبق ذلك على كثير من بحوث الأساتذة أنفسهم للوفاء بمطلب الإنتاج العلمي اللازم للترقية في سلك هيئة التدريس"[٣٢].

أما البحوث فيمكن أن نقسّمها الى بحوث تطبيقية والتي هي عبارة عن "نشاط بحثي موجه نحو زيادة المعرفة العلمية أو اكتشاف حقول علمية جديدة متقدمة بهدف تطبيقي مباشر، أو التي تمثل التفتيش المباشر لإيجاد معرفة علمية جديدة ولها قيمة اقتصادية بالنسبة للإنتاج والمنتوج.

والنوع الثاني هو البحث الأساسي الذي هو أي نشاط بحثي موجه نحو زيادة المعرفة العلمية أو اكتشاف حقول علمية جديدة بدون الاهتمام بأي هدف تطبيقي محدد. أو ذلك البحث الذي يكون نتيجة لحب الاستطلاع وإهتمام فكري لمعرفة قوانين الطبيعة بدون الاهتمام المباشر لأي نتيجة[٣٣].

والملاحظ على أبحاث جامعاتنا الإسلامية غلبة الأبحاث الأساسية على الأبحاث التطبيقية فالبحوث التطبيقية Applied Research "يجب ان تأخذ أولوية على البحوث الاساسية Basic Research، لأننا بلاد نامية ومشاكلنا كبيرة وليس من المعقول أن نصرف أذهان طلابنا في بحوث الماجستير والدكتوراه عن مشاكل المجتمع إلى بحوث نظرية، وموضوعات قطع العلم فيها أشواطاً، وسبقتنا دول كثيرة إلى البحث فيها"[٣٤]. وهناك تحديات كثيرة تواجه مجتمعاتنا، ومن الواجب ان تواكبها حركة بحثية نشطة تعمل على حل مشكلاتها، ويبدو أن أبحاثنا في جامعاتنا ليست على مستوى التحدي.

وتُظهر بعض الدراسات واقع البحث العلمي في بعض جامعاتنا والتي يمكن أن نعممها على كثير من جامعاتنا الأخرى، حول الصعوبات التي تواجه

الكليات في مجال البحوث التي تقوم بها لصالح مؤسسات المجتمع، فقد أكد "٧٠٪ من عمداء الكليات أنهم يواجهون مشكلات في مجالات البحوث التي تجريها كلياتهم لصالح مؤسسات المجتمع وعند تصنيف هذه المشكلات حسب أولوياتها، اتضح أنها على النحو التالي-مرتبة حسب الأولوية:

١ - ما زالت مؤسسات المجتمع في مجال الخدمات والإنتاج-حكومية كانت أم أهلية- لا تقدّر قيمة البحث العلمي.

٢ - أن عدداً كبيراً من الكليات لا يتوافر لديها مراكز بحوث أو وحدات لإدارة هذا النوع من البحوث ومتابعتها والإشراف على انجازها.

٣ - عدم كفاية الميزانيات التي ترصدها الجامعات للبحث العلمي عامة ولخدمة المجتمع على وجه الخصوص.

٤ - تركيز الكليات الحديثة النشأة على وظيفة التدريس على حساب غيرها من الوظائف وخاصة وظيفة خدمة المجتمع.

٥ - نشاطات عديدة من المؤسسات المحلية تقليدية وصغيرة الحجم، وميزانياتها محدودة في الغالب.

٦ - عدم توافر البيانات الدقيقة لدى المؤسسات وعدم توافر الإمكانات البحثية لدى عديد من الجامعات.

٧ - ندرة الكوادر البشرية المؤهلة والمؤمنة بوظيفة خدمة المجتمع.

٨ - انشغال أعضاء هيئة التدريس في وظائفهم التقليدية وضعف الدوافع التي تجعلهم ينغمسون في مشكلات المجتمع والعمل على دراستها والمساهمة في ايجاد الحلول المناسبة[٣٥].

ويمكن تحديد مستويات الجامعات الإسلامية على ضوء البحث العلمي كما يلي:[٣٦]

١ - جامعات تقوم بدراسات وأبحاث علمية لا سيما كلياتها العلمية ولو أن هذه الدراسات لا يستفاد منها في تطوير مشروعات الدولة وتلبية حاجات

المجتمع وحل مشكلاته.

٢ - جامعات تقوم بأبحاث ودراسات إلا أنه لا يمكن اعتبارها بحوثاً علمية تطبيقية بل يغلب عليها الجانب النظري والمقالي.

٣ - جامعات لا تقوم بالبحث العلمي كلياً إما لكونها غير مؤهلة، أي أن أعضاء هيئة تدريسها غير مؤهلين لإجراء البحوث العلمية، أو لعدم توفر الإمكانات اللازمة للبحث العلمي.

والدليل على ذلك أن هذه الجامعات لا يوجد في ميزانياتها بند خاص بالبحث العلمي ولا توجد بها مراكز أو معاهد تختص بالبحث العلمي ولا يرد في تنظيمها الإداري ذكر جهة تختص بهذا الجانب.

أمام هذا الواقع الذي يعيشه البحث العلمي في جامعاتنا الإسلامية، يتحتم علينا أن نبحث في المشكلات التي تواجه البحث العلمي في هذه الجامعات والتي هي جزء أيضاً من هذا الواقع، وينبغي أن نضع في النهاية ركائز للإصلاح الجامعي، لأن أي "إصلاح جامعي سيكون ناقصاً لا محالة إذا لم ينطلق من وعي وطني بضرورة خلق روابط ملائمة بين الشركاء الثلاثة القادرة على تحقيق تنمية تكنولوجية ذات انعكاسات اقتصادية وهي:

أ - الدولة باعتبارها المخطط والمشرّع.

ب - الجامعة بوصفها مركزاً للبحث ومصدراً للخبرات والمشورة.

ج - قطاعات الإنتاج باعتبارها الممول والمستفيد[٣٧].

مشكلات البحث العلمي في الجامعات الإسلامية:

أولاً: مشكلات البحث العلمي في الجامعات الإسلامية (عامة):

تتعدد المشكلات التي تواجه البحث العلمي في الجامعات الإسلامية، فتتفاوت من حيث المكان والزمان، والأشخاص، فمنها ما يواجه الباحثين من علماء من ضمنهم أعضاء هيئة التدريس الجامعي، وكذلك ما يواجه طلاب الدراسات العليا، وكذلك يرتبط ضعف حركة البحث العلمي بعوامل ذات علاقة بالجامعة، وعوامل من خارج الجامعة.

وهذه أهم معوقات أو مشكلات البحث العلمي:

١ - نقص الكفاية العلمية عند بعض اعضاء هيئة التدريس:

يعتبر أعضاء هيئة التدريس في الجامعة حجر الأساس في هيكل البناء الجامعي، وهم محور الإرتكاز، فلا جامعة بدون أستاذ "حيث هو موصل للمعلومات لطلابه، والمؤثر في شخصياتهم في بنائهم العلمي، كما أنه صاحب الباع في مجال البحث العلمي" (٣٨).

والأستاذ الجامعي يثقف المجتمع، ويدعم القيم والمبادىء والإتجاهات الايجابية التي تنبع من عقيدتنا وتقاليدنا، وهو الذي يتصدى لمشكلات مجتمعه محللاً ومشخصاً، ومقترحاً للحلول والعلاج، فهو أهم وأندر عوامل الانتاج في الجامعة.

وفي الجامعة هيئة تدريس تتميز بالكفاية العلمية والضمير المنهجي المسلكي الحي، وفيها الكثير من الصفات التي ذكرنا، لكن هناك نوعاً ثانياً أبعد ما يكون عن تلك الصفات، ولا يتزودون بالجديد والمستحدث في مجال تخصصاتهم ليسايروا ركب التطور، ولترتفع كفاءتهم الانتاجية إلى مستوى العصر، فمنهم من يشغل وقته في غير شؤون البحث العلمي، والعمل الاكاديمي الجامعي، ومنهم من دخل الجامعة في غفلة من الزمن، وبتعيين مشكوك في معاييره وأسسه.

فكيف سيكون وضع الجامعة وطلابها إذا بنيت على أكتاف هؤلاء الضعفاء، فسيزداد ضعف الجامعة، وهذه الهيئة التدريسية لن تنتج سوى طلاباً ضعافاً، فالمستوى الضعيف لا ينتج إلا مستوى ضعيفاً.

٢ - كثرة الأعباء الملقاة على عاتق عضو هيئة التدريس:

إن العلماء في العالم الإسلامي عامة، وفي لبنان خاصة معظمهم من العاملين في الجامعات، فهم يحملون أعباء ضخمة سواء في مجال التدريس، او مجال الإدارة، إن هذه الأعباء تستنزف كثيراً من جهدهم ووقتهم بحيث لا تترك للبحث مكاناً يذكر. هناك من الأساتذة من يقوم بأعمال لا صلة لها

بعملهم، ويقضي بعض الأساتذة ساعات أسبوعية في العمل بشكل لا يتصوره العقل، وربما الدافع لذلك ضآلة مرتباتهم قياساً على غلاء المعيشة، أو لحاجة الجامعات لهم فيكلفون بساعات كثيرة.

وتبلغ نسبة الطلبة لعضو هيئة التدريس الجامعي ١:٤٠ في بعض الاقطار العربية وهي نسبة في الوطن العربي تقرب من ١:٢٠، بينما نجد ان معدل نسبة الطلبة إلى المدرسين يبلغ ١:١٥ معدلاً في العالم، وهي دون الـ ١:١٠ في الجامعات المتقدمة. كما أن هذه النسب لا تروي القصة كاملة، ففي الوقت الذي تبلغ ساعات اللقاء بين الطالب وأستاذه ١٥ ساعة أسبوعياً في جامعات العالم، يبلغ عدد هذه الساعات في بعض الجامعات العربية ما يزيد عن (٢٠ ساعة) وهذا يعني عبئاً تدريسياً كبيراً على المدرس الجامعي[٣٩].

مما لا شك فيه ان "عالماً يحمل عدداً من الساعات يقترب من الأربعين ساعة أسبوعية في شؤون التدريس لا ينتظر منه ان يدخل إلى معمله ليجري تجربة او أن يجلس في مكتبه يكتب بحثاً أو يقرأ آخر.. بل ان ينتقد، وان يبتكر..!!

إن العلماء في الغرب المتقدم تخفف أعباؤهم قدر المستطاع، بحيث أن بعضهم تتعاقد معهم الجامعات فقط لإجراء البحوث.. وبعضهم لشؤون التدريس.[٤٠]

أما في بلادنا العربية فالغالبية العظمى، من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية تنفق معظم وقتها في أعمال التدريس، وإلقاء المحاضرات والدروس الإضافية والإمتحانات، ولا يعطي الوقت الكافي لإجراء البحوث[٤١]، فالتوازن السليم بين التدريس والبحث العلمي غير موجود في معظم الجامعات العربية، لذلك لا بد من قيام توازن دقيق بين التدريس والتاليف والبحث العلمي.

٣ - انعدام التحدي العلمي إلى حد كبير:

يزدهر البحث العلمي ويتقدم وينمو عندما يتوافر التحدي بين العاملين فيه، أي تقوم تنافسات علمية شريفة بين الباحثين بحيث تثري الأبحاث وتعمل

على تعميقها، ولا يأتي هذا المناخ العلمي إلا إذا كان هناك:

أ - منافسون علماء شرفاء.

ب - ظروف ميسرة للعلماء ومهيأة للبحث والإنتاج والإجادة.

ج - ضمان نشر وإذاعة ما يتوصل إليه من نتائج من خلال أبحاثهم التي يتاح، لزملائهم الباحثين الآخرين الاطلاع عليها، كي يعملوا فكرهم فيها سواء كان ذلك من خلال تجمعاتهم العلمية أو ندواتهم المنظمة التي يتناولون فيها الآراء والأفكار حول ما يعملون وحول ما يتوصلون إليه.

ومن خلال تبادل الآراء المختلفة تتولد شرارة المعرفة الجديدة التي تأتي بأفكار جديدة في سلسلة من المعقولات والمقولات المنطقية التي تبني صرح العلم على أسس ثابتة ومتينة.[٤٢]

إن العالم في مجال البحث العلمي لا يستثيره مثل تحدي الأفكار الأخرى Challenge of Ideas التي تأتي من زملائه العلماء العاملين في مجال تخصصه نفسه. إن ذلك التحدي يدفع الفرد العالم لإعمال فكره من جديد، وربما لمراجعة اعماله التي قام بها من قبل، كذلك يدفعه لبذل المزيد من الجهد والاطلاع والتدقيق كي يكون على مستوى العلماء الذين يتعامل معهم، والذين يلتقون جميعاً بأفكارهم، أما على صفحات المجلات العلمية أو الدوريات التي يكتبون فيها ما يتوصلون إليه، أو الذين يلتقون سوياً في حلقات البحث Seminar كي يعرضوا اراءهم ونتائج بحوثهم للمناقشة الحرة والصريحة[٤٣].

إن المجتمعات العلمية هذه تتيح للباحث ان يتعرف على الباحثين الآخرين من خلال إنتاجهم وابتكاراتهم وتجارتهم، وهم أيضاً يتعرفون عليه كذلك، بحيث يكون الخصب في الإنتاج والإثراء في البحوث، والتنسيق والتعاون بين الباحثين والتكامل فيما بينهم.

٤ - انزلاق بعض الأساتذة والباحثين في تكتلات ضد بعضهم:

يسود الأوساط العلمية اليوم حالة شنيعة من الانهيار العلمي والتزييف

الوجداني "الذي ينعكس في احتكارات وتكتلات مشبوهة تهبط بمستوى الفكر والضمير إلى أحط مستوياته وتجر معها المستويات الجامعية والأكاديمية إلى الدرك الأسفل"(٤٤) فنرى أساتذة يزايدون على بعضهم، ويدس كل منهم على الآخر أكاذيب وتلفيقات، ويحط من كرامة زميله ومكانته العلمية، وكثيراً ما تدب الغيرة والحسد بين بعضهم، فيسود الجو العلمي الخلافات والمقالب التافهة.

ونجد هذا يظهر من خلال المجلات الجامعية ونشر أبحاثها حيث أن "البحوث العلمية الجادة لم تعد تجد الطريق أمامها ميسراً لأن ازدواجية السلوك حتى بين -الأكاديميين- أصبحت تشكل لديهم تشويهاً خلقياً سلوكياً، وأصبح البحث العلمي سلعة خاضعة للعرض والطلب والمساومة والمحسوبية، وهبط المستوى فيها كماً وكيفاً".(٤٥)

٥ - ندرة المؤتمرات والندوات العلمية التي يشارك بها الأساتذة الباحثون:

تمثل اللقاءات من خلال المؤتمرات والندوات مجالاً رائعاً للعلماء "لتبادل الآراء وتفنيدها، ولعرض نتائج البحوث ومناقشة تطبيقاتها، إن اتصال عضو هيئة التدريس بأبناء مهنته وتخصصه واهتماماته في بلده، وفي العالم من شأنه أن يخدم رسالة الجامعة أجلّ خدمة، إذ يرفع من المستوى العلمي والمهني لعضو هيئة التدريس مما يعود بالنفع على جامعته ويتم هذا الاتصال على شكل إجازات دراسية لمدد طويلة، تتراوح بين شهر وسنة، أو مؤتمرات وندوات علمية تعقد في بلد العضو أو في الخارج" (٤٦).

إن مثل هذه اللقاءات مجال احتكاك بين العلماء الباحثين سواء كانوا في العالم الإسلامي أو خارجه، وخروج من المجتمعات العلمية المصغرة في بلد الباحث، أو داخل المؤسسة التي يعمل فيها، بعيداً عن التجريب العلمي العالمي وعن النقد الذي يرى الأبحاث عن بعد، انها تُعرف الباحث إلى مدى ما توصل إليه في ابحاثه من تقدم أو تأخر، أو إبتكار أو تكرار، أو دوران في حلقة مفرغة. ولا ننسى أن مثل هذه اللقاءات فرصة إعلامية بين جامعات العالم حول

حركة العلم في جامعاتنا الإسلامية.

إن هذه اللقاءات العلمية "بكل ما يثار فيها تمثل أنبوبة اختبار كبرى لأعمال العلماء في جميع أنحاء العالم وحضورهم إياها يريهم أين يقفون، ويبين لهم مدى التقدم الذي يضيفون. إن حركة المؤتمرات العلمية هذه لو رسمت لها خريطة عالمية تبين أسهمها أين تعقد لوجدنا هذه الأسهم تكثر وتتكاثف في اتجاهين: الإتجاه الأول يخرج من الولايات المتحدة وكندا شرقاً تجاه أوروبا الغربية .. وبالعكس، والاتجاه الثاني يخرج منهما أيضاً مغرباً تجاه اليابان وبالعكس، وذلك ينبئنا أين يصنع العلم"(٤٧).

أما في العالم الإسلامي وفيما يتعلق بباحثينا، فإن حضرنا هذه المؤتمرات أو الندوات أو اللقاءات نحضرها على خجل، ولا يمثلنا فيها (أكثر الاحيان) من يستحق، فهناك كثير من الأمور تتدخل عند تمثيل عضو هيئة التدريس لجامعته، فتلعب الواسطة والمحسوبية، والحظوة في الاختيار ولا يمثلنا من يصلح.

يقول عبد العليم مرسي "حينما بحثنا عن مدى اسهام من ذهبوا إلى تلك المؤتمرات علمياً، وجدنا أن واحداً منهم فقط هو الذي قدم بحثاً، وكان ذلك في مؤتمر النمسا، أما الباقون فقد شاركوا بالحضور فقط، ولم يقدموابحوثاً على الرغم من أنهم بعد عودتهم قد أوصوا بأن تداوم الجامعة على المشاركة في مثل هذه المؤتمرات(٤٨).

لذلك إذا كان حضور باحثينا الى هذه المؤتمرات حضوراً غير فاعل، بل يقتصر على الاستماع فلا داعي لذلك وينبغي التوقف عنده وإعادة النظر فيه.

٦ - انقطاع الصلة بين الباحثين وأساتذة الجامعات ومراكز البحث العلمي من جهة والمؤسسات الإنتاجية الكبرى:

في العالم الإسلامي مجموعة من المؤسسات كان من المتوقع منها حاضراً، ويتوقع منها مستقبلاً أن تعمد إلى القيام بمشروعات ضخمة وبدلاً من أن تأتي بالخبراء من الخارج عليها أن تلجأ إلى الكفاءات العلمية الموجودة

في البلد، فتقدم هذه الكفاءات الداخلية الأبحاث والمشروعات العلمية، وتعالج "المشكلات العاجلة والملحة التي تفرضها مطالب التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وهكذا ينزل التعليم الجامعي من أبراجه العاجية ليهتم إلى جانب البحوث العلمية الأكاديمية بالبحوث الميدانية والتطبيقية وبهذا يصبح للتعليم الجامعي دور هام في التعرف على المشكلات الاقتصادية والاجتماعية ودراستها على أسس علمية واقتراح الحلول الممكنة لعلاجها، ويصبح التعليم الجامعي منشطاً للمؤسسات الاقتصادية والإجتماعية في المجتمع[٤٩].

وربما كان من إحدى الوسائل لربط الجامعة الإسلامية بالمؤسسات الاقتصادية، أن تخصص "أماكن في مؤسسات التعليم العالي لعدد من الشركات والمؤسسات الصناعية، لتتخذ منها مقار تتفاعل فيها، ومن خلالها، مع الهيئات التدريسية والطلبة والمختبرات، وتتعاون على دراسة المشكلات التي تواجهها قطاعات الإنتاج المختلفة، وتعوق تطورها، ومن ثم تعمل على تقديم الحلول لها.

هذه المقار هي التي تسمى (محطات العلوم Science parks)، وقد انتشرت في بعض البلدان الصناعية في الجامعة الواحدة تتخذ لها فيها مقار أو محطات علمية، واذا تعذر انتقال شركات الصناعات إلى الجامعات، فالحل البديل أن تنتقل الجامعات إليها، إذا أردنا للتنمية وخططها أن تأخذ طريقها إلى التنفيذ ومن وسائل ذلك السماح لأعضاء هيئة التدريس، بالعمل في تلك الشركات مدداً محددة لأهداف معينة. فان انتقال أعضاء هيئة التدريس إلى تلك الشركات سيجعلهم يتعرفون إلى مشكلات الصناعة في الواقع، وينقلونها إلى الجامعات، ويجعلونها مداراً لبحثهم، ونماذج عملية يدرسونها لطلبتهم، بدلاً من الاقتصار على تعليم نظريات مجردة، تنتهي مع الزمن إلى عزلة الجامعات عن مجتمعاتها[٥٠].

ولا شك أن انعزال المؤسسات البحثية سواء كانت في الجامعة أو خارجها "عن مواقع الإنتاج يحول دون وصول البحوث التطبيقية والأساسية

إلى المواقع التي تحتاجها، فتظل قابعة في رفوف هذه الجامعات، أو على أحسن الأحوال مدسوسة في المجلات العلمية التي نشرتها دون ان ينتبه إليها أصحاب الشأن الذين يمكن أن يفيدوا منها، وإذا كانت هذه البحوث أفادت القائمين بها بصفة شخصية ومعنوية، فإنها بلا شك تمثل هدراً على المستوى الوطني للأموال التي انفقت عليها، وللأوقات التي قضيت فيها، والجهود التي وجهت إليها"[٥١].

ولو نظرنا إلى المجتمعات المتقدمة لوجدنا "تعاوناً وثيقاً بين هذه المؤسسات وبين التعليم الجامعي ومن خلال الإمكانيات العلمية المتخصصة للتعليم الجامعي تستطيع هذه المؤسسات أن تجد لديه الراي والمشورة، بل والحلول للتغلب على مشكلاتها"[٥٢].

وفي الحقيقة إن هذه الصلات العضوية بين الجامعة ومراكز البحوث والمؤسسات الاقتصادية، لو توظّف بشكلها الصحيح، ويجرى التنسيق والتعاون بين الباحثين العلميين والشركات في عالمنا الإسلامي لكان حالنا أفضل، ولكان العائد والمردود أفضل، ولبقي كثير من علمائنا في بلادهم، ووفرنا على أنفسنا هجرة العقول والاستنزاف البشري.

٧ - ضعف فرص نشر الأبحاث العلمية ومشكلاتها:

يقضي الباحث فترة زمنية قد تطول في إنتاجه البحثي، ويبذل جهوداً كبيرة في ذلك، وهذا البحث يريد أن يرى النور ويخرج للناس ليكون إضافة جديدة للرصيد الحضاري الإنساني.

إن نشر الأبحاث العلمية لا يفيد الباحث وحده، بل عندما ينشر يصبح ملكاً للبشر جميعاً فيستفيدوا منه في حياتهم المادية والبشرية، وعندما يصل البحث الى بلد اخر يضعه علماؤها تحت مجهر "الفحص والتمحيص والنقد العلمي السليم، وهم بذلك يدعمون نتائجه ويؤكدون أصالته...إن ثبتت صحتها، أو هم ينتقدونه مبينين جوانب النقص فيه، مما يدفع أصحابه إلى مراجعة أفكارهم وأساليب بحوثهم بحيث يضعونها على الطريق الصحيح، فهم بذلك

يخدمون هؤلاء الزملاء، ويبينون لهم ما ينبغي عمله حتى تكتمل أعمالهم وتأخذ شكلها السليم ومن هنا تعاد صياغة بعض هذه الأعمال، أو يعاد صقلها فيستفيد أصحابها الأصليون ويستفيد المجتمع كله.

إن توافر المجلات العلمية والدوريات Periodicals أصبح عنصراً أساسياً من عناصر تقدم البحث العلمي، ويكفي أن دولة مثل الولايات المتحدة فيها أكثر من عشرين ألفاً، وذلك مما يتيح الفرص واسعة أمام العلماء على مختلف تخصصاتهم لنشر بحوثهم ونقدها وتعميمها بين الناس، كما أن اليابان بها ما يزيد على عشرة آلاف دورية.

أما في العالم العربي فإن الأمر -للأسف الشديد- يختلف عن ذلك إلى حد بعيد، وكمثال بسيط يكفي أن نذكر الحال في العالم العربي، أن أحدث الاحصاءات تقول بوجود (٣٢) مجلة علمية متخصصة ... فقط على مستوى العالم العربي كله"[٥٣].

ومن المشكلات التي تواجه نشر الأبحاث أن بعض المجلات الجامعية "التي يفترض أن تكون ملتقى للإنتاج الأصيل من علم وإبداع وبحث، فإذا بها تتحول صفحات مبتذلة لترويج هرطقات مسروقة أو ترجمات مبتورة أو مصادر كسبية للمال. فتلمع فيها أسماء مكررة باستمرار وتشرف على إدارتها مجموعة من الأفراد وصلوا إلى أماكنهم بالتعيين المشكوك في معاييره وأسسه"[٥٤]، مما لا يفسح المجال في نشر أبحاث جادة لعدد من الباحثين نتيجة لما يخضع له البحث العلمي كسلعة للعرض والطلب والمساومة والمحسوبية.

إن القاعدة العامة بالنسبة للبحوث العلمية "أن تعلن على الملأ، فبعد الانتهاء منها والوصول فيها إلى نتائج معينة تنشر تلك النتائج في المجلات العلمية المتخصصة حتى تكون في متناول المتخصصين في مجال البحث.

إن بعض البلدان العربية تفعل ذلك، بينما بعضها الآخر يخلط البحوث العلمية من ميادين مختلفة في مجلة علمية واحدة، مثل مجلات الكليات التي

تصـدر عن بعض جـامـعـاتنا. إن في ذلك خلطاً بين البـحـوث التي تعـالج موضوعات مختلفة في ميادين مختلفة، ولايجد فيها الباحث المتخصص الحافز الذي يشجعه على نشر بحوثه في مثل هذا الخليط العجيب.

والباحث الذي ينشر نتائج بحوثه لا ينشرها لمجرد النشر وإنما ينشرها لكي يطلع عليـها المتـخـصـصـون، وأولئك يسـعـون إلى اقـتناء هذا النوع من المجلات ذات البحوث المتنوعة ولا يقبلون على النشر فيها"[٥٥].

وكذلك ما نراه نتيجة للروتين القاتل حين يتقدم باحث ببحثه لينشره، ثم يبقى ما يقارب العام أو أكثر، حيث ينشر، أو لا ينشر، كل ذلك بحجة المراجعة العلمية من قبل المحكمين، أو التأخر في الطباعة، أو تعسر الانفاق المالي على المجلة، كل ذلك يطفيء حماس العلماءالباحثين الجادين، فيتوجهون إلى نشر أبحاثهم في الخارج، أو يتوقفون عن البحث.

ويبدو أن جامعاتنا الإسلامية والعربية تقل مخصصاتها في ميزانياتها ومراكزها ومجلاتها، حيث يبدو "أن الجامعات العربية تعتبر البحوث العلمية شيئاً لا يستحق الاهتمام لدرجة أن البيانات الاحصائية تشير إلى حقيقة مخزية هي أن ما تخصصه الجامعات العربية مجتمعة للبحوث العلمية يقارب ما ترصده إسرائيل لهذا الغرض في جامعاتها"[٥٦].

وبالنسبة لمراكز البحوث العلمية، يبدو أن دول العالم الإسلامي تسعى "لإنشاء مراكز وطنية للأبحاث، وقد بلغ عددها اليوم ما يقرب من ٧٠٠ مركز. لكن تأثيرها على الإنتاج الوطني لازال غير واضح، ربما لأنها مؤسسات وطنية لا تنعم بالاستقلال المالي وتعمد أساساً على ميزانيات الدولة، فان هذه المراكز تشكل أداة قيمة في يد السلطات العمومية خاصة منها الوزارات التقنية التي تعتمد على نتائج دراسات هذه المراكز لتتخذ قراراتها وتقرر اختياراتها".[٥٧]

ومن هنا نؤكد على ضرورة توفر مؤسسات أو مراكز البحث والنشر لأبحاث العلماء، وان تكون على صلة بالجامعات والهيئات والأشخاص المهتمين بالبحث العلمي.

٨ - عدم توفر المراجع العلمية والدوريات وقواعد المعلومات بشكل كافٍ لأعضاء هيئة التدريس:

تعتبر المراجع من الأسس الهامة التي يقوم عليها البحث العلمي، وهي تمد الباحث بالمعلومات التي يحتاجها، فلا مناخ علمي مناسب إذا لم تكن هناك مكتبات غنية بالمراجع الضرورية، والدوريات والصحف الناطقة باللغة العربية وغيرها من اللغات المعاصرة.

فالباحث أو عضو هيئة التدريس في جامعاتنا "الذي لا يجد المراجع الكافية التي تعينه في بحثه، ولا الدوريات العلمية المتخصصة التي ينشر فيها ما يتوصل إليه من نتائج يجد نفسه عاجزاً ولا حيلة له، ويصبح عمله شبه مستحيل، ويكفي أن نشير الى أن أحدث الإحصائيات الخاصة بهذا المجال[٥٨] تقول بوجود (٣٢) مجلة متخصصة... فقط... على مستوى العالم العربي"[٥٩]، وكذلك الحاجة الى قواعد للمعلومات على المستوى الوطني والعالمي للاطلاع على البحوث، والمراجع، والتي توفر الزمن والطاقة في البحث.

٩ - افتقار البحث العلمي إلى الوسائل والأدوات:

تفتقد الكثير من الجامعات ومراكز البحوث العلمية الوسائل والأدوات من مختبرات وأجهزة علمية وكوادر فنية، وإن وجدت في بعض الدول الاجهزة والأدوات فهي غير كافية، وتفتقد الصيانة، ولاتتوفر الكوادر الوطنية والتي يستعاض عنها بكوادر أجنبية، وقد نجد "مئات الأجهزة الثمينة المستوردة في (المخازن) يأكلها الغبار ولم تستخدم لسنوات طويلة لأن هناك عرقلة -مقصودة أو غير مقصودة - في استكمال- إحضار الخبراء لتدريب طلابها- وتتحول معظم المختبرات التي كلفت البلاد مئات الملايين الى مجرد متاحف ومراتع للفئران والصراصير مع أنها أسست وصممت لتدريب علماء الذرة والبحوث الالكترونية والكيمياء والميكانيك وغيرها"[٦٠].

١٠ - ضعف الإنفاق على البحوث العلمية:

يعتبر البحث العلمي ضرورة هامة لأية جامعة، حيث لا جامعة بدون بحث علمي، والبحث العلمي ينمي المعرفة ويثريها، ويساهم في التقدم الفكري وفي حل المشكلات المختلفة التي يواجهها المجتمع، وهو تدريب للباحثين أنفسهم، واعداد للكوادر الجامعية من الباحثين.

وهنا أؤكد أنني عندما أتحدث عن البحث العلمي في جامعاتنا وخارجها، لا يقتصر على المعنى الضيق في مجال العلوم الفيزيائية والكيميائية والطبيعة أي العلوم البحتة، فالبحث العلمي هو الذي يمتد إلى كل التخصصات النظرية والعملية.

يتطلب البحث العلمي الأموال اللازمة "للمشتغلين به والتجهيزات والأدوات التي تلزمهم. ويبدو أن الجامعات العربية لم تعترف بعد بالأهمية التي يستحقها البحث العلمي. فهي تنظر إلى الجامعات أول ما تنظر إن شغلها الشاغل تخريج الطلاب وهذه الوظيفة لا غنى عنها بالطبع. ينبغي ذلك ألاّ يحجب أنظارنا عن الرؤية الحقيقية لأهمية البحث العلمي في الجامعة، ومما يدل على قلة اهتمام الجامعات العربية بالبحث العلمي ضعف المخصصات المالية المرصودة له. وقد يكون من المخزي أن إسرائيل تنفق على البحث العلمي مثلما تنفقه الدول العربية مجتمعة"(٦١).

فالعالم العربي كله لا يزيد "ما ينفقه على البحث العلمي والتطوير في مجالاته على مائتي مليون دولار فقط... أي خمس بليون. ومعنى هذا أن ما ننفقه نحن جميعاً يعادل نسبة مقدار ١٢٠:١ مما تنفقه أمريكا. او مما كانت تنفقه خلال الستينات، لأن البحث العلمي عندهم الآن قد زادت اعتماداته زيادة هائلة بسبب برامج أبحاث الفضاء"(٦٢).

ويظهر أن الدول العربية خاصة والدول الإسلامية عامة ربما لا تدرك خطورة البحث العلمي والنتائج التي يمكن أن يتوصل إليها، وإلى أهمية "المال الذي يوظف في البحث العلمي الذي هو أفضل أنواع التوظيف إطلاقاً لرفع

مستوى الإنتاج، كما يفتح لخريجي الجامعات مجالات العمل المثمرة والفعالة.(٦٣)

إن ضعف التمويل للبحوث العلمية "لا يأتي فقط من إحجام الحكومات على تخصيص الأموال الوفيرة التي يمكن أن تسهم في تقدم البحث العلمي وإنما تأتي أيضاً من إحجام القطاعات الخاصة في هذه الدول عن المشاركة في هذا المضمار، وكذلك إحجام الأفراد من الأثرياء عن التبرع لمراكز البحوث، أو دعم مشروعات البحوث التي تستهدف دراسة مشكلات البيئة، وتحقق طموح البلاد في معيشة أفضل، وذلك على عكس ما نجده في البلاد المتقدمة، حيث تنهال الأموال من المؤسسات الخاصة والأفراد عن طريق التبرعات والوصايا، إيماناً من هذه الجهات بضرورة دعم البحث العلمي لما يترتب على ذلك من مردود إيجابي في المجتمع أو هروباً من قوانين الضرائب الصارخة"(٦٤).

لقد لوحظ في عام ١٩٨٣ أن الولايات المتحدة الأمريكية دفعت على البحث والتطوير نسبة توازي ٤٦,٩٪ بينما جاء دعم المؤسسات الانتاجية وغيرها ما يوازي ٤٩,٦٪، وفي بريطانيا دفعت الدولة ما يوازي ٤٨,٩٪ بينما قدمت المؤسسات الإنتاجية وغيرها دعماً يوازي ٤٣,٦٪ كما حصلت البحوث على دعم أخر خارجي يوازي ٧,٥٪(٦٥).

من هنا نرى مدى إهتمام الدول بالانفاق على البحث العلمي وهو مؤشر ذو دلالة على مدى اهتمام هذه الدول بالعلم وأبحاثه وما تنتجه، ويعود بالفائدة على المجتمع.

إن كل هذا يرينا "أن البحث العلمي في العالم الإسلامي يعاني بشدة من ضعف الإمكانات المالية المرصودة له من جانب دولة، وهذا الضعف في حد ذاته ينعكس على العاملين بمراكز البحوث والجامعات وعلى نتائج أعمالهم، إذ أن الاجهزة المطلوبة للبحث وكذا المواد التي يستخدمها الباحثون في أبحاثهم، ومرتبات العاملين في هذا المجال ومكافآتهم كلها تتأثر بحجم الإنفاق عليه. ولا شك أن العلماء وذوي الكفاءات العلمية النادرة يهمهم بالدرجة الأولى أن توفر

لهم الإمكانات المادية حتى يستطيعوا أن يبحثوا أو أن يجربوا وأن ينتجوا".(٦٦)

١١ - عدم توفر طبقة مساعدي الباحثين:

يقصد بمساعدي الباحثين أولئك الأفراد الذين يساعدون الباحثين في إجراء بحوثهم وتجاربهم ويضبطون لهم أجهزتهم. ويساعدونهم في قراءة النتائج -اليومية أحياناً- وتتبع التغيرات الحادثة في مجال تجربتهم.

هذا وأن من بين هؤلاء المساعدين من يستطيع العلماء أن يحدثوهم عن أمالهم وطموحاتهم في مجالات بحثهم وتجريبهم. وهذا عنصر هام جداً في الاستقرار النفسي للعلماء. وقد أطلقوا عليهم مصطلح .. أفراد يمكن التحدث اليهم Persons to talk with وأحياناً مساعدي الباحثين Research Association.

وتدفع الجامعات ومراكز البحوث لهؤلاء الاشخاص مرتبات مغرية لأنهم يسهمون بجدّ في عملية تطوير البحث العلمي، خاصة وهم في غالبيتهم من طلاب الدراسات العليا لمرحلتي الماجستير والدكتوراة.

هذا ويمكن أن نستثمر جهودهم، وأن نربط ما يقدمون من بحوث نظرية وعملية بمشكلات مجتمعهم وبيئتهم، خاصة وأن عالمنا العربي يعاني من نقص في هذه الفئة بشكل واضح.(٦٧)

١٢ - قلة البحوث المشتركة بين الأساتذة:

لقد أصبح من سمات العصر العمل كفريق عمل، بحيث يشترك عدد من الأساتذة في بحث واحد متعدد الأبعاد، وكثر الطلب على ذلك بسبب ضخامة البحوث وتنوعها وارتباطها بعناصر كثيرة، وينطبق هذا على الأبحاث الأساسية، والأبحاث التطبيقية. ونلاحظ في كثير من المؤتمرات العربية تركيز على تشجيع العمل على شكل فريق عمل متكامل مختلف التخصصات.

إن البحوث التي تجرى في جامعات الدول المتقدمة والمراكز العلمية الموجودة بها تكاد تتم على أساس نظام الفريق، وبموجب هذا النظام يشترك

في البحث الواحد فريق متكامل من أعضاء هيئة التدريس والباحثين، يتناوله كل منهم من زاوية تخصصه، وعدد كبير من المساعدين الفنيين، وذلك تحت اشراف احد كبار الأساتذة، أو كما تسمى نظام فرق البحث Research Teams.

ولعلي اقف هنا امام تنسيق صهيوني -امريكي من خلال البحوث المشتركة وفرق البحث والإختراق لبعض النخبة الاكاديمية في مصر، رغم المواقف المشرّفة من الشعب المصري العربي من عملية التطبيع بشتى أشكالها، فقد استهدفت عملية اختراق النخبة الاكاديمية المصرية هدفين في أن واحد(٦٨).

الأول: ضمان التحالف -بل والسيطرة- على النخبة السياسية والفكرية التقليدية المؤثرة في صنع القرارات ورسم السياسات Elites وذلك في تشكيل عقل وفكر قطاع هام من الشباب المصري بالجامعات وذلك من خلال خلق شبكة مستقرة ودائمة مع هؤلاء عبر تمويل بعض البحوث المشتركة وتجارب طبية وصيد لية جديدة تحول القوانين الغربية الأمريكية دون تطبيقها على مواطنيها.

الثاني: الحصول على تفسير محلي لجملة من الظواهر الاجتماعية والسياسية والثقافية والعرقية المصرية باستخدام العقول المصرية بما يسمح بقراءة وتفسير وتحليل ما تخفيه الأرقام والبيانات الإحصائية الصماء وهكذا إمتدت خيوط البحث الاكاديمي من اقاصي القرى والنجوع بالصعيد إلى الوادي والدلتا والمدن المصرية وضواحيها لتقوم باكبر عملية مسح معلومات حول التركيبة الاجتماعية والعرقية والدينية والحرفية والسياسية والثقافية في البلاد.

وقد قام أمين جامعة الإسكندرية السيد عبد الفتاح عبد النبي بإعداد دراسة كاملة بعنوان (دليل المشروعات البحثية بالجامعة والممولة من جهات اجنبية ومحلية حتى عام ١٩٨٢م) وقام بتوزيعها على بعض أجهزة الدولة

الهامة[٦٩].

ولذلك ينبغي الحذر في مثل هذه الأمور والأبحاث، وكذلك الحذر من تغلغل الباحثين والخبراء الأجانب في الجامعات، ومنهم من يعتنق الإسلام أو المسيحية كغطاء للدور الذي يقوم به.

وهناك إحصاء يقول "يوجد في سوريا (١٤٠٠٠) خبير اجنبي، وفي الجزائر والمغرب ما يزيد على (١٥٠٠٠) مدرس فرنسي للمدارس و(٥٥٠٠) خبير اجنبي، وفي الكويت (٤٠٠) مدرس اجنبي و(٩٠٠٠) خبير اجنبي، وفي السعودية (٨٠٠) مدرس اجنبي و(١٤٠٠٠) خبير اجنبي، وفي مصر (١٦٠٠) مدرس و(٣٠٠٠٠) خبير من الاجانب[٧٠].

١٣ - عدم الإستقرار المادي للباحثين والأساتذة الجامعيين:

الجامعة مؤسسة اجتماعية "يفترض أنها تؤثر وتتأثر بالمجتمع الذي ينشأ وتترعرع فيه، وقد ينعكس عليها (وعلى أساتذتها وباحثيها) ما في المجتمع من رفاه أو فاقة، وما فيه من نظام أو فوضى، وتقدم أو تخلف، أو ما فيه من عدل أو ظلم... ومع ذلك يفترض في الجامعة أن تكون مؤسسة للعلم والثقافة، ومنارة للحضارة والتقدم وأن تسبق المجتمع وتكون عاملاً في تقدمه[٧١].

والجامعة لها وزن كبير في مجتمعها، وبشكل خاص من خلال أساتذتها وباحثيها، فبالقدر الذي نهتم بهم نضمن إلى حد كبير بداية صحيحة، فلو تصورنا "أننا أستطعنا أن نضع مناهج التعليم في أحسن صورة ممكنة وأن نحسّن مستوى الكتاب المدرسي (والجامعي)، وأن ننشيء المباني المدرسية (والجامعية) في طول البلاد وعرضها بقدر يكفي الحاجة، وأن نجهّز هذه الأبنية بكل ما تحتاجه من أدوات وأجهزة ثم أبقينا المعلم بعد هذا يؤرقه مركز إجتماعي سيء، ويضعف من شأنه إعداد ساذج وبسيط، وتقلقه ضغوط اقتصادية تشل أو تقلل من فعالياته ... هل يمكن أن تثمر هذه الجهود أوتؤتي ثمارها؟ الإجابة بالنفي بطبيعة الحال، لأن المعلم -كما قيل بحق- هو الحجر الأساسي في عملية التعلم والتعليم"[٧٢].

فالملاحظ ان ما تحصل عليه عناصر الكفاءات العملية من أساتذة وباحثين وتقنيين من أجور وشروط لا تكفي لمنحها الحد الأدنى من الشعور بالإستقرار النفسي للتفرّغ للبحث العلمي والإنتاج.

"إن مشكلة انخفاض الدخل المادي مشكلة تستدعي أن يقف الإنسان أمامها طويلاً، ففي كل دول العالم تتحدد الأجور والرواتب طبقاً لجداول دقيقة تتناسب مع المؤهلات والخبرات. وليس غريباً أن يجد الإنسان المتفحّص ستة مستويات مختلفة من الرواتب للمهندسين داخل الوطن العربي، وثمانية مستويات لرواتب الأطباء في بعض الدول العربية، والمؤسف أن لا تكون كفاءة الإنسان ومؤهلاته هي المقياس عند التعيين، أو الترقية أو تحديد الرواتب والأجور، وأن تخضع هذه الأمور الحساسة لاعتبارات -شخصية وحزبية وسياسية وطبقية وطائفية - وثمة بعداً آخر من أبعاد المشكلة- هو غلاء الأسعار بسرعة مذهلة وارتفاع نفقات الحياة دون ارتفاع في الدخل، وانهيار مذهل في القيمة الشرائية للنقد. والدول ذات النظم الاقتصادية الراسخة تضع مسبقاً الجداول الخاصة بالرواتب والأجور مع اتساق دقيق لارتفاع الأسعار طبقاً لدراسات إحصائية تنبؤية للعرض والطلب والسلع والأسواق والتحركات الاقتصادية من صعود وهبوط بينما تميل معظم النظم العربية إلى تجاهل هذه الإعتبارات"(٧٣).

ولما كانت الأوضاع المادية والمعيشية للأساتذة الجامعيين في العالم العربي عامة، وفي لبنان خصوصاً حيث نلاحظ أنها تراجعت فيه "تحت تأثير ارتفاع الأسعار وتضاعفها بين كانون الأول ١٩٨٠ وكانون الاول ١٩٩٠ في حدود ٣٧٢,٧ مرة في حين لم يتضاعف الحد الأدنى للأجر خلال تلك الفترة سوى ١١١,١ مرة فقط، ويبلغ راتب الأستاذ الجامعي حالياً مقيماً بالدولار الأمريكي ٢٥٦,٢ دولاراً أمريكياً فقط، فيما يجب أن يكون أساس راتب الأستاذ ٧١٦,٢ دولاراً أمريكياً، مع العلم أن انهيار العملة الوطنية منذ شباط حتى الآن وصل الراتب إلى ٣١٢,٢١ دولاراً أمريكياً، على أساس أن الدولار يساوي (١٤٠٠ ليرة لبنانية)"(٧٤).

ومما لا شك فيه أن تدني مستوى الباحث والأستاذ الجامعي ينعكس سلباً على روحه المعنوية ومن ثم يؤدي إلى انخفاض إنتاجيته، فأمور الاقتصاد تؤثر على نفوس الأفراد العلميين من خلال "ما يدركونه ويعانون فيه لانه يقع عليهم مباشرة وعلى مؤسساتهم العلمية، فالذي يشهدونه ويقاسون منه هو انخفاض القدرة الشرائية لدخولهم، واستمرار اتساع الفجوة بين هذه االقدرة من ناحية واحتياجاتهم المعيشية والمهنية من ناحية أخرى، وما يولّده ذلك لديهم من توترات وإحباطات وإجهاد نفسي لا يستحقونه وهم في الوقت نفسه يلاحظون تقتيراً لا تخطئه العين في الانفاق على مؤسساتهم العلمية، ولدهشتهم وغضبهم يلاحظون إلى جانب ذلك أنواعاً من السرقة في الإنفاق المظهري ومقتضيات الإنفاق الاجتماعي داخل مؤسساتهم وخارجها لا يستطيعون ردها، ولا تحجيمها ولا محاسبة القائمين عليها"(٧٥).

١٤ - ضعف ربط البحث العلمي بخطط التنمية:

لا شك أن الجامعات في بلادنا تتحمل مسؤولية عظمى تجاه مجتمعاتها حيث يعول عليها من خلال البحث العلمي، أن تسعى لإيجاد الحلول لكثير من مشكلات المجتمع، وتتصدى للتحديات التي تواجهه، وتربط هذا المجتمع بما يجري خارجه من ضروب التقدم.

ولهذا فان الجامعة "بما تضعه من برامج وخطط تعليمية وبحثية تسهم إسهاماً فعالاً في دفع عجلة التنمية، وتشارك مشاركة جادة في البناء، بناء الإنسان وبناء الوطن.

ولعل من المعروف أن الجامعات في البلدان المتقدمة هي التي تقود حركة البحث العلمي في المجالات العسكرية، والإقتصادية، والإجتماعية، والسياسية، والثقافية، وغيرها. ويعزى إلى كثير منها الفضل في صنع التوجهات الاستراتيجية، وحفظ المصالح الوطنية، والتنبؤ بالأحداث الاجتماعية والسياسية وغيرها. وذلك عن طريق حركة البحث العلمي المزدهرة في أروقتها"(٧٦).

ومن المسلم به لدى علماء إقتصاديات التعليم أن الاستثمار في البحث العلمي يعود على المجتمع بأضعاف ما ينفق عليه، وخير الأمثلة في هذا المجال يمكن ان نراها في مجتمعات الولايات المتحدة، والمانيا، ودول شمال غربي اوروبا، واليابان، حيث تستفيد هذه الدول من عائدات البحث العلمي وتوظيفها في التنمية، فأين بحوث أساتذة جامعاتنا الإسلامية في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية، اليس هناك من مشكلات عديدة تقع في مجتمعاتنا وتحتاج لجهود مكثفة من الباحثين وأساتذة الجامعات بشكل خاص، من خلال التعرف على هذه المشكلات وتحليلها وتقديم الحلول لها.

أين علماؤنا، وخصوصاً من تعلموا في الخارج، أين أنظمة حكمنا، هل سنبقى نتمنى ونطالب بالعمل، ثم ألم ندرك أن "الجامعة والبحث العلمي، والتنمية، ثلاثية ترتبط أطرافها بعلاقة وثيقة، فلا يستقيم لطرف منها كيانه على الوجه الصحيح بغير الطرفين الآخرين. فالجامعة بهيئتها التدريسية وطلابها هي الإطار والمناخ، والبحث العلمي هو الأداة والوسيلة، والتنمية هي الغاية والهدف"(٧٧).

هل يجوز أن تبقى "خطط التنمية في بلادنا تكاد تعاني من الانفصام القائم بين الجهات المسؤولة عن وضع خطط التنمية وتنفيذها. كل طرف من أطراف المعادلة يتهم الطرف الآخر بأنه هو السبب في هذا الانفصام، فالمسؤولون التنفيذيون عندما يسألون عن مدى إسهام الجامعات ومراكز البحوث بعلمها وبحوثها من خلال الطاقات البشرية التي تضمها يجيبون بأن هذه الجامعات ومراكز البحوث تعزل نفسها في برجها العاجي بعيداً عن واقع التنمية ومشكلاتها، ومن هنا لا يدرون عنا شيئاً.

وعندما يُسأل أهل العلم والخبرة من رجال الجامعات ومراكز البحوث عن أساس المشكلة نجد إجاباتهم تنحصر في أن المسؤولين عن التنمية تخطيطاً وتنفيذاً قلما يستشيرون جامعتهم ومراكز بحوثهم، وتكون النتيجة سيلاً من الاتهامات المتبادلة، خاصة عندما تظهر مشكلة أو يتضح عائق في خطط التنمية"(٧٨).

لماذا هذا الفراق أو الطلاق بين أجهزة الدولة الواحدة، أين التعاون من أجل المصلحة العامة، الا يتحتم على مؤسساتنا ان تتواصل مع بعضها لتواجه التحديات بشتى أشكالها التي تواجه مجتمعاتنا، هل سيبقى "كل جهاز أو مؤسسة جزيرة منعزلة عن غيرها تجري بحوثها أو تنفذها بعيداً عن سمع وبصر الآخرين، ولن يتقدم وطن يعمل كل فرد فيه بمفرده، أو تعمل كل مؤسسة من مؤسساته في واد".

وأمام كل هذا فإننا نؤكد على أهمية التنمية والجامعة والبحث العلمي، ونركز على ضرورة الاهتمام بالأبحاث التي تدور حول حاجات المجتمع ومشكلاته واستشرافاته المستقبلية، فالجامعة تسبق المجتمع بفكرها وبحوثها.

١٥ - الإفتقار إلى التعاون والتنسيق في مجال البحوث العلمية بين الجامعات:

حين يرصد أي باحث نوعيات البحوث العلمية في جامعاتنا الإسلامية، -هذا إذا كانت منشورة- يرى التكرار فيها. "بينما لو كانت هناك سياسة للتنسيق والربط بين هذه الجامعات لكانت عجلة الإنتاج البحثي فيها قد دارت بصورة أسرع وأفضل، ويقيني أن الدول العربية ... يمكنها ان تفعل ذلك دون مشقة"(٨٠).

١٦ - انعدام الحرية الأكاديمية والاستقلال الأكاديمي للجامعات:

تعتبر الحرية الأكاديمية للباحث العلمي وخاصة للأستاذ الجامعي بمثابة الرئتين للجسم، وبدون هذه الحرية فإن البحث العلمي الجاد لن تقوم له قائمة، ولن يرى الباحث العلمي وعضو هيئة التدريس الجامعي أي استقرار في بلده.

فالجامعة منظمة علمية أكاديمية ينبغي أن تكون دائماً "متمتعة بالحرية في ممارسة شئونها وتنظيم كيانها دون ضغط أو وصاية من الخارج حتى بالنسبة للجامعات التي تعينها الدولة أو الجامعات الحكومية التي تمول كلية من الدولة.

وإذا فرضت قيود على التدريس أو الحرية الأكاديمية للجامعة فإن التعليم

الجامعي سينهار من أساسه ويترتب عليه ركود الحياة الفكرية الجامعية. ذلك أن الجامعة إذا فقدت استقلالها فقدت معه طابعها الجامعي. وهكذا يعتبر استقلال الجامعة مطلباً رئيساً للمناخ الطبيعي لنمو الجامعة.

... والحرية الأكاديمية حرية لا تدور في فراغ وإنما تأخذ مضمونها الاجتماعي في المجتمع الذي قامت الجامعة لتعبر عنه ولتخدمه وتنهض به. واي خروج عن هذا المضمون الإجتماعي للحرية الأكاديمية ينبغي أن تعالجه الجامعة بنفسها ومن داخلها ومن خلال تنظيماتها الجامعية التي تقوم عليها"[٨١].

لقد أدير الظهر لهذه الحرية، وظهرت مشكلة الإنسان عامة والباحث العلمي خصوصاً من خلال حقوقه في المساهمة في اتخاذ القرارات، وحتى في ضمان أبسط الحقوق له من ممارسة الحريات العامة وضمانات البقاء الأساسية لوجود الإنسان "لقد اصبح للكلاب في أوروبا وامريكا وروسيا ضمانات وحقوق وجمعيات للرعاية، ومعارض، وميزانيات، وعيادات، ومستشفيات خاصة وأطباء، وعناية لا يحلم ان يجدها إنساناً في أرض وطنه سواء كان متخصصاً خبيراً او مواطناً عادياً، ولهذا السبب يبقى المهاجرون في المهجر ولا يعودون... وهناك انعدام تقدير الكفاءات العلمية وتمييز فئات غير مؤهلة على العلماء والمثقفين، فقد أصبح المثقف يعيش ذليلاً محتقراً بدون كرامة وشرف فهو مهدد بكل شيء وغير مطمئن لحاضره ومستقبله"[٨٢].

فالحرية الأكاديمية تتطلب توفير الضمانات الكافية للأساتذة ضد الضغط والإرهاب أو التهديد بالفصل أو الطرد أو العقوبة.

وهذه الحرية الأكاديمية مرتبطة باستقلال الجامعة الأكاديمي الذي يعني "أول ما يعني حرية الجامعة في اختيار نظامها وبرامجها ومنهاجها وطرائق التدريس واختبار هيئة التدريس بها كما يعني أيضاً الحرية الأكاديمية وتعني عدم وضع قيود على ما تدرسه الجامعة وما يقوله أو ينشره اساتذتها أو ما يعبّرون عنه من أراء علمية أو أكاديمية داخل الجامعة"[٨٣].

وينبغي على الجامعات أن تبتعد عن التعصب الفكري الذي يتنافى مع الفكر الجامعي الموضوعي المتفتح، وعلى الجامعة أن تسعى لتنمية روح البحث والابداع والابتكار واكتشاف آفاق جديدة للمعرفة الإنسانية.

١٧ - الروتين والبيروقراطية:

من اكبر الآفات التي أصابت الحياة العامة، والعمل في المؤسسات خصوصاً في العالم الإسلامي الروتين، والذي ظهر في جامعاتنا فأعاق عملية التطوير والتحسين، لأنه يساهم في تجميد الأمور ويحد من الحركة، ويؤدي إلى زيادة المشكلات وتفاقمها.

وأخطر الأمور على العلماء وأبحاثهم "أن يتولى أمرهما أفراد يتعاملون معهما بعقليات الموظفين المكتبيين الذين لا يجيدون سوى إصدار الأوامر ووضع توقيعاتهم عليها، وقد لا يفوتهم ختمها بالخاتم الرسمي!! حتى تأخذ الشكل الروتيني المضبوط، إن كل هذا ان جاز في مجالات الحياة المختلفة ومؤسساتها فلا ينبغي أن يكون هو الأساس في التعامل مع العلم والعلماء"(٨٤).

ويظهر هذا في استبعاد النقاش الحر وكبت أصحابه، ورصد الميزانية للعلماء وأبحاثهم، والتمسك بحرفية القوانين، والمراسلات العديدة التواقيع، وصرف المستلزمات الإدارية والفنية، والمركزية الشديدة.

وأمام هذا مطلوب منا وبشكل خاص من القيمين على الجامعات أن يلجأوا إلى النقاش العلمي الهادىء، والشورى، وتقبل النصيحة، والتغلب على كثير من المشاكل والعقبات التي تحد من تحسين وتطوير جامعاتنا.

١٨ - التخلف في الكوادر العلمية وتطويرها:

يعتبر الإنسان غاية التنمية والتطوير في مجتمعنا وهو الوسيلة الفعالة لتحقيق ذلك "فتهيئة الكادر المؤهل للبحث العلمي بما في ذلك الكادر القيادي، من حملة الشهادات العليا (الدكتوراه والماجستير)، والكوادر المساعدة من حملةالشهادات الجامعية الأولية (البكالوريوس)، والفني المساعد والإداري

المتفهم لأهمية مساعدة الباحث في توفير مستلزمات عمله، لا عرقلتها، تعد من أهم مستلزمات البحث العلمي، على أن يتابعوا ويطوروا إمكانياتهم. ذلك لأن كثيراً من الشباب في الدول النامية ينغلق على نفسه، بعد إكماله الشهادة، وقسماً آخر يصطدم بواقع التخلف العلمي، ولا يبذل جهداً في محاولة إزالة هذا التخلف"[٨٥].

١٩ - عضو هيئة التدريس في الجامعة والترقية:

تعمد الجامعات بالطلب إلى أعضاء هيئة التدريس فيهاإجراء بحوث علمية جادة ليصار إلى ترقية الأستاذ الجامعي إلى رتبة أعلى.

وهنا نرى أن معظم البحوث، التي تقدم، وسط أو دون الوسط في بعض الجامعات، وغايتها الرئيسية نفعية وهي الحصول على الرتبة، أو على علاوة معينة، ونادراً ما تتسم الأبحاث بالمستوى العلمي اللائق، وعندما تقوم قد لا يكون هناك معايير للتقويم تجري على أساسها، فتتم الأمور بشكل ارتجالي، فالبحث من هذا يلقى اهتماماً، ومن آخر لا يلقى الاهتمام نفسه، والمقومون أو المحكمون قد يكونون من أصحاب الحظوة المستمرة في التقويم، أو لعله الموجود ممن يحمل درجة الأستاذية، وتكون أشغال أمثال هؤلاء الأساتذة فوق رؤوسهم والأعباء كثيرة ينوؤون تحتها سواء كانت أكاديمية أو معيشية، فكيف يتسنى لهؤلاء أن يقرأوا بحثاً، ويقومونه التقويم العلمي الموضوعي، ثم لا ننسى كيف تصبح اللوائح والانظمة مجرد أغطية وذرائع تطبق على أفراد، ويستثنى منها آخرون.

وكانت المبالغة "في مطالبة جميع أعضاء هيئة التدريس في الجامعات بالبحث العلمي، وجعله شرطاً لترقيتهم وتثبيتهم في عملهم، عبئاً عليهم انتقص من تفرغهم للتدريس، ومن إنصرافهم إلى العناية بطلبتهم، وتوثق الصلات بهم، ومساعدتهم على تكوين شخصياتهم.

فمطالبة الجميع بالبحث العلمي جعلت كثيرين منهم -من غير القادرين عليه - يقتحمون ميداناً ليسوا من أهله، فكثرت المؤلفات والدراسات والبحوث

التي ملأت المكتبات، واضطر الطلبة وبعض اعضاء هيئة التدريس إلى شرائها، وقراءتها، والتأثير بها، فزاحمت المؤلفات والدراسات والبحوث القليلة الجيدة التي ضاعت وسط هذا الركام، واضطر بعض المحكمين -الذين عرضت عليهم تلك البحوث- إلى إجازتها بعد تردد ربما طال أحياناً، بل بعد أن رُدّت ورُفضت مراراً، وذلك حين نظروا إليها نظرة نسبية تقيسها بمثيلاتها مما عرض عليهم، ولم يستطيعوا ان يقيسوها بالمثال أو الأنموذج الذي يجب أن يكون. وهكذا أخذ مستوى البحث العلمي والفكر الجامعي يتدنى بالتدريج، وهذا واضح كل الوضوح في الدراسات الأدبية والإجتماعية والإنسانية عامة، كما هو واضح في الدراسات العلمية في مجال العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية، وآية ذلك قلة العلماء من أصحاب الآراء والنظريات والاكتشافات بيننا، فاننا لا نكاد نجد في بحوثهم العلمية شيئاً من ذلك"(٨٦).

٢٠ - عدم تبلور سياسة وطنية للبحث العلمي:

لا غنى للعالم الإسلامي عن وضع "سياسة لتطوير العلم واستخدامه، ولا بد لهذه من أن تكون منذ البداية جزءاً من السياسات الاقتصادية، وإن أيّ إهمال لتطوير البحث العلمي والوطني في جميع المجالات يهدد مستقبل التنمية الوطنية"(٨٧).

٢١ - مشكلات تتعلق بالطلاب الباحثين في الدراسات العليا:

تواجه الأساتذة الجامعيين والباحثين العلميين مشكلات كثيرة، فإن هناك مشكلات تواجه طلبة الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية ومنها:

أ - تدني المستوى الثقافي العام لكثير من الطلبة، مما لا يساعد الطالب على التعاطي الجاد مع البحوث، خصوصاً وأن طالب الدراسات العليا يحصل على شهادة الإجازة أو البكالوريوس ويعتبرها شهادة مرور حصل عليها نتيجة نجاحه في مقررات لقن محتوياتها وحفظها واسترجعها وقت الامتحان، واقتصر على معلومات هذه المقررات، ولم يحاول الرجوع إلى مصادر ومراجع بحثية أثناء دراسته هذه، ولم يدرب في هذه الفترات على البحث، والرجوع إلى

المصادر والمراجع، بحيث لا تقصر معارفه على معلومات الكتاب المدرسي، لذلك نراه يحتاج إلى صقل وتدريب واطّلاع وتفتح خلال دراساته العليا، وذلك عن طريق الأبحاث، والمناقشات، والندوات.

ب – ضعف الطالب باللغة العربية الأم، قراءة واستيعاباً وكتابة، وضعفاً في التعبير عما يدور في خلده من أفكار، مما يستدعي إعداد الطالب إعداداً جيداً في اللغة العربية.

ت – ضعف معرفة الطالب باللغة الأجنبية، وإصرار بعضهم على ذلك، مما يتطلب في اشتراط الانتساب للكليات معرفة الطالب للغة أجنبية حيّة واحدة على الأقل تكفي لرجوعه إلى المصادر والمراجع المتعلقة ببحثه.

ث – انعدام المنهجية العلمية وطرائقها لدى بعض الطلبة عند كتابة الرسائل، والأبحاث الجامعية، مما يتطلب الإعداد اللازم لذلك.

ج – تدني مستوى بعض الأطروحات، والرسائل، والأبحاث الجامعية، واتسامها بالضحالة والتسرع، حيث يكتب أكثرها فقط لنيل الدرجة العلمية، دون أن يفكر صاحبها بأن مثل هذا العمل ينبغي أن يحقق إضافة جديدة في البناء العلمي الفعّال.

ح – الفجوة والغربة بين طالبنا والتقنيات الحديثة، في عصر تفجر المعرفة، وتطور الأساليب التقنية (التكنولوجيا)، مما يدفع إلى تقريب الطلبة من هذه التقنيات واستخدامها الاستخدام الأمثل، والتعاطي معها بشكل فاعل.

خ – يتهرب كثير من الأساتذة من الإشراف على الرسائل العلمية والاطروحات، ومنهم من هم في مستوى جيد ولائق للإشراف، ولكن لديهم مشاغل ومشاريع يفوق مردودها المادي مردود الإشراف، فتنقل الرسائل الى من هم أدنى مستوى.

وهناك بعض الأساتذة سواء كانوا من ذوي الكفاءة للإشراف أو لم يكونوا، تتكدس عليهم الرسائل، وتكون النتيجة إرهاق الأستاذ المشرف، وعمل مسلوق غير متقن.

ولا شك أن الطالب يستفيد من هذا الوضع من منظوره الخاص، فهو ينشد السلامة في أبحاثه، ويطلب الأمر السهل منها، ويعمل لاختصار الوقت بشتى الأساليب والطرق، فالسرعة قاسم مشترك لدى أكثر الطلاب في الدراسات العليا، هذا مع عدم إنكارنا وجود قلة من الطلاب تنتج إنتاجاً بحثياً جيداً.

أما مناقشة الرسائل والأطروحات الجامعية فتُظهر ضعف أبحاثها، وضحالتها، واستعمال السرد فيه، وافتقار المنهجية العلمية، وافتقارها إلى الجدة والأصالة، وما يبدو في ميدان الأصالة "أن بعض الباحثين يتبنون الفكر الأجنبي لمجرد أنه أجنبي بصرف النظر عن مضمونه. والمفروض في الباحث أن يتأكد من مدى ملاءمة ما يتضمنه بحثه للواقع الذي يعيشه والمبادىء التي يؤمن بها وأن لا يقبل هذه النظرية أو تلك على علاتها ... يجب على الباحث أن يتمحص الحقائق ويقارنها بما لديه من آراء وما ورثه من تعاليم وما توصل إليه من نتائج، لأن التصدي لتلك الآراء وتقويمها والتنبيه لأخطارها يعتبر بحد ذاته إنجازاً علمياً"(٨٨).

وما يضحك ويحزن في آن واحد ونحن نرى هذا الخلل في الرسائل والأطروحات والانتقادات التي تُوجه بشكلها اللاذع والقاسي للباحث، والتي قد تكون في محلها وتصيب المقتل من البحث، نراه في النهاية ينال درجة الامتياز، ولعل هذا يعود لسيطرة الاعتبارات الشخصية وبُعد بعض المشرفين عن الموضوعية وإصرارهم على منح الباحث هذه الدرجة، والثناء المغالى فيه على الباحث عندما يقدمه للجنة المكلفة بمناقشة بحثه.

د - معاناة الطلبة الباحثين في الدراسات العليا من افتقار الجامعات إلى المختبرات المجهزة بالأجهزة اللازمة، والمكتبات المتوافر فيها المصادر والمراجع العلمية من كتب ومجلات ومعاجم وحوليات ودوريات، وأجهزة الكومبيوتر التي تؤمّن الاتصال بشبكات المعلومات، وغيرها من الوسائل، فهذه كلها إن لم تتوفر يستحيل نجاح البحث العلمي.

ثالثاً: مشكلات خاصة بالجامعات الإسلامية وبحوثها العلمية:

إن المشكلات السابقة التي ذكرت هي مشكلات عامة تعاني منها أكثر الجامعات القائمة في العالم الإسلامي، أما الجامعات الإسلامية التي تتفرغ للدراسات الإسلامية فلها مشاكلها الخاصة في مجال البحث العلمي، علماً بأنه "لئن باهى الغرب بالبحث العلمي وأسلوب التحقيق وطريقة جمع المعلومات والدقة في الاستنتاج والدخول الى النتائج بعد التمحيص فقد ظهرت هذه الأساليب في المنهج العلمي الإسلامي قبلهم بقرون فقد كانت التجربة العلمية رائدهم والنظرة الواقعية للبحث العلمي شعارهم"[٨٩].

ونستعرض هذه المشكلات:

أ – إقتصار معلومات طلاب الدراسات الإسلامية على ما ورد في الكتب القديمة:

مع أن البحث العلمي الإسلامي "ليس نبشاً في الماضي، واقتصاراً عليه، ودوراناً حول النفس. وانما هو استمداد لعناصر الحياة والنمو في ذلك الماضي واستخدام جوهر تلك العناصر –الذي هو روح الأمة– لتطوير الحاضر ولبناء المستقبل. هكذا فهم علماؤنا وفقهاؤنا الماضي"[٩٠].

وتوقف فكر طلاب الدراسات العليا عند الحركة الفكرية في العصر الذي أُلّفت فيه هذه الكتب القديمة، تبقى الفجوة قائمة بين التركيب الفكري للطلبة وبين المجتمع الذي يعيشون فيه.

فمثلاً: موضوع الأمن الغذائي يشغل اذهان العالم حالياً، خصوصاً البلاد التي تعتمد على الإستيراد في تامين الغذاء لأهلها، وهذا ينطبق على العالم الإسلامي إجمالاً. فهل يليق بطالب الدراسات الإسلامية العليا ألاّ يدرك أبعاد موضوع الأمن الغذائي وما ينتج عنه من أحكام فرعية تعود للزراعة والتجارة والأسعار والحدود وغيرها[٩١].

ولو أنني اقف قليلاً عند مشكلة الأمن الغذائي فأرى أنه يمكن أن تقوم دراسات وبحوث علمية مشتركة حولها تجمع بين طلاب الدراسات الإسلامية،

والإقتصاد، والتربية والاجتماع، والزراعة ... الخ.

ب - جمود التفكير عند فقه العبادات وفقه الأسرة:

يُسقط بعض الطلاب الكثير من جوانب الإسلام ويركّزون على فقه العبادات وفقه الأسرة، والسبب في ذلك أن الناس في مجتمعاتنا الإسلامية يحتكمون في معاملاتهم إلى قوانين وضعيه باستثناء الأحوال الشخصية حيث لا تزال الشريعة الإسلامية هي السائدة. وبذلك يقتصر اهتمام الدارسين على فقه الأسرة: الزواج، الطلاق، الخ، وبما أن فقه العبادات لا يرتبط بالمحاكم، ولكنه ينظم علاقة الإنسان المباشرة بربه، فلذلك لا يزال هناك اهتمام من الدارسين فيه.

هذا الجمود في التفكير عندما ورد في الكتب المعتمدة من فقه العبادات أدى أيضاً إلى تعمق الهوّة بين ما يُدرس لطلاب الدراسات الإسلامية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حولهم. حيث نجد أن الكثيرين من الفقهاء المعاصرين والباحثين يقفون في فقه الزكاة عند أقوال القُدامى ولا يستطيعون التعامل مع التطور في وسائل الإنتاج والنقل والاتصال. فعلى سبيل المثال لا يتعاطون الزكاة الواجبة على: الزراعة في البيوت البلاستيكية (الزراعة المكثفة)، إيجار البيوت، شركات النقل... الخ[٩٢].

وهذا الاقتصار على موضوعات معينة في الإسلام، يجعل الطالب يقف مذهولاً عندما يُطلب منه دراسة جانب من جوانب مجتمعه الإسلامي الذي يعيش فيه، هذا القصر في التفكير على موضوعات معينة جعل الطالب غير مدرك لأهمية العلوم الأخرى.

ت - فقه المذهب وفقه الإسلام:

تقتصر أبحاث بعض الطلاب في الدراسات العليا على مذهب معين، دون إدراك أن المذاهب الأخرى تتفق مع هذا المذهب المعين في مواضع وتختلف معه في مواضع غيرها. وينتج عن هذا القصور الفكري منحى في التفكير يمكن

تسميته (المذهب هو الأصل) بدلاً من الإسلام هو الأصل، وبالتالي القفز إلى اعتبار المخالف فكرياً خارجاً عن الاسلام لخروجه عن حدود المذهب. وطبعاً هذا المنحى من التفكير مرفوض في البحوث والدراسات الجامعية، إذ على طالب الدراسات العليا كباحث علمي طرح مختلف الآراء النابعة، من وعاء الإسلام والمقارنة بينها، تمهيداً للوصول إلى ما يفيد المجتمع الإسلامي في عصرنا الحاضر ويعمل على تخليص المجتمع من مساوئه وأمراضه[٩٣].

ث - الإرهاب الفكري:

يلاحظ ممارسات على الساحة الإسلامية فيها أنواع من الإرهاب الفكري، بحيث تعتبر مجموعة ما نفسها أنها القيِّمة على الإسلام والمسلمين، وبذلك تملك حق تكفير من يخالفها الرأي، وقد تلجأ إلى أساليب أخرى، مخالفة -بعملها- السلوك الإسلامي السوي. هذا الجو من الإرهاب الفكري وممارسته من قبل بعض العامة دون ضوابط، ودفع الكثير من الباحثين من طلاب الدراسات العليا إلى إيثار السلامة والابتعاد عن الموضوعات التي تضعهم تحت خطر الإرهاب الفكري من هذه المجموعات الموجودة على الساحة الإسلامية. علماً أن الكثيرين ممن يمارسون هذا الإرهاب باسم الإسلام قد ورد أمثالهم من الحركات في التاريخ الإسلامي، رفضتها المجتمعات -حينذاك- ولم يعدلها من أثر سوى نصوص في الكتب[٩٤].

ج - ورع عند بعض الطلبة مؤثر في البحث العلمي:

يفهم بعض الطلبة الورع بشكل خاطىء، ولنأخذ مثالاً على ذلك، لو طُلب من أحد طلبة الدراسات العليا أخذ موضوع الإدمان على المخدرات، الذي هو من الآفات الخطيرة التي تهدد مجتمعاتنا الإسلامية. ماذا نرى من طلابنا من مواقف تجاه هذا الموضوع الهام في حياة مجتمعنا؟

لدى الطلاب كامل الاستعداد لوضع دراسة حول تحريم الإدمان وقواعد عقوبته، لكن قليل جداً منهم من لديه الاستعداد لدراسة مجتمع المخدرات -زراعة وصناعة وتجارة واستهلاكاً - لمحاولة وضع الحلول للحد من انتشار ظاهرة الإدمان سواء أكان التعاطي مخدرات أو خموراً. إن الذي يدفع الطالب

للإبتعاد عن دراسة مثل هذه الأخطار التي تهدد مجتمعه الإسلامي هو خوفه من خوض غمار دراسة هذه المجموعات الفاسدة بحجة الورع. فالورع الحقيقي هو في دراسة الشر لتجنيب المجتمع الاسلامي أضراره. وليس الورع في الابتعاد عن المجتمع وترك الأمراض تفتك به. هذا الورع بمجانبة المجتمع يجعلنا نسعى لأن ندفع (٩٥) طلبة الدراسات العليا للقيام بأبحاث تدور حول الكبائر من جوانبها الفقهية والاجتماعية والغريزية وغيرها.

ح - فقدان المنهج العلمي في كثير من الدراسات البحثية الإسلامية:

يلاحظ على كثير من الأبحاث العلمية الإسلامية افتقاد المنهج، وغلبة النواحي الخطابية والتعميمية والسطحية والاستسهال والدوران حول الموضوع دون الدخول في صحيحه وجوهره. وبذلك تغيّم الرؤية وتختلط الأمور، ويتداخل الوعظ والدروس الإرشادية والخطب المنبرية، ويغلب كل ذلك على ما يكتب وما يؤلف، ويحمل اسم البحث العلمي دون أن يكون كذلك ولا قريباً منه، بل لا يمت له بأدنى صلة.

فالمنهج هو الذي يميز البحث العلمي، ويجعله يستحق هذا الإسم والوصف، والمنهج طريقة في البحث، ومبادىء تُلتزم خلاله، ومفاهيم تُوظف فيه.[٩٦]

خ - طغيان الناحية الكمية في البحوث:

يظهر هذا في كثرة عدد الرسائل والبحوث وعدد الصفحات الكثيرة فيها، بعيداً عن الابتكار "وحين تقاس البحوث العلمية بمدى قدرة الباحث على تقديم مادة غزيرة في أفكار محددة وأوراق قليلة تجدنا نقدم عملاً قليلاً في بحوث ضخمة، ومعلومات مفتتة لا تَناظر ولا تَناسب بينها"[٩٧].

د - مضامين البحوث والرسائل تفتقد المعالجة العصرية والمنهجية لمشكلات المسلمين العاجلة إلا في بعضها:

إن هذه البحوث والرسائل "لا تتناول طموحاتهم (أي الطلاب) ووسائل إنقاذهم والوصول بهم إلى أهدافهم، بل لا تعالج في أغلبها المشكلات التربوية والإجتماعية والسياسية (والاقتصادية) التي يعاني المسلمون من افتقاد الرؤية

الصحيحة لحلولها، وتعاني الأجيال الناشئة من انعدام الرؤية الإسلامية الواضحة من مشكلات الحضارة التي يعيشونها والحياة التي يمارسونها"(٩٨).

فالأمر يحتاج إلى جهد وزمن، والى وضوح الرأي والهدف، وإلى حس نقدي يتميز بالحضور والقدرة على توظيف المادة لخدمة أهداف البحث، وكل ذلك أمور نفتقدها في ساحات البحث التي اتجه فيها الباحثون إلى معالجة قضايا قديمة عولجت وكان جهد الباحث فيها أنه أعاد ترتيبها أو جمعها بطريقة تختلف عما وجدها.

وينشد بعض الطلبة في الدراسات الإسلامية السهولة والسلامة وما لا يتطلب جهداً أو مشقة من الباحث، فيعمدون إلى تحقيق مخطوط معين وإعداد دراسة حوله، رغم إدراك أهمية تحقيق المخطوط وقيمة ما يتم في جامعات مختلفة، لكن كثيراً ما يكون المخطوط محققاً في مكان آخر، ولأن المخطوطات تعود إلى فكر العصر الذي كتبت فيه، بينما المطلوب من الباحث التعامل مع مشكلات المسلمين في العصر الحالي.

"ويمكن أن ينظر في تحقيق مخطوط ينعكس على واقع المسلمين الحالي كان يؤرخ المخطوط لمنطقة اسلامية نائية مجهولة، أو يُلقي ضوءاً على الصراع السياسي أو العسكري أو الديني أو الثقافي أو التربوي أو الاقتصادي الدائر بين العالم الإسلامي والعالم المعادي للإسلام".(٩٩) فهذا مقبول.

ذ – خوف بعض الطلبة من التعامل مع تكنولوجيا المعرفة:

نحن نعيش عصر الثورة المعرفية الاتصالية "فانفجار المعرفة في النصف الثاني من القرن العشرين، وتطور أساليب ضبطها تكنولوجيا بواسطة الحاسوب (الكومبيوتر) وتطور علم الفهرسة والتصنيف والجمع البليوغرافي، يتطلب إعداد الطالب للتعامل مع هذا السيل الدافق من المعلومات. ومن الظواهر الشائعة في جامعاتنا خوف بعض الطلبة من التعاطي مع التقنيات الحديثة، مما تطلب تعريض طلاب البحوث والدراسات العليا إلى تقنيات المعرفة الحديثة وتلقيحهم ضد الخوف منها وتعويدهم على التعامل معها.(١٠٠)

ر - العلاقة البحثية العلمية والمجتمع:

عندما تتجه البحوث العلمية لطلاب الدراسات العليا لواقع المسلمين عقائدياً وفكرياً ومعاشاً، لا بد من خوض غمار المجتمع لدراسة الظاهرة التي يدور حولها البحث.

وهنا يعاني الطلاب من قصور تعاون المجتمع معهم، لأن الكثيرين يلجأون إلى المداورة عندما تطلب منهم معلومات شخصية أو سلوكية، ويحاولون الظهور بالمظهر المثالي، علماً بأن واقع حياتهم المعاشي يدل على عكس البيانات التي يدلون بها أمام الباحثين.

ونقطة أخرى يواجهها الباحثون هي نظرة اجهزة الدولة ونظرة التجمعات الإسلامية الحركية نظرة تراوح بين الحذر والشك، ذلك ان مجتمعاتنا تخشى النقد، فكيف بمن هو في السلطة السياسية والدينية الشعبية. لذلك يعاني الباحثون من قصور تعاون مكاتب الدولة المختلفة معهم، وكذلك من نظرة الريبة التي تطالعها به مراكز او قيادات الحركات الإسلامية المختلفة، خصوصاً عندما يكون الباحث منتمياً الى مجموعة حركية إسلامية غير المجموعة التي يطلب منها المعلومات.

ز - الأساتذة المشرفون على البحوث العلمية الإسلامية:

يلاحظ قلة في "أصحاب الكفايات الجيدة، ولتفاوت المستوى بين من تمرسوا على البحث العلمي وعايشوه تعليماً وتعلماً ومن لم يتوفر لهم ذلك ودخلوا إلى الميدان بحكم التدرج الوظيفي أو الحاجة، أو لعوامل غير هذه وتلك، لأن الأمر لا يحتاج فقط إلى التخطيط في مادة ما، بقدر الحاجة إلى الثقافة الواسعة والحنكة العلمية، والمتابعة للفكر الإنساني عامة والإسلامي خاصة إلى جانب الإحاطة بالمنهج العلمي الدقيق الذي يجعل للبحوث قيمة وجدة، وذلك كله لأن ضعف المستويات وضيق التخصص وعدم ممارسة البحث العلمي بأصوله تتلمذاً وتدريساً وخبرة هو الذي أدى إلى ضعف مستويات الطلاب، وأدى إلى افتقاد المنهجية في كثير من البحوث"(١٠١).

ويواجه عضو هيئة التدريس الجديد مشكلة أنه "في أحيان كثيرة لا يكون من المتعاطين مع ساحة العمل الإسلامي، ولهذا فإدراكه لمشكلات العمل الإسلامي ومشكلات المجتمع الإسلامي تتجه نحو التنظير المثالي عوضاً عن الواقعية الواعية. لذلك عند احتكاكه بالطلاب يكتشف أن بينه وبين العديد منهم فجوة سببها قربهم من ساحة العمل الإسلامي وبعده عنه. هذه المشكلة هي تعبير عما يعرف بأبراج العلماء العاجية في المؤسسات الجامعية المختلفة[١٠٢].

إن ما ذكرناه من معوقات ومشكلات تواجه البحث العلمي في جامعاتنا ومراكز البحوث، كثيراً ما تردد في كتابات الباحثين في أوضاع البلاد النامية والعربية منها على وجه الخصوص. والجامعة "مؤسسة من مؤسسات المجتمع، وليست كل المؤسسات، كما ان ما يحدث حولها ينعكس بالضرورة عليها وعلى العاملين فيها وعلى إنتاجهم، وإذا ما ضربنا مثلاً بمعوقات البحث العلمي، وانحينا باللائحة على بعض الأمور المتعلقة بعمل الجامعة في مجاله، فإننا ينبغي أن نتذكر أن هناك عشرات من تلك المعوقات تعمل عملها خارج أسوار الجامعة ذاتها، ولكنها تؤثر فيها وفي عمل هيئات التدريس بها على وجه الخصوص[١٠٣].

وهذه المشكلات تختلف حدتها من دولة الى اخرى، ومن جامعة إلى أخرى، ورغم كل ما يوجه من نقد للجامعات في مجال البحث العلمي، فمن الانصاف أن نعترف بان هذه الجامعات حققت بعض الأهداف، وبذلت جهوداً تشكر عليها، لكن وقد وعينا كثيراً من هذه المشكلات ليس أمامنا إلا العمل من أجل الخروج من وهدة التخلف لمواكبة الحياة المعاصرة في إيجابياتها، والإخلاص في العمل، وبذل الجهد، ومعالجة هذه المشكلات بأسلوب علمي سليم، وعقول متفتحة، والتزام مخطط التنمية والسياسات العلمية، وان ينظر لكل هذه الأمور في إطارها الصحيح في ضوء التحديات التي تواجه أمتنا الإسلامية وجامعاتها.

مقترحات وتوصيات:

بعد عرضنا لواقع البحث العلمي في الجامعات الإسلامية ومشكلاته، نرى لزاماً علينا أن نقدم مجموعة من المقترحات والتوصيات لترشيد البحث العلمي في هذه الجامعات.

١ - بلورة سياسة واستراتيجية للبحث العلمي، ذات أهداف محددة واضحة، وأولويات ضمن الامكانات المتاحة، مع تحديد مسارات العمل واتجاهاته لتحقيق الأهداف المنشودة.

٢ - فتح قنوات الاتصال وتفعيلها بين مصممي الخطط التنموية، ومنفذيها من السياسيين والباحثين في الجامعات أو مراكز البحوث.

٣ - ربط البحث العلمي في جامعاتنا بالهوية والثقافة الإسلامية التي لا بد منها للتطوير والاصلاح، فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن تكون ابحاثنا مفردة خارج ثقافتنا، بل ينبغي الاّ يكون لنا هوية معينة وأبحاثنا ونظمنا تأتي مطابقة لهوية أخرى والتي هي صورة للمتبوع.

٤ - سيادة الوعي لدى جميع من لهم علاقة في البحث العلمي بضرورة الترابط بين الشركاء الثلاثة، الدولة، الجامعة، قطاعات الإنتاج.

٥ - التنبه والحذر لجهة استيراد التقنيات المعقدة لما يصاحبها من اتجاهات وقيم، تنتقل معها من مجتمعاتها الأصلية إلى المجتمع المستورد، مما يترتب على جامعاتنا ومراكز بحوثنا دراسة الظواهر المصاحبة لها.

٦ - تشجيع العمل على شكل فريق بحث متكامل يساهم فيه مختلف التخصصات في الجامعات الإسلامية ومراكز البحوث، وكذلك تقديم المشورة الفنية للحكومات والمؤسسات في مجال الاستثمار الانمائي، وفي تقويم المشروعات ووضع التصاميم وغير ذلك.

٧ - تعميم الاستفادة من الأبحاث العلمية بحيث لا تقتصر على الباحث، بل تتعداه لتُعرض في الأقسام العلمية بالكليات وتُناقش، وكذلك الحصيلة

العلمية لحضور المؤتمرات، ولا تقتصر أيضاً على داخل الجامعة، بل يمكن أن يستفيد منها المجتمع ذاته.

مع ضرورة إستفادة المؤسسات الرسمية والخاصة من الرسائل والأطروحات العلمية للطلبة. لا أن تبقى على أرفف المكتبات يعلوها الغبار.

٨ – التعاون والتنسيق بين الجامعات الإسلامية في مجال البحوث والرسائل والأطروحات العلمية.

٩ – الإنفاق السخي على البحوث العلمية ومراكزها، وعلاج النقص في التمويل "ربما كانت صورته المثلى في تأسيس صندوق إسلامي عام تشرف عليه مؤسسة مستقلة، تمثل فيه صناديق تنشأ في كل قطر إسلامي، تصب فيها منح ومساعدات حكومية، ومساهمات واشتراكات ثابتة من الشركات والمؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى، ومن المصارف وبيوت المال، كما تصب في هذه الصناديق القطرية التبرعات التي يقدمها الأفراد من ذوي الثراء. ويلتزم كل صندوق محلي بالاشتراك بنصيب محدد في الصندوق الإسلامي العام، الذي يتولى مساعدة بعض الصناديق القُطرية التي تشكو من العجز والنقص في التمويل، والتي لها من النشاط العلمي ما يفوق قدرتها المالية"(١٠٤).

هذا ويمكن تخصيص نسبة (١٪) على عقود شركات المقاولة والهندسة الأجنبية التي تعمل في بلادنا، بحيث تدفع هذه النسبة للبحوث العلمية في جامعاتنا الإسلامية ولمراكزها.

١٠ – اتباع المنهجية العلمية وطرائقها في البحوث والرسائل والأطروحات في جامعاتنا الإسلامية.

١١ – حسن اختيار الباحثين العلميين والأساتذة الجامعيين وذلك ضمن معايير محددة واضحة، آخذين بعين الاعتبار الدرجة العلمية ومواصفاتها، والخبرة السابقة، والكفاية في التدريس والبحث، والمنجزات

العلمية، والكفاية الشخصية والاجتماعية.

١٢ – استقطاب الكفايات العلمية للجامعات بعد إجراء استقصاء لهذه الكفايات، مع التركيز على أصحاب الكفاءة المحلية بديلاً للاجنبية المستوردة.

١٣ – الاستفادة من طلبة الدراسات العليا لجهة:

أ – إيفادهم وتحضيرهم كباحثين علميين مساعدين.

ب – انتقاء الموفدين (داخلياً وخارجياً) على أساس من الكفاية العلمية، والمقدرة، والاختصاصية، وتطبيق نظام المعيدين في الجامعات التي لا توجد فيها.

ت – اقتصار الدراسات العليا على الطلبة ذوي المستويات الجيدة، وممن يعرفون لغة اجنبية واحدة على اقل تقدير.

ث – حسن الاشراف على الرسائل الجامعية، والانتقاء في مواضيعها بحيث تركز على حاجات المجتمع ومشكلاته وتحسباته المستقبلية، ووضع أسس ملزمة لإشراف الأساتذة على الرسائل.

١٤ – تكوين لجنة في الجامعة للدراسات العليا والبحوث العلمية مهمتها توجيه البحوث والاتصال بالمؤسسات الرسمية ومراكز الإنتاج.

١٥ – ترقية أعضاء هيئة التدريس ضمن معايير محددة وواضحة، خاصة لجهة تقويم الأبحاث، من حيث نوعيتها ومستواها، ومدى تعلقها بحاجات المجتمع ومشكلاته، وأن تنبع من البيئة المحيطة.

١٦ – توفير الفرص المتزايدة للنمو والتجديد المهني للأستاذ الجامعي، لأن الحصول على درجة الدكتوراة يعد اللبنة الأولى في تكوينه الأكاديمي، وهو الحد الأدنى المطلوب لتعيينه، لذلك هو بحاجة إلى تعميق وتطوير في التخطيط للبحوث والقيام بإجرائها، وكذلك القيام بمهمات التدريس.

١٧ – تعبئة الجهود التي من شأنها تطوير إمكانات الجامعة المادية والإدارية

والتنظيمية لتجلب معها عوامل استقرار أساسية لقيام الجامعة بوظيفتها، ولتوفر لعضو هيئة التدريس الأجواء الإيجابية التي تحفزه على العمل. وخصوصاً الابتعاد عن أنماط البيروقراطية الادارية، والقيود الروتينية التي لا تنسجم مع روح البحث العلمي.

١٨ - تطوير معايير الأداء الجيد لجميع الفعاليات التي تمارس العمل في الجامعة، وأهمها فاعلية عضو هيئة التدريس في المهمات والأعمال، التي يفترض أن يقوم بها في التدريس، والبحث، وخدمة المجتمع.

١٩ - توثيق الصلة بين الجامعة والمجتمع لتأخذ الجامعة دورها القيادي والريادي في مجتمعها، وليتقبل المجتمع دورها وتتقبله.

٢٠ - توفير الحرية الأكاديمية لأعضاء هيئة التدريس من خلال بحثهم عن الحقيقة، ومتابعة المعرفة كل في مجال تخصصه، (بحيث يُدرِّسون، ويبحثون، وينشرون، ويناقشون) دون تدخل من اي سلطة خارجية ضاغطة.

٢١ - التخطيط الذكي الدقيق للباحثين الذي تحتاجهم كل كلية أو كل قسم من أقسام الكليات، وعلاقة ذلك بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

٢٢ - تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للأساتذة والباحثين العلميين من خلال: تحسين مستوى الرواتب، وإعطاء بدل نقل، وبدل سكن، وتحسين تعويضات التفرغ، وتسهيل عملية نشر الأبحاث العلمية، ومنح الحوافز المادية لاجرء البحوث، وتيسير حضور الأساتذة والباحثين للمؤتمرات والندوات، وتشجيع انعقاد المؤتمرات والندوات واللقاءات في الجامعات، ويسر العمل، وحرية العمل كتابة وبحثاً ونشراً.

٢٣ - إيجاد مراكز أبحاث علمية في مختلف الكليات والمعاهد الجامعية.

٢٤ - إصدار مجلات دورية للجامعة يشرف عليها اساتذة ذوي كفاءة وان تكون هذه المجلات محكمة ليستطيع الأساتذة نشر أبحاثهم فيها.

٢٥ - تنمية الصلة وتعزيزها بين أساتذة الجامعة ومراكز البحث فيها والمؤسسات الإنتاجية الكبرى.

٢٦ - إستقلالية الجامعة الفكري، والعلمي أو الأكاديمي، والإداري، والمالي.

٢٧ - الاستفادة من جهود أعضاء هيئة التدريس الموجودين في الخارج وحفزهم ودعوتهم للعمل في الجامعة.

٢٨ - ضرورة الاستفادة من جهود الأساتذة المتقاعدين المحالين على المعاش، والذين يتمتعون بالقدرة على مواصلة العمل التدريسي، وبشكل خاص الاستفادة منهم في ميدان البحث العلمي.

٢٩ - أن لا يعطى الأستاذ الجامعي السنة السابعة للمهمات العلمية إلا بعد ان يتقدم بتصميم بحث لمشكلة يعمد لدراستها وإيجاد الحلول لها، وذلك خلال هذه الاجازة المعطى لها.

وفي الختام إنها صورة لواقع قدمته، ولمقترحات وتوصيات متواضعة لتطوير جامعاتنا بشكل عام ولبحثها العلمي بشكل خاص اطلقتها، ويبدو في صورة الواقع شيء من التشاؤم والسلبيات التي وصلنا إليها نتيجة تراكمات أحداث مرّ ويمر بها العالم الإسلامي والتي كان لها أثرها على الأوضاع التربوية عامة والجامعية خاصة، ومع ذكر السلبيات فانها لا تنفي وجود ايجابيات في هذه الجامعات، ولكن الأمر يتطلب النهوض بالجامعة لتكون على اهبة الاستعداد لتحقيق ما انشأها المجتمع من اجله، ولتحقيق الرسالة المنوطة بها، وينبغي استعادة الثقة بالنفس، والتخلص من التبعية الفكرية والإرتهان للآخرين حتى في أبحاثنا العلمية، وإيجاد المواقف المستقلة، واكتشاف القدرات والقوى الذاتية، وتعبئتها وتوجيهها للاستفادة من تطور المعرفة الإنسانية ومعطياتها.

الهوامش

(١) فائق صبيح عبد الرزاق: تطوير وتنمية نشاط المعلومات على المستوى الإقليمي، وقائع الاجتماع الثاني لمسؤولي البحث العلمي في اقطار الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، إدارة العلوم، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦/م، ص, ٣٨٢.

(٢) مهنى محمد إبراهيم: البحث التربوي وموقع التربية الإسلامية منه، مجلة التربية المعاصرة، القاهرة، العدد الرابع، يناير ١٩٨٦م، ص١٨٢،

(٣) ذوقان عبيدات وآخرون: البحث العلمي (مفهومه، أدواته، سلبياته)، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٨م، ص١١.

(٤) ديو بولد. ب. فاندلين: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص١.

(٥) ذوقان عبيدات وآخرون: البحث العلمي، مرجع سابق، ص٤١.

(٦) المرجع نفسه، والمكان نفسه.

(٧) أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٧م، ص٢٠.

(٨) محمد جميل بن علي خياط: الجامعات الإسلامية، دراسة مسحية تحليلية تقييمية، رابطة الجامعات الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ\١٩٩٤م، ص١٣١

(٩) المرجع نفسه، والمكان نفسه.

(١٠) إبراهيم عبد الله رفيدة: مقدمة لدراسة مناهج البحث العلمي، في مجلة الدعوة الإسلامية، الجمهورية العربية الليبية، طرابلس، العدد ٦، ١٣٨١هـ\١٩٨٩م، ص١٤٩

(١١) ابن منظور: لسان العرب، ج٢، دار صادر، بيروت، د.ت، ص.ص١١٤-١١٥

(١٢) محمد جميل بن علي خياط: الجامعات الإسلامية، مرجع سابق، ص١٠٩

(١٣) ابن منظور: لسان العرب، ج٢، مرجع سابق، ص.ص٤١٦-٤٢٢

(١٤) محمد جميل بن علي خياط: الجامعات الإسلامية، مرجع سابق، ص١٠٩

(١٥) المرجع نفسه، ص.ص٤٦-٤٧

(١٦) محمد عبد الرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، معهد مولاي الحسن، دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥٣م، ص١٣ نقلاً عن:

A new English, on historical principles. volx, part I.P.245

(١٧) ابن منظور: لسان العرب، ج٨، مرجع سابق، ص.ص٥٣-٥٩

(١٨) محمد جميل بن علي خياط: الجامعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٥٠

(١٩) المرجع نفسه، ص٥١

(٢٠) أحمد الضبيب: الجامعات ومسيرة التنمية، في الجامعة والبحث العلمي والتنمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، ٣،٢،١، باريس ١٤٠٩، ص.ص٣٠-٣١

(٢١) محمد حمدي النشار: الإدارة الجامعية، التطوير والتوقعات، المنظمة العربية للتربية الثقافية والعلوم، الأمانة العامة، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والوسائل التعليمية، جمهورية مصر العربية، ١٣٦٩هـ / ١٩٧٦م، ص١١

(٢٢) محمد جميل بن علي خياط: الجامعات الإسلامية، مرجع سابق، ص١١٧

(٢٣) المرجع نفسه، والمكان نفسه.

(٢٤) موفق الحمداني: حول تشجيع البحث التربوي في الوطن العربي وربطه بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وقائع وبحوث المؤتمر الفكري الأول للتربويين العرب، ج٢، الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية، بغداد، ١٩٧٥، ص٨٧٧

(٢٥) عبد الله زيد كيلاني، عبد الرحمن عدس: الظروف الملائمة لاستقرار أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المركز العربي لبحوث التعليم العالي، دمشق، ١٤٠٥هـ\١٩٨٤م، ص٢٨

(٢٦) المرجع نفسه والمكان نفسه

(٢٧) محمد منير مرسي: التعليم الجامعي المعاصر، قضاياه واتجاهاته، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٢٨

(٢٨) الياس زين: هجرة الأدمغة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢م، ص١١٢.

(٢٩) انطوان زحلان: العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٧٩م ص.ص.٤٠-٤١.

(٣٠) المرجع نفسه، ص٤٠

(٣١) محمد عبد العليم مرسي: ترشيد جهود أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الخليجية في مجال البحث العلمي، في الندوة الفكرية الثانية لرؤساء ومديري الجامعات في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ٢٣-٢٥ رجب، ١٤٠٥هـ\١٣-١٥ ابريل، ١٩٨٥م ص٢٦٨.

(٣٢) المرجع السابق نفسه، ص٢٥٨

(٣٣) ناجح محمد خليل، نضال إبراهيم الحمداني: دور البحث العلمي في نقل التكنولوجيا لمنطقة الخليج العربي، وقائع المؤتمر الثاني لمسؤولي البحث العلمي في أقطار الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، إدارة العلوم، ١٤٠٦هـ\١٩٨٦م، ص١٣٢.

(٣٤) عزت عبد الموجود: التعليم العالي وإعداد هيئة التدريس، المجلة العربية للتربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج٢، العدد الثاني،

سبتمبر، ١٩٨٢م ص٧٨

(٣٥) عبد العزيز بن عبد الله السنبل، نور الدين محمد عبد الجواد: الأدوار المطلوبة من جامعات دول الخليج العربية، مكتب التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ١٤١٤هـ\١٩٩٣، ص.ص١٣٧-١٣٨

(٣٦) محمد جميل بن علي خياط: الجامعات الإسلامية، مرجع سابق، ص١١٥

(٣٧) عبد الهادي بو طالب: وضع البحث والابداع في العالم الإسلامي، في الجامعة والبحث العلمي والتنمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، باريس، ٣،٢،١، ذو القعدة، ١٤٠٩، ص.ص٦٢-٦٣.

(٣٨) محمد عبد العليم مرسي: ترشيد جهود أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الخليجية في مجال البحث العلمي، مرجع سابق، ص٢٥٢

(٣٩) موفق الحمداني: حول تشجيع البحث التربوي في الوطن العربي، مرجع سابق، ص.ص٨٧٧-٨٧٨.

(٤٠) محمد عبد العليم مرسي: كارثة في العالم الإسلامي، مأساة النزيف البشري وهجرة العقول، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ١٤٠٧هـ\١٩٨٦م، ص١٢١.

(٤١) محمد حمدي النشار: الإدارة الجامعية التطوير والتوقعات، مرجع سابق، ١٢٤.

(٤٢) محمد عبد العليم مرسي: كارثة في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص.ص١١٤-١١٥.

(٤٣) المرجع نفسه

(٤٤) عطوف محمود ياسين: نزيف الأدمغة، هجرة العقول العربية إلى الدول التكنولوجية، دار الاندلس، بيروت، ١٤٠٤هـ\١٩٨٣م، ص٥٨

(٤٥) المرجع نفسه، ص٥٩.

(٤٦) محمد عبد العليم مرسي: ترشيد جهود أعضاء هيئة التدريس في

الجامعات الخليجية في مجال البحث العلمي، مرجع سابق ص٢٧٠

(٤٧) محمد عبد العليم مرسي: كارثة في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص١١٩.

(٤٨) محمد عبد العليم مرسي: ترشيد جهود أعضاء هيئة التدريس، مرجع سابق، ص٢٧٢.

(٤٩) محمد منير مرسي: التعليم الجامعي المعاصر، مرجع سابق، ص٣٠

(٥٠) ناصر الدين الأسد: تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي، منشورات روائع مجدلاوي، عمان، الأردن، ١٤١٦هـ\١٩٩٦م، ص ص١١١-١١٢.

(٥١) أحمد الضبيب: الجامعات ومسيرة التنمية، مرجع سابق، ص٣٢.

(٥٢) محمد منير مرسي: التعليم الجامعي المعاصر، مرجع سابق، ص٣٠.

(٥٣) محمد عبد العليم مرسي: كارثة في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص١٢٧.

(٥٤) عطوف محمود ياسين: نزيف الأدمغة، مرجع سابق، ص ص٥٨-٥٩.

(٥٥) محمد عبد العليم مرسي: التعليم العالي ومسؤولياته في تنمية دول الخليج العربي، مكتب التربية لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ص٨٨-٨٩.

(٥٦) محمد منير مرسي: التعليم الجامعي المعاصر، مرجع سابق، ص٢٩.

(٥٧) عبد الهادي بو طالب: وضع البحث والابداع في العالم الإسلامي، في الجامعة والبحث العلمي والتنمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، باريس، ٣،٢،١، ذو القعدة، ١٤٠٩، ص٦١.

(٥٨) نشر البحث للدكتور محمد عبد العليم مرسي عام ١٩٨٥م.

(٥٩) محمد عبد العليم مرسي: التعليم العالي ومسؤولياته في تنمية دول الخليج، مرجع سابق، ص٨٠.

(٦٠) عطوف محمود ياسين: نزيف الأدمغة، مرجع سابق، ص٥٨

(٦١) محمد منير مرسي: التعليم الجامعي المعاصر، مرجع سابق، ص١٠٦

(٦٢) محمد عبد العليم مرسي: التعليم العالي ومسؤولياته في تنمية دول الخليج العربي، مرجع سابق، ص ص٨٠-٨١

(٦٣) الياس زين: هجرة الأدمغة العربية، مرجع سابق، ص١٥٢

(٦٤) أحمد الضبيب: الجامعات ومسيرة التنمية، مرجع سابق، ص٣٥

(٦٥) المرجع نفسه، ص٣٥

(٦٦) محمد عبد العليم مرسي: كارثة في العالم العربي، مرجع سابق، ص١٠

(٦٧) محمد عبد العليم مرسي: التعليم العالي ومسؤولياته في تنمية دول الخليج العربي، مرجع سابق، ص٨٣.

(٦٨) عبد الخالق فاروق: إختراق الأمن الوطني المصري، رؤية سوسيولوجية، مركز الحضارة العربية للنشر، لا م، ١٩٩٢م.

(٦٩) المرجع نفسه، ص ص٥١-٥٢.

(٧٠) عطوف محمود ياسين: نزيف الأدمغة، مرجع سابق، ص٦٢ نقلاً عن:
Gregory Henderson: Immigration of Highly Skilled manpower From Developing Countries.

(٧١) عبد الله زيد كيلاني، عبد الرحمن عدس: الظروف الملائمة لاستقرار أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات العربية، مرجع سابق، ص٩١.

(٧٢) سعيد إسماعيل علي: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمعلم العربي، في مؤتمر إعداد وتدريب المعلم العربي، القاهرة، ٨-١٧\١\١٩٧٢، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٣م، ص٣٧٨.

(٧٣) عطوف محمود ياسين: نزيف الأدمغة، مرجع سابق، ص٤٤.

(٧٤) عصام خليفة: الجامعة اللبنانية ودورها في إنتاج الثقافة وتطوير المعرفة والبحث العلمي، في مجلة أوراق جامعية، العدد الأول، رابطة أساتذة

الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٩٢م، ص.ص٥٩-٦٠

(٧٥) مصطفى سويف: نحن والمستقبل، دار الهلال، مصر، ١٩٩٤، ص.ص١٢٦-١٢٧.

(٧٦) أحمد الضبيب: الجامعات ومسيرة التنمية في الجامعة والبحث العلمي والتنمية، مرجع سابق، ص٩٩.

(٧٨) محمد عبد العليم مرسي: التعليم العالي ومسؤولياته في تنمية دول الخليج، مرجع سابق، ص٨٥.

(٧٩) المرجع نفسه، والمكان نفسه.

(٨٠) المرجع نفسه، ص٨٩.

(٨١) محمد منير مرسي: التعليم الجامعي المعاصر، مرجع سابق، ص٣٢،٣٤

(٨٢) عطوف محمود ياسين: نزيف الأدمغة، مرجع سابق، ص٤٩،٥١.

(٨٣) محمد منير مرسي: التعليم الجامعي المعاصر، مرجع سابق، ص١٢٥.

(٨٤) محمد عبد العليم مرسي: ترشيد جهود أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الخليجية في مجال البحث العلمي، مرجع سابق، ص.ص٢٨٢-٢٨٣.

(٨٥) ناجح محمد خليل، نضال إبراهيم الحمداني: دور البحث العلمي في نقل التكنولوجيا لمنطقة الخليج العربي، ص١٤٦.

(٨٦) ناصر الدين الأسد: تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي، مرجع سابق، ص.ص١٠١-١٠٢.

(٨٧) محمد عبد العليم مرسي: التعليم العالي ومسؤولياته في تنمية دول الخليج العربي، مرجع سابق، ص٨٤.

(٨٨) حلمي محمد فودة، عبد الرحمن صالح عبد الله: المرشد في كتابة الأبحاث، دار الشروق، جدة، ١٣٩٥هـ١٩٧٥/م، ص٩٦.

(٨٩) يوسف عز الدين: تراثنا والمعاصرة، دار الابداع الحديث للنشر لا.م، ١٩٨٧م ص٥٠.

(٩٠) ناصر الدين الأسد: تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي، مرجع سابق، ص٦٢.

(٩١) من مشكلات بحوث الدراسات العليا الجامعية في الدراسات الإسلامية، تجربة كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، منشورات كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٤١٠هـ \١٩٨٩م، ص٦.

(٩٢) المرجع نفسه، ص.ص٦-٥.

(٩٣) المرجع السابق نفسه، ص٧.

(٩٤) المرجع نفسه، ص١٠.

(٩٥) المرجع نفسه، ص١١.

(٩٦) ناصر الدين الأسد: تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي، مرجع سابق، ص٦١.

(٩٧) عباس محجوب: نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٠٨هـ\ ١٩٨٧م، ص١٢٦.

(٩٨) المرجع نفسه، ص١٢٦-١٢٧.

(٩٩) من مشكلات بحوث الدراسات العليا الجامعية في الدراسات الإسلامية، تجربة كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص١٣.

(١٠٠) المرجع نفسه، ص١٥.

(١٠١) عباس محجوب: نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، مرجع سابق، ص١٣٤.

(١٠٢) من مشكلات بحوث الدراسات العليا الجامعية في الدراسات

الإسلامية، تجربة كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص٩.

(١٠٣) محمد عبد العليم مرسي: ترشيد جهود أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الخليجية في مجال البحث العلمي، مرجع سابق، ص٢٥٤.

(١٠٤) ناصر الدين الأسد: تصورات إسلامية في التعليم الجامعي، والبحث العلمي، مرجع سابق، ص.ص٦٣-٦٤.

مراجع البحث

١ - إبراهيم عبد الله رفيدة: مقدمة لدراسة مناهج البحث العلمي، في مجلة الدعوة الإسلامية، الجمهورية العربية الليبية، طرابلس، العدد ٦، ١٣٨١هـ\ ١٩٨٩م.

٢ - أحمد الضبيب: الجامعات ومسيرة التنمية، في الجامعة والبحث العلمي والتنمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، ٣،٢،١، باريس ١٤٠٩هـ.

٣ - أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٨م.

٤ - إلياس زين: هجرة الأدمغة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢م.

٥ - انطوان زحلان: العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.

٦ - حلمي محمد فودة، عبد الرحمن صالح عبد الله: المرشد في كتابة الأبحاث، دار الشروق، جدة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٧ - ديو بولد.ب. فاندلين: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧م.

٨ - ذوقان عبيدات وآخرون: البحث العلمي، (مفهومه، أدواته، سلبياته)، دار الفكر للنشر والتوزيع، عجمان، ١٩٨٨م.

٩ - سعيد إسماعيل علي: الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية للمعلم العربي، في مؤتمر إعداد وتدريب المعلم العربي، القاهرة، ٨-١٧/١/١٩٧٢م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٣م.

١٠ - عباس محجوب: نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، دارابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م

١١ - عبد الله زيد كيلاني، عبد الرحمن عدس: الظروف الملائمة لاستقرار أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المركز العربي لبحوث التعليم العالي، دمشق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

١٢ - عبد الخالق فاروق: إختراق الأمن الوطني المصري، رؤية سوسيولوجية، مركز الحضارة العربية للنشر، لا م، ١٩٩٢م.

١٣ - عبد العزيز عبد الله السنبل، نور الدين محمد عبد الجواد: الأدوار المطلوبة من جامعات دول الخليج العربية، مكتب التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٤ - عبد الهادي بو طالب: وضع البحث والابداع في العالم الإسلامي، في الجامعة والبحث العلمي والتنمية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، باريس، ٣،٢،١، ذو القعدة ١٤٠٩.

١٥ - عزت عبد الموجود: التعليم العالي وإعداد هيئة التدريس، المجلة العربية للتربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج٢، ع٢، سبتمبر، ١٩٨٢م.

١٦ - عصام خليفة: الجامعة اللبنانية ودورها في إنتاج الثقافة وتطوير المعرفة والبحث العلمي، في مجلة أوراق جامعية، ع١، رابطة أساتذة الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٩٢م.

١٧ - عطوف محمود ياسين: نزيف الأدمغة، هجرة العقول العربية الى الدول التكنولوجية، دار الأندلس، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٨ - فائق صبيح عبد الرزاق: تطوير وتنمية نشاط المعلومات على المستوى الإقليمي، وقائع الاجتماع الثاني لمسؤولي البحث العلمي في أقطار الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، إدارة العلوم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٩ - محمد جميل بن علي خياط: الجامعات الإسلامية، دراسة مسحية تحليلية تقييمية، رابطة الجامعات الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

٢٠ - محمد حمدي النشار: الادارة الجامعية، التطوير والتوقعات، المنظمة العربية للتربية الثقافية والعلوم، الأمانة العامة، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والوسائل التعليمية، جمهورية مصر العربية، ١٣٦٩هـ/١٩٧٦م

٢١ - محمد عبد الرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، معهد مولاي الحسن، دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥٣م.

٢٢ - محمد عبد العليم مرسي: ترشيد جهود أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الخليجية في مجال البحث العلمي، وفي الندوة الفكرية الثانية لرؤساء ومديري الجامعات في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ٢٣-٢٥ رجب، ١٤٠٥هـ/١٣-١٥ ابريل، ١٩٨٥م.

٢٣ - كارثة في العالم الاسلامي، مأساة النزيف البشري وهجرة العقول، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٢٤ - التعليم العالي ومسؤولياته في تنمية دول الخليج العربي، مكتب التربية لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٥ - محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

٢٦ - محمد منير مرسي: التعليم الجامعي المعاصر، قضاياه واتجاهاته، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٧م.

٢٧ - مصطفى سويف: نحن والمستقبل، دار الهلال، مصر، ١٩٧٤م.

٢٨ - موفق الحمداني: حول تشجيع البحث التربوي في الوطن العربي وربطه بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وقائع وبحوث المؤتمر الفكري الاول، للتربويين العرب، ج٢، الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية، بغداد، ١٩٧٥م.

٢٩ – من مشكلات بحوث الدراسات العليا الجامعية في الدراسات الإسلامية، تجربة كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الاسلامية، منشورات كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٣٠ – مهنى محمد ابراهيم: البحث التربوي وموقع التربية الإسلامية منه، مجلة التربية المعاصرة، القاهرة، ع٤، يناير ١٩٨٦م.

٣١ – ناجح محمد خليل، نضال إبراهيم الحمداني: دور البحث العلمي في نقل التكنولوجيا لمنطقة الخليج العربي، وقائع المؤتمر الثاني لمسؤولي البحث العلمي في أقطار الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، إدارة العلوم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٢– ناصر الدين الأسد: تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي، منشورات روائع مجدلاوي، عمان، الاردن، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

جامعة الإمارات العربية المتحدة
قسم المناهج وطرق التدريس

«تحديات التربية - الواقع والمستقبل»

مقدمة لندوة
«التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل»

إعداد
د. خليفة علي السويدي
وكيل كلية التربية

جامعة الإمارات العربية المتحدة
العين - الإمارات العربية

٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م



تمهيد

إن عملية التربية والتعليم تعد من أهم ركائز بناء الأمم والشعوب، "إني اعتقد جازماً بأن مستقبل امتنا كله يعتمد - بعد الله - على ما تقدمه مؤسسات التعليم، بوصفها مؤسسات تربوية تحاول أن تهيء الفرد ليكون مسهماً في بناء مجتمعه. إننا إذا احسنا التربية والتعليم ضمنا - بإذن الله - مستقبلاً مشرقاً تتبوأ فيه امتنا ومجتمعنا المكانة اللائقة بين الأمم، وإذا اخفقنا - لا سمح الله - في تقديم تربية نوعية متميزة فلا أريد أن أحدثكم عن الأخطار التي تهدد أمة لا تستطيع أن تربي أبناءها. ويحلو لي في كثير من المناسبات - أيها الإخوة والأخوات - أن اذكر بأمم معاصرة بلغت شأواً عظيماً في تقدمها الإقتصادي، والعسكري، والسياسي، والسر الكامن وراء ذلك هو مؤسسات التعليم. ولعلكم تقرؤون كما اقرأ، وتتابعون كما اقرأ، وتتابعون كما أتابع، الحديث عن اليابان. ذلك البلد الذي خرج من الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ للميلاد بشعب مهزوم بائس، وبنية أساسية محطمة. ومن خلال مؤسسات التعليم إستطاع أن يصل إلى ما وصل إليه. وألمانيا مثل آخر على ما استطاعت مؤسسات التعليم أن تفعله فأوصلت شعباً خرج من الحرب مهزوماً إلى ذروة في الاقتصاد والإنتاج. وقد ذُكر انه في أحد اجتماعات مجلس الوزراء الألماني، وجد المجتمعون انخفاضاً في الميزان التجاري بلغ ١٪، فكان أول تعليق للمستشار الألماني حينئذٍ، ربما أصاب نظامنا التعليمي خلل! دعونا نراجعه، فإننا إذا أصلحنا تعليمنا، فلا بد أن يصلح ميزاننا التجاري، ويكون ما نصدره أكثر مما نستورده. إن التربية هي المفتاح. (الرشيد ١٩٩٦).

هناك العدد من الدراسات التي ناقشت التحديات التربوية للأمة وذكرت من أهم هذه التحديات: التحديات الاقتصادية والتكنولوجية، الاجتماعية، الديمجرافية والبيئية الديمقراطية، الأمن، التبعية الهوية ... (عبدالحليم ١٩٩٥، ابس ١٩٩٢، جريس ١٩٩٢، زاهر ١٩٩٠، Hallak1990).

ومن هنا تأتي هذه المحاولة لتحديد بعض التحديات التربوية التي تواجه الأمة وقد خطط الباحث لمناقشة التحدي ومن ثم طرح بعض استراتيجيات التعامل معه تاركاً للأخوة المشاركين ميداناً كبيراً للاجتهاد والحوار والنقاش، وفي تصور الباحث أن جودة الورقة البحثية تكمن في عدد الأسئلة التي تطرحها وليس في الإجابات، والله من وراء القصد.

إن دراسة التاريخ تؤكد لنا أنه لم تنهض أمة من الأمم إلا من خلال جيل معد لقيادة هذه الأمة ومن أهم جوانب إعداد جيل المستقبل "الإعداد التربوي" ولكي ننجح في التربية فلابد من استشراف المستقبل، وذلك من خلال تحليلنا لأهم تحديات التعليم من خلال المشاهدات الواقعية والدراسات العلمية التي تطرقت لهذا الأمر. فكلنا يعيش على كوكب الأرض، وكما قيل من يعرف المستقبل يجيد التخطيط له، ومعرفة المستقبل إنما تتم من خلال الدراسات التقويمية للحاضر، والدراسات الاستشراقية لتوقعات المستقبل. ومن أهم تحديات المستقبل المتوقعة للتعليم ما يأتي:

١ - تحديات الهوية

تعتز أمم الأرض الرائدة اليوم بهويتها الموروثة عبر الأجيال. ومن أهم العلامات الخطيرة على اندثار دولة من الدول، هو تخلي أجيالها القادمة عن هويتها التي تعتز بها، فتصبح هذه الأجيال نموذجاً للتبعية للآخرين. وقد تبدأ التبعية بفكرة يروج لها العدو، أو نموذجاً للحياة يعجب الناس، ومن ثم يتحول الإعجاب بالسلوك والمنظر إلى محاولة التقليد ومن ثم الانسلاخ عن المبادىء والقيم وتقمص شخصية المعجب به. وهذا شأن المنهزمين عبر التاريخ، وبالذات إذا كان الانهزام العسكري صاحبه هزيمة نفسية.

ومن أهم نماذج الانهزام العسكري انهزام اليابان أمام القوة الغربية في الحرب العالمية الثانية، ولكن قوة قيم المجتمع الياباني المعاصر مكنته من هزيمة الغرب تكنولوجيا. فأسواق العالم تتنافس اليوم على المنتج الياباني، وقد تم

ذلك بسبب عدم انسلاخ الفرد الياباني عن هويته الخاصة بالرغم من هزيمته العسكرية؛ ولم يمنعهم ذلك في بداية التأسيس المعاصر لدولة اليابان من الاستفادة من خبرات الدول المتقدمة. فبعد الحرب العالمية الثانية جاءت بعثة تعليمية أمريكية لرسم سياسات التعليم لليابانيين وتحويلهم من شعب محارب إلى مرحلة جديدة وهي مرحلة السلام. وتكونت هذه البعثة من ٢٧ عضواً من كبار رجالات التربية في الولايات المتحدة يرأسهم جورج إستودارد G. Stoddard وكانت توصيات هذه اللجنة في غاية الأهمية، وتقبلها اليابانيون برحابة صدر لدورها المتوقع في تقدم العملية التعليمية لليابانيين. ولكن نقطة الخلاف الوحيدة كانت هي عندما أوصت هذه اللجنة بإصلاح اللغة اليابانية المكتوبة. ومن هنا نرى أن النظام التعليمي في اليابان لم يتخل عن لغته الصعبة تحت ضغط الحاجة لإدراكهم أهمية اللغة في حياة الشعوب؛ ذلك لأنها الوعاء الذي يحمل الحضارة. لذلك يرتبط منهاج التعليم في اليابان بلغتهم الأم، فهي تدرس بما يعادل من ٧ – ٩ ساعات أسبوعياً في المرحلة الابتدائية لأهمية هذه المرحلة، في مقابل أن الحساب يدرس فيما يقارب ٣ – ٦ ساعات أسبوعياً. وتزداد الجرعة مع تقدم الطالب في المرحلة الدراسية. ويبدأ تدريس اللغات الأجنبية بمعدل ٣ ساعات أسبوعياً في المرحلة المتوسطة والتي تعادل المرحلة الإعدادية. لهذا السبب وغيره حافظ اليابانيون على هويتهم واستفادوا من معطيات من سبقهم. من هنا تصدق مقولة السفير الأمريكي السابق في اليابان ادوين ريسشور E. Reishchauer وهو كذلك مدرس للتاريخ في جامعة هارفارد عندما عبّر عن سر نجاح اليابانيين بقوله: "إنه ليس هناك شيء أكثر أهمية وأدعى للاعتراف، من أنه وراء نجاح المجتمع الياباني نظامه التربوي".

إن العملية التعليمية لدينا اليوم بحاجة ماسة إلى مراجعة قضايا الهوية العربية والإسلامية للمجتمعات العربية والإسلامية في ظل التحديات التي نتعرض لها. والتي من أبرزها تلك التي ترمي للنيل من ديننا ولغتنا والتي في مقابلها تعاني مناهجنا من ضعف مادة التربية الإسلامية المقررة وجمودها عن ملاحقة تطورات المجتمع.

ومنها كذلك أسلوب تدريس اللغة العربية في مدارسنا ذلك الأسلوب الذي جعل مخرجات التعليم لا تجيد التعبير المكتوب والشفوي عن آرائها. ومن التحديات كذلك تعليم اللغة الأجنبية في الصف الأول الابتدائي بل في مرحلة الروضة في المدارس الخاصة؛ وهذا يشكل خطورة واضحة على اللغة العربية لغتنا القومية إذا لم تدرس هذه اللغة بطريقة جديدة تتناسب مع هذا التغير في مناهج الدول. إن المتأمل لمناهج الدول العربية يأسف لهذه الغفلة عن الهوية الخاصة بأمتنا. إن بعض المجتمعات تتعرض ولعوامل خاصة بها إلى تحديات تهدد ذاتيتها القافية. فمن هذه العوامل زيادة حجم العمالة الوافدة مما يؤثر في ضعف الشعور القومي، وتشويه الوجه العربي لهذه الدول، وتراجع استخدام العربية، وظهور قيم وسلوكيات تتنافى مع قيم الدين الإسلامي والعرف العربي. (النعيمي وإسماعيل ١٩٩٥).

فإذا أضفنا لما سبق الدور غير المدروس الذي تلعبه بعض المدارس الأهلية في تربية الجيل القادم، أدركنا الأزمة التي تمر بها هوية هذه المجتمعات والتحدي الكبير الذي تواجهه في الحقل التربوي. ولمواجهة ذلك نقترح تكثيف البرامج التي تدعم موضوع الهوية العربية والإسلامية في مناهجنا، وكذلك تنمية روح التفكير العلمي الناقد عند الجيل القادم لتمكينه من حسن الانتقاء. إن العلم والتربية إنما هما انعكاسان لفلسفة الأمة وما تؤمن به، وقد قال؛ الفيلسوف الأمريكي كونانت (J.B. Conant) في كتابه التربية والحرية (Educa-tion and Liberty) "إن عملية التربية ليست علمية تعط وبيع وشراء، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل. إننا في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنجليزية والأوربية إلى بلادنا الأمريكية". وهل هناك فرق كبير في الفلسفي والمعتقد بين أوربا والولايات المتحدة في هذه الأمور؟ ويقول العالم السوفيتي كوفرن (M.C. Grovern) "إن العلم الروسي ليس قسما من أقسام العلم العالمي. إنه قسم منفصل قائم بذاته، يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف، فإن سمة العلم السوفيتي الأساسية أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة. إننا نريد أن نغوص في معترك

العلم الطبيعي العالمي ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض فلسفتنا المادية والماركسية بكل حزم وقوة (الندوي ١٩٨٥). إن هذه المقولات وغيرها تؤكد على أهمية استقلالية الأمة بفلسفة خاصة بها إذا أرادت أن تكون لها العزة والمجد.

٢ - القرية الإلكترونية

عندما كانت المدارس في الدول العربية تقوم بدورها التربوي دون مداخلات تذكر من خارج الدول تحقق لنا جو تعليمي نادر. أما في الوقت الراهن، فقد تحول العالم اليوم إلى قرية صغيرة بعد هذه القفزة السريعة في عالم الاتصالات بين الشعوب سواء بتسهيل السفر أو بالاحتكاك المباشر مع الحضارات الأخرى، أو من خلال أجهزة التواصل الحديثة والتي تعد القنوات الفضائية من أكثرها انتشاراً. وتعتبر اليوم شبكة الإنترنت من العوامل الإلكترونية المؤثرة في تدفق المعلومات والتواصل غير الخاضع لسلطان الرقابة. ولا ندري ماذا يحمل لنا المستقبل القريب. إن هذا التواصل بين الشعوب أمر محمود إذا أعد الجيل لمتابعة الحكمة أينما وجدت. وأما إن لم يكن هذا الجيل قد أعد بالحصانة الذاتية، فإن مصيره الذوبان في لجة لا نهاية لها يسيطر فيها القوي على الضعيف، ويخضعه لسلطانه وهو لا يشعر، ويُعبر عن ذلك بالقتل بالحرير بدلا من القتل بالحديد كما كان شأن الحروب قديماً.

٣ - الانفجار المعرفي

مما يميز هذا الزمن عن غيره سرعة تبادل المعلومات فيه، فإذا كانت كتب التربية قديماً تُغير كل سنة لتبدل المعلومات، فإن المعلومات اليوم تتبدل شهرياً بل اسبوعياً وبعضها يتغير يومياً. هذا ما نلحظه اليوم، وهذه من سمات العصر التي تميزه عن غيره. وبسبب الانفجار المعرفي أصبحت كمية المعلومات تكبر وتتضاعف بسرعة فاقت التصور. وهذا يضعنا أمام تحد مهم وهو: ما المعلومات الواجب تدريسها للتلاميذ؟ بمعنى آخر ما المطلوب تعلمه؟ وما المفترض حفظه؟ المعلومات لا يستطيع أن يستغني عنها أحد في حقل

التربية والتعليم كأساس مهم للطالب، ولكن السؤال الذي لابد من الإجابة عنه هو: ما كمية هذ المعلومات اللازمة في ظل هذا العصر الذي تتغير فيه المعرفة بصورة سريعة؟

ففي إحصائية لطيفة ذكرتها آن دود (Dodd 1992) تقول أن المعلومات التي يتعلمها الطفل اليوم في المدرسة ستتضاعف إلى أربعة أمثالها عند تخرجه من الكلية، وعندما يصل عمره إلى خمسين سنة، ستتراكم المعلومات لتصل إلى ما نسبته ٣٢ مرة أكثر مما هي عليه الآن، أو بمعنى أخر أن المعلومات ستتضاعف بما نسبته ٩٧٪ عما كانت عليه عند ولادته.

لذلك لابد من تدريب الطالب على فنون متابعة تطور هذا المعلومات بدلاً من حفظها وكل ما يلزم في المناهج التعليمية هو حفظ الأمور غير القابلة للتغير. كما يتوجب تعليمه مهارات التعلم الذاتي، أي أن نعلمه كيف يتعلم.

٤ – التحدي الاقتصادي

التعليم الحكومي في معظم الدول العربية كان ولايزال معتمداً على ميزانية الدول فى مده بالدعم المالي المطلوب. وتؤكد مؤشرات الأمم المتحدة (تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٧) أن الفجوة مازالت كبيرة بين ما تنفقه الدول النامية والدول الصناعية على التعليم من الناتج القومي لتلك الدول فالبلدان الصناعية تنفق ما يعادل ٥.٤ من نتاجها القومي على التعليم بينما تنفق الدول النامية ٣.٦. ونحن ندرك أن الاستثمار الحقيقي للدول إنما يتم خلال استثمار المال في إعداد البشر ولن ترقي العملية التعليمية بميزانيات ضعيفة لذلك تعاني كثير من دول العالم النامية (بما في ذلك الدول العربية والإسلامية من ارتفاع كثافة المتعلمين في الفصول. ومع ذلك الدعم المالي لهذا القطاع سيظل رهن الظروف التي تمر بها المنطقة وكذلك التقلبات الواردة لمكونات اقتصادها، مما يجعل الازدهار السريع لذي شهدته بعض المناطق العربية أمام خطر الاستمرار من عدمه (قمبر ١٩٩٢). هذا ما يدفعنا لأهمية القول عن البحث عن مصادر مساندة لسد نفقات التعليم لعل منها:

١ - السماح للمدارس بإنشاء وامتلاك بعض المشاريع التجارية في حدود اللوائح التي تنظم الأمر.

٢ - الوقف التربوي الخيري، فكثير من المحسنين في العالم الإسلامي عملوا كما يقول لنا تاريخ التعليم على المساهمة في نشر التعليم، وهم غيرهم من المحسنين مدعووين لمبادرات خيرة رائدة دائماً.

٣ - الضريبة التربوية، لقد فتحت الدول العربية الإسلامية أبوابها للعديد من المؤسسات والشركات العملاقة للاستثمار على ثرى هذا الوطن، ولابد من العمل على دفعهم للمساهمة في الاستثمار في بناء إنسان هذه البلاد بالمساهمة في تعليمه، وخصوصاً إذا علمنا أن لهذه الشركات دوراً فاعلاً في التربية في بلادها.

٤ - إيجاد نوع جديد من المدارس والذي يمكن تسميته بالتعليم شبه الحكومي والذي يتبع وزارة التربية في المنهاج وجزء من الميزانية، في مقابل تسديد أولياء الأمور لجزء من التكلفة، وهذا النوع يهدف إلى استقطاب أبناء الوطن الذين فضلوا التعليم الأهلي على الحكومي لبعض المميزات فيه، ولإيجاد أكثر من واجهة للتعليم.

٥ - الخلل الروحي

لقد بدأنا الحديث في هذا الميدان بتحديات الهوية ونجد أنفسنا هاهنا أمام تحد جديد ألا وهو الخلل الروحي. فمناهج التعليم في الغرب أهملت الاهتمام بالجانب الروحي لظروف خاصة بمجتمعاتهم من أبرزها الصراع الذي دار بين الكنيسة والعلم في فترة من تاريخهم (الندوي ١٩٨٥). ونتج عن ذلك خلل واضح في بناء الإنسان الأروبي فأصبح جسداً بلا روح؛ مما ورّط مجتمعاتهم في صراعات مختلفة كان علاجها ترقيعيا كظاهرة المخدرات والانحلال الخلقي وغير ذلك.

وفي المجتمعات العربية والإسلامية جُمّدت مادة التربية الإسلامية حتى تحولت مع الزمن إلى مادة جافة تتعامل مع الذاكرة دون تأثير يذكر في

الجانب الروحي، مما يهدد المجتمعات العربية والإسلامية بصرعات من الانحراف أو التطرف لأن للروح تربية لابد منها. وإذا أردنا الخروج من هذا الصراع فلابد من تدريس التربية الإسلامية بطريقة حديثة. ويتطلب ذلك تطوير المقررات وكذلك المعلمين، وتطوير أساليب التدريس. كذلك لابد من العمل على ربط بقية المواد بالجانب الروحي عند تدريسها.

وتعتبر العلوم من أكثر المواد الدراسية قدرة على غرس الإيمان بالله في نفوس الطلبة وتعميق خشية الله لديهم (إنما يخشى الله من عبادة العلماء) (الزمر ٩)، وذلك عن طريق توجيه أنظار الطلبة إلى التبصر في دقة النظام الكوني في مختلف الظواهر، والانتظام الدقيق في مخلوقاته بمختلف أجهزتها وأعضائها وأنسجتها وخلاياها. وحتى يتأتى ذلك، لابد من إسناد تأليف كتب العلوم إلى أشخاص مؤمنين صادقين حريصين على تخليص العلوم من أفكار بعض العلماء الماديين أمثال داروين الذين يضعون الإنسان في فصيلة الحيوانات وهو ليس كذلك (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) (التين ٤). وليقم هؤلاء باستثمار كل ظاهرة من ظواهر الكون في بيان عظمة الخالق الذي أبدعها وسخرها للإنسان والذي من واجبه شكر الله على نعمه والدوام على عبادته والالتزام بأوامره والانتهاء عما نهى. فهو لم يأمرنا إلا بما هو خير لنا، ولم ينهانا إلا عما فيه أذى لنا وللمجتمع الذي نعيش فيه. فهو الذي خلقنا ويعلم ما ينفعنا وما يضرنا. وقد أرشدنا إلى ذلك على السنة أنبيائه في كتبه السماوية والذين كان خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، في القرآن العظيم مصدر الهداية ونور الطريق في حياتنا.

٦ - التحدي التكنولوجي

من علامات التقدم للدول في الوقت الراهن مدى تعامل الناس مع الحاسبات الآلية، ويعد التعامل مع الحاسبات في التعليم من تلك المؤشرات والسؤال الذي يطرح نفسه هو مدى تعاملنا نحن كدول عربية ومسلمه مع هذه الخاصية من خائص العصر (مكتب التربية العربي ١٩٨٧).

بعد الثورة الصناعية جاءت الثورة المعلوماتية، وأما القرن القادم فقرن

ثروة تكنولوجيا الاتصالات الرقمية، هذه الثورة التي ستعزز دور الحاسوب "الكمبوتر" في عموم الحياة، من الخطوات التي كان يحلم بها العالم، وتحققت شبكات المعلومات كالإنترنيت مثلاً، ومثل هذه الشبكات تعتبر الخطوات الأولى للقرن القادم الذي سيشهد تطورات سريعة في استخدام الحاسبات الآلية في الحياة التعليمية بشكل خاص. إن للحاسبات الآلية أدواراً كثيرة في العملية التعليمية كما وأن عليها ملاحظات فمن الأدوار:

١ – المساعدة في التدريس Computer Assisted Instruction (CAI) . فهي مكان التمرينات والعروض والتشبيهات، والتدريب على حل المشاكل، المراجع..

٢ – المساعدة في إدارة التعليم Computer Managed Instruction (AMI) كاجزاء الاختبارات والاحتفاظ بالملفات والمعلومات، وتوفير مصادر المعلومات.

٣ – الحاسوب التعليمي Computer-Based Education (CBE) .

وفي هذه المرحلة يجمع الحاسوب بين مختلف الأدوار التي ذكرت سابقاً فهو يعرض البرامج Software ومكان للممارسة والتدريب Practice وللدروس الخاصة التي يتعلم فيها الإنسان حسب سرعته Tutorial وكذلك يساعد على إيجاد بيئة قريبة جداً من الحياة الواقعية للأمور التي لا نستطيع الانتقال لها Simulation وغير تلك المهام التي لا نستطيع أن نجملها في هذه الورقة (Richard 96) .

والآن بدأ الناس في الحديث عن المناهج التي تقوم باستخدام الحاسب الآلي بشكل كامل Computer-Based Curriculum، مما ينقل العملية التعليمية إلى بيئة أخرى فلم يعد مقبولا في المجتمعات (الشركات التجارية، المؤسسات، الأسر). أن يتعامل المتعلم في الفصل بالنظام التقليدي الذي لا يستخدم فيه الحاسوب كأحد اسس العملية التعليمية (Kappan 95) (Bromley 97).

والمكتبة استفادت من الحاسوب في أمور متعددة لعل منها:

١ – مراصد المعلومات البيبليوغرافية؛ وهي البديل عن الفهرس البطاقي.

٢ – مراصد المعلومات الإحصائية حيث تخزن الأرقام وغيرها من المعلومات والحقائق الدقيقة.

٣ – مراصد المكتبات المميكنة – ميكنة تامة حيث تخزن معظم الأمور في الحاسبات على شكل نصوص كاملة كالدوريات، والكتب ... (عبدالهادي ٩٥).

ولقد تبين أن لإستخدام الحاسبات الآلية في ميدان التعليم العديد من الإيجابيات التي ذكرناها سابقاً، ونضيف لذلك ما يلي:- بينت الدراسات (Bailo 95) أن استخدام تكنولوجيا التعليم طور مخرجات التعليم في اللغات والحساب والدراسات الاجتماعية والعلوم، كما أن استخدام الحاسب الآلي في التدريب العسكري اختصر فترة التدريب بمعدل ٣٠٪ (Orlansky 79) وتؤكد الأمر دراسة (Fletcher 91) وتذكر دراسة أجريت على طلبة القانون زيادة تحصيلهم بما يعادل ٨٠٪ (Guerrero 90). كما أن التفاعل بين المتعلمين ومعلميهم زاد عند استخدام تكنولوجيا الحاسبات، كما تؤكد ذلك دراسته (S.P.A. 93) . وعندما استخدمت تكنولوجيا الحاسبات الآلية مع الأطفال المعاقين اثبتت تاثيراً واضحاً في بقاء ٣/٤ العّينة في المدارس، وخفضت خدمات المدارس لهذه العينة بما نسبته ٤٥٪ (U.S. Dept. of Commerce 95). وبالرغم من كثرة الإيجابيات التي لا ينبغي أن تنسينا الجوانب السالبة، إذا ما استخدمت الحاسبات الآلية دون حيطة، ومن ذلك مثلاً التاثيرات الصحية على الجسم بشكل عام، والدماغ بشكل خاص؛ وبالذات ما يرتبط منها بالذاكرة (الخطيب ٩٧). كما وجد أن المتعلم باستخدام الحاسبات الآلية يتحول بطريقة غير مباشرة من عملية التعلم إلى ما يشبه أداء الآلة في القطع واللصق Cut and Paste وتكون مهمته فقط إعطاء الأوامر للآلة التي تنظم له كل شيء (Rotherberg 97) .

فلو أضفا لذلك أن أسعار التعامل مع تكنولوجيا المعلومات، تتزايد مع الزمن، ولم تخفض من الميزانيات المخصصة للمكتبات مثلاً لرأينا عائقاً

اقتصادياً أمام تعميم استخدام الحاسبات الآلية (Miller 1997). ففي الولايات المتحدة أنفق ما يقارب أربعة مليارات دولار لادخال تكنولوجيا المعلومات في بعض المدارس، بلغة أخرى هذا المبلغ يعتبر عشرة أضعاف ما ينفق على الكتب (Colvin R. 1996) . كما أن المسائل اللاأخلاقية تشكل خطراً واضحاً عند شيوع المعلومات لغير أهل الإختصاص، وخصوصاً من غير البالغين (C. 1996 Pool) (Rezmierski 1997) . مثل هذه القضايا وغيرها تؤكد أن التعامل مع تكنولوجيا المعلومات يجب أن يؤخذ بعين حذرة. ولكن لو أردنا تعليماً يتناسب مع روح العصر لابد من التخطيط الفعلي للتعامل مع هذه التكنولوجيا في التربية عندنا.

نظرة مستقبلية للتربية

من المعلوم أن الغاية الكبرى للتربية هي في توفير البرامج والفرص للتلاميذ لاكتساب المعارف والمهارات والكفايات والقيم والمعتقدات التي تمكنهم من تكوين حياة منتجة لهم ولغيرهم. فما البرامج التي بمقدورها تحقيق هذه الغاية؟ ما من شك في أن البرامج المنشودة تتحدد في ضوء تحليل الواقع والتنبؤات بالمستقبل الذي سيعيشه تلاميذ اليوم. يعيش العالم اليوم عصر المعلوماتية. وقد كانت النقلة سريعة جداً ومفاجئة للعالم حينما تحول من عصر الصناعة إلى عصر المعلوماتية. إذ لم تأخذه هذه النقلة سوى عقدين أو ثلاثة عقود من الزمان. في حين أن النقلة في المجتمع الأوربي من مجتمع زراعي إلى صناعي قد أخذت عدة قرون. وقد كان هذا الزمان كافياً للتغير الثقافي والاجتماعي. أما النقلة الحالية التي يشهدها العالم، فكانت كالصاعقة حتى فى المجتمعات الصناعية نفسها التي لم تدع لأحد الفرص في التفكير والتأهب للتغيير. ومع هذا التغير المفاجيء في المجتمع، تغيرت النظرة إلى الوقت. ففي عصر الزراعة كان الناس يهتمون بالماضي؛ وفي عصر الصناعة كانوا يهتمون بالحاضر؛ أما في عصر المعلوماتية الحالي فينصب الاهتمام بالمستقبل والمستقبليات.

ولذلك فإن على مخططي المناهج إعداد مناهج وبرامج تمكن التلاميذ من التكيف مع المستقبل. ويمكن الإستعانة في ذلك بدراسات المستقبل التي تعتمد على التنبؤ والتوقع والتخيل في ضوء معطيات العصر. (السويدي والخليلي ١٩٩٧).

ومما يضاعف من صعوبة التخطيط للمستقبل أنه من الصعب التحقق مما إذا كانت تنبؤاتنا دقيقة؛ وأن كلفة الفشل مرتفعة. فإذا أخطأ التربويون قراءة المستقبل فإنهم ربما يطورون مناهج ليست ذات صلة بحاجات التلاميذ. بل ربما أنهم يجعلون التلاميذ يتعلمون وفق مناهج تزيد في تعقيد مشكلات المجتمع، مثل المناهج التي تعد التلاميذ إلى مهن لم يعد المجتمع بحاجة إليها، وبالتالي تتضاعف البطالة. ويستدعي ذلك من التربويين اتخاذ قرارات مرنة (Ornstein & Hunkins, 1988) بالإمكان تطويعها وفق ما يتحقق من تطورات؛ أي قرارات تترك الباب مفتوحاً لأكثر من خيار. وبذلك تكون البرامج مرنة غير جامدة وبالإمكان تعديلها.

ولأن المستقبل غير اكيد، فإنه يجب إعداد التلميذ لأن يكون على استعداد لتغيير رأيه في ضوء تجدد الأوضاع التي عليه أن يغير رأيه فيها. ويستدعي ذلك التأكيد على الفردية في التعليم، وعلى أن تكون مناهج المدرسة وبرامجها بالإمكان تطويعها لتلائم التلاميذ لا أن يتم تطويع التلميذ ليلائم مناهج المدرسة وبرامجها. كما يستدعي الأمر تربية مختلف أشكال الذكاء المتعدد عند التلاميذ، بما يعينه على الإبداع في المجال الذي يقع ضمن اهتماماته ووفق تفضيلات المجتمع. ويرى البعض (Draper & Kauffman, cited in Ornstein & Hunkins, 1988) أن مناهج المستقبل يجب أن تركز على تنمية الكفايات الآتية عند المتعلم:

١ – التعامل مع المعلومات.

٢ – التفكير بوضوح.

٣ – الاتصال بفاعلية.

٤ – فهم البيئة البشرية.

٥ - فهم الأفراد والجماعات.

٦ - إمتلاك الكفايات الشخصية.

فالتلاميذ يجب أن يفهموا عمليات التخطيط، وطبيعة اتخاذ القرارات وكيفية التعامل مع المعلومات بما يجعل التغيير عندهم سهلا. كما أن مهارات التفكير الناقد أساسية للتأكد من المعلومات السليمة من غيرها في ضوء هذا التدفق الهائل من المعلومات.

١ - التربية والمستقبل

لا نستطيع القبول بأن نعزل انفسنا عن العالم، بل إن علينا أن نحرص على تربية ابنائنا وبناتنا بما يمكنهم من المساهمة في المسيرة العلمية العالمية وفي التطوير الحاصل في المعلوماتية وغيرها حاضراً ومستقبلاً. فتحديث مناهجنا لا نقاش فيه، واستيعاب المعلوماتية ضرورة حتمية يجب أن نبدأ فيها بالمعلمين وبشكل متزامن مع تضمينها في المناهج. ومع ذلك يجب الحرص على تنمية القدرة على التفكير لدى التلاميذ حتى يستطيعوا الحفاظ على هويتهم في تيار المعلوماتية الهائل الذي بدأ يتدفق عليهم دون ضوابط أو قيود سواء من بلد المنشأ أم من بلد الاستقبال. نحن كتربويين عرب ينصب اهتمامنا على تربية أجيال الأمة على القيم والأخلاق الفاضلة بما يحفظ لهذه الأجيال هويتها الثقافية ووجودها المميز كأمة عريقة لها تاريخها المجيد في الإسهام بالحضارة العالمية في ظل عواصف التغيير وأعاصير الأقوياء الذين يريدون أن يصبغوا العالم بصبغتهم ومعتقداتهم وديموقراطياتهم المزعومة فيما يسمى بالعالم الجديد. وبإمكاننا الإستفادة من شعار اليابانيين في استيعاب التقدم العلمي والتقني وهو "علوم الغرب وثقافة اليابان" (Western Science and Japanese Culture) . وأولى بنا أن نرفع شعار علوم وتقنية غربية وثقافة عربية مسلمة. ولابد لنا من العمل على مواءمة كل جديد مع ما ينسجم وهوية مجتمعاتنا العربية الإسلامية، وإعداد التلاميذ لمواجهة مطالب المجتمع التي تتغير بسرعة هائلة، ليتمكنوا من العيش في زمان غير زماننا بعقلانية وحكمة مسلحين بالعلم والإيمان متمسكين بما نبهنا إليه رسول الهدى، عليه افضل الصلوات،

حين قال "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، كتاب الله وسنتي".

٢ - الوحدة مع خلافاتنا

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من وجود عناصر تؤدي به للاختلاف مهما تقارب الناس في هذا المجتمع، لكن الدنيا تقوم على استثمار هذه الإختلافات التي بين الناس لتحقيق المصالح المشتركة.

الناس للناس من بـدو وحاضـرة

بعض لبعض وإن لم يشـعروا خـدم

من هنا يصبح لزاماً علي مناهج التعليم في عالمنا العربي والإسلامي تدريب التلاميذ على العيش في سلام مع بعضهم بالرغم من وجود الخلافات، لأن العالم اليوم لا يحترم الدول الضعيفة. ولن تكون لنا قوة دون أن يتدرب الناس على قبول الاختلافات التي بينهم والتعايش معها وخصوصاً أن الذي يجمعنا أكثر من الذي يفرقنا. وهذه المسألة بحاجة إلى تدريب التلاميذ من خلال مناهج التعليم على الحوار وآدابه، وقبول وجهة النظر المعارضة ما دامت في إطار القضايا القابلة للإجتهاد. فالأمور التي يتعدد فيها الحق كثيرة، وكل هذا لن يأتي من معلم لا يقبل في فصله إلى رأيه ومن يؤيده، ويلقن التلاميذ الإجابات ولا يقبل منهم الإجتهاد المبدع في الإجابة وإن كانت صحيحة. ولن يكون كذلك بإدارة مدرسية دكتاتورية مع التلاميذ تجعلهم يعيشون في سجن يسمى المدرسة.

٣ - المتفوقون والمبدعون

الإبداع هذه السمة الرائدة التي تسعى الأمم إلى بثها في أفرادها ليتم لهم تجاوز الآلام وتحقيق الآمال. فكل قطر على هذه المعمورة لا يخلو من آلام تؤرقه وآمال يسعى إلى تحقيقها، ومن أهم طرائق تحقيق هذه الآمال وجود المبدعين في الأمة. وقد أحسن العلامة الندوي (١٩٧٨) عندما حدد لزعامة العالم أساسين هما: "الجهاد والاجتهاد".

وإذا كان الجهاد يعني القوة بكل أشكالها لإقرار الحق، فإن الاجتهاد يعني الإبداع بكل معانيه، وفي مختلف الأمور. ففي معرض حديث الندوي عن المجتهد قال عنه: "ويكون عنده من الذكاء والنشاط والجد والعلم ما يستخدم به ما خلق الله في هذا الكون من قوى طبيعية وما بث في الأرض وتحتها من خيرات ومنابع ثروة وقوة، وأن يسخرها لمصلحة الإسلام بدل أن يستخدمها أهل الباطل لأهوائهم". فالأمة التي لا تجتهد يعني ذلك جمودها مكانها، والجمود يعني تخلف هذه الأمة لأن بقية الأمم ستتجاوزها. ونظرة سريعة منا إلى الدول المتقدمة في الوقت الراهن تؤكد لنا حقيقة الأمر. فمعظمها قائم على القوة بأشكالها وتستقطب كذلك المبدعين من مختلف دول العالم، وتؤمن لهم الحياة الكريمة لتقطف في مقابل هذا آثار إبداعاتهم المختلفة في شتى العلوم والفنون. والأمة التي لا تهتم بالإبداع والمبدعين تهبط في سلم الحضارة إلى أدنى درجاته.

وللتفوق والإبداع عوامل متعددة منها ما يرتبط بشخصية المبدع ونعني بذلك العوامل الداخلية، ومنها العوامل الخارجية التي تؤثر على المبدع وإبداعه، ومن ذلك طبيعة المجتمع، ونسبة الحرية فيه، والدور الذي تلعبه المؤسسات التربوية في ذلك المجتمع في تنمية المبدعين والإهتمام بهم. وقبل المؤسسات التربوية الرسمية يأتي دور الأسرة الرائدة كأول مؤسسة تربوية في بناء هذه السمة المهمة. والمنهاج التعليمي الحديث لابد أن يكون فيه حيز لتنمية التفوق، والإبداع إما من خلال المواد المقررة أو من خلال برامج إضافية لذلك. وقد آن الأوان للمنهاج العربي أن يهتم بهذه الفئة من الطلاب لأنهم العماد الذي تقوم عليه الأمم.

٤ - مناهج المستقبل وتنمية التفكير

سبق وأن أكدنا أن التربية هي إعداد للحياة، والتي لا يجد الإنسان كل شيء فيها مجهزاً على طبق من حرير، بل إن عليه أن يتولى تحديد المعلومات التي تلزم لاتخاذ القرار المناسب، وتحديد كيف يحصل على هذه المعلومات، وكيف يعالجها ويستثمرها فى الوصول إلى قرار حكيم مستنير يأخذ

بالحسبان مختلف الاحتمالات والتبعات المترتبة على كل منها.

كلنا يعرف أن العالم الحقيقي يعج بالتناقضات، وفيه مقايضة ومداولات، فيه تنازلات مقابل تنازلات، فيه قيم قد تحتاج إلى تقييم. وكل ذلك يحتاج إلى كم كبير من التفكير الذي يمكننا من الحياة الطبيعية في مثل هذا العالم الذي يسوده التنافس أكثر من التعاون ويطغي فيه القوي على الضعيف.

يحتاج كل إنسان لأن تتطور لديه مهارات التفكير النشط التي تساعده في رؤية وجهة نظر الطرف الآخر، وتحديد الأولويات، والأهداف، والبدائل، والتبعات، وحل التناقضات، وابتكار الخطط، وتقييمها. يحتاج إلى حكمة في التفكير يرى من خلالها الأشياء بعمومياتها، ويحتاج إلى حذاقة فكرية تمكنه من رؤية التفاصيل الدقيقة لهذه الأشياء. وتغدو الحاجة إلى مهارات التفكير أشد ما هي عليه في عصرنا الحاضر عصر المعلوماتية، كي يستطيع الإنسان التعامل مع دفق المعلومات التي لا حدود لها.

توصيات عامة

بعد هذا الإستعراض الموجز لأهم التحديات التي تواجه التربية والتعليم في العالم العربي والاسلامي والتي حاول الباحث في نهاية كل تحدٍ اقتراح الحلول المناسبة للتعامل معه. نختم هذا البحث بالتوصيات التالية:

١ - العمل على تاكيد هويتنا العربية الإسلامية من خلال مؤسساتنا التربوية المختلفة، وذلك بغرس قيمنا خلال مختلف المواد التعليمية وبالتحديد مادة التربية الإسلامية والعمل على إزالة التناقضات بين المناهج المختلفة مما يؤدي إلى وحدة الغاية، وفي هذا الإطار يؤكد الباحث على أهمية التركيز على استخدام لغتنا العربية في التعليم والعمل.

٢ - إيجاد مركز عربي للترجمة الفورية يهدف إلى تقديم الجديد للمتعلم العربي لمواكبة الانفجار المعرفي.

٣ - يرى الباحث أهمية زيادة الحكومات لميزانية التعليم في دولها لأنه يمثل

الاستثمار بعيد المدى للطاقات البشرية.

٤ - في عصر تكنولوجيا المعلومات لابد من إدخال هذه التقنية في مؤسساتنا التعليمية وجعلها أحد مصادر التعلم الرئيسة، كما ولابد من المساهمة في هذه التكنولوجيا لكي لا نكون مجرد مستخدمين لما ينتجه الآخرون.

٥ - يرى الباحث أهمية الخروج من التعليم التقليدي الذي لا يعد المتعلم للمستقبل وذلك بتدريب المتعلمين على العديد من المهارات لعل من أبرزها:

أ - التفكير بوضوح.

ب - حسن التخطيط للمستقبل.

ج - فنون البحث عن المعلومة الأصح وليس الصحيحة.

د - فنون التعبير عن الرأي كتابة وشفاهة.

هـ - طرائق التعامل مع الناس وبالذات من يختلف معهم في الرأي.

٦ - إيجاد الآليّة المناسبة التي تحتضن المبدعين والمتفوقين وتهيىء لهم فرص النجاح ومن ثم العمل المناسب لكي لا تستقطبهم الدول الأخرى.

٧ - في ظل النكسات التي تعرضت لها الأمة يوصي الباحث بأهمية غرس روح الولاء والاعتزاز بهذه الأمة وذلك بالتاكيد على أن واقع هذه الأمة لا يعود لخلل في مبادئها وقيمها وإنما لابتعاد الناس عن هذه المبادىء وللازدواجية الواضحة بين المكتوب والممارس في الواقع العملي.

المراجــع

١ – أبس جيرولد (١٩٩٢). ترجمة شحرة فارع، التعليم العالى فى مجتمع متعلم، دار البشير، عمان.

٢ – بوشامب (١٩٨٥). التربية في اليابان المعاصرة، ترجمة محمد مرسي، الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٣ – تقرير التنمية البشرية لعام (١٩٩٧). برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك، الولايات المتحدة.

٤ – ترجمة مكتب التربية العربي لدول الخلية (١٩٨٧). تعليم المواطن الأمريكى من أجل المستقبل، مقتضيات القرن الحادي والعشرين.

٥ – الخطيب، إسماعيل (١٩٩٧). الكمبيوتر يهدد بفقدان الذاكرة، الشرق الأوسط العدد ٦٨٠٦، ١٧/٧/١٩٩٧م، لندن.

٦ – جريس حليم (١٩٩٢). إصلاح التعليم، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر.

٧ – الرشيد محمد بن أحمد (١٩٩٦). تعليمنا إلى أين؟ مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٨ – زاهر ضياء الدين (١٩٩٠). كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل، منتدى الفكر العربي، عمان.

٩ – السويدي، خليفة والخليلي، خليل (١٩٩٧). المنهاج مفهومه وتصميمه وتنفيذه وصيانته، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

١٠ – عبدالهادي، ناول (١٩٩٥). تكنولوجيا المعلومات وتأثيرها على المكتبات وصناعة ونشر الكتب، الجديد في عالم الكتب والمكتبات العدد ٧.

١١ – قمبر، محمود (١٩٩٢). التربية وترقية المجتمع، الكويت: دار سعاد الصباح.

١٢ – الندوي، أبوالحسن (١٩٨٥). نحو التربية الإسلامية الحرة، بيروت،

لبنان: مؤسسة الرسالة.

١٣ - النعيمي، علي وإسماعيل، مصطفى (١٩٩٥). توجهات الذاتية الثقافية في كتب تعليم العربية والدراسات الاجتماعية للمرحلة الإبتدائية بدولة الإمارات، ورقة قدمت في مؤتمر تربية الغد: رؤى وتطلعات، والذي نظمته كلية التربية بجامعة الإمارات العربية المتحدة.

Bailo, Ellen R., and Jay Sivin-Kachla (1995). Effectiveness of Technology in Schools, (1990 - 1994) Washington, DC: Software Publishers Association.

Bromley H. (1997). The Social Chicken and the Technological Egg. Educational Theory, Urbana Winter 1997.

Colvin R. (1996). School Libraries Amid Neglect Education Computer Lake Priorily Overbooks, Hona Edition, Los Angeles Times, Apr. 21, 1996.

Dodd, A. (1992). Innovative Education, Chicago, The Noble Press Inc.

Fletcher, J.D. (1991). Effectiveness and Cost of Interactive Videodisc Instruction, Machine Midiated Learning, 3, pp. 361 - 385.

Guerrero, J.F., M. Mitrani, J. Schoener, and Swan Summer (1990). Honing in on the Target: Who Among the Education Disadvantages Benefits Most from What CBI? Journal of Research on Computing in Education, pp. 381-403.

Hallak, S.. (1990). Investing in the Future, Pergamon Press, Oxford, England.

Mean and Others (1995). Beyond the Classroom: Restructuring Schools with Technology, Phi Delta Kappan, Bloomington U.S.A.

Miller W. (1997). Troubling Myths about On-Line Information, The Chronicle of Higher Edu. Aug 1997.

Orlansky, J., and J. String (1979). Cost-Effectiveness of Computer Based Instruction in Military Training, Alexandria, VA: Institute of Defense Analysis.

Ornstein, A.C. & Hunkins, F.P. (1988). Curriculum Foundations, Principles and Issues. Englewood Cliffs New Jersey: Prentice Hall.

Pool, Canolyn (1996). Perspectives on Networking Educational Leadership, Nov. 1996, Alexandria, U.S.A.

Rezmierski (1997). The Challenges Colleges Still Face After the Ruling on Internet Indecency, The Chronicle of Higher Edu. July 11,1997.

Richard C. (1996). The Evalution of Education Computer Project Innovations, U.S.A.

Rothenberg D. (1997). How the Web Destroys the Quality of Students' Research Papers. The Chronicle of Higher Edu, Aug 15, 1997.

U.S. Dept. of Commerce, National Telecommunications and Information Administration, June 1995.

التعليم الفني
بين تحديات اليوم وآمال الغد

إعداد
أ.د./ ممدوح الصدفي محمد أبوالنصر
أستاذ ورئيس قسم أصول التربية
وعميد كلية التربية جامعة الأزهر



التعليم الفني
بين التحديات اليوم وآمال الغد

التعليم الفني فى بلادنا العربية أسير. أسير ظروف نشأته، وما ألقت عليه من ظلال وما تكون بسببها نحوه من اتجاهات .. وأسير موقعه وسط نظم تعليمية لم تفسح للتعليم الفني مكانا فيها ليصبح جزءا من نسيجها الحي، ليجمع أبناؤنا بين مهارة الفكر وتقانة اليد، لنصنع الأشياء بدلا من أن نتوقف عند صناعة الكلمات، بل عزلته هذه النظم في مسار منفرد يدور فيه حول نفسه ليصبح سندريلا التعليم أو ابن العم الفقير في أسرة التربية (عبدالمعطي، ١٩٩٨).

وانعكس ذلك على محاولات إصلاحه فجاءت مجزوءة تغيير كتاب أو تجريب طريقة أو استبدال معدة وغاب الظهير العلمي الذي يتحدث بلسانه فيدرس مشكلاته ويقدم الحلول الممكنة لامكانات تطويره.

وانعكس ذلك ايضا على نظم الأجور والاستخدام التي أقيمت من أجل الياقات البيضاء والعمل المكتبي، تمنحه الأولوية وتفسح له باب الترقي وتمثل مركز طرد فتنصرف عنه الجموع ليصبح اختيار المكره.

ولكن في بلادنا العربية أيضا جهود مخلصة تسعى لاطلاق سراحه بعضها يمثل انجازا طيبا والآخر خطوات على الطريق.

واقع التعليم الفني ومشكلاته:

رغم كل الجهود التى بذلت في العقدين الأخيرين لمحاولة تطوير التعليم الفني إلا أنه لا يزال يمثل شريطا ضيقا إذا ما قورن بالتعليم الثانوي العام في بلدان تتوقف حركة التنمية فيها على توافر الكوادر الفنية وانعكس الفصام النكد الذي يقسم التعليم إلى عام وفني على مدخلات التعليم الفني من الطلاب؛ فالاختيار على أساس مجموع الدرجات يعني ألا يلتحق بالتعليم الفني إلا اضعف العناصر ومع ذلك فخريجوه مطالبون بان يكونوا عماد التصنيع وتطوير الصناعة وتنمية الاقتصاد (عبدالله، ١٩٧١).

وقد ارتفعت فى السنوات الأخيرة نسبة المقبولين بالصف الأول في التعليم الفني إلى الحاصلين على الشهادة الاعدادية في مصر فبلغت ٤٢٪ عام ٧٥/٧٤ وتوالت في الزيادة حتى وصلت ٥٤٪ عام ٨٣/٨٢ (فكرى، ١٩٨٢).

ويلاحظ التفاوت الصخم بين الأقطار العربية فى نسبة التعليم الفني إلى الثانوى العام - فهناك قطران عربيان فقط - البحرين ومصر - بلغت نسبة التعليم الفني إلى الثانوي العام اكثر من ٥٠٪ بينما تتوزع النسب بين الاقطار العربية على النحو التالي:

من ٢٠ - ٣٠٪ي كل من تونس - سوريا - العراق - لبنان - ليبيا.

من ١٠ - ٢٠٪ في كل من: الأردن - جيبوتي - السودان - الصومال - فلسطين - اليمن الديمقراطية.

من ٥ - ١٠٪ في كل من: الجزائر - السعودية - عمان - العربية اليمنية.

أقل من ٥٪ فى كل من: الامارات - قطر - المغرب - موريتانيا.

ويحتل التعليم التجاري المساحة الاكبر من حجم التعليم الفني في البلاد العربية ويليه التعليم الصناعي ثم الزراعي إذ تبلغ نسبة أعداد الطلاب التعليم التجاري في كافة الأقطار العربية (عدا الكويت والجزائر ولبنان) حوالى ٥٤٪ من مجموع طلاب التعليم الفني يليه الصناعي ٣٣.٢٪ فالزارعي ٩.٥٪ فالصحي ٦.١٪ (عبدالمعطي، ١٩٨٨).

وقد يكون من المفيد والمناسب أن نطل على هذا الواقع العربي من نظرة شاملة إلى الصورة الكلية لواقع التعليم الفني في العالم مقارنا بالتعليم العام كما يوضحها الجدول التالي:

جدول رقم (١)

التعليم الفني في العالم مقارنا بالتعليم العام من ١٩٧٠ - ١٩٨٠

مجموع البلدان في العالم	الالتحاق بالتعليم	معدل النمو السنوي للتعليم العام والفنى	
	الفني مقابل العام ٪	العام	لفنى
كل العالم	١ : ٦	٤,٥٪	٣,٩٪
البلدان المتقدمة	١ : ٤	٣٪	١,٤٪
البلدان النامية	١ : ٩	٧,١٪	٦٪
إفريقيا	١ : ١٥	٦,٧٪	١٣,٥٪
آسيا	١ : ١٢	٤,٥٪	٤,٧٪
أمريكا اللاتينية	١ : ٣	٦,٢٪	٤,٨٪
البلاد العربية	١ : ٨	٨,٩٪	٩,٦٪

وبالرغم من الإصلاحات والتحسينات التى تدخل إلى التعليم الفني "فإن الآباء وأطفالهم يفضلون الدراسات ذات الطبيعة الاكاديمية التي يمكن أن تؤدي إلى المهن ذات المرتبة العليا، لأن طريق التعليم الفني مسدود لا يقود لدراسة أعلى، مما يقتل الطموح، ومن هنا يصبح التعليم الفني تعليما من المرتبة الثانية للطلاب الأقل قدرة أكثر منه خيارا عمليا لأكثرية الناشئة (اليونسكو ١٩٨٥).

وتشير نتائج الدراسات التي أجريت حول إقبال الطلاب على التعليم الفني في الدول العربية والتي تلخصها نتائج الندوة العربية التي أقامها الاتحاد العربي للتعليم الفني (١٩٨٤) إذ ترجع هذا العزوف إلى أربعة عوامل تتعلق بالطلاب هي:

١ - نظم التعليم العربية:

ولعل من أبرز المآخذ على نظم التعليم العربية انها تتبنى سياسة "الباب المغلق" أمام خريجي هذا التعليم وضعف التكامل بين التعليم الفني والتعليم

العام وارتباط هذا التعليم وتوزيعه الكافي ففي مصر، على سبيل المثال:

(أ) يتم إعداد العامل الماهر في المدارس الثانوية الصناعية التابعة لوزارة التعليم، وفي مراكز التدريب التابعة لوزارة الصناعة ووزارة الانتاج الحربي، ومراكز التدريب الخاصة ببعض المؤسسات.

(ب) عدم استجابة معظم المؤسسات الصناعية إلى تدريب طلاب المدارس الصناعية بها رغم أن الحاجة تدعو إلى استكمال تدريب الطلاب في هذه المؤسسات، حتى يكون الطالب على مستوى مناسب من الكفاية والتدريب يتفق مع مجالات العمل الذي سيعمل به بعد تخرجه.

(جـ) انشاء تخصصات جديدة بالمدارس الثانوية الصناعية دون دراسة للاحتياجات مع عدم توفير الأجهزة وهيئات التدريس اللازمة وكمثال آخر نجد أن التعليم الزراعي أيضا يواجه بعض المشكلات.

- عدم وجود بيانات دقيقة عن احتياجات قطاعات الإنتاج والخدمات المختلفة من خريجي المدارس الثانوية الزراعية سواء من الناحية الكمية أو النوعية.
- عدم ملاحقة المدارس الزراعية للتطور السريع في مراكز الإنتاج مثل أجهزة استخراج الزيت والبسترة وصناعة السكر والمطاحن ومضارب الأرز وبالتالى تحجم كثير من الهيئات والمصانع عن تدريب طلاب المدارس الزراعية بها (علي، ١٩٨٤).

٢ - جوانب اجتماعية:

يأتي فى مقدمتها نظرة المجتمع السلبية نحو العمل اليدوي وغياب العمل عن التعليم العام، وما ترسب في الأذهان من ضرورة إكمال الدراسة الجامعية لكل من ينهي الثانوية وإلا نظر إليه كفاشل لم يكمل تعليمه، إلى جوار نظرة العائلة إلى التعليم الفني باعتباره طريقا لعمل فني يدوي لا يتناسب ومركز العائلة! مما يؤدي إلى توجيه الأبناء نحو التعليم الثانوي العام فالجامعي بحثا عن الوظيفة ذات الاسم والمكانة. فالوالدان لا يعتبران التدريب في المدارس الفنية وسيلة من وسائل الحراك الاجتماعي وهذا الاتجاه ينتقل إلى أطفالهم.

٣ - التوعية والتوجيه المهني:

إن حرمان الطلاب من تعرف بنية المهن في مجتمعهم وفرص العمل المتاحة وأولوياتها يرجع إلى ضعف التوجيه المهني أو انعدامه، كما أن عدم ممارستهم لخبرات ومهارات يدوية في التعليم العام، لا يسهم فى توكيد قيمة العمل واحترامه لدى الطلاب.

ويمثل ضعف أو قلة استخدام أجهزة الإعلام فى التوعية والتوجيه المهني، من خلال الأعمال الفنية المختلفة إهمالا لجانب له أثره البالغ فى اتجاهات الطلاب واختياراتهم.

٤ - الحوافز والمستقبل الوظيفي:

تحول قلة الحوافز المهنية والمادية أمام خريجى التعليم الفني دون التشجيع للاقبال عليه، نتيجة التمييز الواضح في هيكل الأجور ونظم الاستخدام والترقيات لصالح خريجي الجامعة.

مشكلة البحث:

يمكن صياغة مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

١ - ما الواقع المعاصر للتعليم الفني في العالم العربي؟

٢ - ما الاتجاهات التربوية المعاصرة في التعليم الفني في الدول المتقدمة؟

٣ - ما الأساليب الإجرائية التي تمكن التعليم الفني في العالم العربي من مواجهة التحديات التى تواجه التعليم الفني؟

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى رصد واقع التعليم الفني وتشخصيه والإسهام في تقديم بعض الحلول التى تساعد على تطويره.

منهج البحث :

استخدم البحث الحالي المنهج التاريخي ناقش من خلاله نشأة التعليم الفني وتطوره ومكانته وسط أنظمة التعليم الأخرى.

كما استخدم المنهج الوصفي في الدراسة الحالية لبيان الجوانب المختلفة للتعليم الفني ومشكلاته في البلدان العربية وإيضاح الوضع الراهن الذي انعكس على مناهجه وطرائق تدريسه ونظام القبول به تمويله وفرص العمل المتاحة أمام خريجيه وإعداد معلميه.

التعليم الفني للبنات:

تميل البنت في الثقافة العربية الاسلامية - بحكم التقاليد - إلى الدراسات الإنسانية أكثر من الدراسات الفنية وقد دعم هذا الوقت عدم اختلاط الجنسين في مكان العمل فى كثير من البلدان العربية. وإبان عام ١٩٧٨/٧٧ قيد حوالي ٢١.٤٪ من المجتمع الطلابي فى المدارس الثانوية الفنية في ١٤ دولة عربية من البنات (ميسالاس وجارار، ١٩٨٣).

وفي مصر نشأ التعليم التجاري بعد انتشار التعليم العام للبنات ومناداة بعض المصلحين المصريين بضرورة تعليم الفتاة وتدريبها مهنيا وخاصة بعد أن أبدت المرأة رغبتها فى المساهمة مع الرجل فى أعمال البنوك والشركات التجارية المصرية واضطرت وزارة المعارف إلى إنشاء مدرسة تجارية متوسطة عام ١٩٤٦ تزود الفتاة المصرية بالعلوم الفنية التجارية وإعدادها للاشتغال بالوظائف الحكومية واستمرت الزيادة فى أعداد المدارس التجارية حتى بلغت عام ١٩٥٢ عشرون مدرسة منها أربع مدارس للبنات (فريد، ١٩٦٦).

وقضية أخرى تتصل بإتاحة الفرصة للمرأة أن تدخل التخصصات الفنية بما فى ذلك الزراعي والصناعي. فهل الحكومات المعنية راغبة فى تقديم حوافز إضافية للطالبات مثل معايير القبول، والمنح الدراسية وغيرها حتى يمكن اجتذابهم إلى المجال؟ وهل هذه الحكومات راغبة في سن التشريعات التي تخول للمرأة الحق في تولي وظائف غير تقليدية في القطاع المنتج من الاقتصاد؟

وفي هذا الصدد عقد مؤتمر ما قبل نيروبى عن "المرأة والتنمية الاقتصادية فى العالم العربي" في قبرص عام ١٩٨٥ وأوصى من بين ما أوصى أنه ينبغى على الحكومات العربية أن:

١ - تنص فى دساتيرها على المساواة بين العمال من كلا الجنسين وتدخل اجراءات ملزمة بذلك.

٢ - تصادق على الاتفاقيات العربية الدولية فيما يخص المرأة العربية العاملة.

٣ - تنشيط الحملات التعليمية لتبصير المرأة بحقوقها وتشجيعها على الانضمام إلى النقابات (أبونصر ولورننج، ١٩٨٨ ص٢٩٣).

ظاهرة تسرب الطلاب:

في دراسة أجريت على الطلاب المعاهد الفنية وجد أنه لا يتوفر لديهم بصفة عامة الوعي الكافي عن مدى أهمية دراستهم ومدى نفعها لهم كما أنهم يطالبون بأن تكون مدة الدراسة ثلاث أو أربع سنوات، مما يبين عدم رضا هؤلاء الطلاب عن دراستهم مما ترتب عليه ظاهرة التسرب الكبير وانقطاعهم عن الدراسة لمحاولة إعادة تأدية امتحان الشهادة الثانوية العامة للحصول على مجموع يمكنهم من الالتحاق بالجامعة (هيكل، ١٩٨٦).

المناهج وطرق التدريس:

أظهرت نتائج دراسة محمد إبراهيم (١٩٨٤) أن المناهج وطرق التدريس بالمعاهد الفنية التجارية أحد أسباب عدم الاستفادة من الدراسة بها، فلقد اتضح أنه بالرغم من الجهود المبذولة في تطوير البرامج إلا أنها مازالت تتصف بالجمود وعدم التنوع، فهي لا تتفق مع قدرات الطالب ولا تتمشى مع التغيرات الاقتصادية الحادثة في المجتمع مثل سياسة الانفتاح الاقتصادي.

مشكلات إدارية:

أظهرت دراسة محمد إبراهيم (١٩٨٥) أن الأسلوب الذي تدار به هذه المعاهد يتسم بالمركزية الأمر الذي لا يحقق لها الاستقلال المادي والإداري والعلمى ويشكو كثير من المدرسين والأطباء المنتدبين لهذه المعاهد من عدم تسلم أية مكافاة إلا بعد مضي مدة طويلة، كما أن كثير من المعدات إما في المخازن أو في افنية المعاهد مما يعرضها للتلف أو الحريق.

ولعل الأسباب التي تقف وراء هذه المشكلات هي:

أ - عدم وجود فلسفة واضحة توجه التعليم التجاري: ولعل أوضح الأمثلة على ذلك هو استمرار الدولة في التوسع في مدارس الثانوي التجاري بلا تخطيط أو تعرف حقيقي لمدى حاجة المجتمع إلى كل هؤلاء الخريجين، وهذا ما يؤكده الهادي عفيفي وآخرون (١٩٦٥) أن التعليم الفني في الدول العربية لا يستند إلى فلسفة تربوية واضحة وانه يعد بمثابة قناة تعليمية بديلة عن الثانوي العام لاستيعاب الطلاب الذين لم يلتحقوا به.

ويؤكد عزت الشيخ (١٩٨٤) أنه نتيجة للتوسع في قبول أعداد هائلة بالتعليم التجاري الجامعي ودون الجامعي تدنى مستوى الخريج وعجزت سوق العمل عن استيعاب أعداد كبيرة منهم.

ب - المدرسة الفنية لا تستطيع إكساب الطلاب كل المهارات اللازمة لسوق العمل. ويؤكد هيكل (١٩٨٦) أن التعليم الفني يمكن أن يحدث بصورة أفضل في العمل نفسه وليس داخل المدرسة الفنية.

المدارس الفنية الصناعية:

يقع على نظام التعليم بصفة عامة والتعليم الصناعي بشكل خاص المسئولية الكبرى في إعداد الموارد البشرية اللازمة للصناعة بالكم والكيف المطلوبين، ومن هنا تبرز العلاقة الوثيقة بين كل من التعليم بشكل عام والتعليم الصناعي بشكل خاص) من جانب والتنمية بشكل عام والاقتصادية بشكل خاص من جانب آخر. وقد تناولت العديد من الأراء أهمية تلك العلاقة فيقول تيودرشولتز: أن أهمية النظام التعليمي ترجع إلى أنه يقوم بتوفير احتياجات الدولة وخاصة في الدول النامية من القوى العاملة المدربة على المستوى عال (شولتز، ١٩٦٣).

ويذهب إلى نفس المعنى أرثر لويس مشيرا إلى أن خريجي المدارس الثانوية الصناعية هم عماد النظام الاقتصادي وأي نقص في هؤلاء الخريجين يشكل معوقا خطيرا لعملية التنمية، فمن هؤلاء الخريجين يأتي العمال المهرة

والفنيون والمساعدون الزراعيون وغيرهم من الفئات (اليونسكو، ١٩٦٨).

وجاء فى وثيقة العمل الرئيسية للمؤتمر الأقليمي الثالث لوزراء التربية والتخطيط العرب "أننا يجب أن نعترف اعترافا واضحا بضرورة اعتبار التنمية الاقتصادية وإنتاج القوى العاملة للتنمية الاقتصادية مبدأين من المبادىء الأساسية التي ينبغي أن توجه التربية نحوها وان نقر بالحاجة إلى انماء التربية وفقا للمتطلبات الاقتصادية (اليونسكو ١٩٦٨).

نظام القبول بالتعليم الصناعي:

يقصد بنظام القبول مجموعة القواعد التي وردت في القوانين والقرارات الوزارية الخاصة بالتعليم الصناعي. وهناك سياستان:

احداهما: سياسة الباب المفتوح، والتي تترك فيها الحرية للطالب أن يختار نوع التعليم الذي يرغبه.

الثانية: سياسة تقوم على التخطيط الفعلي وتراعي رغبات الطلاب في إطار الخطة الموضوعة لتوزيع الطلاب.

وتعتبر السياسة الأولى للقبول اكثر قبولا في كثير من الدول إذ أنها تستند إلى مبادىء إنسانية كحق الفرد فى التعليم وديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص بين الطلاب.

إلا أن اختيار الطلاب لنوع من التعليم ليس قرارا يتم اتخاذه لحظة التقديم ولكنه اختيار له أبعاد سيكلوجية وثقافية تتمثل فيما يرتبط به هذا النوع من التعليم من أبعاد اقتصادية ودلالات اجتماعية تعكسها درجة الوعي التي تتوفر للطالب وأسرته. وهذا يستلزم عمليات توجيه تستخدم فيها أدوات علمية دقيقة تساعد على الكشف عن قدرات الطالب وميوله حتى يمكنه ارتياد تعليم يحقق التنمية له ولمجتمعه. فإذا أسيء توجيه الطلاب إلى الوجهة التي تتلاءم وإمكانياتهم لمهام معنية فإنها تصبح مهما بلغ عددها عبئا على المجتمع ومعوقا لأي تنمية يراد إحداثها لتحقيق التقدم.

ويعرف التوجيه بأن "مجموع الخدمات التي تهدف إلى مساعدة الفرد

على أن يفهم نفسه ويفهم مشكلاته أيا كان نوعها مشكلات مهنية أو اجتماعية أو اقتصادية أو نفسية، وأن يستغل إمكاناته الذاتية من خبرات ومهارات واستعدادات وميول وأن يفهم بيئته الاجتماعية التى يعيش فيها وأن يستعمل إمكاناتها فيحدد أهدافا تتفق مع قدراته وامكانات هذه البيئة وبذلك يصبح أكثر إنتاجا ويتمكن من حل مشاكله بما يؤدي إلى قدرته على التكيف مع نفسه ومجتمعه (جلال، ١٩٧٥).

التعليم الفني والتوظيف :

يمكن أن نقول أن الطلاب بشكل عام لايرغبون في تولي وظائف تتطلب استعمال أيديهم. ماذا نقول الأبحاث حول هذا الموضوع؟

في دراسة أجريبت على الشباب السعودى ما بين ١٤ - ١٩ سنة يمثلون مجموعات جغرافية وقبلية مختلفة، أكدوا أن العمل اليدوي ليس وظيفة مرغوبة (الجوفرى ١٩٨٠). وفيما يتصل بالدافعية للعمل أوضحت الدراسة أن الشباب السعودي لديهم حافز أداء منخفض. وقد كانت القناعة أفضل من النجاح فى الوظيفة لدى ٦٨.٢ من المستجيبين. ومما يثير التشويق، أن غالبية طلاب التعليم الفني أشاروا إلى أنهم لا يتوقعون الحصول على وظائف تتصل بنوعية التدريب الذي تلقوه في المدارس الفنية.

وثمة سؤال يثار هنا هل التعليم الرسمي يحدث فرقا في تكوين اتجاهات معينة نحو العمل؟ يبدو أن الطلاب الذين يدرسون منهجاً أكاديميا لديهم اتجاهات نحو العمل أفضل من طلاب التعليم الفني والطلاب الأميين.

فالتعليم يجعل الأفراد يبحثون عن الحوافز الاقتصادية في مقابل الحوافز المتصلة بالمكانة والاعتبار. التعليم ككل كان له بعض الأثر على الاتجاه نحو العمل كما كان للمكانة الاجتماعية والاقتصادية فالأفراد لا يستطيعون مع هذا أن يتنبوا افكارا تتناقض مع التقاليد تلك التي تعززها وسائل الإعلام والتي تؤكد على الاتجاهات والسلوك الاستهلاكي أكثر من الاتجاهات والسلوك الإنتاجي بين الشباب السعودي (الجوفري ١٩٨٠). فهي تؤكد على

استهلاك السلع أكثر من إنتاجها ويتحتم على برامج التنمية أن تنجح فى تغيير معتقدات واتجاهات أساسية نحو العمل إذ أن هناك أثر بالغ الشدة للثقافة العربية القبلية التقليدية على هذه الاتجاهات. وجدير بالذكر أن تلك الاتجاهات المتحيزة ليست متمشية مع قيم العمل الإسلامية فالإسلام يحترم العمل ويؤكد على المبادرة الفردية في اكتساب المهارات الجديدة وعمل الإنسان بيده.

وفي مصر، وهي لست غنية برأس المال، يجتذب التعليم الفني الطلاب من الفئات منخفضه الدخل، فكلما ارتفعت مهنة الوالدين من حيث المكانة الاجتماعية والمستوى الأعلى من التعليم والدخل،زادت الفرص المتاحة لأطفالهم في الحصول على تعليم اكاديمى أكثر من الفني. وفيما يتصل بالتحصيل الأكاديمي، فإن أبناء الطبقة الأعلى يتفوقون على أبناء الطبقات الدنيا (الشيخابي، ١٩٨٣).

إن التوظف في المجال الذى تلقي فيه الفرد دراسته لا يضمن الرضا عن العمل. ففي الأردن، على سبيل المثال، لا يعتبر العمال الذين تخرجوا من المدارس التجارية والصناعية تدريبهم الفني وثيق الصلة برضاهم عن عملهم. كما اعتبر جنس الخريج ونوع الوظيفة التي يشغلها بعيد الصلة. وتوصلت الدراسة إلى أن العوامل المتصلة بالأداء الفعلي للعمل تعتبر مؤشرات أفضل للمستويات العامة للرضا عن العمل من العوامل المتصلة بظروف التوظف وسمات الأفراد (كوكالي، ١٩٨٤).

التعليم الفني في مقابل التعليم الأكاديمي:

يبدو أن الضغط المجتمعي على الحكومة كان قويا بدرجة كافية لأن تفرض على المدرسة الثانوية العام أن تركز على البرامج الأكاديمية ولكن نظراً لمكانة التعليم الفني المتدنية اجتماعيا أقبل الجميع على التعليم العام دون استعداد حقيقي لدى بعضهم، فتكررت مرات الرسوب لدى عدد كثير من الطلاب مما أدى إلى استحداث نظام تغيير مسار بعض طلاب تعليم الثانوي العام إلى التعليم الثانوي الفني لاستيعاب بعض الفقد الكمي في الثانوي العام. وهذا النظام له بعض الإيجابيات وبعض السلبيات.

أولاً: الايجابيات:

١ - أوجد نظام تغيير المسار قناة أمام الطلاب الذين اكتشفوا عدم قدرتهم على مواصلة دراسة الثانوي العام أو عدم ميلهم إليه، بعد التحاقهم متأثرين بمتغيرات معينة مثل رغبة الأسرة أو الرغبة في الالتحاق بالجامعة.

٢ - ساهم هذا النظام في تحويل الطالب الراسب في الثانوي العام إلى طالب مؤهل للالتحاق بسوق العمل بحيث يصبح منتجا يمكن أن يشق طريقه وينفع مجتمعه.

٣ - يمكن أن يخفف هذا النظام الضغط المتزايد على الثانوي العام.

٤ - يمكن أن يسهم هذا النظام في تغيير نظرة طالب التعليم العام للتعليم الفني.

ثانياً: السلبيات:

١ - تقتصر مرونة هذا النظام على إمكانية الانتقال في اتجاه واحد من الثانوي العام إلى الفني.

٢ - قبول الطلاب الراسبين في الثانوية العامة بنظام تغيير المسار قد يرسخ النظرة المتدينة للتعليم الفني.

٣ - عدم إدراك أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه التوجيه التربوي في مساعدة الطلاب في اختيار نوع التعليم المناسب حيث يلتحق الطلاب بأحد نوعي المسار بدون توجيه (خطاب، ١٩٩٦).

وتشير الدراسات إلى أن المناهج الاكاديمية التي تقدم بالتعليم الثانوي العام لا توفر القوى البشرية الازمة للتنمية الصناعية. ففي العراق على سبيل المثال، حيث ترتفع الحاجة إلى العمالة الصناعية نسبيا، لاتزال المدارس الابتدائية والثانوية تؤكد على المواد الأكاديمية. لقد بات واضحا أنه إذا لم يتغير المحتوى وطريقة التدريس في هذا المستوى بحيث تقدم كماً أكبر من التعليم الصناعي، فإن النقص في القوى البشرية الماهرة سوف يستمر

(السباعى، ١٩٧٩، ص٢٤٧٩).

وتثير نتائج الدراسات الشكوك حول فعالية برامج التلعيم الفني الحالية في مقابلة الاحتياجات من العمالة الماهرة في المجالات التكنولوجية الصناعية (الجنابى ١٩٨١).

إعداد معلم التعليم الفني:

تتكون بنية برامج إعداد معلم التعليم الفني من محاور ثلاثة اساسية هي:

١ - الجانب الثقافي والعلمي.

٢ - الجانب النظري (الفني).

٣ - الجانب العملي.

فيحتاج مثلا، معلم التعليم الصناعي إلى ثلاث فئات من المعلمين تقوم كل فئة بتدريس جانب من جوانب المنهج وهذه الفئات هي:

١ - معلم المواد الثقافية والعلمية:

وهو المعلم الذي يقوم بتدريس المواد الثقافية العامة والمواد العلمية البحتة وهو يتشابه مع زميله معلم هذه المواد في المدرسة الاعدادية والثانوية العامة في نوع التعليم الذى حصل عليه فهو أما خريج كليات العلوم أو الآداب أو التربية ونظرا لانتشار كليات التربية فلا توجد مشكلة في توفير معلم المواد الثقافية والعلمية.

٢ - معلم المواد النظرية (الفنية)

وهو المعلم الذي يقوم بتدريس الجانب النظري الفني للمهن أو الصناعات التى يعد تلاميذه فيها، أي أنه يقوم بتدريس المعارف والأسس النظرية التكنولوجية في التخصص الذي يعد طلابه فيه، ويلاحظ أن هذه الفئة من معلمي التعليم الصناعي تضم خليطا كبيرا من المستويات التعليمية فبعضهم من خريجي كليات الهندسة والمعاهد العليا الصناعية وبعضهم من الحاصلين على مؤهلات متوسطة وقليل منهم حاصلون على مؤهلات تربوية، ويرجع ذلك

إلى عدم وجود مصادر ثابتة لإعداد مثل هذه الفئة، كما يرجع أيضا لعدم تجديد مستويات كفاية معينة لمن يقوم بتدريس المواد النظرية الفنية بالتعليم الصناعي.

٣ - معلم المواد العملية (معلم الورشة)

هو المعلم الذي يقوم بتدريس الجانب العملي للمهن أو الصناعات التي يعد تلاميذه فيها ويلاحظ أن غالبية هذه الفئة من المعلمين يتخرجون من المدارس الثانوية الصناعية ثم يعودون للتدريس فيها وطبيعي أن مهاراتهم المهنية ومستواهم العلمى لا يزيد عن مستوى التلاميذ الذين يقومون بالتدريس لهم (صالح، الصدفي ١٩٧٩).

وقد بدات بعض الدول كمصر فى إعداد هؤلاء المعلمين في مدارس نظام الخمس سنوات بعد المرحلة الاعدادية وقد أنشأت مصر بالتعاون مع هيئة اليونسكو مدرسة القاهرة الفنية بالقبة لإعداد المعلمين في تخصصات الميكانيكا والكهرباء والالكترونيات والسيارات وتخرجت الدفعة الأولى عام ٧٨-٧٩ وأنشىء بالتعاون مع المملكة المتحدة مدرسة الزاوية الحمراء لإعداد المعلمين الصناعيين في تخصصات الزخرفة والنسيج اعتبارا من عام ٧٩-٨٠ (نظم الخمس سنوات بعد الاعدادية).

وفي الأردن يعد معلمو التعليم الفني في كليات المجتمع بعد المرحلة الثانوية العامة أو الصناعية لمدة عامين في برنامج يجمع بين المواد التكنولوجية والتربوية وقد أنشئت دار المعلمين العليا للتعليم التقني في تونس عام ٧٣ ويقبل فيها الطلاب من حملة الثانوية شعبة العلوم أو العلوم التقنية ومدة الدراسة بها أربعة سنوات يمنح المتخرج في نهايتها شهادة دار المعلمين العليا للتعليم التقن وتؤهله للقيام بمهنة التدريس في المعاهد الفنية تضم تخصصات الصنع الآلي والتركيب الآلى والصنع الكهربائي والهندسة المدنية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٤).

وفي الجزائر تشير التقارير إلى أن مسئولية التعليم الفني والمهني

يتولاها عدة أنماط من المعلمين وهو يعدون في معاهد إعداد المعلمين بالجامعة وهناك مدرسة عليا لمعلمي التعليم متعدد التقنيات أما معلمو العلوم التطبيقية في الثانوية التقنية فقد تم إعدادها في المدرسة الوطنية للتعليم التقني (المرجع السابق).

من الملاحظ أن برنامج إعداد معلم التعليم الفني لا يؤهله للقيام بالمهمة المنوطة به فمعظم معلمي التعليم الصناعي مثلا القائمين على استخدام الآلات يعجزون عن فهم التعليمات التى يتضمنها دليل تشغيل الآلات (غالبا ما تكون باللغة الأجنبية) مما يؤدي إلى انخفاض مستويات الطلاب في المدارس الفنية وإلى تسيد الاتجاه الحالى بين الطلاب العرب ووالديهم فهذه المدارس لا تستطيع أن تزودهم بالخبرة في استخدام التكنولوجيا الحديثة.

وتشير دراسة أجريت في الصومال إلى أن العالم العربي بأسره يحتاج إلى ربط تدريب العمال المهرة بالطلب على العمل وتحسين نوعية التدريس على المهارات التي يتلقاها الطلاب وعمل خطة موحدة للتطوير المستمر لهذا النوع من التعليم (IEE, 1984).

وكان لهذه الطريقة التي تعمق الفصل بين الجوانب النظرية والعملية أثرها فى عدم تكامل الخبرة لدى الطالب والنظر إلى معلم الجوانب العملية دائما نظرة دونية كما يلاحظ ايضا أن الأنماط الحالية لإعداد معلم التعليم الفنى تغفل أهمية الخبرة الميدانية التي تستلزم أن يكون معلم ذلك النوع من التعليم قد مارس الإنتاج في مواقعه واكتسب الخبرة بالممارسة الحية وعاش مشكلات سوق العمل إذ يقتصر الأمر على تمارين تؤدى في ورش المدارس الفنية وتدريب قصير يتسم بالشكلية.

تمويل التعليم الفني :

تختلف مخصصات التعليم من دولة إلى أخرى حسب الإمكانات المادية المتاحة، فتتراوح ميزانية التعليم بالنسبة للموازنة العامة للدولة فى مختلف دول العالم في عام ١٩٧٥ بين ١٦.١٪ ، ١٥.٦٪ في الدول المتقدمة وبين ١٣.٨،

١.١٥٪ في الدول النامية، كما تبلغ النسبة للدخل القومي في نفس الفترة في الدول المتقدمة ٥.٧ بينما تتراوح في الدول النامية بين ٣.٤٪ ، ٣.٩٪ وهذا يقل عما أوصى به مؤتمر وزراء التربية في إفريقيا الذي عقد في أديس أبابا عام ١٩٦٢ والذي أوصى أن تكون نسبة ميزانية التعليم للدخل القومي ٥٪ عام ١٨٧٠، ٦٪ عام ١٩٨٠ (البنك الدولى، ١٩٨٠).

وبالنسبة للتعليم الفني فموارده تنعكس على ملامح واقعة المتردي في البلدان العربية، فالموارد قاصرة عن الوفاء باحتياجاته المتنوعة وهذا يمثل أحد العقبات الرئيسية التي تعوق تنمية هذا التعليم وتطويره ويرجع ذلك إما لظروف الاقتصادية للدولة التي قد تعاني من نقص الموارد العامة، وإما لزيادة الطلب على التعليم العام فتوجه إليه الموارد أكثر من التعليم الفني ناهيك عن ارتفاع تكلفة التعليم الفني الذي يحتاج إلى المعدات والتدريب إذا ما قورن ذلك بتكلفة التعليم العام.

وفي دراسة أجريت لليونسكو يلاحظ أن معظم الدول تعتمد فى تمويل التعليم الفني على الموارد الحكومية، ففي الجزائر نجد أن ٩٠٪ من موارد تمويل التعليم الفني تعتمد على الميزنية العامة للدولة، وما يخصص منها للتعليم، ولا يختلف الأمر كثيراً في باقي الدول العربية حيث يعتبر التعليم الفني مجانا تتحمل الدولة كل أعباء الإنفاق عليه، وباستثناء بعض النفقات اليسيرة التي يدفعها الطلاب في بعض الدول.

ولعل المثير للغرابة هو أن الهيئات الاقتصادية التي يعمل بها خريجوا هذا النوع من التعليم لا تسهم في تمويله، ولا تتابع مستوى التدريب الذي يتلقاه الطلاب مما يأثر بشكل مباشر على مستوى أداء هؤلاء الخريجون عند تولي أعمالهم بهذه القطاعات.

ونظراً لتوزيع المدارس القليلة العدد على مساحات كبيرة فيحتاج الطلاب إلى الاقامة والإعاشة داخليا مما يزيد تكلفة الطالب إذا قورن ذلك بالتعليم العام وتختلف تكلفة التعليم الصناعي عن التجاري إذ تزيد تكلفة الأول عن

ضعف الثاني، وأما التعليم الزراعي فيحتاج إلى تكلفة أكبر لما يتطلبه من حقول ومعدات وميكنة زراعية.

جدول (٢)

يبين تكلفة الطالب في التعليم الفني في مقابل العام في بعض الدول العربية

نوع التعليم / الدولة	التعليم العام	التعليم الفنى صناعي	تجاري	زراعي	السنة الدراسية
البحرين (دينار)	٤٢٦	٨٢٧	٣٤٢	-	٨١/٨٠
سوريا (ليرة)	٨٦٧	٣٧٩٨	١٥٢١	-	٨٢/٨١
العراق (دينار)	١٩٠	٤١١	١٧٠	٦٧٩	٨٢
السودان (جنيه)	٢٧٣		٤٧٥	-	٨١/٨٠

(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٦)

(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٦)

وفي مصر يمول التعليم من الدخل القومي بصفة أساسية حيث توزع الدولة ميزانياتها على الوزارات المختلفة ومن بينها وزارة التعليم. أما مصادر التمويل فهي المصروفات الدراسية والأموال التي يمكن تدبيرها عن طريق الجهود الذاتية أو اتفاقيات دولية غير مشروطة ويبين الجدول (٣) ميزانية وزارة التعليم ما يخص التعليم الصناعي منها بمليون جنيه مصري وتكلفة التلميذ بالتعليم الصناعي.

جدول رقم (٣)

السنة	ميزانية التعليم بالمليون جنيه	مايخص التعليم الصناعى	نسبة ما يخص التعليم الصناعى الى الميزانية	عدد تلاميذ التعليم الصناعى	تكلفة التلميذ بالجنيه
١٩٧١/٧٠	١٠٧,٢	٥,٧٠٢	٪٥,٢٢	٨٢٤٣٥	٦٩.١
٧٣/٧٢	١٤٥,٣	٩,٥٢٠	٪٦,٥٥	٨٦٨١٨	١٠٩.٦٥
٧٥/٧٤	١٧٥,٩	١١,٢٣٧	٪٦,٣٨	٩٥٨١١	١١٧,٢٨
٧٧/٧٦	٢٢٨,٤	١٦,٦٨٣	٪٧,٣	١١٨٣٠٨	١٤١
٧٩/٧٨	٢٨٣,٣	٢١,٥٩٧	٪٧,٦	١٣٠٩٩١	١٦٤,٨٧

(التربية ولتعليم ، ١٩٧٩).

يتضح من الجدول السابق أن نسبة ما خصص للتعليم الصناعي بميزانية وزارة التعليم في مصر ارتفعت من ٣٢. ٥٪ فى ١٩٧١ إلى ٦. ٧٪ عام ١٩٧٩ كما يلاحظ أن تكلفة التلميذ ارتفعت من ١. ٦٩ جنيه مصري إلى ٨٧. ١٦٤ جنيه عام ٧٩ بزيادة قدرها ١٣٨٪ وبالرغم من هذه الزيادة فإن تكلفة التلميذ بالتعليم الصناعي مازالت ضئيلة حيث تبلغ في العراق ٤٠٠ دولار ولبنان ٣٢٥ دولار.

وهناك دعم كبير من الهيئات الدولية للتعليم الصناعي كهيئة اليونسكو والبنك الدولي فقام البنك الدولي بتمويل تحويل ثلاث مدارس صناعية نظام الثلاث سنوات إلى مدارس ذات الخمس السنوات وإنشاء خمس مدارس جديدة (المجالس القومية، ١٩٨٠).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بحث التكلفة والعائد مايزال يتم من قبل الاقتصاديين بمعزل عن رجال التعليم وهى قرارات يمثل الجانب الاقتصادي فيها درجة كبيرة من الأهمية.

وتحاول بعض الدول أن تبحث عن مصادر التمويل هذا النوع من التعليم فمثلا قامت اندونيسيا بتجربة تشير اليونسكو إلى نجاحها وهي توفير مركز يخدم عدة مدارس تجمع فيه الآلات وأجهزة التدريس بما يوفر شرائها بشكل متكرر للمدارس المختلفة (اليونسكو، ١٩٨٤).

توصيات البحث

بناء على نتائج هذه الدراسة والدراسات الأخرى التي تناولت التعليم الفني في الدول العربية، توصي الدراسة الحالية بما يلي:

١ - ضرورة إيجاد فلسفة تربوية أصلية واضحة المعالم توجه العمل في مجال التعليم الفني في الدول العربية، على أن تشتق هذه الفلسفة من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وتكون هذه الفلسفة بمثابة ومضات هادية للمسئولين عن هذا النوع من التعليم حتى يؤدي دوره في خدمة المجتمع.

٢ - ضرورة إزالة هذا الفصام النكد بين التعليم الثانوى الأم والتعليم الفني والذي يضع الأخير في مرتبة متدينة لا تليق بالإسهام البناء الذي يمكن أن يقدمه ذلك النوع من التعليم لصالح التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ويؤكد سعيد إسماعيل على (١٩٨٤) أنه لكي يصوب مسار التعليم الفني فإنه من الخطأ الاستمرار فى تلك الثنائية البغيضة التى تقسم التعليم إلي ثانوي عام اكاديمي يحظى به في أغلب الأحوال أبناء البرجوازية المصرية مع ترك هامش صغير لأبناء الفقراء وثانوي فني جمهرته الغالبة من أبناء غير القادرين اقتصاديا واجتماعيا.

وتصويب ذلك يكون بالالتحام بين أساسيات التعليم الفني والعام فالمهنيون يحتاجون إلى مثقفين نظريا كما أن التعليم النظري في حاجة إلى مثقفين مهنيا.

٣ - ضرورة تطوير مناهج التعليم الفني وطرائق تدريسه بما يتمشى مع التطورات المتسارعة في عالم اليوم فمن غير المقبول أن يكون التطوير بالحذف والإضافة في عصر التفجر المعرفى وشبكات الكومبيوتر ومن امثلة ذلك الإفادة من منجزات التكنولوجيا في تدريس العلوم التجارية مثل الحاسب الآلي ومعامل اللغات الأجنبية وفى التعليم الصناعي يمكن الإفادة من التدريس المصغر في تدريب الفنيين وفي التعليم الزراعي يمكن الإفادة من منجزات الهندسة الوراثية والتهجين في تحسين

السلالات النباتية والحيوانية.

٤ – ضرورة إعادة النظر في صيغة التعليم بالمعاهد الفنية نظام السنتين بعد الثانوية العامة بما يضمن تحقيق الأهداف المرجوة منها وذلك بالابقاء على المعاهد التى لها مبان مستقلة وتزويدها بالأجهزة والإمكانات ويفضل أن يكون المتقدمون لها من حملة دبلوم المدرسة الثانوية التجارية فهم أفضل من خريجي الثانوية العامة ذوي المجاميع المنخفضة والذين يقيدون بهذه المعاهد حتى يحصلوا على ثانوية عامة جديدة بمجموع يمكنهم من دخول الجامعة.

٥ – يجب أن تتاح للطلاب فرصة اختيار التعليم الفني بكامل حريتهم بوصفه وسيلة لتنمية مواهب الفرد واهتماماته.

٦ – إتاحة الفرصة لخريجي التعليم الفني أن يلتحقوا بكافة أنواع التعليم الأخرى وذلك يتم عن طريق تضمين برامج اعداده عناصر التعليم العام.

٧ – أن يتاح للمعوقين الالتحاق بالتعليم الفني بشكل يتلاءم مع احتياجاتهم.

٨ – ينبغى تجنب التخصصات الضيقة قبل التوقيت المناسب، فلا يشرع في التخصص قبل سن الخامسة عشرة وضرورة قضاء فترة في دراسات مشتركة بين التخصصات المختلفة لاستيعاب المعارف والمهارات الأساسية.

٩ – ضرورة إيجاد علاقة دينامكية بين التعليم والعمل، فقد غاب العمل عن تعليمنا زمنا طويلا، وغاب التعليم عن موقع العمل مما أدى إلى انصراف الجهود للحفظ والتلقين وفقد ما تعلمه الطلاب الصلة بالواقع، لقد آن الوقت أن نعيد التآخي بين التعليم والعمل والحياة.

١٠ – إدخال الإعداد التقني في التعليم العام لكسر الحدة النظرية التي تتسم بها مناهجه وتدريب الطلاب تدريبا تكنولوجيا يساعدهم على حسن التعامل مع منجزات الحضارة الحديثة.

١١ – ضرورة قيام الهيئات الاقتصادية بكل أنماطها بمسئولية إتاحة الفرصة

لمواصلة الدراسة للعاملين بها على النحو الذي ينشيد علاقة حميمة بين التعليم والعمل على أن يمنح العامل إجازة مدفوعة الأجر للتفرغ للدراسة.

١٢ – إعادة النظر في المعالجات المجزوءة المنفردة لكل مشكلة من مشكلات التعليم الفني فالعقبات في طريق تطوير هذا التعليم ترتبط بجملة متغيرات اجتماعية واقتصادية ونظام القيم الذي يسود كل مجتمع، الأمر الذى يقتضى أن تؤخذ جميع هذه المتغيرات في الإعتبار عند التطوير.

١٣ – إنشاء جهاز علمي متخصص في التعليم الفني يتناول مشكلاته بالبحث والدراسة مستندا إلى قاعدة بيانات تفصيلية حديثة تتابع ما طرأ من تغيرات وما ظهر من احتياجات بشكل يتيح تقديم المشورة لصانع القرار.

المراجع

أولا المراجع العربية :

- خطاب، محمد محمود، تغيير مسار بعض طلاب التعليم الثانوي العام إلى التعليم الثانوي الفني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة الأزهر، ١٩٩٦.
- عبدالله، إسماعيل صبري، مبادئ أساسية في تخطيط التعليم، مجلة الطليعة القاهرة، مؤسسة الاهرام، فبراير ١٩٧١، ص٨٣.
- فكري، أحمد يونس، دراسة بعض المشكلات التعليم الثانوي الصناعي وأثرها على خطط التنمية القومية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة الازهر ١٩٨٢.
- عبدالمعطي، يوسف، التعليم الفني بين الأسر والانطلاق، عالم الفكر، المجلد التاسع عشر العدد الثاني ١٩٨٨.
- اليونسكو، التطورات في التعليم التقني والمهني. باريس ١٩٨٥، ص١٠٧-١١٠.
- الاتحاد العربي للتعليم الفني، الندوة العربية حول إقبال الطلبة على التعليم التقني والمهني في الوطن العربي (الواقع والآفاق) تونس ١٩٨٤.
- فريد، زينب محمد، تطور تعليم البنت في مصر من الاحتلال البريطانى في ١٨٨٢ حتى الآن، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، ١٩٦٦، ص٦٤٤.
- هيكل، سالم حسن علي، أثر التغيرات الاقتصادية والادارية على تطور نظم التعليم التجاري دون الجامعى في مصر، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية جامعة الأزهر، ١٩٨٦.
- إبراهيم، محمد محمد، مشاكل تأهيل العمالة التجارية المساعدة للتكامل مع خريجي كلية التجارة، دراسة مقدمة إلى مؤتمر تطوير التعليم التجاري لخدمة المجتمع، المجلس الأعلى للجامعات، القاهرة، ٧ - ٩ ابريل ١٩٨٤.

- عزت الشيخ: كلمة القاها في مؤتمر تطوير التعليم التجاري لخدمة المجتمع، ١٩٨٤.

- اليونسكو، الاتجاهات السائدة في التعليم العام والمهني في الدول العربية، المؤتمر الأقليمي الثاني لوزراء التربية والوزراء المسئولين عن التخطيط في الدول العربية المنعقد في مراكش في ١٩٧٠/١/٢٠. وثيقة العمل الرئيسية للمؤتمر، اليونسكو، ١٩٧٠.

- جلال، سعد، التوجيه النفسي والتربوي والمهني، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٥، ص١١٠ - ١١١.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إعداد معلم التعليم الفني والمهني في الوطن العربي، تونس ١٩٨٤، ص٢١.

- صالح، نازلي، الصدفي، ممدوح وآخرون: دراسة تحليلية لنظم وإطارات إعداد معلم المرحلة الثانية ج.م.ع - دراسة مقدمة لبحث إعداد معلم المرحلة الثانية الذي قامت به كلية التربية جامعة عين شمس (على الاستنسل، القاهرة - ديسمبر ١٩٧٩ ص٣٨١: ٣٨٣.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، التعليم المهنى فى الوطن العربى، تونس ١٩٨٦ ص٤٥.

- وزارة التربية والتعليم: الإحصاء الاستقرائي لعام ١٩٧٩/٧٨ لمرحلة التعليم الثانوي الفني عام ١٩٧٩/٧٨ مدارس وأقسام ملحقة، وفصول وتلاميذ حسب الحالة في ١٥ نوفمبر ١٩٧٨ (القاهرة ١٩٧٩).

- المجالس القومية المتخصصة - التعليم الفني ودوره في إعداد القوى العاملة، الطبعة الثانية - القاهرة - مطبعة الأمانة العامة للمجلس، ١٩٨٠.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- Technical and Vocational Education in the World 1970 - 1980 A Statistical Report UNESCO, 1983.

- Massialas, Byren G.Y Jarrar, Samir A., Arab Education in Transition, Garland Publishing Inc. New York & London. 1993.

- Abu Nasr, Julinda, and Iriri Lorfing, Coordinators, Women and Economic Development in the Arab World: Regional Conference. Beirut Lebanon: Institute for Women's Studies in the Arab World, BUC, 1988.

- Afifi, M. El-Hadi: Technical Education in the Changing Arab World, U.A.R. Cairo, The Anglo-Egyptian Book Shop, 1865.

- Schultz, Theodore, The Economic Value of Education, New York, Colimbia Univ. Press, 1963.

- UNESCO, Economic and Social Aspects of Education Planning, Paris, 1968.

- UNESCO, Mobile Units for Vocational Education in USSR. Paris, 1987.

- El-Shikhaby, ALy El-Sayed Mohammed, Socioeconomic Status and Students Placement in Public Secondary Schools in Egypt "Doctoral Dissertation, Unversity of Pittsburgh" Dissertation Abstracts International, 1983. P.2593.

- Kukali, Nabil Elias, A Multiple Regression Analysis of job Satisfaction from Business and Industrial Schools in Jordan, Doctoral Diss., University of Wyoming, Diss, Abs Int. 1984, P. 959.

- Sabie, Ahmed, Manpower Needs in Iraq with Implications for Industrial Education, Doctoral Diss., University of Misson, Columbia, Diss. Abs. Int. 1979. P. 2479.

- Al-Jenabi, Mohammed Nassit Jasim, Manpower Planning for Agricultural Development Doctoral Diss. University of Pittsburgh, Diss. Abst Int. 1981.

- IEES. Improving The Efficiency of Educational Systems, Somalia: Education and Human Resources Sector Assessment. Tallahassee, FL: Florida State University, 1984.

- World Bank, Education, Selection, Policypaper Washington April, 1980.

التعليم الفنى بين تحديات اليوم
وآمال الغد

ملخص الدراسة:

التعليم الفني في بلادنا العربية أسير ظروف لم تسمح له ان يكون جزءاً حياً من نسيج النظم التعليمية السائدة. وقد أفرز هذا الوضع نظرة مجتمعية متدنية لخريجيه فانصرفت عنه جموع الطلاب ليختاره أبناء الفقراء أو من سقطوا فريسة نتيجة لأداء فصول الزحام.

وقد انعكس هذا الوضع على مناهجه وطرائق تدريسه، ونظام القبول به وفرص العمل المتاحة أمام خريجيه وإعداد معلميه. وهذه الدراسة محاولة لرصد ذلك الواقع وتشخصيه وطرح حلول قد تسهم في تطويره بتقديم مجموعة من التوصيات لعل من أهمها أن يكون الالتحاق بهذا النوع من التعليم بكامل حرية التلاميذ بوصفه وسيلة لتنمية مواهب الفرد واهتماماته، وضرورة قيام الهيئات الاقتصادية بمسئولية توفير فرص الدراسة للعاملين بها على النحو الذي ينشيء علاقة حميمة بين التعليم والعمل، وإنشاء جهاز علمي يتوفر على دراسة مشكلات التعليم الفني مستنداً إلى قاعدة بيانات تفصيلية بما يساعد على تقدم المشورة لصانع القرار.

Technical Education between Today's Challenges and Tomorrow's Hopes Abstract

Technical education in the Arab world is imprisoned in circumstances that did not allow it to be a living organ of the prevalent educational body. This situation gave rise to an inferior social view that made the majority of students disinclined to join it, to be selected only by the poor who fell prey to low performance rate crowded classes.

This was reflected on its curricula, methods of teaching, admission system, opportunities of employment available to its graduates and programmes of teacher training.

The present study is an attempt to assess the present status, diagnosing it and making recommendations that may help set it free. Three important recommendations were, a) Technical education should be freely selected by students being a means to develop the individual's talents and interests, b) economic institutions should take the responsibility of providing the opportunities of study for their workers in a way that establishes a close tie between education and work, and c) establishing a scientific agency to be concerned with investigating the problems of technical education based on detailed data that help provide advice to the decision-maker.

تربية أولادنا بين الواقع والواجب

ندوة

"التحديات المستقبلية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل"

المنعقدة بجامعة الإمارات العربية المتحدة

في الفترة من ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

أ.د .محمد عجاج الخطيب

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة



تربية أولادنا بين الواقع والواجب

أ.د. محمد عجاج الخطيب

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، نعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المرسل رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم باحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإن الاهتمام بالتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، ومعرفة أسبابها وسبل الوقاية منها وعلاجها أمر حتمي واجب على كل من بوسعه أن يدلي بدلوه في هذا الميدان ولعل العلماء والخبراء والباحثين هم الذين يتحملون العبء الأكبر من هذا الواجب، العظيم الأثر، الكبير الخطر، لأنهم ينيرون السبيل أمام الأمة رعاتها ورعيتها، ويسهمون في صيانتها من الأخطار المحدقة بها، بما يقدمون من نتائج جدهم واجتهادهم من أبحاث وحلول وعلاج إلى من بيدهم التنفيذ، وللجميع أجر المجتهد والعامل لأنهم شركاء في رعاية مصالح الأمة وصيانتها والحفاظ عليها.

وما أكثر التحديات التي تواجهها أمتنا، من فقر وتصحر وتلوث بيئة... وغيرها من القضايا الاجتماعية والتربوية والاقتصادية... إلى جانب التحديات المتربصة بناشئتنا أولادنا، وقد آثرت أن أتناول هذه التحديات تناولاً موضوعياً، مرتكزاً على محاور تربيتهم الأسرية، والمدرسية والاجتماعية مؤيداً بالأدلة، مجتهداً مابوسعي – في تقديم بعض الحلول، لأن أولادنا اليوم رجال الغد، عيوننا متعلقة بهم، وآمالنا معقودة عليهم، وإن بناء شخصيتهم بناء فذا، وتحصينهم بالوقاية اللازمة، وتبصيرهم بحقائق الأمور، يحفظ لنا فلذات أكبادنا، ويسهم إسهاماً كبيراً في بناء مستقبل أمتنا، فهم أملنا في النهوض من كبوتنا وبناء مجد قريب – إن شاء الله – يعيد لأمتنا دورها العظيم.

سائلاً الله العلي القدير أن أكون قد وفقت فيما اخترت وقدمت، خالصا لوجهه الكريم بيده الخير، وهو على كل شئ قدير. إنه ولي السداد والرشاد والتوفيق.

أولاً : بين يدي الموضوع:

١ - من المسلّم به عند علماء التربية والمصلحين أن التربية تتناول الفرد في وسط اجتماعي له عقيدته وعاداته وتقاليده وأعرافه، وأن ميدانها الإنسان بما فيه من فكر ووجدان وروح وجسد، وأنه لا بد من أهداف للعملية التربوية مهما يكن شأنها وزمانها ومكانها، حتى في أبسط المجتمعات، التي تسعى لأن يحصل الفرد على كسب غذاء يومه وكسائه، أو لتحقيق ذاته، لإثبات شخصية عشيرته وقبيلته في قادمات الأيام، أو السعي لتنميته في جميع مكوناته، إلى أن انتهت أهداف التربية إلى إعداد الموطن الصالح، ثم إلى إيجاد الإنسان الصالح. وهذا التفاوت في مقاصد العمليات التربوية وغاياتها مردّه إلى اختلاف الأمم والمجتمعات، وإلى التطور الدائم الذي يعتري الحياة. فيقتضي تطور العملية التربوية وتطوير وسائلها، وكل ما يحقق أهدافها.

ومع كل هذا فهناك ثوابت في الكون والطبيعة والإنسان ذاته، يجب أن تمنح العملية التربوية صفة الثبات في كثير من محاورها.

٢ - ومن المسلم به أيضاً أن للعملية التربوية أسساً متعددة، تستند إليها العملية التربوية من الناحية الفكرية، وأساساً اجتماعياً قوياً لأن العملية التربوية لا تكون إلا في وسط اجتماعي، ضاق أم اتسع، بسيطاً كان أو معقداً وللمجتمع قيمه، وأهدافه، وتقاليده. هذا إلى جانب الأساس النفسي، الذي هو محل التربية وميدانها، وترتكز عليه بقية محاور التربية والتنمية في الفرد من الناحية العقلية والبدنية والروحية، لما لمعرفة نفس من تعهده بالتربية من أثر بعيد وخطير في نجاح العملية التربوية أو إخفاقها. ولذا يجتهد المربون في بيان الحاجات النفسية للصغار، ويؤكدون على أهمية إشباعها وتحقيقها باعتدال وانتظام.

٣ – ومن المعلوم أن مختلف أنواع المؤسسات المالية والصناعية، والزراعية والتربوية تقيم أوضاعها وخططها في سبيل تحقيق غاياتها، وأن الأمم المتقدمة تقيم مؤسسات خاصة بالبحوث لتقف على أسباب تخلف مردود لمؤسساتها المختلفة، كما أنها في أحوال الهزائم أو التخلف تجند فرقاً من الخبراء والباحثين لدراسة النظم التربوية وتحليلها، ومعرفة إمكاناتها لترميم الواقع أو النهوض به، إيماناً منها بأن الإنسان بنفسه وفكره وببقية مكوناته هو المحور الذي تدور عليه عجلة الحياة، بل هو الأساس في التقدم والرقي والازدهار، حيثما كان موقعه من ميادين الفكر والعمل والتنفيذ، فإن التغيير متوقف عليه، بل على نفسه وتكوينها وحسن تأهيلها وتنميتها... مصداقاً لقول الله عز وجل : «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له، وما لهم من دونه من وال..»[١] الذي يؤكد أن بدء التغيير إنما يكون من النفوس، والنفوس هي مسرح العملية التربوية[٢].

وكذلك يبين الله عز وجل أن ما ييسره لعباده من نعم مادية أو أدبية (معنوية) على اختلاف أنواعها ومستوياتها لا يغيرها ولا يحرم منها أو من بعضها حتى يغيروا ما بأنفسهم، من أحوال.. بكفران نعم الله سبحانه، أو انتقاصها أو عدم شكرها، وحمده على إحسانه، أو الوقوع في معاصيه، وترك أوامره، فبانحرافهم عما أمر الله تعالى نتيجة دوافعهم النفسية، وتغيير سلوكهم استحقوا تغيير تلك النعم، مصداقاً لقوله عز من قائل : «ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»[٣]، ولو أدوا حق شكرها بالمحافظة عليها لزادهم رب العالمين مصداقاً لقوله «وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد»[٤].

٤ – ولا يخفى على أحد ما لحق بالأمة الإسلامية من ضعف في موازين القوى المادية نتيجة الغزو الصليبي، إذ جمد نشاطها في العطاء، واستمرار التقدم، ووجهت كل طاقات الأمة لمواجهة الزحف الصليبي، وصدّه ورده على أعقابه، يسحب ذيول الهزيمة، ثم وجهت طاقات أمتنا آنذاك لاصلاح وترميم ما أفسده ذاك الغزو الغاشم، ثم للتحرر من الاستعمار والانتداب والتبعية، غير

أن عقيدتها وقيمها لم يعتريهما على الأغلب تغيير كبير، مما هيأ لها أن تستعيد عزتها وكرامتها على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي جمع شمل الأمة شرقاً وغرباً، وحرر الديار ، وأدرك أعداء الإسلام، أنه لا سبيل لهم إلى ديار المسلمين عن طريق القوة وأدركوا أن التأثير على النفوس بالتشكيك في العقيدة حيناً، وفي الرسالة أحياناً، وبإثارة الشبه حول شريعة الإسلام التي ارتضاها الله تعالى لعباده تارة، وبإثارة الفتن، والنعرات المختلفة، والسعي إلى إيقاع الفرقة بين المسلمين تارة أخرى هو السبيل الأيسر والخفي للسيطرة عليهم وعلى بلادهم. فكثرت المؤتمرات المعادية للإسلام والمسلمين، وحيكت المؤامرات للخلاص من الخلافة الإسلامية (الرجل المريض)(٥).

وتتابعت النكسات على العالم الإسلامي، وصحت البلاد الإسلامية في مطلع القرن العشرين وخلال العقود الستة الأولى على أوضاع وحقائق مزرية إذ رزحت بعض الأقاليم الإسلامية تحت نير الاستعمار أو الانتداب، أو القهر بالقوة للتخلي عن عقائدها كما حل ببعض البلاد الإسلامية إثر الثورة

---

(١) الرعد : آية (١٢)

(٢) وتشير تتمة الآية الكريمة إلى أن هذا الأمر حتم لأمر دله ، وأن سبيل التغيير اتباع المنهج الرباني في تربية النفوس (ما لهم من دونه من وال)، فإذا عرفنا أن من معاني الولاية النصر والتأييد اتضح لكل ذي لب من هذه الآية ما للنفس من أهمية كبيرة في التغيير وما للمنهج ، الرباني في حسن تطبيع من دور عظيم .

(٣) الأنفال : الآية (٥٣) وانظر فتح القدير ج٢ ص٣١٨ .

(٤)سورة إبراهيم الآية :٨.

(٥)انظر مختصر تفسير ابن كثير ج٢ ص٦١٥ وانظر سيرة صلاح الدين لبهاء الدين بن شداد وانظر المدخل إلى دراسة الثقافة الإسلامية للاستاذ الدكتور محمد رشاد سالم طبع مكتبة الفلاح الكويت وكتاب الغارة على العالم الإسلامي لـ أ.د. شاتليه ترجمة مساعد الباقي ومحب الدين الخطيب المطبعة السلفية، وكتاب التبشير والاستعمار للاستاذ الدكتور عمر فروخ والأستاذ الدكتور مصطفى الخالدي طبع بيروت ومذكرات السلطان عبد الحميد طبع بيروت، وكتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين الجزء الأول والثاني طبع مصر. وبروتوكولات حكماء صهيون طبع بيروت . وكتاب الخليج العربي أمام التحدي العقدي للدكتور سعيد حارب ط مكتبة الأمة ، دبي ، وكتاب التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، ترجمة كاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جرين أيري بولاية كولورا دو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨ ونشرته دار (م ا رث) للنشر في نحو (٩٠٠) .

الشيوعية... وأمضت ردحاً من حياتها بمقاومة الاستعمار، وتحرير الديار، ثم أدرك رجال الفكر والصحوة الإسلامية ما أصاب الأمة في شخصيتها، وإثبات ذاتها فاجتهدوا في بيان سبل العلاج والوقاية[1].

٥ – مما سبق يتبين لنا أن ما أصاب شخصية أمتنا الإسلامية من ضعف، أو اضطراب في ولائها، وتمسك واعتزاز بهويتها إنما هو بسبب تغيير مفاهيمها وقيمها، وما لحق بها من أذى خلال فترة القهر النفسي – فترة الاستعمار...... – وما يحيط بها من مخططات ظاهره وخفية في سبيل القضاء عليها.

ومن هنا ندرك أن الواقع الذي يعيشه أولادنا تكتنفه عوامل كثيرة جداً، ومؤثرات قوية موجهة، منها ما يعود إلى فترة الركود والانحطاط التي حفت بأمتنا، ومنها ما يعود إلى المخططات الماكرة المعادية، التي تستهدف الأمة كافة، والأجيال الصاعدة على وجه الخصوص. لذا كانت العملية التربوية عملية ذات شقين الأول عملية (بناء وتنمية هذه الشخصية). والثاني عملية حماية ووقاية هذه الشخصية، وتقف تحديات كثيرة أمام هذين الشقين، سائلين المولى عز وجل أن يسدد الخطى وينير السبيل.

٦ – وتيسيراً لعرض الموضوع نتناول الركائز التربوية الأساسية :

١ – أهداف التربية الإسلامية ووسائلها.

٢ – دور الأسرة المسلمة في التربية.

٣ – دور المدرسة في التربية.

٤ – دور المجتمع في التربية.

---

(١) انظر الصحف والمجلات والكتب التي نشرت في المشرق والمغرب خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، وانظر أولويات الحركة الإسلامية للدكتور يوسف القرضاوي، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي، ومن هنا نعلم للشيخ محمد الغزالي وغيرها.

ثانياً : المبحث الأول : أهداف التربية الإسلامية:

أرسل الله تعالى رسله وأنبياءه بدعوة التوحيد، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وما من نبي إلا دعا إلى ذلك[1].

قال عز وجل : «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»[2]، وقال عز من قائل : «وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره»[3].

وكانت خاتمة الرسالات المنزّلة على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، التي ارتضاها ربنا سبحانه وتعالى لعباده واضحة جلية في هذين الأمرين وفيما جاء من تشريعات في مختلف ميادين الحياة، هذا إلى جانب مزيد بيان أسماء الله الحسنى وصفاته العليا[4]. ولخص التوحيد في سورة الإخلاص «قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً»[5] وفي سورة الناس : «قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس، من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس»[6].

هذا الهدف الذي يرتبط بفطرة الإنسان ويشبعها، مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون بها من جدعاء؟ قال أبو هريرة رضي الله عنه – راوي الحديث- اقرؤوا إن شئتم فطرة

---

(١) انظر مبحث الأخلاق الإسلامية في كتاب (في الفكر الإسلامي) جامعة الإمارات ص ١٩٧.

(٢) المؤمنون : آية (٢٣) وانظر دستور الأخلاق في الإسلام ص ٦٨٦ – ٧٧٨ وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص ١٢٩–١٣٠ للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

(٣) سورة هود : الآية (٥١)

(٤) انظر بحث الأخلاق الإسلامية في كتاب (في الفكر الإسلامي) جامعة الإمارات ص ١٩٧ وما بعدها. وانظر كتاب في رحاب أسماء الله الحسنى.

(٥) السورة الثانية عشرة بعد المائة من القرآن الكريم.

(٦) السورة الرابعة عشرة بعد المائة من القرآن الكريم .

الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم..»[1].

وفي توحيد الله عز وجل، والعلم بما شرع رب العالمين عبودية تامة لله عز وجل، تحرر الإنسان من كل عبودية أخرى، كمال أو متعة أو هوى أو سلطان، وفي هذا تبرؤ من كل شك أو شرك وتوجه تام إلى عبادة الله الواحد القهار، بما يملأ النفس البشرية من طمأنينة واستقرار وسعادة، ودافع دائم إلى مرضاة الله سبحانه، فتستقيم حال الفرد والمجتمع، وتحفظ كرامته بما يتفق مع إنسانيته، فيتحرر من عبودية غير الله عز وجل، ومن كل سلطان غير سلطانه، وتصان حرمة نفسه وماله وعرضه، وبهذا ترسى أصول الحرية وقواعدها، وتصان بالتشريعات التي سنها رب العالمين لعباده. وتحت هذا الهدف الرئيس تتضافر بقية الأهداف التربوية التي تنمي قدرات الإنسان البدنية والعقلية، والتعبيرية، والجمالية والاجتماعية، والإنسانية، وتسمو صلته بهم على اختلاف عقائدهم ومللهم وأزمانهم وأماكنهم بل إن تربية الإنسان على العبودية لله تكسبه حسن الاتصال والانتفاع بكل ما في الكون من نبات وحيوان وجماد لما في صالح خلق الله من إنس وجن وحيوان......... وما أسمى هذه التربية، وما أبعد آثارها النفسية والسلوكية، هذا إلى جانب التربية الأخلاقية، والتربية الدينية التي تمده بمعرفة أحكام الله عز وجل، وآداب شرعه[2] كل هذه الفروع التربوية يعاصر بعضها بعضاً لتحقيق العبودية لله وحده، وهي ذروة الحرية الإنسانية المنظمة المنضبطة بنظام الإسلام وشرائعه.

وبهذا استخلف الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قال عز من قائل : «وهو الذي جعلكم خلائف الأرض، ورفع بعضكم فوق بعض درجات،

---

(١) أخرجه أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد وغيرهم واللفظ للبخاري. انظر فتح الباري ج٣ ص٤٦٤ و٤٦٥ ومسند الإمام أحمد ص٣٢٩ ج١٤ بتحقيق محمد شاكر، والآية ٣٠ من سورة الروم.

(٢) انظر (كلمات في مبادئ علم الأخلاق ص٣٨ - ٤٠ للأستاذ الدكتور عبد الله دراز رحمه الله، وكتابه دستور الأخلاق في القرآن).

ليبلوكم فيما آتاكم، إن ربك سريع العقاب، وإنه لغفور رحيم»[1]. ومن هذه الأمة تكون الخلافة في الذين آمنوا وعملوا الصالحات، مصداقاً لقوله عز من قائل : «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون»[2] هؤلاء المؤمنون، الذين يعملون الصالحات، ويستجيبون لأمر الله تعالى، ويحسنون إقامة حكمة بين عباده على أرضه، من غير إفراط ولا تفريط، يرسون قواعد العدل والخير والمساواة بين الناس، من غير عسف وظلم، لا يخافون في الله لومة لائم، شدة في الحق من غير عنف، ولين من غير ضعف. وبهذا يحققون قول الله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»[3].

فإذا اجتهد المجتمع الإسلامي، وبذل قصارى جهده في تحقيق العبودية لله وحده بعيداً عن الميول والأهواء، اتجهت الطاقات جميعها في خطوط متوازنة، لتحقيق المقصد الأسمى، مرضاة الله عز وجل للفوز في دار الدنيا والآخرة، فلا تتعارض الجهود، ولا تتصارع القوى، فإن روح الجميع وقواهم متجهة إلى هدف واحد، ولو تعددت السبل المشروعة لتحقيقه. ولا يكون التمايز إلا بالتقوى وحسن العطاء، مع كمال الأداء، فتعم السعادة، وتطمئن النفوس، ويتم الاستقرار، في جميع جوانب الحياة العامة والخاصة، وإذا أدرك كل منا مسؤولياته وواجباته ودوره في المجتمع، وأدرك معنى قول الرسول الكريم «ما

---

(١) الانعام :١٦٥ في الآية دلالة بانتهاء خلافة الأرض كلها إلى أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلالة قوله تعالى في الآية الأخرى (خلائف في الأرض) (يونس١٤) الذي لا ينفي وجود خلائف أخرى وانظر تفسير الطبري ج٨ص١١٤.

(٢) النور : آية ٥٥ ، قال ابن كثير رحمه الله : (هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أبي أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناء حكماء فيهم، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة، مختصر تفسير ابن كثير ج٢ ص٦١٥ .

(٣) آل عمران : آية ١١١.

من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة»[1].

مهما تكن تلك المسؤولية جليلة، أو حقيرة، فالمؤمن يتحملها على أحسن صور التحمل، ويسعى إلى القيام بها على أحسن وجه، وينفذها بكل وسيلة مشروعة، مستفيداً من مختلف الطاقات المتخصصة، والأدوات المتجددة، والتقنيات المتطورة. ولا يرضى لإخوانه إلا ما يرضاه لنفسه، وإذا بدرجة الإتقان والدقة وحسن التنفيذ وجودة العطاء يأخذ مكانه في المجتمع الإسلامي، الذي ينهل من معين الإسلام عقيدة، وشريعة وأخلاقاً.

المبحث الثاني : دور الأسرة في التربية:

لن تفصل القول هنا فيما رغب الإسلام به من الزواج، وحث عليه من تيسير مؤونة تحصيناً للجنسين، وما أمر به من حسن اختيار كل من الزوجين لصاحبه، وما بينه من حقوق وواجبات على كل منهما، وما أمرهم به من المعاشرة بالمعروف، وما وضحه من دور الأسرة في الطمأنينة، والألفة، والرحمة، والمودة، وحسبنا هنا قوله سبحانه : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون»[2] وما حث به كلاً منهما على اداء واجبه، وحسن القيام به، والتعاون على البر والتقوى، ويكفينا في هذا المقام قوله عز من قائل : «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً، وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»[3].

ولا يخفى على أحد ما ورد من آيات كريمة، وأحاديث شريفة في رعاية الأولاد، وحسن تربيتهم وتنشئتهم على الإسلام منذ نعومة أظافرهم عقيدة وشريعة وأخلاقاً، بدءاً من الأذان في أذن المولود ليكون أول ما يملأ مسامعه من عالم الدنيا توحيد الله عز وجل إلى العناية وأمره بالصلاة لسبع... فضربه

(١) متفق عليه .

(٢) الروم : الآية ٢٢

(٣) التحريم : آية ٧

لعشر... والحث على المساواة بين الأولاد، ليكونوا في بر آبائهم سواء، وحث الأولاد على بر الوالدين وطاعتهما، والاعتراف بجميلهما، والإحسان إليهما في كبرهما، والتلطف معهما وما وراء هذا من أخلاق أسرية رفيعة تتمسك بالقيم الإسلامية فهماً وتطبيقاً[1].

وأبرز الإمام الغزالي في حجة الإسلام دور الأسرة في التربية إذ يقول: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسه ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلمه تشأ عليه، سعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشرّ وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له، وقد قال عز وجل :«يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً»، ومهما كان الأبُ يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى. وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من القرناء السوء، ولا يُعَوِّده التنعم، ولا يجب إليه الزينة وأسباب الرفاهية، فيضع عمره في طلبها إذا كبر، فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره)[2].

وتقع المسؤولية التربوية في الأسرة على الأبوين مباشرة، وهي مسؤولية عظيمة، تتناول بناء شخصية الأولاد بناء إيمانياً، وروحياً وأخلاقياً، يلخصه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس :« يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء وقد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء،

---

(١) انظر تحفة المودود في أحكام الولود لابن القيم والأذكار للنووي ٢٤٤ وما بعدها ، والأدب المفرد ص ١٤-٣١ وص ٤٣-٤٧ - وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج٢ص١٩٨ وما بعدها.

(٢) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٦٩ - ٧٩ ومختصر منها ج القاصدين ص ١٥٩ - ١٦١

قد كتبه الله عليك...»[1] وتعليمهم بالتدريج أمور الدين والدنيا، وحملهم على التخلق بأخلاق الإسلام. وما أبلغ قول رسول الله لابن أم سلمه : « يا غلام سم الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك»[2] وتربيتهم من الناحية البدنية، والصحية، وتأديبهم بآداب الإسلام في الأكل والشرب والنوم، الدخول والخروج، وتعويدهم تحمل المسؤولية بما يطيقون، والزجر على اللامبالاة والإهمال والاتكال على الآخرين بغير مبرر... كما تتناول رعاية الأبوين للأولاد الجانب العقلي، بتنمية أسلوب التفكير السليم، والوقوف على الحقائق، والحكم عليها بعد أناة وحسن تفكير، وإكسابهم المعارف المحيطة بهم بطريق صحيح، وتنمية الوازع الديني ورعايته رعاية بالغة بالترغيب والترهيب، إلى جانب إكسابه المحافظة على القيم الإسلامية في كل شيء، والآداب الاجتماعية[3].

تلك خلاصة مقتصرة في بناء الأسرة وتربية الأولاد. ولكن الواقع في كثير من بلاد المسلمين يجانب هذا مجانبة تتفاوت بين مجتمع وآخر، ويمكن تلخيص هذا الواقع فيما يلي :

أ - ما يتعلق ببناء الأسرة،وهي المجتمع الأول الذي يحتضن أولاده ويربيهم ليكونا رجال الغد:

١ - العقبات المادية، المتصلة بغلاء المهور، والتقاليد المحيطة بأمور الخطبة، وتمام الزواج، مما لا صلة له بيسر الإسلام وتعاليمه.

٢ - تغير مفهوم الكفاءة بين الزوجين، مع أن الإيمان والعمل الصالح والخلق الكريم، هو الكفاءة المطلوبة للزواج، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[4].

---

(١) اخرجه الترمذي انظر قبسات من هي النبوة ص ٢٩.

(٢) متفق عليه .

(٣)انظر في هذا مختصر منهاج القاصدين ص ١٦٠-١٦١

(٤) اخرجه البخاري ومسلم انظر نظام الأسرة في الإسلام للخطيب وزملائه ص ٦٩.

وقال صلى الله عليه وسلم : «إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تضلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[1] وفي رواية فساد كبير.

ونجم عن هذا تأخر سن الزواج والعنوسة، ومما اسهم في هذا يسر الفساد، ولمن لا رادع له، حيث يشبع غريزته بما حرم الله تعالى. وساعد على هذا الاختلاط والتبرج والتبذل، وكل هذا يتنافى مع العفة التي دعا الإسلام إليها[2].

٣ - التقليد الأعمى الذي إلتزمته بعض الأوساط الاجتماعية، في أمور الزواج، والخروج عن أحكام الإسلام في الخطبة والتعرف على أخلاق كل من الخطيبين وما وراء هذا، مما تترتب عليه الآثار الوخيمة.

والسبيل إلى التصحيح التمسك بما أنزل الله تعالى، وبما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أسهم في تخفيف بعض مشكلات الزواج. مشروع صندوق الزواج ومشروع الزواج الجماعي الذي أقامه المسؤولون في دولة الإمارات العربية المتحدة[3].

ب - ما يتعلق بدور الأسرة في تربية الأولاد : ويمكن تلخيص أسباب تقلص دور الأسرة في التربية، أو الخلل الذي اعترى هذا الدور في الأمور الآتية :

(١) عدم وضوح هذا الدور لدى كثير من الأسر الإسلامية.

(٢) إلقاء مسؤولية رعاية الأولاد التربوية إلى الخادمات والمشتغلين في خدمة الأسرة في بعض الأوساط. وإن أطلق بعضهم على من يقوم بهذه المهمة اسم المربيات.

(٣) اختلاف ثقافة من أسندت إليهم العملية التربوية عن ثقافة الأسرة، أعني الدين والقيم والعادات والأخلاق والآداب.

(٤) اتباع أساليب غير تربوية في رعاية الصغار وتسكينهم والخلاص من

---

(١) اخرجه الترمذي وابن ماجه المصدر السابق ص ٧٢ و ٦٦.
(٢) المصدر السابق ص ٦٥ وكتاب الزواج المشكلة والحل للسيد رائد الجروان .
(٣) انظر الزواج المشكلة والحل للجروان ٧٠ وما بعدها.

ضوضائهم بطرح بعض الألعاب بين أيديهم، أو تخويفهم، أو تركهم أمام أجهزة التلفاز والفيديو، واشغالهم بما ينفع وما لا ينفع...

(٥) اهتمام الوالدين بالجوانب المادية، وعدم تفرغ رب الأسرة – لكثرة أشغاله – لمتابعة أحوال أولاده. وترك أمر تربية الصغار للأم التي تجتهد في هذا حسب علمها ومقدرتها......

(٦) خروج المرأة إلى العلم لغير ضرورة فوت دورها في حسن رعاية أولادها، بخاصة في مرحة الطفولة المبكرة، وقد بين الرسول الكريم اهمية هذا الدور في قوله : «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قرين أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»[1].

(٧) عدم وضوح حقوق وواجبات كل من الزوجين في بعض الأوساط الإسلامية، وتغليب العادات والتقاليد الدخيلة على ما شرعه الله عز وجل، وكن كثير منهم بأن واجب الرجل الكسب وتأمين حاجات الأسرة خارج المنزل، وواجب المرأة الطاعة العمياء، والخدمة الداخلية في المنزل، من غير تصور إسلامي بين لمكان الأسرة من النظام العام، ومكان الزوجين من الأسرة، ودورهما في تربية أولادهما.

(٨) انعدام القدوة الصالحة، التي يتأس بها الأولاد، ومعلوم ما للتربية بالقدوة من أثر بعيد في التربية وتنشئة الأطفال، على الطاعة والخلق القويم وحسن العبادة، والتعامل مع الآخرين، وكثيراً ما يكون الوالدان أو أحدهما أسوة سيئة لأولاده.

(٩) هذا الجهل أو التجاهل ادى في كثير من الأحيان إلى انحرافات وخيمة العواقب[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣١٧٩ ، ٤٦٩٢ ، ٤٩٤٦) ومسلم (٤٥٨٩) واحمد (٢٧٧٤) و (١٠١٢١) وفي رواية (على طفل) وفي رواية على (يتيم) وله عدة طرق.

(٢) انظر كتاب جنوح الأحداث للصواف طبع دمشق سنة ١٩٥٠ إصلاحية الأحداث ص ٢٧ وما بعدها . حيث فيه من الوقائع على السنة الأحداث ما تقشعر له الأبدان .

(١٠) عدم المساواة بين الأولاد، وتحقيق العدل بينهم، ميلاً إلى الذكور، أو الإناث أحياناً خلافاً لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم :« اعدلوا بين ابنائكم»[1] ولما قدم بشير والد النعمان رضي الله عنهما ليشهده على عطية للنعمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «افعلت هذا بولدك كلهم أح؟ قال : لا. قال : اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»[2].

(١١) عدم تشجيع الصغار بما يناسبهم والاستهانة بما يقدمونه من قول أو عمل.

(١٢) الإفراط في تدليل الأولاد في بعض الأوساط، حتى إذا ما شبوا لم يستطع الوالدان تلبية رغباتهم الكثيرة المختلفة، مما ينتهي بهم إلى العقوق أو الانحراف..

(١٣) من أخطر التحديات التي تهدد كيان الأسرة بل المجتمع وسائل الاتصال المتطورة، التي توظف كما ينبغي في خدمة الجيل وحسن رعايته، مما يعرض في بعض القنوات الفضائية، وما يلحق بهذا من أشرطة سمعية أومرئية تحمل السموم إلى أولادنا، عن طريق أفلام ومسلسلات العنف والتحلل واللامبالاة، سوى ما يعد عن قصد للأوساط الإسلامية من أشرطة جنس، وغير ذلك مما يندى له جبين الإنسانية.

(١٤) الغزو الفكري الموجه من خلال المقروء والمسموع والمرئي لخلخلة العقيدة في النفوس، وسلخ الناشئة عن دينها وقيمها وعن مكارم الأخلاق. مما تبنته وتعهدته المؤسسات المعادية للإسلام، وفي مقدمتها المؤسسات

---

(١) في البخاري في كتاب الهبة (باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئاً لم يجز حتى يعدل بينهم، ويعطى الآخرين مثله ولا يشهد عليه ، وقال صلى الله عليه وسلم (اعدلوا بين أولادكم في العطية) وأخرج الحديث المذكور (اعدلوا) النسائي(٣٦٢٧)وأبو داود (٣٠٧٧) وأحمد (١٧٦٩٣).

(٢) متفق عليه. وفي رواية (أيسرك بن تكونوا لك في البر سواء؟ قال :بلى. قال:فلا إذن) نظام الأسرة الخطيب ص١٥٧-١٥٨.

الصهيونية[1].

(١٥) الدعوات الصريحة إلى التحلل والإباحية وعدم الالتزام، والتحرر من كل القيود، التي تنظم حياة الإنسان الخاصة والعامة....

كل ما سبق يدعونا إلى إنقاذ أولادنا مما يحيط بهم، أو يتربص بهم والسبيل الوحيد :

أولاً : التوعية الإسلامية الجادة للأبوين، وتعليمهم أساسيات العقيدة الإسلامية، وأحكامها ونظمها وأخلاقها، من خلال أجهزة الإعلام ووسائله المختلفة.

ثانياً :إنشاء مراكز ثقافة الأسرة، يقوم عليها المؤهلون من الناحية الدينية والتربوية والاجتماعية، كالمراكز الصحية التي ترعاها جميع الدول، فصحة العقيدة وسلامتها، واستقامة السلوك، والتخلق بأخلاق الإسلام وآدابه ليس بأقل أهمية من سلامة الأبدان من الأسقام.

ثالثاً : عدم خروج المرأة إلى العمل خارج بيتها إلا عند الضرورات، مع الاهتمام بميدان عملها، والتزامها بالحشمة، والضوابط الشرعية في لباسها وقولها وعملها. وفق قاعدتي «الضرورات تبيح المحظورات» و «الضرورة تقدر بقدرها».

رابعاً : تقوية الروابط الاجتماعية بين أبناء الأمة وإحياء صلة الأرحام كما أمر الله تعالى وأمر رسوله لما في هذا من وقاية بالغة للأسرة وأولادها.

خامساً : قيام كل من الوالدين بواجبه في حسن رعاية الأولاد، فإن حسن تربيتهم وتنشئتهم على مراقبة الله تعالى والقيام بما أمر، والابتعاد عما نهى، ليس بأقل أهمية من رعاية أبدانهم من الناحية الغذائية والصحية......

سادساً: تصعيد طاقات الأولاد بصقل ميولهم، وتنمية هواياتهم بالاستفادة من أوقات فراغهم، لنمو ملكاتهم الإبداعية، وتسمو نفوسهم.

---

(١) انظر المصادر والمراجع ص٢هامش ٥

سابعاً : تشجيع الأولاد - على مستوى الأسرة- على تحمل مسؤولياتهم وأداء واجباتهم المنزلية والشخصية والمدرسية، وعدم التواكل على الآخرين، أو الاستعلاء على أداء بعض ما يتعلق بهم.

ثامناً : إشراكهم بقضايا الأسرة عند ما يبلغون السن المناسبة لمثل هذه المشاركة، ليقدروا ما يبذله الوالدان، وليعيشوا قضايا الأسرة في أفراحها وأتراحها ومنشطها ومكرهها، ليصيروا فيما بعد أهلا لأن يعالجوا قضايا مجتمعاتهم وأمتهم.

تاسعاً : اختيار الأفضل للأولاد فيما يطلعون أو يقتنون مع مراعاة رغباتهم فيما لا شطط فيه، مع كما ل الالتزام بأحكام الإسلام وأدابه.

عاشراً :متابعة أحوال الأولاد متابعة تصحيح وتشجيع في سبيل الأفضل والاكمل، مع التعليل ما أمكن على حسب أعمار الأولاد العقلية.

احد عشر : ملاحظة أصدقاء الأولاد والحث على صحبة الأخيار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1].

الثاني عشر :تقييم العملية التربوية في الأسرة بين حين وأخر، من قبل الوالدين، للأخذ بالإيجابيات، ونبذ السلبيات، وحسن معالجة القضايا المستجدة مع نمو الأولاد وتطور أحوالهم، ومن الضروري بمكان، الإفادة من أهل الخبرة والاختصاص، وبخاصة عند بدء ظواهر جديدة فكرية أو سلوكية، ليحسن الوالدان الرعاية والتوجيه.

الثالث عشر: التعاون التام مع المدرسة من الناحية العلمية والتربوية، وتتبع أحوال الأولاد فيها، وعلى علم الأولاد، لتتلاحم الجهود التربوية في الأسرة مع الجهود التربوية التي تبذلها المدرسة في سبيل تحقيق الغاية من

---

(١) اخرجه أبوداود والترمذي قبسات من هدي النبوة ص٩١، وانظر ما لرفقاء السوء من عواقب وخيمة جنوح الأحداث للصواب.

هاتين المؤسستين الهامتين. وتتبع كل ما يتعلق بالأولاد من الناحية الفكرية والعلمية والسلوكية بما يكفل حسن الرعاية والتشجيع والتوجيه وعدم الاكتفاء بالشكل فإن المضمون والكيف هو الأصل[١].

الرابع عشر: توثيق الصلات بالحوار على الأسس الإسلامية التي حث عليها القرآن الكريم وبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقيام بحقوق الجار، لما في تقوية هذه الروابط من وقاية لأولادنا، وحماية لسلوكهم، من خلال فهمنا لدلالات قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٢]، وفهمنا لظلال قوله عليه أفضل الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وقوله «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل من يا رسول الله؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه»[٣].

الخامس عشر: أن يعرف أولياء الأمور في كل حي المحلات التجارية التي يتعاملون معها، ويتردد عليها أولادهم، ويتأكدون من حسن معاملاتهم وأخلاقهم وسلوكهم، وألا تتعدى صلات الأولاد بتلك المحلات حدود (المرافق العامة) وقضاء الحاجات اليومية، مع حسن التعامل الذي تقتضيه تلك الصلات، دفعاً للتقليد أو التأثر بسوء الأخلاق، والعادات السيئة التي قد تتسرب من بعض الفئات والأوساط[٤].

---

(١) هذه المتابعة في جميع مراحل النمو وبخاصة في دور المراهقة الذي لاتخفى أهميته على أحد .

(٢) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي جمع الفوائد ٢/٤٢٥ .

(٣) المرجع السابق ٢/٤٢٦ .

(٤) انظر جنوح الأحداث الصادر عن إصلاحية الأحداث للأستاذ الصواف ص ١٥ وما بعدها. طبع دمشق (١٩٥) وكتاب ظاهرة جناح الأحداث في مجتمع الإمارات العربية المتحدة، وسلسلة الدراسات الاجتماعية، إعداد لفيف من الباحثين بإشراف الدكتور محمد هويدي، كتاب البيان جمعية الاجتماعيين. وبخاصة الجداول الإحصائية ، وانظر جنوح الأحداث في دولة الإمارات العربية المتحدة أ.د. محمد رياض الخاني جمعية أم المؤمنين – عجمان.

السادس عشر : الاهتمام بمرافقة الأولاد واصطحابهم الى المساجد وإلى المؤسسات الثقافية، إلى الحدائق، ومواطن الترويح المشروع لتقوية الروابط الأسرية، ووقاية الأبناء من الملل. وحبذا لو شارك عدد من الأسر في مثل هذه اللقاءات، لتقوية الروح الجماعية، وتوثيق الألفة وتقوية روابط الأخوة بين الآباء وبين الأولاد، وفي هذا من التعاون ما لا يخفى ......

من خلال بعض المسابقات الرياضية والثقافية، وتنمية المهارات والملكات، بما يعود على الناشئة من خير.

السابع عشر: أن تعيش الأسرة جميعها الإسلام عقيدة وشريعة وعبادة وسلوكا، لا أن يعد الأولاد للإسلام، بل يعيشونه بعقولهم ووجدانهم وسلوكهم، وأن يصدق العمل القول، والتطبيق العلم، فعلم بلاعمل لاخير فيه، وعمل بلا علم لا جدوى منه[1].

الثامن عشر : الاعتزاز بالشخصية الإسلامية، وترك التقليد الأعمى لغير المسلمين، في المأكل والمشرب والملبس، والاحتفالات والأعياد والمناسبات، امتثالا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ قال : «من تشبه بقوم فهو منهم»[2]، وقال صلى الله عليه وسلم محذرا ومنبها : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم. قلنا يارسول الله: اليهود والنصارى ؟؟ قال : فمن ؟؟؟)[3].

---

(١) انظر اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص ٨ وما بعدها.

(٢) اخرجه ابو داود حديث ٣٥١٢، واحمد حديث ٤٨٦٨ ، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا النصارى....» أخرجه الترمذي حديث ٢٦١٩.

(٣) أخرجه البخاري حديث ٦٧٧٥وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه « لاتقوم الساعة حتى تأخذ امتي بأخذ القرون قبلها ، شبرا بشبر وذراعا بذراع ، فقيل يا رسول الله كفارس والروم ؟ قال ومن الناس إلا اولئك ؟؟؟؟ البخاري حديث ٦٧٧٤، وفي رواية « لوسلكوا جحر ضب لسلكتموه "صحيح البخاري حديث ٣١٩٧).

١ – نشأ التعليم في الإسلام على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ كان يجلس في المسجد بعد صلاة الغداة، فيتحلق حوله أصحابه حلقاً حلقاً، فيعلمهم القرآن والفرائض والسنن (٤) وكانوا إذا تعلموا من الرسول صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل... قالوا فتعلمنا القران والعلم والعمل جميعاً (٥) لقد تخرج الرعيل الأول في مدرسة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بنهلهم من القرآن الكريم مباشرة، وتعلمهم السنة بالتطبيق العملي، فعاشوا القرآن الكريم بعقولهم ووجدانهم ومعاملاتهم وسلوكهم. وتأسوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وتخلقوا بأخلاقه، وساروا على آدابه، عاشوا الإسلام قلباً وفكراً، وراقبوا الله عز وجل في جميع أحوالهم ظاهرة وباطنه، عامة وخاصة، وعلى منهج الرسول الكريم وبنهج صحابه الكرام تابع من جاء بعدهم مسيرة العلم والعمل، فتخرجت الأجيال في حلقات الأئمة الأعلام قوية الشخصية بإيمانها، واسعة العلم بأمور دينها ودنياها، مستقيمة السبيل في معاملها وسلوكها. لأن المنهج القرآني في تربية الإنسان هو المنهج الأمثل الذي لا يصلح الإنسان إلا به، ولا يصلح غيره للإنسانية. ويمكننا تلخيص هذا المنهج عقيدة وشريعة وعبادة وسلوكاً، وامتثالاً لأمر الله تعالى فيما يتعلق بتربية الناشئة خاصة، مما جاء في وصية لقمان لابنه، قال عز من قائل : «وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم إلى قوله تعالى «واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير»(٥).

وفي الامتثال لأمر الله في قوله عز من قائل في قصة إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام: «فلما بلغ معه السعي قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين»(١)، وفي الثبات على العقيدة والحق عند الشباب قوله عز من قائل : «إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إله لقد قلنا إذا شططاً»(٢)

وما سطره الصحابة الكرام من ثبات في العهد المكي. هذا المنهج الذي يجب أن يربي عليه أولادنا والأجيال في البلاد الإسلامية. ولننظر إلى مناهج لتعليم ومدى التزامها بهذا المنهج، ولننظر إلى القائمين على العملية التربوية، ومدى مطابقة الأوصاف والشروط التي يرتضيها الإسلام عليهم. ولنسع إلى التغيير الشامل بما يكفل نجاح العملية التربوية في بناء الشخصية المسلمة بناء متكاملاً ووقايتها من عاديات الزمان والتحديات المختلفة.

والموضوع يحتاج إلى ما يلي:

٥) سورة لقمان الآيات :١٢-١٩

١) المعلم القدوة في كل شيء وقد أدرك هذا بعض سلفنا فضمنوا هذه المعاني في وصايا مؤدبي أولادهم قال عمرو بن عتبة لمعلم ولده : «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت والقبح عنهم ما تركت. علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، وروهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب مشغله للفهم، وعلمهم سنة الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتوكل على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك. إعداد المعلم القدوة يقتضي إعادة النظر في معاهد المعلمين ودورها، وفي دور المعلمين العلياء ومعاهد التربية المتوسطة والجامعية،

---

(١) الصافات : الآية ١٠٢

(٢) سورة الكهف: الآية ١٣و١٤

(٣) العقد الفريد ج٢ ص ١١٧ والمقصود بتجنيب محادثة الأولاد النساء، النساء الأجنبيات، لما في هذا من مظنة الفتنة، وسداً لذريعة التخلق بأخلاقهن والتشبه بهن مما يتنافى مع ما يجب أن يكون عليه رجل الغد من قوة ورجولة وفروسية ونجدة وحمية للحق.وجاء في وصية هارون الرشيد لمؤدب ولده :(يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه فصيّر يدك عليه مبسوطة ، وضاعف من واجبه ، فكن بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار ، وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبنه ، وأمنه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ودفع مجالس القواد إذا حضروا مجلة .. ولا تمعن مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقربه ما أستطعت بالقرب والملاغية .

وفي القائمين عليها، كما يقتضي الالتزام بالدورات التدريبية الطويلة، التي يعين فيها المعدون للتعليم الإسلام حياة يومية حقيقية، بكل ما في هذه الكلمة من معنى. وإلى المنهج الإسلامي الواضح، فإن التقدم العلمي التطبيقي والنظري منوط بالوعي الديني، فقد أثبت التاريخ أن أمتنا لما قويت ثقافتها الدينية تقدمت في ميادين العلوم المختلفة، ومعروف موقف الإسلام من العلم والعلماء وطلا العلم، وتشجيعه المتميز لذلك كله (٤).

٢ - أسلمة التعليم، ولا نعني على الإطلاق زيادة حصص التربية الإسلامية بد تدريس جميع العلوم من منظار إسلامي، وتحت قبة الإسلام، فإن للمسلمين أيادي بيضاء سخية في جميع ميادين العلوم، لا يذكر منها شيء أما ما يدرس لأبنائنا مما يتضمن الإشادة بعلماء الغرب وتمجيدهم، اللهم إلا ما يذكر في تاريخ العلوم عند المسلمين. والأصل أن يبين فضل المسلمين في كل علم من العلوم، ليدرك الناشئة أثر الإسلام في التقدم العلمي، ودور العلماء المسلمين في تقدم تلك العلوم، مما يبعث في الطلبة روح الطموح لمتابعة سيرة سلفه.

٤ - التصنيف الموضوعي البعيد عن الميول والأهواء، والدعوة إلى العقائد المنحرفة، نتيجة الترجمات لكثير مما يقدمه الغرب، أو الشرق غير المسلم.

٥ - بناء العملية التربوية التعليمية على الأسس التربوية العلمية الإسلامية. والإفادة من كل جديد وتوظيفه في خدمة الإسلام.

٦ - الاهتمام في المراحل الأولى من التعليم حتى نهاية المرحلة الثانوية ببناء الشخصية الإسلامية بجميع مقوماتها، وتوثيق الصلة بين الحاضر والماضي، وتعريف الطلبة تعريفاً عميقاً بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وبأئمة الأمة في كل عصر ليفيدوا من القدوة الحسنة، وينتفعوا من ماضيهم لحاضرهم، ومن حاضرهم لمستقبلهم، ويتلقى العلم بما ينبغي له من حلة الأخلاق الإسلامية، ويوظفه لخدمة الإنسانية، فيما شرّع الله عز وجل، بعيداً عن أية مضرة أو مفسدة.

٧ – أن يشارك الطلبة في المراحل الجامعية في التحصيل العلمي الذاتي، ويؤخذ بأيديهم، لتنمية ملكاتهم وتشجيعهم على البحث والتطبيق، بما يهيئ لهم شق الطريق إلى الإبداع والتفوق والاختراع.

٨ – الإفادة من جميع التقنيات الحديثة، والوقوع على الحقائق العلمية، وتطبيقاتها، وبيان آثارها وحكم الإسلام فيها، لأن الإسلام دين حياة وعلم وعمل وسلوك وأخلاق لا عقيدة فلسفية فكرية لا صلة لها بالعمل.

٩ – استمرار المتابعة والتقييم في سبيل حسن التطبيق، من قبل القائمين على العملية التربوية أفراداً ومؤسسات، وقيام كل جهة بتمام مسؤولياتها، ومن ورائها رعاة الأمة والمسؤولون عنها (١) وقبل هذا وبعده إخلاص العمل لله عز وجل ومراقبته.

المبحث الرابع : دور المجتمع في التربية:

أرسى الإسلام أسس قيام المجتمع المسلم وقواعده الثابتة، التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، بما يكفل له دوام العزة والسعادة والطمأنينة، تحت مظلة الأخوّة في الله والنصح فيه، واتحاد الكلمة، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتكافل الاجتماعي، في مودة ورحمة وتعاطف وإيثار ومساواة وعدل ورحمة للصغير وتوقير للكبير ومعرفة حقوق العلماء فيه بما لم يعهد التاريخ له مثيلاً. ويتجلى هذا واضحاً فيما يأتي:

١ – ويؤكد دور المحتسب في هذا المقام أهمية هذه المتابعة في نجاح العملية التربوية، وانظر نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري

٢ – قال عز من قائل:« إنما المؤمنون اخوة، فأصلحوا بين اخويكم» (النساء:١٠).

٣ – وقال سبحانه :«وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» (المائدة:٢).

٤ – وقال سبحانه وتعالى: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب

والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم، إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً» (النساء:٣٦).

٤ - وقال سبحانه : «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون» (البقرة:١٧٧).

٥ - وقال عز من قائل : «والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» (الحشر : ٩).

٦ - وقال سبحانه وتعالى : «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم» (التوبة: ٧١).

٧ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعي بذمتهم بأدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مشدهم على مضعفهم، ومتسريهم على قاعدهم» (١).

٨ - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« قال الله عز وجل : أحب ما تعبدني به عبدي إلى النصح لي» (٢).

٩ - وعن جرير قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: «أبايعك على الإسلام، فقبض يده، وقال: النصح لكل مسلم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه من لم يرحم الناس لم يرحمه الله عز وجل» (٣) وقام جرير بن عبد الله خطيباً في المسلمين فقال : «أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأن تسمعوا أو تطيعوا...... أما بعد، فإني أتيت رسول الله صلى

الله عليه وسلم أبايعه بيدي هذه على الإسلام. فأشترط علي النصح، فورب هذا المسجد إني لكم ناصح»(١).

١٠ – عن تميم الداري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة. قالوا : لمن يا رسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين......) (٢).

١١ – وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب دري إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم لا تباغض...»(٣).

١٢ – وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المؤمن للمؤمن كالبنيان تشد بعضه بعضاً» (٤) .

١٣ – مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد....... والحمى»(٥)

١٤ – قال عز من قائل :« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون» (آل عمران ١٠٤).

١٥ – وقال سبحانه :« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (آل عمران:١١٠).

وقال سبحانه وتعالى :« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» (النحل ١٢٥).

---

(١) هذا الحديث مروي عن علي رضي الله عنه، معنى قوله أدناهم أي أضعفهم ، وأقلهم منزلة ، ويجير أي يعطي العهد والأمان(عهد منع وحماية من أن يؤذي في دمه وعرضه وماله). وقوله (يد) أي عون قوة بين بعضهم البعض. (ويرد مشدهم على مضعفهم) أي يعين القوي الذي يملك الرواحل والدواب النشطة القوية الضعيف صاحب الدواب الضعيفة. وقوله (متسريهم على قاعدهم، أي يعين الخارج إلى القتال غيره من القاعدين عنه لأعذار مشروعة عندما يعود بنصيبه من الغنائم . أخرجه أبو داود وأصله في الصحاح والسنن انظر سنن أبي داود حديث (٢٣٧١) ومسند أحمد حديث (٦١٢).

(٢) أخرجه أحمد عن أبي أمامه سند أحمد حديث (٢١١٦٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (١٨٣٧٠) وأصله في مسلم حديث ٨٤.

(النحل ١٢٥).

١٦ - وقال عز وجل :«واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب» (الأنفال : ٢٥).

١٧ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٤).

١٨ - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« إن الله ليسأل العبد يوم القيامة، حتى يقول : ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره، فإذا لقن الله عبداً حجته، قال : يا رب رجوتك وفرقت من الناس» (٢)

١٩ - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« إن من أمتي قوماً يعطون مثل أجور أولهم، فينكرون المنكر « (٣)

٢٠ - عن أبي بكر رضي الله عنه قال :« إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :«إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» (٤) وفي رواية : «والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم الله بعقاب»(٥).

٢١ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة» (٦).

تلك أهم الأسس والقواعد التي يبني عليها المجتمع الإسلامي، فتميزه

---

(١) اخرجه الإمام احمد في المسند حديث (١٨٣٩٧)

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري، والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ، انظر مسند احمد ج١ص٣٥١، وصحيح البخاري بحاشية السندي ج ١ ص ٢ ، وصحيح مسلم ج١ ص٧٤ حديث ٩٥. وانظر الترغيب والترهيب ج٢ ص ٥٧٦ والجامع الكبير ج١ ص ١٩٥ . وكشف الخفا ج١ ص٤٩٨ حديث ١٣٢٤.)

(٣) اخرجه مسلم حديث ٧٠ ، والترمذي حديث ٣٠٩٨ وقال حديث حسن صحيح، والنسائي حديث ٤٩٢٢ وأبو داود حديث ٩٦٣ و ٣٧٧٧.

الناشئة، وبخاصة من طريق التربية بالقدوة، والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإذا كانت المدرسة المؤسسة التربوية المحدودة ببنائها وبأعضاء هيئة التدريس، وما يلحق بهذا من سلك تعليمي تربوي، لها مكانتها في التربية الموجهة ولها أثرها المباشر في تنمية أولادنا تنمية صالحة إن شاء الله. فإن المجتمع المدرسة الكبرى التي يعيش فيها أبناؤنا، يتلقون فيها دروس الحياة والتربية من مختلف فئات المجتمع. والمجتمع صورة ثقافة الأمة، وتمسكها بعقيدتها وقيمها.... فالمجتمع الإسلامي سند للمدرسة في العملية التربوي، وسند للأسرة، وهو سند حي بسلوك أبنائه وتصرفاتهم، وكلما سلم المجتمع الإسلامي من الشبهات والانحراف كان أثره الإيجابي أكبر وأقوى. ولا يجد أولادنا تناقضاً بين ما يعيشونه في البيت والمدرسة والمجتمع، فالصدق واحد في الجميع وكذلك الإخلاص ومراقبة الله تعالى، والأمانة والنصح... فإن وقع زلل من فردكان له الجميع بالنصح، وإن جاهر بمعصية، كان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صوته القوي الحاسم الذي يرد الحق إلى نصابه، وقد أدركنا في نعومة أظفارنا ألواناً كثيرة من الرعاية والتوجيه من مختلف فئات المجتمع، في الدعوة إلى الخير، وفي البعد عن الشر، وفي إغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج عرفه الناس أم لم يعرفوه، وفي رعاية الصغار والمحافظة عليهم، وفي معرفة الغريب عن الحي، وفي ردع من ينزع إلى شر أو سوء، كل ذلك ثمرة من ثمرات المجتمع الملتزم بما أنزل الله تعالى.

ويتفاوت واقع مجتمعاتنا الإسلامية في هذا الالتزام تفاوتاً متبايناً، يدور بين المجاهرة بالصغائر والوقوع في الكبائر على مرأى من عباد الله، وبين جمهرة الناس، فقد تنتهك الأعراض جهاراً في بعض البلاد من غير أن يحرك

---

(١) سنن ابن ماجه حديث ٤٠٠٧

(٢) أخرجه الإمام أحمد حديث ١٥٩٩٧ ، و ٢٢٠٩٧

(٣، ٤) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي وصححه النسائي وابن ماجه والطبري .. وابن أبي حاتم وابن صان والدارقطني، والضياء المقدسي . وأخرج الحديث الخامس الترمذي وصححه ابن ماجه والطبري والنبوي ... والحاكم وصححه انظر تفسير فتح القدير للشوكاني ج٢ ص ٨٤

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث (١٧٠٥٧) .

الحاضرون على كثرتهم ساكناً وغير ذلك من سطو وعدوان وابتزاز، واستدراج صغار إلى الفحش، والوقوع في المخدرات، أو المسكرات وغير هذا، وقد نجد في بعض البلاد عصابات تختص بالابتزاز أو التزوير أو العدوان وغير هذا، وكل هذا له آثاره السيئة في الناشئة. هذا إلى جانب ما يراه أولادنا في المجتمع مما لا يمت إلى ديننا أو قيمنا بصلة من قريب أو بعيد، في الملبس والمأكل والمشرب، والسلام، والترويح والأفراح والمناسبات المختلفة في السراء والضراء، وكثير من المظاهر الدخيلة، بقصد أو بغير قصد. فلا بد من مراعاة أمور كثيرة في سبيل الاصلاح يمكن ذكر بعضها فيما يلي :

١ - مراقبة الاستيراد ومنع السماح لكل ما يخالف ديننا الحنيف من ملبس أو مأكل أو مشرب.

٢ - وسائل اللهو والترويح تحتاج إلى مراقبة ومتابعة دائمة كي لا يتسرب منها إلى ديارنا ما لا خير فيه.

٣ - مراقبة الأماكن المخصصة للترويح، والألعاب الإلكترونية.

٤ - تخصيص صالات للأطفال دون الثالثة عشرة، وصالات للفتيان من ثلاثة عشر عاماً حتى الثامنة عشرة، وصالات للكبار.

٥ - حسن متابعة الإشراف على الأماكن المخصصة لذلك.

٦ - الإكثار من النوادي الثقافية والاجتماعية، مع وضع مناهج هادفة لرعاية الناشئة، وإسناد الإشراف إلى متخصصين موثوق بدينهم وأخلاقهم.

٧ - تطعيم الأندية الرياضية بالجوانب الثقافية، والموجهين من أصحاب الاختصاص والوعي الديني.

٨ - تخصيص مكتبات عامة للأطفال تضم ما يحتاج إليه أولادنا من كتب ووسائل سمعية وبصرية.

٩ - تشكيل مجالس أحياء من رجاء كل حي، يجتمعون بين وقت وآخر ينظرون فيما تحتاج إليه أحياؤهم السكنية من نواحٍ ثقافية وتربوية، وذلك بتنمية روح العمل التطوعي.

١٠ - تبادل اللقاءات بين أبناء الحي الواحد في المناسبات المختلفة، وبين رجالات الأحياء في سبيل تقوية أواصر الصلات الاجتماعية.

١١ - تشكيل مجالس لقطاعات المدن الكبرى مهمتها متابعة أحوال قطاعاتهم الاجتماعية والمحافظة على القيم الدينية والأخلاقية.

ومن أبرز مهمات مجالس الأحياء أن يعرف الجوار بعضهم بعضاً، للمحافظة على وحدة الحي وكيانه الاجتماعي والتربوي، ومعرفة الدخيل من غيره سداً لذرائع الشر والأذى. وللمحافظة على الناشئة وحسن سلوكهم واستقامتهم.

١٢ - كثير من البلدان تخصص منتزهات للنساء والأطفال، وأخرى للذكور، وحدائق للأسر. ولو أن هذا النظام طبق في البلاد الإسلامية الأخرى، لجنب أولادنا مزالق كثير لا تحمد عقباها.

١٣ - بث روح التعاون بين أبناء المجتمع والاعتماد على المنتجات الوطنية، والتوجيه نحو التصنيع والاستفادة من المصادر الطبيعية والحيوانية، ليألف أبناؤنا تحمل المسؤولية.

١٤ - حبذا لو تقام دورات تدريبية ترويحية في إجازة الصيف، لمنسوبي النوادي الثقافية والاجتماعية والرياضية تشرف عليها وزارة الشباب، وتستعين بالمتخصصين لإكساب أولادنا مهارات مختلفة تتناسب مع ميولهم وأعمارهم، إلى جانب المحاضرات والمسابقات الثقافية، فيفيد أولادنا من أوقات فراغهم في حاضرهم ولقادمات أيامهم. هذا إلى جانب الدورات التي تقيمها المعاهد والمدارس والمؤسسات التعليمية والتربوية لرفع مستويات أولادنا في اللغات والعلوم.

١٥ - إنشاء نواد للمبدعين تأخذ بأيديهم في صقل مواهبهم، وتفتيح ملكاتهم، والرقي في إبداعاتهم العلمية والأدبية والفنية.

إن ارتباط أبنائنا بالمؤسسات الاجتماعية المختلفة، يقوي شخصياتهم، ويقوم سلوكهم، ويزيد من حصيلتهم العلمية والثقافية والتربوية، ويقلل من

الوقوع في الخطأ أو الانحراف.

فتسقط كثير من التحديات المقبلة أما مقاصد هذه المؤسسات التربوية الثلاثية ووعيها وحسن أدائها البيت والمدرسة والمجتمع.

إننا بحاجة إلى تعبئة عامة صادقة مخلصة، عاملة في جميع ميادين الحياة، في سبيل النهوض مما نحن فيه، والسعي إلى استعادة المكانة اللائقة لأمة القرآن العظيم، وبذل ما في الوسع من أجل حفظ الأمانة وأداء الرسالة، وإنقاذ أمتنا والإنسانية من الهلاك.

و الحمد لله رب العالمين،،،

كتبه/ محمد عجاج الخطيب

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتعم الخيرات، فله الحمد سبحانه وتعالى في الأولى والأخرى، وفي الابتداء والانتهاء.

وبعد فقد وقفنا على الأسس التربوية التي تستند إليها تربية الناشئة، وأهمها الأسس الفكرية والاجتماعية والنفسية، وعلى أن الإصلاح محله النفس التي تدور عليها العملية التربوية، مصداقاً لقوله تعالى :«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»، وأنه ما من تحول من الأفضل إلى ما دونه إلا بسبب التغير النفسي بجميع المفهوم التغيير من دلالات، مصدقا لقوله عز من قائل :«ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» ووقفنا على أسباب الضعف العام الذي لحق بأمتنا الإسلامية، بسبب تغير مفاهيمها الإسلامية وقيمها، وبسبب تعطيل طاقاتها ردحاً من الزمن لصد الزحف الصليبي قديماً، والتحرر من الاستعمار والانتداب والتبعية بعد الحرب العالمية الأولى والثانية حديثاً، وما يلحق بهذا.. وكان لزاماً علينا أن نبين أهداف التربية الإسلامية الأصلية والتبعية المتمثلة بإعداد العبد الصالح، ليتحرر من كل عبودية لغير الله تعالى، ووقفنا على محاضن تربية الناشئة وعرفنا دور الأسرة والمدرسة والمجتمع في بناء الشخصية الإسلامية، ثم تعرفنا على أهم أسباب الخلل الذي اعترى كلا منها، وبينا أهم ثلاثة أسباب في عوائق بناء الأسرة المسلمة، وخمسة عشر سببا اعتورت دور الأسرة التربوي، وأهمها ضعف الثقافة الإسلامية عند الزوجين، وتخلي الوالدين عن مسئوليتهما التربوية لغيرهما بسبب انشغالهما بمتطلبات الحياة المادية وغيرها، وقدمت سبعة عشر مقترحاً لاستعادة هذا الدور وبناء شخصية أولادنا ووقايتها من تلك التحديات، ثم وقفنا على دور المدرسة التربوي، وعلى أهم ما يعضده ويقويه في تسعة مقترحات تناولت المعلم والمنهج والوسائل، كما وقفنا على دور المجتمع المسلم في التربية، ببيان أهم أسس بنائه، مؤيدة بنيف وعشرين شاهداً من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وبينا تفاوت واقع

مجتمعاتنا الإسلامية لاستيفائها تلك الأسس، وقدمت خمسة عشر مقترحاً لاستعادة الدور التربوي لمجتمعنا الإسلامي.

سائلاً الله عز وجل أن أكون قد وفقت إلى ما قصدت، وهذا جهد المقل، ومؤونتي إن شاء الله تعالى إخلاص النية، ونبل المقصد، وشرف الغاية.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : أ.د. محمد محمد حسين طه - مصر .

٣- إحياء علوم الدين : لأبي حامد الغزالي - دار القلم بيروت .

٤- الأدب المفرد : الإمام البخاري . المطبعة السلفية - مصر

٥- الأذكار للإمام النووي بتحقيق عبدالقادر الارناؤوط - مطبعة الملاح - دمشق ١٩٧١م

٦- الأسرة وجنوح الأحداث في مجتمع دولة الامارات العربية المتحدة - منى جمعة عيسى البحر - جمعية الاجتماعيين بالشارقة ط ١٩٩١م .

٧- الأسرة والمجتمع : د. علي عبدالواحد وافي - ط٧ - دار نهضة مصر للطبلع والنشر ١٩٧٧م

٨- أصول الحديث : د. محمد عجاج الخطيب - دار الفكر - لبنان ١٩٧١م .

٩- اصول النظام الاجتماعي في الإسلام : للعلامة الطاهر بن عاشور - الشركة التونسية للتوزيع - الدار العربية للكتاب .

١٠- اقتضاء العلم العمل : الخطيب البغدادي بيروت . القاهرة

١١- أولويات الحركة الإسلامية : د. يوسف القرضاوي - بيروت .

١٢- بروتوكولات حكماء صهيون . بيروت .

١٣- بلوغ المرام من أدلة الأحكام : للحافظ إبن حجر العسقلاني بتصحيح محمد حامد الفقي - ط٢- المكتبة التجارية مصر ١٩٣٣م .

١٤- التبشير والاستعمار : أ.د. عمر فروخ وأ.د. مصطفى الخالدي بيروت .

١٥- تحفة المودود في أحكام المولود لابن قيم الجوزية - مصر وبيروت .

١٦- التربية الإسلامية : لمحمد عطية الابراشي - ط٣ عيسى الحلبي ١٩٧٥

١٧- التربية الإسلامية أهدافها ووسائلها وطرق تدريسها : د. محمد عجاج

الخطيب - مؤسسة الامالي الجامعية - جامعة دمشق ١٩٧٤ .
١٨ - الترغيب والترهيب : للحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري.
١٩- تفسير الطبري : الامام المفسر محمد بن جرير الطبري القاهرة وبيروت .
٢٠- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير :لابن حجر العسقلاني . بعناية السيد عبدالله هاشم اليماني الندوي - ١٩٦٤م .
٢١- التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ترجمة كاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين أيري بولاية كولورادو.
٢٢- الجامع الكبير : للحافظ جلال الدين السيوطي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٨م .
٢٣- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد : للإمام محمد بن محمد بن سليمان بعناية السيد عبد الله هاشم اليماني المدني - المدينة المنورة - ١٩٦١م .
٢٤- جنوح الأحداث : الأستاذ الصواف دمشق ١٩٥٠
٢٥- جنوح الأحداث في دولة الإمارات العربية المتحدة - أ.د. محمد رياض الخاني - جمعية أم المؤمنين عجمان ١٩٨٩م .
٢٦- الخليج العربي أمام التحدي العقدي د. سعيد حارب ط - مكتبة الأمة - دبي .
٢٧- دراسية تشخيصية لظاهرة الطلاق في دولة الإمارات العربية المتحدة فيصل محمد خير الزراد . ود. عطوف محمد ياسين - دار القلم - دبي ١٩٨٧م .
٢٨- الزواج في الشريعة الإسلامية : لأستاذنا علي حسب الله - دار الفكر العربي .
٢٩- الزواج المشكلة والحل : الأستاذ راشد الجروان ط - دبي .
٣٠- سبل السلام شرح بلوغ المرام : لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني . مراجعة محمد عبد العزيز الخولي - ط٢ مصطفى البابي الحلبي - مصر

- ١٩٥٠م
٣١- سنن ابن ماجه : للحا فظ محمد بن يزيد القزويني بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - ط عيسى الحلبي بمصر - ١٩٥٢ .
٣٢- سنن أبي داود : للأمام أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني - ط المكتبة التجارية - بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - ٣٦٩ - ١٩٥٠ .
٣٣- سنن الترمذي . للحافظ محمد بن عيسى الترمذي تحقيق أحمد شاكر - عيسى الحلبي .
٣٤- سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي - المكتبة التجارية مصر.
٣٥- سيرة صلاح الدين لبهاء بن شداد - مصر .
٣٦- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين : لمحب الدين الطبري - ط١-المطبعة العلمية حلب ١٩٢٨ م.
٣٧- السنة قبل التدوين : د. محمد عجاج الخطيب ط٢ . دار الفكر بيروت ١٩٧١م .
٣٨- شرح قانون الاحوال الشخصية د. مصطفى السباعي - مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٨م .
٣٩- صحيح البخاري بحاشية السندي : للإمام أبي عبد الله البخاري : عيسى الحلي مصر .
٤٠- صحيح البخاري : الامام محمد بن إسماعيل البخاري - إدارة المطبعة المنيرية علام الكتب بيروت .
٤١- صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - ط دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٦م.
٤٢- صحيح مسلم بشرح النووي : للإمام يحي بن شرف الدين النووي - المطبعة المصرية -بالقاهرة ١٣٤٩هـ .
٤٣- ظاهرة جنوح الأحداث في مجتمع الإمارات : سلسلة الدراسات

الاجتماعية : لفيف من الباحثين بإشراف د. محمد هويدي - كتاب البيان جمعية الاجتماعيين - مطبعة البيان التجارية (بلا تاريخ . والراجح عام ١٩٩٨م) .

٤٤- العقد الفريد : لأحمد بن محمد (ابن عبد ربه) بعناية أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الابياري لجنة التأليف والترجمة والنشرة - القاهرة ١٣٧٥هـ .

٤٥- الغارة على العالم الإسلامي : د. شاتليه ، ترجمة مساعد عبدالباقي ومحي الدين الخطيب المطبعة السلفية - القاهرة .

٤٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري - مصطفى البابي الحلبي القاهرة - ١٩٥٩م.

٤٧- فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في علم التفسير : للإمام محمد بن علي الشوكاني - ط٢ مصطفى البابي الحلبي القاهرة - ١٣٨٣ هـ .

٤٨- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير : لجلال الدين السيوطي ترتيب الشيخ يوسف النبهاني - طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٤٩- الفرقة بين الزوجين : للأستاذ الشيخ علي حسب الله - دار الفكر العربي ١٩٦٨هـ القاهرة .

٥٠- الفكر الإسلامي : محمد عجاج الخطيب ولفيف من أساتذة الفكر الإسلامي - جامعة الامارات العربية المتحدة .

٥١- فلسفة نظام الأسرة في الإسلام : د. أحمد الكبيسي - مكتبة المكتبة . العين ١٩٨٠م .

٥٢- في رحاب أسماء الله الحسنى وصفاته العليا : د. محمد عجاج الخطيب مؤسسة الرسالة - ١٩٨٨م .

٥٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير : للشيخ عبدالرؤوف المناموي - ط المكتبة التجارية - ١٩٣٨ بمصر .

٥٤ – القاموس المحيط : لمجد الدين الفيروز بادي – ط٥ – المكتبة التجارية القاهرة .

٥٥ – قبسات من هدي النبوة : د. محمد عجاج الخطيب – دار الفكر لبنان – ط١٩٨٢/٤

٥٦ – كشف الخفا ومزيل الالباس عما يدور على السنة الناس : العجلوني مؤسسة الرسالة بيروت .

٥٧ – لمحات في المكتبة والبحث والمصادر : د. محمد عجاج الخطيب مؤسسة الرسالة بيروت .

٥٨ – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : للشيخ ابي الحسن الندوي . دار الفكر بيروت .

٥٩ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للحفاظ نور الدين الهيثمي . طبع حسام الدين القدسي بالقاهرة ١٣٥٣هـ

٦٠ – المجموعة الاحصائية السنوية الرابعة عشرة ١٩٩٢/٩٩١م إدارة التخطيط وزارة الداخلية دولة الإمارات العربية المتحدة .

٦١ – مختصر تفسير إبن كثير : للشيخ محمد علي الصابوني – دار القرآن – بيروت .

٦٢ – مختصر منهاج القاصدين : لابن قدامة المقدسي مصر .

٦٣ – مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام : للشيخ عبد الرحمن الباني – المكتب الإسلامي – بيروت .

٦٤ – المدخل إلي دراسة الثقافة الإسلامية أ.د. محمد رشاد سالم دار الفلاح الكويت .

٦٥ – مذكرات السلطان بن عبد الحميد طبع بيروت .

٦٦ – المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي – المكتب الإسلامي – بيروت.

٦٧ – مسند الامام أحمد : للإمام أحمد بن حنبل بتحقيق أحمد محمد شاكر – ط دار المعارف القاهرة .

٦٨ – من هنا نعلم : للشيخ محمد الغزالي مصر.

٦٩ – المغني : للفقيه عبدالله بن أحمد المقدسي بتعليق السيد رشيد رضا. ط الثالثة – دار المنار مصر ١٣٦٧هـ .

٧٠ – المغني عن حمل الأسفار في الأسفار : للحافظ العراقي على هامش إحياء علوم الدين .

٧١ – نظام الأسرة في الإسلام : أ.د. محمد عجاج الخطيب . أ.د. عدنان محمد زروزور . محمد عبد السلام . د. محمود نادي عبيدات . د. أحمد العليمي – مكتبة الفلاح الكويت – الامارات .

٧٢ – نظام الأسرة في الإسلام : د. محمد عقلة – مكتبة الرسالة الحديث عمان – ١٩٨٣ .

٧٣ – نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام أ.د. عبدالرحمن محمود الصابوني – دار الفكر – دمشق ط٤ .

٧٤ – نهاية الرتبة في طلب الحسبة : للشيرزي تحقيق أ.د. حسام الدين السامرائي – دار المعارف بغداد .

٧٥ – نيل الاوطار شرح منتقي الأخبار : للإمام الشيخ محمد بن علي الشوكاني – طبعة ٢ مصطفى البابي الحلبي ١٣٧١هـ .

التحديات التربوية المعاصرة للأمة

مقدم إلى ندوة
«التحديات المستقبلية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل»
المنعقدة في رحاب جامعة الإمارات العربية المتحدة
في الفترة من ٢٠ - ٢٣ شعبان ١٤١٨هـ
الموافق ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

أ.د. على أحمد مدكور
عميد معهد الدراسات التربوية
بجامعة القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة:

التعلم هو شرف الإنسان وامتيازه، وهو مناط التكليف، وأساس حمل الأمانة. لذلك عندما خلق الله الإنسان، وجعله خليفة فى حمل أمانة السماء إلى الأرض، علمه: "وعلم آدم الأسماء كلها". وعندما بدأ الوحى بالرسالة الخاتمة، كانت أول كلماته: "اقرأ باسم ربك الذي خلق" ... فالتعلم ثقيل فى ميزان الله من البداية .. وقد تعلم البشر أخيراً أن يجعلوه ثقيلاً في المنافسة بين التعليم والكارثة". كما جاء تقرير اليونسكو الأخير لعام ١٩٩٦ تحت عنوان: "التعلم .. ذلك الكنز المكنون" مستعيرين بذلك احدى عبارات لافونتين فى حكايته عن "الفلاح وأطفاله" :قال الفلاح: احذروا بيع الميراث، الذى تركه لنا آباؤنا، ففيه كنز مكنون".

ولكن أي تعلم ذلك الذي يعتبر كنزاً مكنوناً فى عصر العولمة؟

تشير الدلائل أنه لن تستطيع الحكومة في المستقبل القريب أن تتحمل عبئاً في التعليم فوق عبء التعليم الأساسي للجميع. لذلك لابد لكل مفكر وعالم وصانع قرار، ولكل معلم ووالد وصاحب أعمال، وكل بنك وكل مؤسسة ... لابد لكل أبناء الأمة أن يهيئوا أنفسهم للإسهام في تعليم أبناء الأمة كما ينبغي أن يكون التعليم. فلا يمكن للمرء أن يفكر في استثمار أكثر عائدا، ولا فى تجارة تنجينا من مستقبل ذليل فى الدنيا، وعذاب أليم فى الآخرة، أكثر من الإسهام في تعليم أبناء الأمة تعليماً يحفظ لهم هويتهم، ويضمن لهم قوتهم وازدهارهم وتميزهم فى عالم المستقبل.

العولمة والتعليم:

فى عصر العولمة والكوكبة "والكنتكة" و"المكدنة"، نحتاج إلى تعليم يحفظ للأمة هويتها وتميزها وخبرتها ... تعليم يحفظ لها مكانتها في الأرض ومنزلتها في السماء.

وفي عصر تطوير تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وعصر تدفق المعلومات

وتسارعها، نحتاج إلى تعليم يؤدي إلى تنوع البشر وتمايزهم وإقدارهم على تلقي المعلومات وتنظيمها وحسن استخدامها فى التفكير والتعبير والاتصال والانتاج وبناء العلاقات.

وفي عصر تناقص الموارد غير المتجددة من طاقات وخامات، نريد تعليماً ينتقل بالأمة من الصناعات التقليدية إلى صناعات جديدة، وصناعة معلومات وخدمات، ويعتمد على التكنولوجيا فى استنباط طاقات وخامات جديدة، ينتقل بها من العمالة العضلية إلى العمالة العقلية، ومن التخصص الضيق إلى المرونة والمعرفة الشاملة، ومن المركزية إلى اللامركزية، ومن التنظيم الهرمي إلى التنظيم الشبكى، ومن الاقتصاد المتأثر بعوامل داخلية فقط إلى الاقتصاد المتأثر بعوامل داخلية وخارجية، ومن النمطية إلى التمايز، ومن الخيار الواحد إلى الخيارات المتعددة.

نريد تعليماً يبني - قبل كل شيء - الإيمان بالله، والأخوة فى الله، والأخوة في الإنسانية، ويرسخ قيم العلم، والعدل، والحرية، والوحدة، والإحسان في العمل، ويقيم مشاعر العدل والسلام في عقول البشر.

في زمن التلوث الفكري والسمعي والبصري والمائي والهوائي، نريد تعليماً يبني قناعات التغيير من التزامن المحكم إلى الزمن المرن، ومن التركيز الجغرافي إلى الانتشار، ومن الاعتماد على الحكومات إلى الاعتماد على الذات والمؤسسات، ومن ديمقراطية التمثيل الشمولى إلى ديمقراطية المشاركة الشعبية، ومن التخطيط الجزئي إلى التخطيط الكلى الذي يعمل حساباً لكل عناصر الموقف أو النظام...

في ضوء هذه التوجهات تأتى هذه الورقة لتقدم تصورا مقترحاً للنظام التعليمي الذى يمكن أن نشارك به صناعة المستقبل في القرن الواحد والعشرين.

هيكلية ومنهجية جديدتان

لكى تتم الاستجابة للتحولات السابقة وتتحول إلى واقع عملى في حياة الأمة في القرن القادم، لابد من إحداث إبداعات وابتكارات في العملية التعليمية. فالمؤسسة التربوية الناجحة هي تلك التي تكون قادرة على صياغة مخرجاتها وهم الناشئة على أن يعيشوا حياتهم الحاضرة بفاعلية، وأن يدخلوا مجتمع البالغين وهم قادرون على المشاركة الفعالة في جميع أنشطته الاجتماعية والإنتاجية.

ولكى يتحقق ذلك لابد من هيكلية جديدة تخلع الأمة من سيناريو التدهور وتدفع بها إلى سيناريو التماسك والصمود وصولاً إلى سيناريو الانطلاق والتقدم وهذه الهيكلية تعتمد على التصور التالي:

"الشجرة التعليمية" وليس "السلم التعليمي":

ولكي تترجم التحولات السابقة والأهداف المنبثقة عنها بصدق في ميدان التربية والتعليم، يتفق الباحث مع مجموعة من العلماء والمفكرين العرب الذين اقترحوا مفهوم "الشجرة التعليمية" بدلاً من "السلم التعليمي".

فمفهوم "الشجرة التعليمية" ينطوي - أولاً - على معنى الارتباط العضوى بأرضية أو تربة معينة، وبمناخ معين، وهو - ثانياً - يفيد معنى "البناء المستمر" أي أن يتحول التعليم إلى كيان حي دائم الحركة والنمو. وهو ينطوي - ثالثاً - على جذع أساسي واحد" وهو التعليم الأساسي، الذي لابد أن يمر به أو يتسلقه كل أبناء الوطن الواحد. وهو ينطوى - رابعاً - على فروع وأغصان متعددة، يمكن لهؤلاء الأبناء أن يتسلقوا أيا منها حسب قدراتهم واختياراتهم. وينطوي - خامساً - على تعدد فرص الارتفاع الراسى الدائم إلى أعلى فروع الشجرة، كما ينطوي على فرص الانتقال الأفقي الدائم من فرع إلى فرع اخر(*).

(*) انظر: تقرير تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين، منتدى الفكر العربي، المؤتمر السنوي السابع للهيئة العامة، عمان ١٢ - ١٤/٥/١٩٩٠م.

ويختلف هذا المفهوم عن مفهوم "السلم التعليمي" في أن مفهوم السلم له بداية محددة، وتسلسل محدد، ونهاية محددة. بينما مفهوم الشجرة التعليمية له بداية فقط، كما أنه مرن ومتنوع في تسلسله، وليس له سقف محدد، فنهايته مفتوحة، تسمح بالامتداد والنمو مع تشعب ونمو المعارف والعلوم والفنون. كما أنه يسمح بالدخول إليه عند نقاط عدة، يمكن لأي مواطن أن يعاود الولوج منها إلى النظام التعليمي طبقاً لرغبته وقدرته.

في إطار التدفق المتسارع للمعلومات فإن المدرسة لا تركز على التلقين، لأنها لا تستطيع تلقين كل شيء ولا تستطيع أن تستبقى التلميذ فترة طويلة بها لذلك فإن التركيز هنا على تعليم التلميذ كيف يعلم نفسه بنفسه. بذلك يصبح التعليم نشاطاً مجتمعياً شاملاً لكل الأفراد وفي كل المؤسسات، بحيث نصل إلى المجتمع المعلم المتعلم، أو المجتمع الذي يعلم نفسه بنفسه، وبحيث يغدو التعليم سلعة الناس جميعاً. قال صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم العلم وعلمه".

ويتسق هذا مع مفهوم التعليم مدى الحياة، الذي لا يعتبر مرحلة جديدة تضاف إلى مراحل التعليم النظامي، وإنما هو تعليم لا يمثل مدة زمنية ولا احتكاراً مكانياً، ولكنه تعليم عريض يأخذ عرض مساحات الحياة مكانا، وهو طويل يأخذ طول مساحات الحياة زماناً، وهو عميق عمق الحياة في بيئتها وفي مجالاتها المختلفة. وهو تعليم ذو مسئولية على المتعلم، فعليه أن يعلم نفسه وأن يعلم غيره، فهو تعليم من الجميع وإلى الجميع. قال صلى الله عليه وسلم: "من كتم علما نافعا الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة".

وتشمل هذه الهيكلية مفهوم الجسور التعليمية، ونقاط العبور المتعددة، فهو ينطوي على إتاحة فرص دائمة لكل مواطن لدخول النظام التعليمي مهما كان عمره ومستوى تعليمه الرسمي السابق. ويعني ذلك إجرائياً أن تتعدد نقاط الدخول والصعود على أفرع الشجرة التعليمية. كما يعني إمكانية الانتقال عبر الجسور من تخصص إلى آخر، ومن مهنة إلى أخرى. ويكون معيار الدخول والعبور على هذه الجسور هو القدرة على متابعة نوع التعليم

الذي يريد الفرد الالتحاق به.

تربة الشجرة:

تنطلق الرؤية المقترحة من تشبيه التربية بالشجرة المزدهرة النامية. والشجرة بالطبع مغروسة في تربة يجب أن تكون خصبة كي تتغذي عليها، ولها جذع واحد قوي متماسك، ولها فروع وأغصان متشابكة ومتفاعلة.

أما تربة الشجرة الخصبة التي تتغذي عليها فهي رؤية فلسفية شاملة للألوهية والكون والانسان والحياة، تتسق مع الأطر المصرية العربية الإسلامية، وقيمها الثابتة في الحرية والعدالة والوحدة، والعلم والمعرفة، والأسرة الشرعية، والإحسان في العمل.

هذه الرؤية تقوم على الثقافة العربية باعتبارها عاملا رئيسيا في وحدة الأمة وتماسكها، وتميزها، وتواصلها الحضاري في المحيط الإنساني. وعلى اللغة العربية باعتبارها مفتاح شخصية الأمة، وجوهر هويتها، والحارس الأمين على ثقافتها الأصيلة والمعاصرة، وتدعم التاريخ باعتباره صانع الولاء للأمة، وتدعم الجغرافيا باعتبارها – مع الإنسان – صانعة التاريخ.

جـــذع الشجرة :

يقصد بالتعليم الأساسي الحلقات الإبتدائية والإعدادية والثانوية، وهذا اللون من التعليم يمثل جذع الشجرة، لأنه لابد أن يمر به كل تلميذ ذكراً كان أم أنثى، بحيث يتمكن من تعلم المعارف النظرية والمهارات العملية وقدرات النمو الفكري والوجداني والجسمي التي تمثل قاعدة المواطنة في ثقافة عربية إسلامية حية ومتجددة على مستوى المحافظات وعلى مستوى الأمة كلها.

ويتمثل منهج هذا التعليم في أربع مجموعات من المواد هي: مجموعة التربية الدينية والوطنية والفنية، ومجموعة اللغة العربية واللغات الأجنبية، ومجموعة الرياضيات والعلوم التكنولوجية، ومجموعة الدراسات الاجتماعية.

وينبغي معالجة هذه المواد فى شمول وتكامل يستوعب التداخلات والعلاقات بين مجالات المعرفة مع التركيز على المعارف الأساسية، والإعداد

المهني الأولى بشكل يؤكد وحدة المعرفة الإنسانية، وزيادة مقدرة التلميذ على مواصلة العملية التعليمية.

وهنا يلزم التأكيد على ضرورة تحقيق إلزامية التعليم الأساسي، واستيعاب جميع الملزمين، التزاماً من الدولة والمجتمع، وإلزاماً للوالدين وأولياء الأمور. وذلك استجابة للمطالب المتزايدة للقاعدة الثقافية للمواطنة الصالحة، والارتقاء بكفاءة هذه المرحلة في بناء شخصية الإنسان العربي، والحفاظ على هويته.

رفع الضغوط الداخلية والخارجية:

ينبغي مراجعة النظم التعليمية التى تتعدد فيها أنواع الهيئات المسؤولة عن التعليم الأساسي. كأن تكون هناك مدارس تشرف عليها هيئات مدنية، وأخرى تشرف عليها هيئات دينية أو هيئات أجنبية بما يترتب على ذلك من تفاوت وتباين في تكوين القاعدة الثقافية المشتركة التي بدونها يصعب تحقيق التواصل الفكري والتماسك الاجتماعي، والعمل الفريقي المشترك لصناعة المستقبل.

كما ينبغي تحرير التعليم الوطني والقومي من الضغوط الخارجية، وذلك من خلال التأكيد على الطابع العربي والقومي والاهتمام بمواد التاريخ والجغرافيا، واللغة العربية، والتربية الدينية، وأيضاً من خلال الحد من ظاهرة المدارس الخاصة ذات الطابع الأجنبي التي لا تستخدم اللغة العربية فى التعليم والتعلم، وتركز بدلاً من ذلك على لغاتها، وعلى طابعها الثقافي الخاص، الأمر الذي يؤدي إلى تدني مستوى الولاء القومي، وانفصال الشخصية، والعداء للثقافة الوطنية والنفور منها، وهجرة المتميزين من أبناء الوطن في النهاية إلى بلاد الثقافات التي تعلموا في مدارسها، مع الأخذ في الاعتبار أن الذين ينخرطون في هذه المدارس - غالباً - هم أبناء الصفوة الذكية المتميزة، الذين ينتظر منهم في النهاية أن يقودوا المجتمع في مسعاه الصاعد نحو التقدم والرقي.

المدرسة الثانوية المتكاملة :

تؤكد الهيكلية المقترحة على ضرورة إعادة النظر في تقسيم التعليم الثانوي إلى عام ومهني.

وقد اقترحت المجالس القومية المتخصصة وكثير من الهيئات التربوية بما في ذلك وزارة التربية توحيد مدارس المرحلة الثانوية، التي تمتد من الخامسة عشرة عشرة حتى الثامنة عشرة، تحت ما يسمى بـ «المدرسة الثانوية المتكاملة» التي يمكن اعتبارها مرحلة منتهية لا ترتبط بالضرورة بمرحلة التعليم العالي والجامعي، فهي تحتوي على مزيج منسق من العلوم والمعارف والمهارات الفنية ومهارات التعلم الذاتي التي تتيح لخريجيها مجالات واسعة للاختيار بين الالتحاق بالجامعة وبين الالتحاق بسوق العمل في ضوء استعداداتهم وميولهم، وفي ضوء التوجيه التربوي والمهني. كما ينبغي أن يكونوا قادرين على التعلم الذاتي، وعلى القيام بأدوار اجتماعية معينة، وأن يكون الخريج قوي الهوية والشخصية، ومحصناً بالتفكير العقلاني والتحليل النقدي.

وتلاميذ "المدرسة الثانوية المتكاملة" هم القادرون من خريجي مرحلة الحلقة الاعدادية أو المتوسطة على متابعة الدراسة. وبناء على مفهوم الجسور التعليمية وتعدد نقاط الدخول ونقاط العبور يمكن لخريجي الحلقة الإعدادية الذين التحقوا بسوق العمل فترة زمنية أن يعودوا لمواصلة الدراسة فى المدرسة الثانوية المتكاملة إذا رغبوا في ذلك، وبناء على اختبارات متقنة تثبت قدرتهم على ذلك.

ولأن هذه المدرسة تعتبر امتداداً للحلقتين السابقتين فإن مناهجها تحتوي على المجموعات الأربع المذكورة في المرحلة السابقة وهي: مجموعة بناء الإنسان الصالح، ومجموعة اللغات، ومجموعة الرياضيات، ومجموعة العلوم والتكنولوجيا ولكن مع تغير في الأوزان الكمية والكيفية، وفي إطار الاختيارات المتنوعة للطلاب الذين يمرون - بحكم سنهم - بمرحلة نمو بيولوجي ونفسي سريع وغير متوازن، كما يمرون بمرحلة ضغوط اجتماعية من أجل تكثيف

التحصيل والتعليم من جهة، والاضطلاع بمسؤوليات الراشدين والتزامات سوق العمل من جهة أخرى.

ومن الجدير بالذكر هنا أن يعتمد الجزء الفني في مناهج "المدرسة الثانوية المتكاملة" على تعليم المهارات العقلية – اليدوية الأساسية لكثير من المهن الفنية الحديثة، وليس على تعليم المهن نفسها كما تفعل مناهج المدارس الثانوية الفنية الحالية. لأنه بهذه المهارات العقلية – اليدوية الأساسية يستطيع خريج هذه المدرسة الثانوية المتكاملة أن يتعلم أية مهنة فنية حديثة في موقع العمل خلال شهور قليلة بدلاً من السنوات الثلاث التي يقضيها في المدرسة الثانوية الفنية الحالية.

ولأن المدرسة الثانوية المتكاملة المقترحة ستركز على المهارات العقلية – اليدوية الأساسية اللازمة للمهن الفنية الحديثة، وليس على مهنة فنية بعينها، فإن هذه المدارس لن تحتاج إلى نفس التجهيزات الضخمة والمكلفة – من ورش وماكينات وآلات –– إلخ – التي تحتاجها عادة المدارس الفنية.

فروع الشجرة وأغصانها :

الهيكلية والمنهجية السابقتان يشبهان التعليم الجامعي والعالي بفروع الشجرة وأغصانها، حيث تتعدد فيه نقاط الدخول والخروج، كما تتعدد نقاط العبور من فرع لفرع، ومن غصن لآخر. ويقتضي ذلك ضرورة تحديث نوعية التعليم العالي، على المستويين الجامعي والدراسات العليا، والتوسع فيه، وتشجيع البحث العلمي بما يتسق مع مشكلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومتطلبات الإنتاج، وتشجيع التعليم المستمر والتعليم عن بعد عن طريق الوسائل والمستحدثات المختلفة مثل: الجامعات المفتوحة، والتعليم بالمراسلة، والبرامج التدريبية، وتطوير سياسة القبول بالجامعات بحيث يراعى فيها الميول والقدرات والرؤى المستقبلية، وليس مجرد تنسيق الدرجات .. ونفصل القول في ذلك قليلاً فيما يلي:

إن مهمة التعليم العالي الأساسية هي تأهيل القوى البشرية العليا أو رفيعة المستوى لكي تقوم بالتدريس، والبحث العلمي وإنتاج المعرفة وتطبيقاتها العملية المباشرة، وتنظيم وإدارة المجتمع والدولة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. ولكي يتم ذلك بإيجابية وفاعلية، فإن علينا أن تقوم بما يلي:

- إعادة النظر في طريقة اختيار الطلاب وزيادة نسبة المقبولين منهم.
- إعادة النظر في المناهج الجامعية وما بعدها.
- إعادة النظر في اختيار طلاب الدراسات العليا.
- إعادة النظر في تأهيل الأساتذة.

الإدارة والتمويل:

إن التعليم كعملية مجتمعية لا يمكن أن يتحقق من خلال المركزية الحادة. فقد أصبح النظام المركزي عقبة أمام التطوير، لما ترتب عليه من قيود تعوق الحركة وتمنع المبادرة، وتبعد مشاركة القطاعات المحلية من الاهتمام بقضايا التعليم والتعاون فى حلها.

إن الاتجاه العالمي الآن هو أن تكون الدولة أصغر، وأفضل اداء، وأقل ترهلا. فالدولة يتعين عليها الآن أن تنتقل من القيام بأشياء كثيرة بشكل سيء، إلى القيام بمهامها الأساسية بشكل جيد، وهذا يعني أن الدولة يتعين عليها أن تنكمش وأن تغير من طبيعتها في آن واحد.

لذلك يجب تقليص مركزية الإدارة التربوية، وذلك لتخفيف العبء عن ميزانية الدولة، وتشجيع المواطنين على المشاركة في تحمل أعباء التعليم، وذلك بأن يترك شأن التعليم للمحافظات تديره بما يتسق مع طبيعتها الجغرافية والاقتصادية وحاجاتها وعدد سكانها، ونوعية الحرف والمهن فيها. وأن يتقلص دور وزارة التربية والتعليم المركزية في الإشراف على المستوى التعليمي العام داخل القطر، والحفاظ على الهوية والشخصية القومية من خلال عدد من مواد المنهج المحورى ذات الطابع القومي التي تدرس في جميع انحاء الجمهورية.

ومن خلال ميزانية سنوية توزعها الوزارات المركزية على المناطق والمحافظات حسب عدد سكانها، على أن تقوم كل محافظة أو منطقة بتمويل التعليم فيها بطريقتها الخاصة من خلال ضريبة التعليم، ومن خلال التبرعات المالية والعينية المختلفة لابناء كل محافظة، بالإضافة إلى حصيلتها من الميزانية السنوية.

إن الدولة لن تستطيع تحمل نفقات التعليم وحدها فى المستقبل وهي غير قادرة على تحمل النفقات الواجبة فعلاً. فنفقات التعليم أصبحت باهظة، والإقبال على التعليم سيكون كبيراً، ونوعية التعليم المطلوب متميز، فتشعب فروع الشجرة التعليمية وامتدادها المستمر افقياً وراسياً يجعل من غير الممكن - إدارياً ومالياً - أن تقوم الدولة بتمويل وضبط كل هذه التشعبات والامتدادات والتطورات.

ويتطلب ذلك أن تتحمل مؤسسات المجتمع المدني وتنظيماته غير الحكومية نصيباً متزايداً من مسؤوليات التعليم إدارة وتمويلاً وتنظيماً، بحيث تصبح مسؤولية الدولة في توفير التعليم الأساسي الذي يمثل جذع الشجرة التعليمية، وتوفير التعليم فيما بعد هذه المرحلة للقادرين المؤهلين ذهنياً وغير القادرين اقتصادياً، بالإضافة إلى الإشراف العام على سير العملية التعليمية لضمان المستوى التعليمي العام المطلوب لأبناء الأمة.

ومن بين مؤسسات المجتمع المدني التي يجب أن تتحمل نصيباً أكبر من غيرها في الاتفاق على التعليم، المؤسسات الاقتصادية الهادفة للربح، لأنها المستفيدة الأولى من مخرجات النظام التعليمي. ومن ثم ينبغي أن تخصص جزءا من أرباحها للإنفاق والاستثمار في تنمية الطاقة البشرية. ولأن مساهمتها في تمويل بعض نفقات التعليم والتدريب سيكون حافزاً لها، في أن تلعب دوراً في صياغة مضمون العملية التعليمية، بل سيكون من حقها أن تراقب - بشكل أو بآخر - طرق الإنفاق والإدارة في المؤسسات التعليمية، بحيث تتأكد من كفاءتها في إنتاج المخرجات التعليمية المطلوبة لمصلحتها ومصلحة المجتمع ككل.

ومن شأن الإسهام المتزايد للوحدات الاقتصادية الهادفة للربح فى نفقات التعليم أن يؤدي ليس فقط إلى تخفيف الأعباء المالية عن الدولة، وإنما إلى الربط العضوي المحكم والمباشر بين التعليم والاقتصاد. فمن شأن هذا التقليد أن يجعل هذه الوحدات تهتم بالإسهام المباشر في صياغة ورقابة العملية التعليمية، ومراعاة حسابات الكلفة، وتوعية القائمين على العملية التربوية بأهميتها، وهذا هو المقصود بالاقتصاد السياسي الرشيد للتربية.

وهنا يجب أن نحذر من الوقوع في الخلط بين الوحدات الاقتصادية التي تقتطع جزءا من أرباحها لتسهم به في الإنفاق على التعليم من أجل تجويده وتحسين إنتاجية خريجية، وبين المؤسسات الهادفة للربح على حساب التعليم وخصماً من المصروفات الدراسية المدفوعة فيه. فهذا النمط الثانى يقوم بعملية عكسية مدمرة للعملية التعليمية وللمجتمع في آن.

معلم من نوع جديد:

إن المنهجية السابقة تحتاج إلى تكوين نوعيات جديدة من المعلمين عالية الكفاءة، رفيعة المستوى الأكاديمي والمهني والأخلاقي ... نوعيات فعالة في عمليات التغير الاجتماعي، وليست مجرد أدوات للحفاظ على الأوضاع القائمة.

لابد من الحصول على معلم قادر على بناء الشخصية المستقلة القادرة على التعلم الذاتي، والبحث عن المعلومات فى مصادرها، وعلى انتقاء المعلومات، وتحليلها ونقدها، وتنظيمها، وعلى الاستخدام الأمثل لها، وتوظيفها فى حل المشكلات.

للحصول على هذه النوعية من المعلمين لابد من الاهتمام بمهنة التعلم باعتبارها مهنة صناعة الإنسانية، والأساس في رقي الإنسان وتقدم المجتمع. ويكون ذلك بالدرجة الأولى عن طريق تعزيز مكانة المعلم الأدبية والمادية والاجتماعية، وربطها بالمؤسسات الجامعية والتربوية، وحفز العناصر المتميزة على الانخراط في هذه المهنة المقدسة.

باختصار، إنه لا سبيل إلى الدخول إلى القرن الواحد والعشرين، وإلى

الإسهام في بناء المستقبل في ذلك القرن، وإلى الاحتفاظ بمكان فيه – فضلا عن مكانة – إلا بمعلم قادر على الإسهام الفعال في التعلم الذي هو – علم صناعة الإنسانية، وعمارة الأرض، وترقية الحياة.

والمعلم في هذا النظام التعليمي الرائد، لابد أن يكون قدوة فكرية، وقدوة نفسية، وقدوة تربوية، وقدوة اجتماعية ... فهذه حقيقة من حقائق الوجود التربوى ... بل والوجود الاجتماعى كله، فإذا لم يعد هذا المعلم إعداداً جيداً، للقيام بهذا الدور، فلا أمل في التعليم، ولا قيمة التكنولوجيا، ولا سبيل إلى بناء العدل والسلام في عقول البشر.

أ.د. علي أحمد مدكور

مدى وفاء التربية الأخلاقية للطفل في الإسلام بتحديات العصر

ندوة
"التحديات المستقبلية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل"
المنعقدة بجامعة الإمارات العربية المتحدة
في الفترة من ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

أ.د. سهام محمد بدر
كلية التربية
جامعة الإمارات العربية المتحدة

محتويات الدراسة

I تحديات القرن الحادي والعشرين ودقاتِ النواقيس

تحديات القرن الحادي والعشرين ودقات النواقيس :

بات القرن القادم.. القرن الحادي والعشرين يدق أبواب عصرنا الراهن في إلحاح شديد. ونهايات القرون، مثل نهايات الأعوام تستدعي نوعاً من التأمل في أغوار النفس، وتهيئ لحظات من التفكير والتدبير، وكأنها لحظات من جرد الرصيد الذي نفذ، وإحصاء المخزون الذي تبقى.. إنها لحظات لاتخاذ قرارات جديدة.

لقد تحركت عقول المفكرين، وأمعنوا التفكير فيما يحفل به القرن القادم من مهام وواجبات وتحديات، وأبعاد متشعبه، في أغوار : التربية - الفلسفة - والاجتماع - والآداب والسياسة والاقتصاد والثقافة والعلوم.. الخ. فصدرت المؤلفات وعقدت المؤتمرات والندوات تذكي في الفؤاد القومي وعي المستقبل.. وفكر المستقبل.. وتوجهات المستقبل (وهذه الندوة واحدة منها).

إن التفكير في المستقبل ليس رجما بالغيب بقدر ما أنه استشراق لآفاق الآتي وحسابات لتحديات الغد تستند الى طروحات الحاضر وتستفيد من عبره الماضي إنه رؤية تستشرق المستقبل من منظور واقعي. لقد قال الأديب الإنجليزي جون جالزورثي كلمته الشهيرة : « لا مستقبل لمن لا ينشغل بالتفكير في المستقبل».

والآن لنطرح السؤال : ما هي القضايا الأساسية الكبرى التي تواجه البشرية في القرن الحادي والعشرين ؟

لقد طرح «كيدر» أحد الكتاب البارزين[1]، ما أسماه بجدول أعمال القرن الحادي والعشرين، واختار إثنين وعشرين (٢٢) من أبرز الشخصيات المؤثرة على الفكر المعاصر في مجالاته المختلفة، لكي تقدم رؤية متكاملة أو شبه متكاملة للإجابة على هذا السؤال، من خلال محاورات حية، تبسط أمامنا التحديات والمهمات والواجبات الملقاة على عاتق البشرية مع حلول القرن القادم. ورغم تعدد الإجابات، وتباين الرؤى، إلا أن ثمة إجماعا بين هؤلاء

---

(١) رشورز كيدر، ١٩٨٩.

العلماء، على تحديد أهم القضايا الرئيسية التي يجب التصدي لها، والاستعداد لمواجهتها درساً ووعياً واستيعاباً في القرن الحادي والعشرين.

القضايا الست الكبرى التي ستواجه الإنسان في القرن (٢١) هي :

(١) سباق التسلح　　(٢) زيادة السكان

(٣) مشاكل البيئة　　(٤) الهوة الفاصلة بين الشمال والجنوب

(٥) تدهور التعليم　　(٦) أزمة الأخلاق[١]

ناهيك عن ثورة المعلومات والاتصالات والجينات وتفجر المعرفة وسرعة انتشارها.

إن تدبر العالم لأمر هذه القضايا الكبرى المطروحة علينا في القرن القادم منذ الآن وتقدير آثارها بالنسبة لأجيال المستقبل بأقصى ما يسعنا من فهم وإمعان وشمول، هو مسؤولية هذا الجيل أمام الأجيال القادمة والناشئة من إبنائنا وأحفادنا.. إنه مسؤولية أدبية مُلزمة. وينقسم العلماء المعاصرين من أهل الفكر والعمل إلى فريقين، الأول تنحو آراءه إلى التفاءل وإلى ابراز إيجابيات هذا القرن والقرن الحادي والعشرين مثل **فيلسوف التربية (مايكل هوكر)**[٢]، والذي يستشرف للمستقبل عالما تستطيع فيه التكنولوجيا حل مشاكل البشر الحياتية... ولكن يربط بها مشكلة جديدة.. هي شيوع «الفراغ»، وشيوع الفراغ... مفسده للمرء أي مسفد !.

ويؤكد «**كيدر**» أن البشرية لم يقدر لها في أي عصر مضى أن تملك من الموارد ومن الإمكانات المادية والتكنولوجية ما يتيح لها أن تضفي أعظم التحسينات على حياتها، مثل ما أتاحه لها العصر الحالي، **ولكنه** أتاح لها في نفس الوقت الكثير من أساليب الدمار والإفناء الشامل الماحق، ناهيك عن قضايا ترتبط ببناء دول، تنقسم فيها الأغلبية بدلاً من الأقلية، ومجازر هائلة تزهق فيها الأرواح دون تمييز اللهم إلا الإرهاب والنفعية، وتزايد في تحدي

---

(١) شوز كيدر، ٩.

(٢) فيلسوف تربوي امريكي معاصر.

الاستعمار، ونزعة التمييز العرقي والفصل العنصري والاحتكارات الصناعية وتبعاتها، وتلوث البيئة وآثاره. كل ذلك مع تواجد هيئة الأمم المتحدة لحماية الحق ومنظمات عالمية لحماية حقوق الإنسان.

إن غلبة النظرة المادية والتي سيطرت على الكثير من مجتمعات العالم، قد هزتها في أعماقه، هزتها في قيمتها...، خلخلت المثل والمبادئ الأخلاقية والروحية، فكانت القضية الكبرى ضمن القضايا الست التي ذكرناها سلفاً ألا وهي قضية **أزمة الأخلاق** سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات.

لقد نادت كل من المؤرخة العالمية «**باربارا تكمان**»[1] والروائي الشهير «**كارلوس مؤنتيس**» بضرورة «**العودة**» إلى الأخلاق الحميدة وإلى التمسك بأهداب الفضيلة بوصفها طوق النجاة في دنيا القرن القادم. إنهم يركّزون على «ضرورة استعادة المزيد من وازع الأخلاق الفاضلة على مستوى **الفرد** وعلى صعيد **الجماعة**». إنهم يعتبرون أن الحياة في القرن الحادي والعشرين «لن تصوغها ببساطة منجزات التكنولوجيا... ولكنها سوف تتشكل حسب قدرتنا **نحن البشر** على أن ندرك الآثار الاجتماعية **والأخلاقية** التي تنجم عن الإختراعات التي نتوصل إليها» وتستطرد تكمان فتقول : «إن البشرية في القرن العشرين قد أصيبت **بالتفكك** وأن أنكى أنواع هذا التفكك يتمثل في **التدهور الحقيقي في الأخلاق**.

لقد أرجع العديد من علماء الغرب والمسلمين المعاصرين **أسباب التدهور الأخلاقي** في بعض المجتمعات والأفراد، إلى العديد من الأسباب من أهمها : غياب العديد من القيم الأخلاقية المستمدة من القيم الروحية والدينية.

وغياب القيم الإنسانية الأصيلة مثل عدم المصداقية، وبيع النفوذ **(في سوق السياسة)**، وتجارة الذمم **(في أسواق المال)** وغلبة النظره المادية وسيطرتها على القيم الإنسانية هذا على مستوى المجتمعات. أما على المستوى الفردي فأرجعوه إلى ضعف الثقة، وغلبة المصلحة الإنسانية الذاتية، والقلق

---

(١) مؤرخة أمريكية معاصره – تعتبر أن مشكلة العصر تكمن اساساً في تفكك النسيج الأخلاقي ... وافتقار الناس إلى القدوة في الفكر والسلوك، رشوزر كيدر ٧١.

والاضطراب وفقدان الوزن وتزايد مظاهر العنف الذي يصيب القيم الانسانية كقيم الحق، والعدل والمساواة.

إن الفيلسوفة «**سيسلا بوك**»[1] ترى أن غياب «**الثقة**» سمة في كثير من التعاملات والمجتمعات والأفراد. كما تعبر «**مارينا ويتمان**»[2] عن ان الحاجة تشتد في القرن الحادي والعشرين الى التمسك بالقيم الفردية، قيم العائلة الأصيلة.

ويحذر «**مايكل هوكر**»[3] من زيادة اللامبالاة الفكرية والثقافية بين صفوف «**المراهقين**» بينما يلاحظ المفكر الياباني «**شويشي كاتو**»[4] ان الكثيرين في هذا العصر لا يكاد يعنيهم معاناة الآخرين.

ويلمح عالم الاجتماع «**إميتاي إتزيوني**»[5]، إلى صوره من صور الخلل القيمي، فيذكر : «لقد عشنا عقدين من الزمن في ظل جو من الأثرة التي ركزت بشدة على «**الأنا**» عند الفرد.. فيما أهملت بجسامه عنصر الـ «**نحن**». إن ما نحتاج إليه ونحن نخطو إلى القرن الـ ٢١ هو أن نعود إلى الجماعية بتوازن أفضل بين الـ «**أنا**» والـ «**نحن**»[6].

إن هذه التحديات التي تواجهنا مع شروق شمس كل يوم في هذا العالم المتغير المتبدل المتطور، تعرضنا لمشكلات تتطلب منا معالجة وحلولا. والحل الناجح لهذه المشكلات والتحديات يحتاج إلى إعمال الفكر، والتخطيط المدروس ثم التنفيذ والتقويم لنتائج ما فكر فيه الفرد وخطط له ونفذه من عمل ونشاط، إنه يتطلب صبراً ومواظبة، فكراً وعلماً، ويتطلب خلقاً وتمتعاً بصفات نفسية

---

(١) استاذة فلسفة الاجتماع الأمريكية من أصل سويدي، تشغلها قضية تدهور القيم وذبول السلوك الاجتماعي.
(٢) استاذة الاقتصاد الأمريكية.
(٣) رئيس جامعة ماريلاند الأمريكية ١٩٧٧.
(٤) مفكر ياباني (داعية اخلاقية وناقد اجتماعي).
(٥) عالم الاجتماع الأمريكي (أستاذ علم الاجتماع في جامعة جورج واشنطن).
(٦) رشورز كيدر من ص٩ - ١٦.

حميدة، تساعدنا على التغلب على الظروف المستجدة.

إن هذه الصفات الحميدة، هي ما أوصانا بها رب العزة أن نتحلى بها وحثّنا على توخيها واكتسابها - **إنها القيم الأخلاقية الإسلامية** التي أوجب على المسلم الخيّر أن يسعى جاهداً لاكتسابها وان يربى عليها ابناءه وذويه.

إن التغلب ومواجهة هذه التحديات الدائمة، جزء لا يتجزأ من الإيمان وتثبيت العقيدة السمحاء لأنها تتطلب علماً، وصبراً وعملاً واجتهاداً وفكر وهو ما حثنا الله على اكتسابه.



II دقات النواقيس

إن قضية أزمة الأخلاق، هي قضية محورية يعتبر التصدي لها درعاً واقياً لمواجهة تحديات القرن القادم، **أنها قضية الإنسان** فإذا كانت المجتمعات العالمية بحاجة إلى مواجهة خطر القضايا الرئيسية والتي تضع في أولوياتها غائلة الفناء النووي، والتكدس السكاني وتدهور البيئة الطبيعة في العالم، والثغرة الفاصلة بين العالم النامي والعالم الصناعي، وإعادة تشكيل جذرية لنظم التربية والتعليم، فإن ما يجب أن يحتل مكان الصدارة هو التصدي لقضية التصدع الذي أصاب الأخلاق على مستوى الفرد والجماعة على السواء.

إن كسوف شمس **القيم الدينية** الذي اجتاح الكثير من المجتمعات غير الإسلامية، وبعض المجتمعات الإسلامية، أدى إلى ظهور النزعة البوهيمية والفوضوية، التى أطاحت بالعديد من القيم الإنسانية والأخلاقية وأضعفتها - كل هذا تستر تحت مفهوم الحرية والاستقلالية والتحضر والمدنية، تلك المفاهيم التي أسيئ استخدامها فأدت الى النتائج المحتومة التي نعيشها في هذا القرن وما نتوقع المزيد منها في القرن القادم.

إن تناول قضية «**أزمة الأخلاق**» كأحد القضايا المحورية التي تواجه العالم في القرن الحادي والعشرين، بما تحتويه من مخاطر وتحديات، والعمل على مواجهتها، أمر يحتاج إلى مجلدات، وهيهات لنا في هذا المجال أن نلم ولو بطرف منه.

إن مجتمعاتنا الإسلامية والعربية ليست بعيدة عن هذه الأزمة وهذا الخطر، وهذه التحديات ، الأمر الذي يستدعي اليقظة والتأهب والاستعداد لمواجهة هذه القضية، ودرئ أخطارها. والذي يعني الإهتمام بالتربية الأخلاقية. فلن يكون هناك تقدم لمجتمع إلا إذا تحلى أفراده بالأخلاق القويمة، وكان سلوكهم نابعاً منها في السر والعلانية عند الفرد وعند الجماعة.

إنها قضية التربية الأخلاقية وغرس القيم :

إن قضية التربية الأخلاقية تتطلب منا وقفة جادة وتأمل عميق، على مستوى الدول الإسلامية والعربية جمعاء. هذه الوقفة وهذا التأمل، يجعلنا نطرح على أنفسنا العديد من التساؤلات : ماذا ينبغي أن يكون من أجل مواجهة التحديات المستقبلية الكبرى التي تواجه العالم بوجه عام والأمة الإسلامية بوجه خاص ؟ وماذا تفرضه هذه التحديات على النظام التربوي والتعليمي بالمجتمع الاسلامي بصفة عامة ؟ وماذا يمكن أن يقدمه هذا النظام التربوي والتعليمي في إطار ديننا الإسلامي وشريعتنا السمحاء ؟ وماذا يجب أن ننقب عنه في تراثنا الإسلامي العربي من أسس ومبادئ وقواعد ومسارات وقيم يمكن أن تفيدنا في رؤيتنا المستقبلية الخاصة بتربية أبنائنا بوجه عام وتربيتهم تربية أخلاقية بوجه خاص؟

إن ما تفرضه التحديات المستقبلية على النظام التربوي في الوطن العربي الإسلامي بوجه عام وبلغة خاطفه، أشبه بلغة البرقيات هو ما يملي على التربية المستقبلية أنّى كانت أن تجدد بنيتها وأهدافها وطرائقها، تجديداً يستجيب لهذه التحديات ويجعلها أداة أساسية لمواجهة التغير السريع والتصدي له.

إنها قضية تربية الناشئة أخلاقيا :

كيف نحكم على مستقبل مجتمع ما ؟ كيف يمكن التنبؤ بمدى نجاح هذا المجتمع في استمرارية ازدهاره وتحقيقه لأهدافه في رفاهية أفراده ومجتمعاته؟

يعتمد كثير من العلماء على مؤشرات أو محكات عديدة للإجابة على هذا التساؤل منها : نمو معدلات الإنتاج، سلامة الأحوال الصحية والجسمية والنفسية لأفراده. ومع اعترافي بأهمية هذه المحكات وضرورتها ونحن في صدد رؤى مستقبلية لمجتماعتنا الإسلامية، نعتمد الى ما يمكن أن يتطور اليه حاضرنا، أرى أن المحك الذي يجب أن يحتل مكان الصدارة كمؤشر من مؤشرات النجاح والازدهار لمجتمعاتنا هو **سلامة الجانب الاخلاقي**. إيماناً بأن

السلامة العقلية والجسمية والنفسية تقع تحت مظلة **التكوين الأخلاقي**.

إن الحكم على مستقبل مجتماعتنا، مرهون بمدى ما نهيؤه لأطفالها من فرص التكوين **الأخلاقي، والمعرفي والوجداني والجسمي**. وهذه كلها تؤهله في المستقبل للحفاظ على ثقافة مجتمعه وتنميتها بكل الوعي الصادق والعمل النشط الفعال، مستظلاً بالتنفيذ الجاد والعميق للقوانين الدينية **والوضعية** والتي تؤكد في صرامة اتجاهات مطلوبة : كالتعاون والمشاركة الفعالة، والبعد عن الأنانية... والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية الأصيلة.

إن تنشأة أطفالنا تنشئة اجتماعية دينية أخلاقية سليمة هي الدرع الواقي الذي نقدمه لهم ليقيهم مخاطر التغير المادي الهائل في الحياة المحيطة بهم. فيشبوا مسلحين بتلك الجوانب المعنوية كالقيم والاتجاهات والعادات.. التي تحرك سلوكهم وتنعكس على هذه الماديات، فتجعلها قوة دفع بدلاً من أن تكون سهاماً مسلطة على أعناقهم.

هذا ما فطن له المجتمع العالمي الذي أولى قضايا الطفولة في القرن العشرين اهتماماً كبيراً، حتى أن البعض قد أطلق عليه قرن الطفولة، فغدى الإتجاه إلى دراسات الطفولة واحتياجاتها لاتجاه جديد يؤمن بأن النجاح في مجال التنمية الاقتصادية وزيادة الدخل القومي لا يزيد من أهميته عن النجاح في تحقيق التوافق الضروري بين الفرد والمجتمع، وأن الاستثمار في مجال التنمية البشرية هو الاستثمار الأمثل.

ومن المعلوم أن ما تستثمره الدول في **رعاية الطفولة**، يعود على المجتمع مرات ومرات أخرى، على مواطنيها في شبابهم ورشدهم. لقد أصبحت حقيقة واضحة للجميع ان مؤشرات رعاية الطفولة أو إهمالها في بلد من البلدان هي نفسها ما يمكن أن تحصله في المستقبل من حيث ضمان فرص التعليم والتوظيف والإنتاج والابتكار ومن ثم **التنمية الاجتماعية الكاملة**... هذا إن صحت رعاية الطفولة وتكاملت. أما إذا اتجهت الأمور عكس ذلك حلت الفوضى وسوء التربية وانتشر الانحلال **الخلقي والاجتماعي** وضاعت التنمية

الاجتماعية بكل صورها.

لقد اعطت **معظم الدول الإسلامية اهتماماً** متزايد في السنوات الأخيرة برعاية الطفولة وتربيتها نتيجة الاعتقاد السائد بأن الاطفال في حاجة ماسة الى التوجيه الاجتماعي، وأنهم في حاجة إلى المزيد من اهتمام الباحثين في العلوم السلوكية، بعد أن تشابهت واختلطت **القيم** على المربين، نتيجة التغير الاجتماعي السريع والهائل وبعد أن تضاءلت أمامهم الإمكانات التي ينبغي توافرها لإشباع حاجات الناشئة مما القى على عاتق التربويين مسؤليات جسام، في البحث عن أفضل السبل لإعداد الإنسان منذ طفولته ودور التربية في التغلب على التحديات التي ستواجهه.

وكان من الطبيعي أن نعود إلى ينبوع التربية وهو ما أتى به دستورنا العظيم (القرآن) وسبق به الدول المتقدمة اليوم، من حماية ورعاية شاملة كاملة للطفل، فإذا ما قارنا بين موقف الشريعة الإسلامية منذ أكثر من (١٣ قرناً)، وما تتضمنه وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الطفل، التي أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في العشرين من نوفمبر ١٩٥٩م، نجد أن الإسلام قد كفل للطفل، قبل هذه الوثيقة بزمن بعيد، وبصوره أعم وأشمل وأوفى وأقدر ما يحقق مطالبه ويشبع حاجاته ويحميه ويرعاه.

وهنا يطرح السؤال : **هل أتت وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الطفل بمبادئها العشر في القرن العشرين عام ١٩٥٩بجديد عما كفله الإسلام للطفل من حقوق قبل ذلك بعدة قرون؟**

لقد كفل الإسلام للطفل حقه في الحياة والاعتراف به وقبوله، وحقه في التسمية بإسم حسن، وحقه في النمو في جو من الأمن المعنوي والمادي والرعاية والتربية الشاملة لكونه كيان متكامل له جسد وعقل وشعور وإحساس وروح، وحقه في التعليم والتوجيه جاعلاً ميوله وقدراته وامكاناته موضع اعتبار، وحقه في الحماية من التمييز والقسوة والاستغلال.

ويمكن القول أن مدخل الإسلام لإقرار هذه الحقوق للطفل، كان فهما

كاملاً للطبيعة الإنسانية وإهتماماً بالنزعة الاجتماعية للفرد، قدر اهتمامه بالنزعة الفردية، فاعتبر ان الفردية السوية، أصل الاجتماعية السوية، وأن أصل الاتصال الصحيح بالآخرين هو الاتصال الصحيح بالذات.

ان ذلك أوعى أن تكون بدايتنا الحقيقية في تربية الطفل بصفة عامة، وتربيته تربية أخلاقية سليمة، هي الدين الإسلامي. **ما هي نقطة البداية الحقيقية ؟**

ولم تجد الباحثة أحق من ان تكون نقطة البداية في تربية الطفولة ورعايتها في مجتمعاتنا هي **التربية الأخلاقية الإسلامية** كما وردت في القرآن والسنة وآراء العلماء،لتكون جهاز المناعة والدرع الواقي الذي يمكن أن تُجابه به الاجيال القادمة بصلابة تحديات هذا العصر وقضاياه.



III قبس من الأصالة، الأخلاق، القيم، التربية الأخلاقية للطفل في الإسلام

قبس من الأصالة أو الأصالة في زمن المعاصرة :

إن البداية الحقيقية لرعاية الطفولة وتربيتها تربية أخلاقية رصينه، تبدأ من الينبوع الخالد، الا وهو ديننا الحنيف. إنها عود حميد إلى الأصالة في زمن المعاصرة إنه عود إلى القيم الدينية والروحية في الإسلام، لإعادة المسار الخلقي السليم للأفراد والمجتمعات.

لقد وضع لنا الدين الإسلامي الأصول والمبادئ السامية التي يمكن تطبيقها في كل زمان ومكان، وتبقى الاجتهادات الصادقة في تطبيق تلك الأصول والمبادئ أمانة بين أيدى العلماء المخلصين.

إن المتأمل في منهج التربية الإسلامية، ليجد أن القيم الخلقية الفاضلة هي لب هذه التربية الإسلامية وغايتها الأساسية. فإذا كانت مفاهيم هذه التربية الإسلامية على مر تاريخ المسلمين قد اشتملت على كثير من فروع المعرفة النظرية العلمية، فإن كل فرع من هذه الفروع يستهدف في النهاية تحسين الأخلاق واشتقاقها من ينابيعها الأساسية، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وآراء المجتهدين من العلماء والمفكرين ونطرح هنا هذه التساؤلات الثلاث:

ماذا نعنيه بالأخلاق في الإسلام ؟ وما هي القيم والفضائل الإسلامية ؟ في هدي القرآن والحديث وآراء العلماء المسلمين ؟ ما هي التربية الأخلاقية للطفل في الإسلام وماذا يميزها ؟

للإجابة على السؤال الأول : الأخلاق في الإسلام :

الأخلاق قيمة محورية في التربية الدينية الإسلامية وقيمة أساسية في التربية الأخلاقية، حيث يخالق الفرد الناس بخلق حسن، فيه رحمة وحلم وحياء وجود وسخاء ومودة وعطف.. الخ وحسن الخلق، وحسن الأدب فضل عظيم. ووصف الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم. «وإنك لعلى خلق عظيم»

إن أخلاق المسلم محل اهتمام الإسلام، لما لها من تأثير بالغ على سلوكه

وتعامله مع الله ومع نفسه ومع غيره من الناس.

والأخلاق ضرورية لدوام الحياة الاجتماعية ونموها إنها دعوة إلى كل المعاني الإنسانية من محبة ومودة ونزاهة وتراحم. إنها دعوة إلى التعاون، والعدالة وكلها قيم أخلاقية إسلامية.

والأخلاق تدفع الى التكامل في البناء الاجتماعي الذي يقوم على توطيد العلاقات الإنسانية بين الناس على أساس الإيمان والتحلي بالقيم.

إذن فالاخلاق الإسلامية ليست فقط ارتقاء بسلوك الإنسان بما يمثل نموه الاجتماعي، بل هي في الوقت ذاته تُتَّخَذُ سبيلا إلى تحقيقه لرسالته بما تقتضيه من عمران وحضارة لمجتمعه، لا انفصام بين نمو الإنسان في علاقاته الاجتماعية ونموه في العمل والإنتاج، بل ان كليهما يمد الآخر برافد يقويه ويتكامل معه. وحسبنا في هذا أن نشير إلى أبرز الضوابط التي تعتبر متطلبات لهذا النمو، والتي أكد الإسلام عليها مثل القيم الأخلاقية التي تحقق ذلك مثل تحمل المسئولية – والجد والعمل والالتزام بحسن أدائه. فالأخلاق الحسنة والتي تنبع من حسن الإيمان وثباته في النفس، تردع الفرد عن كل عمل فيه ضرر أو شر، وتأمره بالعمل الذي فيه خير. إنها ليست مجموعة من القوانين المجردة، ولكنها اسلوب في التعامل مع الناس في مواقف الحياة العملية. والتربية الأخلاقية الإسلامية الحقّة ليست هي الوعظ والإرشاد وإنما هي القدوة الحسنة والحب المستنير، وإتاحه فرص الحياة للصغير طبقا للقيم الأخلاقية والجمالية فلا قيمة للتربية الأخلاقية، إذا فصلناها عن سياق الحياة الانفعالية، لانها تستحيل في حياة الطفل إلى ألفاظا جامدة لا روح فيها، أما إذا كانت ممارسة وتعويدا على الحياة الجماعية القائمة على الأخذ والعطاء، أصبحت الفضائل اتجاهاً في حياة الطفل، أي قوة دافعة تمتزج بمشاعره وتفكيره وسلوكه – من ثم كانت التربية الأخلاقية هي جوهر الإسلام وروحه.

وهذا ما أكدته النظرية الإسلامية في تربية الطفل التي تقوم على دعائم ثلاث : النظرة التكاملية لطبيعة الطفل، والاهتمام بتنشئته الاجتماعية، وغرس

القيم الأخلاقية منذ نعومة أظافره.

وقد استندت التربية الأخلاقية في الإسلام إلى طبيعة الطفل وتطور الحكم الخلقي عنده، وكان لسنوات الطفولة الأولى أهمية خاصة في التربية الخلقية، حيث يأخذ الطفل الطابع الذي يلازمه طوال حياته في هذه المرحلة العمرية المبكرة.

فقد رأى المربون المسلمون أن الطفل في طفولته المبكرة يكون مستعداً لقبول حقائق الدين، وأن فكرته عنه فكرة مادية محسوسة، كما رأوا أن تكوين عاطفة دينية لدى الطفل أمر تستلزمه التربية الأخلاقية، حيث تمثل هذه العاطفة مظهراً من مظاهر الخلق عند الأطفال، وهذه العاطفة الدينية تتكون من اتصال الطفل بموضوعات الدين مع الاقتران بالتكرار والإيحاء، فتغرس في أعماقه القيم والفضائل. هذه القيم والفضائل يزخر بها القرآن الكريم والحديث الشريف فما أكثرها وما أغناها.

للإجابة على السؤال الثاني : القيم والفضائل الإسلامية في هدى القرآن الكريم والحديث وآراء العلماء المسلمين :

ما أكثر القيم والفضائل التي حثّ عليها الإسلام. إنها على سبيل المثال لا الحصر، تتمثل في الصدق والبر والوفاء والأمانة والإخلاص والتواضع واللين والتسامح والإحسان والاعتدال والكرم، وقول الحق وفعله والتواصي به، والصبر والعدل والإنصاف، والعطف على الفقير والصغير والضعيف، ودفع الضرر عن الآخرين وجلب المصالح لهم، والتعاون على البر والتقوى والتراحم والتكامل ونصرة المظلوم واحترام حقوق الآخرين وعدم كتمان الشهادة، وإغاثة الملهوف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفعل كل خير.

إن هذه القيم والفضائل الشاملة تعني التحلي بمكارم الأخلاق التي هي من أهم وسائل التربية في الإسلام، وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية وفكر علماء المسلمين وفقهائه زاخرة بها في كل موقع.

أبرز القيم والفضائل الإسلامية في هدي القرآن :

قيمة الصدق :

الصدق قيمة تتجلى في سمة من أنبل سمات المسلم، وتتجلى سلوكياً في صدق الفرد إيماناً وقولاً ووعداً وعهداً وعملاً. والصدق من سمات الأنبياء والرسل. والصدق يؤدي الى التعاون الاجتماعي، وينفع صاحبه يوم القيامة.

«يا أيها الذين أمنوا إتقوا الله وكونوا مع الصادقين» (التوبة ١١٩)

قيمة العدل :

إن إقامة العدل بين الناس، والعدل من التقوى قولا وعملاً.

«إن الله يأمر بالمعروف»(النحل : ٩٠)

«.... إعدلوا هو أقرب للتقوى....»(المائدة : ٨)

«... وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل....»(النساء : ٥٨)

قيمة ضبط النفس :

تهتم التربية الاسلامية بتدعيم الوالدين والمربين للسمات الإيجابية لشخصية الأطفال وتعزيزها وهذا يؤدي إلى إنطفاء السمات السالبة. ومن أهم هذه السمات الإيجابية التي يجب تدعيمها عند الإنسان المسلم منذ طفولته هي : ضبط النفس «وأما من خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى..» (النازعات :٤٠، ٤١)

قيمة الحرية :

إن الحرية التي يكفلها الإسلام للانسان واسعة، حتى حرية الاختيار والتقرير، دون إكراه أو إجبار في أمور الدين. وحين يتيح الإسلام الحرية للإنسان، فإنه يبين له الطريقين، طريق الرشد والخير وطريق الضلال والشر، ويوجهه إلى الاختيار الموفق، ويحذره من سوء الإختيار، وللمثيب ثوابه وللمخطئ عقابه..» «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...» (الكهف : ٢٩).

«لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...» (البقرة : ٢٥٦).

قيمة الإصلاح بين الناس :

ويعني في الإسلام إصلاح ذات البين عند وجود خلاف أو شقاق. وفيه إعادة لإستقرار العلاقات الإنسانية والاجتماعي. «... وإصلحوا ذات بينكم...» (الأنفال : ١)

قيمة الدعوة الى عمل الخير :

حث الإسلام على الدعوة الى عمل الخير بأسلوب الموعظة الحسنة مما يؤدي الى الصلاح.

«وإفعلوا الخير لعلكم تفلحون..» (الحج : ٧٧).

«... وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر...» (لقمان : ١٧).

قيمة لين الجانب :

وتتضمن الرحمة وحسن الخلق والعفو والتسامح والمودة مما يقرب الانسان من الآخرين ويزيد من التماسك الاجتماعي. «... وليعفوا وليصفحوا...» (النور : ٢٢) «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لإنفضوا من حولك...» (آل عمران : ١٥٩).

قيمة العمل :

حق وواجب وحياة. وقيمة المرء بعمله وإنجازه

«إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا» (الكهف : ٣٠).

قيمة المسؤلية :

المسؤلية قيمة متعددة العناصر والأركان. وهي مسؤلية الفرد الذاتية أمام الله وأمام الناس وأمام نفسه عما يقوم به من عمل.

والمسؤلية الاجتماعية تعبر عن الشعور بالواجب الاجتماعي والقدرة على تحمله والقيام به. ورعاية المسؤلية الاجتماعية واجبة وتنميتها ضرورية، بعناصرها : الاهتمام والفهم والمشاركة. وأركانها : الرعاية والهداية والإتقان.

فالمربي مسؤول عن الناشئ..

«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (الزلزله : ٧، ٨)

«من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ...» (الإسراء : ١٥)

قيمة الإيثار :

الإيثار من أرقى مشاعر التكامل الاجتماعي، وفي الإيثار شهامة ونبل وكرم وعطاء، حيث يقدم الفرد غيره على نفسه، حتى ولو كانت به حاجة.

«.... ويأثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصه...» (الحشر : ٩).

قيمة الوفاء :

الوفاء قيمة متعددة الالتزام والمسلم مطالب بالوفاء بالعهد والوعد وبالأمانه أمام الله وأمام الناس.

«... واوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً...» (الإسراء : ٣٤).

«وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم» (النحل : ٩١).

«... بلى من أوفى بعهده وإتقى فإن الله يحب المتقين..» (آل عمران : ٧٦).

قيمة الصبر :

من القيم التي خصها الإسلام بالاهتمام لما لها من أثر في تقوية الشخصية وخلق روح الجلد والتضحية والإقدام. إنها سمة تعين على التوافق والرضا.

«... وإصبروا إن الله مع الصابرين...» (الأنفال : ٤٦)

كما يؤكد الإسلام على أساليب التفاعل الاجتماعي السليم مثل : التحية، الكلام الحسن، واحترام الغير، والمشورة، والتعاون، والإصلاح بين الناس واحترام الغير والتعاون، والبر.. الخ

والكلام الحسن والقول الحسن تعبير عن الذكاء الإجتماعي، ومصدر لمحبة الناس.

«... وقولوا للناس حسنا...» (البقرة : ٨٣)

«... وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن...» (الإسراء : ٥٣)

واحترام الغير من الآداب السلوكية الإسلامية. والاحترام عادة يكون متبادلاً، مما يدعم العلاقات الاجتماعية الموجبة بين أفراد المجتمع. «يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم...» (الحجرات : ١١)

والتعاون يخص عليه الإسلام، أنه دعوة إلى الخير والبر لفعل كل ما أمر الله به، والعلاقات التعاونية تؤدي الى تماسك الجماعة.

«وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان..» (المائدة:٢)

حسن الخلق والتربية في الحديث الشريف :

بين الرسول ص أهمية الأخلاق عند الله وأهمية المتخلق ومنزلته عند الله عندما قال : «خير الناس أحسنهم خلقاً»(١) وقال أيضاً : «خير الناس أنفعهم للناس»(٢) وقال أيضاً «الإسلام حسن الخلق»(٣) وقال «خيركم إسلاماً أحسنكم أخلاقاً إذا فقهوا»(٤) وقال لأبي هريرة رضي الله عنه : «عليك بحسن الخلق، إن أحسن الناس خلقاً أحسنهم ديناً»(٥) وقول رسول الله «إن خياركم أحسنكم أخلاقاً»(٦) وقول الرسول : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(٧) وعلى هذا الاساس ينبغي توعية الناشئين بأهمية التحلي بالفضائل الأخلاقية، ففيها سمو بالروح، وكسب لرضى الله ولافوز بالجنة، يوم الآخرة.

---

(١) الجامع الصغير ٩/٢.
(٢) الجامع الصغير ٩/٢.
(٣) منتخب كنز العمل من هامش مسند الإمام أحمد ١٣٢/١.
(٤) الإمام البخاري «الأدب المفرد» صفحة ١٠٧.
(٥) منتخب كنز العمال في هامش مسند الإمام أحمد ١٣٢/١.
(٦) البخاري ١٦/٨.
(٧) البخاري ١٦/٨٠.

وعن ابن العباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ انه قال : «إكرموا أولادكم، واحسنوا أدبهم»[1] ومن أيوب بن موسى عن أبيه ان جده قال : قال رسول الله ﷺ : «ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن»

ولقد سأل الصحابة السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلق الرسول قالت : «خلقه القرآن»

وفي دراسة[2] أجريت عن القيم التربوية على الفرد والمجتمع من خلال الحديث النبوي الشريف، وجد أن هناك قيما دينية تعمل على التوازن النفسي والوجداني وعلى تزكية النفس واستشعار عظمة الله. كما انها تعمل على إطلاق حرية العقل في حدود التشريع والشورى. فضلا عن أن هناك قيما أخلاقية اتسمت بضرورة أن يكون الانسان ممارساً للفضيلة في إطارها الاجتماعي، وأكدت على عناية التربية الإسلامية بالناحية الاخلاقية بشكل خاص.

وفي دراسة [3] أخرى عن أثر القيم الدينية والخلقية على التوافق النفسي والاجتماعي لدى طلاب الجامعة، وجد أن هناك أرتباطاً دالاً إحصائياً بين قيم الفرد وتوافقه، وأن القيم الدينية أكثر إرتباطاً بالتوافق النفسي، لأنها تدخل بصورة كبيرة في التنظيم والتماسك، ضمن النسق للشخصية.

القيم في التربية الأخلاقية للطفل في فكر علماء المسلمين :

اهتم الرواد الأوائل في الإسلام بالتربية الإخلاقية منذ الطفولة واتفقوا على ضرورة التبكير بتكوين العادات الحسنة في الصغر وتحليه بالقيم والفضائل واكسابها إياه بالوسائل المناسبة.

وقد اعتبروا منهجهم في ذلك، البحث والتعمق والاستبصار بما ورد في تعاليم الاسلام وفي مقاصده الأساسية، وفي التراث العربي الإسلامي،

---

(١) رواه ابن ماجه. عن يوسف مصطفى وآخرون.

(٢) سهام محمود عبداللطيف: ١٩٧٤، إلى مصادر الدراسة ص١٧.

(٣) سعيد محمد أبو سوسو، إلى مصادر الدراسة ص١٩.

ومبادئه وتشريعاته. إن ما كُتب في شتى العصور من فلاسفة وفقهاء وأدباء ومؤرخون ومربون مسلمون، عن الطفولة وتربيتها، يؤكد لنا اهتمامهم البالغ بالتربية الأخلاقية للطفل المسلم وبما تتضمنه من قيم وسلوكيات يجب غرسها في نفوسهم والتعود على ممارستها.

ففي أدب النفس كتب الماوردي عن حسن الخلق متضمنا الحلم والصدق والكرم والمروءة والمؤازرة والتسامح والأمانة، والرفق بالصغار... الخ.

ربط ابن خلدون بين قيمة العدالة باعتبارها خلقا يتصل في بعض جوانبه بالناس وبين الاستقرار المؤدي إلى الحضارة والعمران، حين يبين ان فقدان العدالة وانتشار الجور والظلم يطيح بطموحات الناس إلى التقدم والإزدهار.(١)

كما اعتبر الإمام الغزالي والعديد من علماء المسلمين أن التربية الخلقية أساس وجوهر التربية الإسلامية، وربط بين السعادة والفضيلة في مؤلفه «رسالة في الأخلاق»

وقد وضع الغزالي(٢) اساليبا عملية تحقق أهداف التربية الإسلامية عامة والتربية الاخلاقية بصفة خاصة، فاقامها على أساس المجاهدة ورياضة النفس، والممارسات العملية كوسيلة في تكوين الخلق الفاضل.

ويرى ابن سينا أن التربية الخلقية تبدأ من الفطام، وذلك يدل على مبلغ عناية المربين المسملين بحسن الخلق وإدراكهم لمدى تأثيره على إعداد الأفراد الصالحين نفسياً وجسمياً. وينصح بتكوين العادات الطيبة عند الأطفال منذ الثالثة من أعمارهم، فالطفل مولع في هذه المرحلة بالتقليد والمحاكاة.

للإجابة على السؤال الثالث : التربية الإخلاقية للطفل في الاسلام :

لقد اعتبر العلماء المسلمين، ان حقيقة التربية الأخلاقية الاسلامية تتلخص في أربع نقاط هي : تكوين بصيره أخلاقية، وتنمية الاستعداد للإلتزام

(١) مقدمة ابن خلدون/ ٢٤٠.
(٢) عواطف ابراهيم.

بالمبادئ الأخلاقية، وتنشئة الطفل على المبادئ الأخلاقية، وتنمية قوة الإرادة.(١)

كما أكدوا على أن حقيقة هذه التربية في نظر الإسلام هي تنشئة الطفل وتكوينه إنسانا متكاملا من الناحية الأخلاقية. وإعتبر ان هذا هو الهدف العام، وأن المفاهيم الخاصة تتلاقى مع معظم المفاهيم التربوية لدى الفلاسفة والمربين.

وإذا إعتبرنا ان التربية الأخلاقية. أو تنشئة الطفل على المبادئ الأخلاقية، هي هدف العام، أمكن إستخلاص العديد من المضامين التربوية الواضحة من أهمها :

إنها تتضمن تنمية الروح الأخلاقية، أي نزعات الخير في نفس الطفل.

إن تنمية الروح الأخلاقية تحتاج إلى تعليق وتبصير أخلاقي إذ لابد من وعي أخلاقي أو بصيرة أخلاقية حتى تميز بين السلوك الخير والسلوك السيئ. (ولهذا جاء الرسول صلى الله عليه وسلم : معلماً ومربياً).

ثم أن تكوين البصيرة الأخلاقية لا تكفي، إذ لابد مع ذلك من تكوين الاستعداد للإلتزام بالمبدأ الأخلاقي في كل الظروف (أي ليس في موقف بعينه، بل توظيفه في مواقف اخرى).

إن ما نعنيه هنا بتكوين الاستعداد الأخلاقي للإلتزام لدى الطفل، هو أن نكوّن عاطفه وبصيره أخلاقية عن إيمان وإقتناع أي عن عاطفة داخليه وذلك باستخدام جميع الأساليب والوسائل التي تساعد على تحقيق بداية هذا التكوين الأنساني الأخلاقي الخير.

إن هذا التكوين الأخلاقي للطفل يعني التنشئة والتعويد الذي يعتمد على التكرار والممارسة بما هو خير ومفيد، أي أن نجعل الطفل يعتاد على السلوك الأخلاقي، ونجعل هذا السلوك سهلا عليه بطول المران.

وفي رسول الله ﷺ قدوة لنا في هذا الشأن، حيث كان يعود الاطفال الذين نشأوا في بيته على بعض المبادئ والآداب (مثل آداب الأكل)(١)

وتعويدهم على الصلاة قبل أن يصلوا إلى سن التكليف[٢]، لكي يسهل عليهم أداؤها إذا بلغوا هذا السن.

أي أن الإكتفاء بالتعويد يناسب المراحل المبكرة من الطفولة فقط، ولابد من أن يعقبه تبصير بقيم الأخلاق، يعقبها تكوين العاطفة الأخلاقية التي تدفعه إلى السلوك الاخلاقي، فإن ما يعنينا هنا هو : تكوين الأستعداد الأخلاقي لدى الطفل.

ما هي خصائص هذه التربية الأخلاقية للطفل في الأسلام ؟

ان هذه الخصائص والمميزات يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

أولاً : إنها نظرة عميقة تعتمد على القناعة الداخلية.

ثانياً: إنها نظرة متكاملة، تشمل جميع الجوانب الايجابية التي تمس الجوانب الوجدانية والمعرفية والمهارية (الأدائية)

ثالثاً: إنها نظرة واقعية تدعو الى استخدام الاساليب والطرائق التربوية التي تتناسب والمرحلة العمرية التي يمر بها الطفل.

رابعاً: إنها نظرة شاملة : تشتمل على كل ما فيه خير الإنسان وصلاحه في دنياه وآخرته. تتضمن مفاهيم التربية الأخلاقية الفردية وقيمها : (مثل الصدق والأمانة و... ألخ) وأيضاً الإجتماعية وقيمها مثل (حب الغير والخير والعطاء والتعاون.. ألخ).

خامساً: إنها إنسانية : أي ملائمة لفطرة الإنسان في صورتها السويه، وهذه النظرة إذا إلتزمت بالأخلاق، اكدت لنفسها نجاحاً وفلاحاً وسعادة في الدارين. إنها تغرس في نفس الطفل منذ الصغر النظرة الانسانية لأخية الإنسان، وان ينظر الى غيره من الناس كما ينظر لنفسه، لا فرق بين جنس وجنس وبين لون ولون...، فالإسلام قد كرم الإنسان على غيره بالتقوى كما في قوله تعالى : «إن أكرمكم عند الله اتقاكم» (سورة الحجرات : ١٣).

سادساً: إنها نظرة تؤمن باليسر والسهولة : إن كل قيمة أخلاقية دعا إليها الإسلام سهلة وميسرة. وفي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ قوله : «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»(١).

سابعاً: إنها نظرة تخلو من القهر والإكراه : بمعنى أن غرس القيم الخلقية التي جاء بها الإسلام، لا يجبر عليها الإنسان، بل لقد ترك له معها حرية الإرادة والقدرة على الإختيار، فإذا كان الدين كله لا إكراه فيه، كما في قوله تعالى : «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ» (سورة البقرة : ٢٥٦)،. فإن من البدهي ان تكون القيم الخلقية الإسلامية - وهي جزء من الدين - لا قهر فيها ولا إكراه، ولذلك فميزه كبيره في القيم الاخلاقية الإسلامية هي أنها تربي إرادة الانسان، وتعلمه حرية الرأي وحرية الإختيار(٢).

ثامناً: إنها نظرة تؤمن بوحدة الحياة الإجتماعية : فهي رباط للفرد بالمجتمع، مثل الجسم الإنساني... إذا إشتكى منه عضو تدعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى... تشعر الفرد بأنه عضو في بنيان هذا المجتمع. ولهذا فقد وضع الإسلام منهجا للصحة الجسمية والنفسية والعقلية والروحية والاخلاقية للفرد، وجعل الأخلاق هي الرابطة بين هذه الجوانب الفردية، والرابطة بين لبنات البناء في المجتمع (إذا شبهنا الأفراد باللبنات والبناء بالمجتمع). فإذا زالت الأخلاق انفصمت الرابطة وانقطعت [illegible]سلات وانهدم البناء الاجتماعي(٣).

من ثمّ كان وعي الأطفال لهذه الحقائق بصورة مبسطة تبين مدى ارتباط

---

(١) يوسف مصطفى القاضي وآخرون.

(٢) عبدالحليم محمود.

(٣) يقرر هذه الحقيقة أيضاً «دور كايم» في معالجته للتربية الأخلاقية قائلا: «إذ أنه لم تتوفر للمجتمع تلك الوحدة التي تنشأ عن التنظيم الدقيق للصلات بين أجزائه .... فعندئذ لن يصبح المجتمع سوى حفنه من الرمل تكفي أقل هزة ... أو نسمة ... لتذرها في الهواء» كتاب «التربية الأخلاقية عند دور كايم» . ص٩٩.

حياة الأفراد بعضها ببعض من حيث التأثير في الخير والشر معاً، بشئ هام وضروري في تربيتهم وتنشئتهم.

تاسعاً: إنها نظرة أخلاقية إلى العمل وإحترامه : فلقد نهى الإسلام عن الأخلاقيات الهدامة التي تدعو إلى الكسل والتواكل والضعف وشجع على العمل وكسب الرزق وفي قول رسول الله «اليد العليا أفضل من اليد السفلى..»(١).

عاشراً: إنها دعوة إلى ضبط النفس : وذلك بالتعود على التحكم في النفس وضبطها والسيطرة على مختلف نوازعها الطبيعية وذلك بتدريب الإرادة على ممارسة أعمال الضبط في ظروف الثورة والهياج النفسي. وفي قوله الرسول ﷺ : «ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (٢).

من ثم حث الإسلام على تدريب الأطفال على ضبط النفس بوسائل الترغيب للخضوع للنظام والسير على الطريق السليم، وأساليب الترهيب من الخروج على النظام وتعدي حدوده إذا لا يكون الخضوع رهبة بإستمرار، ولا لمجرد الاستمتاع بالخير، بل يجب أن يكون ذلك عن شعور بإجلال وتقدير من ناحية، ورغبة في الخير وحبا له من ناحية أخرى «.. وأمر بالمعروف وانه عن المنكر..» (سورة لقمان : ١٧).

حادي عشر : إنها دعوة الى العدل : فيأمرنا سبحانه وتعالى بقوله «...... إعدلوا هو أقرب للتقوى» (سورة المائدة : ٨) فالعدل قيمة تربوية عاليه يجب أن نغرس لبناتها في مرحلة الطفولة المبكرة، وذلك عن طريقين : الأول أن يكون المربي ذاته قدوة في تعامله وعدالته بين الأطفال، والثاني ان يغرس في نفوسهم حب العدل بشتى الوسائل ومن أهمها القصص، وسيرة الانبياء والصالحين.

---

(١) صحيح مسلم ٧٢١/٢ كتاب الزكاة، باب كراهة مسألة الناس.

(٢) هداية الباري إلى ترتيب احاديث البخاري ١٠٧/٢، صحيح مسلم ٢٠١٤/٤ كتاب البر والآداب.

ومـا ينطبق على قـيـمـة الـعـدل.. ينطبق على سـائر الـقـيم التي أوردها الإسلام.

إن المدخل الخلقي الإسلامي هو البداية الصحيحة، والدرع الواقي إذا ما كان محط إهتمامنا هو الفرد وتربيته في مراحله المبكرة من العمر (مرحلة الطفولة)، فالدين والقيم الروحية والاخلاقية في مفهوماتها العامة، تشكل نوعا من الضبط الذي يحتاجه الأفراد - في هذا العصر - وغرس هذه القيم منذ الطفولة أساس في تكوين الشخصية القوية المتماسكة. فإذا صلح الفرد صلح المجتمع والدين الإسلامي يقوم على وحدة العقيدة التي تحمي المجتمع من التفكك والانهيار الذي يسببه التعصب والتطرف والبعد عن جوهر الإسلام وقيمه الاخلاقية وفضائله. إن هذه القيم وعلى راسها قيم المحبة والتراحم والتسامح بين الناس تنشر السلام الذي تنادى به البشرية في هذا العصر المادي. وفي قوله تعالى : «ضرب الله مثلا رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلما لرجل هل يستويان...» (سورة الزمر : ٢٩).

إن في عناية الإسلام بالتربية الخلقية من خلال عنايته بالفرد والمجتمع، قد وضع دستورا للعلاقات والمهام التربوية بين الكبير والصغير متمثله في تربية الآباء للأبناء في الأسرة، والمعلم لتلميذه في المدرسة والراعي لرعيته في المجتمع. إنه يقدم تربية إسلامية شاملة عمادها الأخلاق.

إنها تربية الأعماق من أجل الأخلاق :

لقد تناول احد علماء التربية المعاصرين[١] هذا التعبير، الذي سمحت لنفسي أن أستعيره منه... فقد لامس أعماقي. إنه يتساءل : كيف يمكن أن ننشئ أطفال الأجيال القادمة على الحياة في المجتمع، وتجري في عروقهم دماء الإنتماء والولاء لهذا المجتمع.. متشربين بكل الصدق معنى الواجب والمسؤولية والعمل للغير والبعد عن الأنانية والفردية؟

ثم أجاب : إنها تربية للأعماق من أجل الأخلاق. إنها التربية التي تمتد

---

(١) سعد مرسي وكوثر كوجك.

إلى غور الأعماق لتكوين الأخلاق في أصولها الحقيقية والبناءة، إنها تعني بالدرجة الأولى، أن هذا الأساس الرصين (الأخلاق) هو المفجر الحقيقي لعناية الفرد بكل ما يرتبط به وبغيره. فعندما ينشأ الطفل من أعماقه على أسس خلقية رصينه في هذه المرحلة الغضة من العمر، فإن ينابيعها تتبثق، مؤدية في سريانها الى تنمية جسمية وعقلية واجتماعية ووجدانية متوازنة وسليمة.

إنها التربية التي تعني الأصالة في الجذور التي تنبت منها الأقوال والأفعال، ومن طبيعتها - إذا نمت - أن تزداد تأصلا وتمكناً مع سنى عمر الفرد، إنها تبدأ في الطفولة بالأعمال لا بحفظ الأقوال والشعارات وترديدها، فترس الأساس الوطيد للسلوك الخير في المجتمع. إنها الشرارة الاساسية لتقدم أي مجتمع، وبدونها لن يحدث تقدم، حتى لو ملك هذا المجتمع كنوز الأرض.

إنها التربية التي تؤدي بالضرورة الى تفكير خلقي وتفكير علمي سليمين. فهي ترفع الانسان من هوة الأنانية والأثرة وحب الذات الى جنة الغيرية وحب الآخرين، والعمل للجميع. فهي سلوكيات وتعاملات، وليست معارف ونصائح وإرشادات. فالمعرفة ضرورية للسلوك ولكن يجب أن يقتنع الفرد بما عرف. وإن تتغلغل إلى أعماقه هذه المعرفة، لتكون جزءاً من نسيج تكوينه الداخلي... حتى يصل إلى الدرجة التي يسلك فيها السلوك الصحيح... فيصدر السلوك من أعماق أخلاقية أصيلة، ينبوعها الإسلام. إنها أصالة الإسلام الذي عنى بالإنسان، وعنى بالأعماق فعنى بالأخلاق وخاصة في بواكير الطفولة حيث تتكون الاتجاهات. إن هذا ما يجب أن يعيه المربين في الأسرة والمدرسة والمجتمع.

إنها عود إلى التربية الأخلاقية الإسلامية.

IIII رياح التغير ونسمات الأمـان

رياح التغير ونسمات الأمان

أولاً : رياح التغير :

التـغـير أمـر لابد منه. ونحن لذلك نتـوقـعـه في كل أوجه حـيـاتنا. بسـبب إستمرار الحياة. إن الانسان يمر بنوعين من التغير : الأول يتعلق بما يخوضه من خبـرات شـخـصـيـة. وتتـمـخـص عنه فـرديتـه. والثـاني يتـعلق بـالأشـيـاء. وبالآخرين.

وتتـأثر الأجيال البشـرية حـتمـا بكل تغير. وهنا يحدث الصـراع في كل المجالات والمؤسسات التي ترتبط بالإسان المنزل والمدرسة والمجتمع. فنتساءل:

والذي يُحـدثه هذا التـغـير في حـيـاتنا ؟. وهل نتـمـسك بـأسـاليب آبائنا وأجـدادنا أم ننتـهج طرقـا غـير طرقـهم. وهل يبـقى أبناؤنا على مـا ورثوه من تراث؟ أم هم يمتطون أمواج التغير. لأن التيار أقوى من أن يقاوم ؟. وهل في التغير الوارد مع الأجيال خير. أم في انتظارهم مالا تحمد عقباه ؟

إن تطور الثقافة الإنسانية. يرجع في أحد أبعاده إلى صـراع جيل جديد يريد المحافظة على ما تعود عليه من عادات وأنماط وسلوك. وبين آخر لا يجد في هذه العادات والأنماط ما يلائم الظروف الجديدة للحياة، ومن ثمّ يرغب في تغييرها.

فـالأفـراد تخـتلف في صـور السلوك التي يحكمـون عليـهـا بالصـواب أو بالخطأ تبـعـا لمدى إيمانهم بالدين والخلق ولتـمـيـيـزهم بين السلوك السـوي والسلوك السيئ. وبديهي أن مـحـتـوى الصـواب والخطأ تحدده المجـتـمـعـات والثقافات الفرعية في المجتمع الواحد. وأن هناك فروقا حضارية وثقافية في نوع الضمير الخلقي السائد في مختلف الثقافات.

مـاذا يحدث في مـجـتمـاعتنا العربية الإسـلامية إزاء التغير. الذي يطالعنا كل يوم في هذا العصر. وماذا ينتظرنـا من تغيرات مع قدوم قرن جديد. القرن الحادي والعشرين، وماذا عسانا أن نفعل ؟. وهل نعدّ له العدّة ؟

إن الاجـابة على هذه التسـاؤلات تتـمـثـل في العـودة إلى ديننا الإسـلامي

الحنيف. وما حثنا عليه في تربية أطفالنا. تربية إخلاقية عميقة فمما لاشك فيه ان هناك مجموعة من الثوابت الاخلاقية التي يتضمنها هذا الدين. والذي جاء بها ليعتني بالجانب الاخلاقي وما يتضمنه من قيم اخلاقية وفضائل وسلوكيات هي طريق النجاح ومنهجه. والتي اتسمت مرة بالفردية وأخرى بالاجتماعية فمن سار على هداها كسب رضاء ربه في الآخرة. وحياته في الدنيا. ووقاه شر هذه الرياح العاتية. رياح التغير السريع والعاصف وتوابعه.

إن ممارسة الفضيلة في إطارها الاجتماعي التربوي تتطلب منّا تناول ثلاث جوانب هم عوامل التربية المؤثرة على نشأة أطفالنا :

العامل الأول هو الأسرة والعامل الثاني هو المدرسة والعامل الثالث هو المجتمع.

ان هذه العوامل الثلاث. تقدم التربية الاخلاقية التي تعمل على تغيير السلوك نتيجة اكتساب الطفل حقائق وقيم ومهارات واتجاهات مرغوب فيها. هذا الطفل الذي وضعه الله أمانة في أيدي الأباء والمربين فإن احسنوا إليه بحسن التربية كانت لهم المثوبة وإن أساءوا إستوجبوا العقوبة. إن الله سبحانه وتعالى. قد خلق الانسان وهو مزود بقوى فطرية. تصلح ان توجه إلى الخير منذ طفولته. كما تصلح أن توجه الى الشر. وعهد إلى الأباء والمربين إستغلال هذه القوى وتوجيهها وجة الخير. حتى ينشأ الطفل خيّراً ينفع نفسه. وينفع أمته.

ثانياً : نسمات الأمانة:

(١) التربية الاخلاقية الإسلامية للطفل في الأسرة :

تستمد التربية الاخلاقية الإسلامية للطفل في الأسرة قوتها وصلابتها من عناية الإسلام بها. من إقامته الأسرة على أسس تضمن لها البقاء والأمن والاستقرار. بإعتبارها أول مجتمع يتصل به الطفل منذ ولادته. ويتفاعل معه، ويتأثر به.

لقد أوجب الإسلام على الأباء التحلي بفضائل البر والرحمة وتحمل التبعة وفق مبدأ : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». وأوجب على الأمهات حقوقا. منها في قوله تعالى «والوالدات يرضعن أَوْلَادَهُنَّ...» (البقرة : ٢٣٣).

إن التربية الاخلاقية الإسلامية للطفل في أسرته. هي التربية الحقيقية

للأعماق من أجل الاخلاق، انها التربية التي تؤكد على ان التغلغل الديني المتمكن. له الأثر القوي الفعال في تنشئة الاجيال الصاعدة فهي تغرس الجذور القوية. التي تعطينا النبتة الصلبة. القادرة على التصدي والمقاومة لأي سلبيات قد تواجهها في المستقبل. ففساد الأعماق أو التخلخل الخلقي الداخلي في الطفولة لا يؤدي إلا إلى السلبية والضياع والانهيار في المراحل العمرية التالية.

إن هذه التربية الإسلامية في مجتمعاتنا الإسلامية في هذا العصر، تحتاج إلى وقفه. تحتاج الى مصارحه إننا نتساؤل : هل ما تقدمه التربية الاسلامية حاليا يتوافق ما يجب أن يكون ؟ - ماذا تقدمه معظم الأسر لبناء الاخلاق والفضائل التي حثنا عليها الدين ؟ إن العبرة بالنواتج. !!

لابد أن نعترف بأن تغيرات كثيرة قد طرأت على المجتمعات الاسلامية وعلى كيانها الأسري بصفة خاصة. لقد تأثرت الحياة الأسرية بكثير من التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. فتأثرت قيمها وسلوكيات أفرادها. وأصابت مجتمعاتها في الصميم. والطفل هو نتاج هذه الأسرة. إنه نتاج لمن أحسن تربيته أو أساءها. ونحن في مجتمعاتنا الإسلامية العربية (ما يطلق عليها النامية) في حاجة إلى أن نسابق الزمن، نتخطى سنى التخلف. ونخطوا إلى التقدم ولن تكون البداية إلا من الاهتمام بالاسرة وسلامة كيانها.

ولقد تناولت العديد من الدراسات العلمية (١) تربية الطفل الإسلامية والأخلاقية. وعالج بعضها موضوع التربية الوالدية من المنظور الاسلامي وأثرها على التنشئة الاجتماعية والخلقية للطفل وتناولت الأسس التي رسمها الإسلام ليهتدي بها الوالدان في توفير بيئة صالحة لنمو الطفل والأساليب الصحيحة لتنشئته تنشئة إسلامية أخلاقية من المنظور الإسلامي.

ماذا يجب أن تقدمه الأسرة في تربية الطفل المسلم أخلاقيا ؟

إن غرس الإيمان وفضائل الأخلاق في نفوس الأبناء، وشحن هذه

---

(١) أبحاث المؤتمر الدولي «الطفولة في الإسلام» جامعة الأزهر.

النفوس بمعانيها. لتكون في حياتهم، ذلك النور الذي يمتد ضياءً في الفكر. وسمواً في الروح. ووضوحاً في البصائر. ونقاء في السرائر. واستقامة في السلوك.

إن غرس هذه الفضائل الاخلاقية تتطلب اشباع لحاجاتهم الوجدانية. إلى الأمن والتقبل. والتقدير والحنان. إنهم في حاجة الى المثل الذي يحتذون به في سلوكهم. إلى القدوة إلى الإثابة والعقاب.

إن إشباع هذه الحاجات يعين الأباء على حسن أدبهم وتنشأتهم التنشأة الصالحة التي أوصى بها الرسول ﷺ «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم». ولا نعني هنا بالإلزام إصدار الأوامر والنواهي – بل اتباع ما يتناسب وهذه المرحلة السنية المبكرة. فالتعاليم الدينية والخلقية لا تعتبر واجبات مفروضة على الأطفال. بقدر ما هي توكيد لما هو في أعماق نفوسهم من نزعات. إنها وجدان وعمل. قبل أن تكون مناسك وتراتيل ونصائح. وينبع هذا الوجدان من تطلع الطفل إلى اكتشاف سر وجوده. وكنه الكائنات من حوله. ومن ابتهاج الطفل بجمال الطبيعة وتذوقه لجمالها وتمتعه بنعم الله من الكون. وتلهفه الى صدر رحيم يثق به ويطمئن إليه، واحتياجه إلى قوة عظيمة تشد أزره وتوجهه في هذه الحياة..

فالطفل لا يصل إلى العقيدة والفضيلة بالاستدلال المنطقي أو بفحص الوقائع. وإنما يتمثلها بداية عن طريق والديه وأهله. فهو يمتص مشاعرهم من منطلق أنه يحكم بطبيعة تفكيره الحس. لا يفهم من أمور الدين والأخلاق إلا ما كان واقعيا ومحسوسا، يخاطب إدراكه الحس. فمشاهداته لصلوات والديه وأهله وسماعه لأدعيتهم وزيارته لأماكن العباده معهم كلها أمور تولد لديه العادات المرغوب فيها.

إن الإيحاء والتوجيه الوالدي والإرشاد الغير مباشر لغرس القيم الأخلاقية الاسلامية في نفوس الإطفال عن طريق قص قصص الأنبياء والرسل والصالحين. وتمثل المواقف الأخلاقية في سيرهم ومواقفهم من الأمور الهامة

التي تساعد على تكوين العاطفة الدينية لدى الأطفال منذ نشأتهم. والتي تعتبر الأساس الأول في التربية الخلقية. التي تستند إلى الحكم الأخلاقي بعد ذلك، والذي أخذ طابعه الأول من أسرته. فالعاطفة الدينية تعتمد على التكرار واقتران هذا التكرار بالإيحاء الدائم حتى يصبح سلوكاً خلقاً فيما بعد. ينبت من الأقوال والأفعال معا، ويزداد نمواً وتأصلاً وتمكناً من سنى عمره. الذي يبدأ بالطفولة.

وقد أكدت العديد من البحوث والدراسات على أهمية استخدام الوالدين لأسلوب الحوار والتلميح في حديثهم مع الأبناء واستخدام الأحداث الجارية والمناسبات الدينية والمواقف الحياتية في توجيه وإرشاد الأبناء إلى القيم والمعاني التي يتضمنها الدين الإسلامي والإستعانة بمعاني الآيات القرآنية والقصص بوجه خاص في غرس القيم الأخلاقية والفضائل في نفوس الأبناء(١).

(٢) التربية الأخلاقية الإسلامية للطفل في المدرسة :

ثم يأتي دور المؤسسة التربوية التعليمية الأولى التي تلي الأسرة. إن ما نعنيه بهذه المؤسسة هنا هو رياض الأطفال. التي يأتي إليها الطفل في سن الرابعة بمعايير أسرته الأخلاقية. يأتي إليها وهو شخصية لها كيانها لا سبيل إلى تناولها بالتعليم أو التقويم ما لم تقف مربيته على أسلوبه في الحياة الذي أتى به من أسرته.

إن هذه المؤسسة التربوية (رياض الأطفال) تحتاج منا إلى رؤى ثاقبه.. حتى تكون البدايات الصحيحة.

وهنا نطرح سؤالين :

الأول : ما مدى كفاية ما تقدمه مؤسسات رياض الأطفال الحالية من

---

(١) ابحاث وتوصيات «المؤتمر الأول لتربية الطفل في الإسلام».

خلال التربية الدينية لتربية الطفل أخلاقيا ؟

الثاني : ما هي الخطوات المقترحة لتحقيق تربية أخلاقية سليمة للطفل المسلم في هذه المرحلة ؟

للإجابة على السؤال الأول نشير أولاً إلى ما أكدته بعض الدراسات العلمية (١) التي تناولت عدم كفاية ما تقدمه رياض الأطفال المعاصره لتربية الطفل تربية إسلامية أخلاقية صحيحة وعدم فعاليتها في تحقيق ما نرمي إليه. وأبرزت ان ما تقدمه رياض الأطفال الحالية وما تعني به : « لا يتعدى تحفيظ الأطفال لبعض السور القرانية القصيرة ليرددونها بصوت جهوري في فناء الروضة بما لا يتفق وجلالها. بينما البعض يهتم بترديدها دون فهم معانيها، والبعض الآخر يتعهدها ببعض المواعظ والأوامر والنواهي التي تثير مشاعر الإثم والقلق في نفوس الأطفال. وتضيع بين هذا وذاك الفرصة الذهبية والثمرة المرجوه من هذا التعلم. الشيء الذي يرجع إلى عدم الدراية الكافية بالطرق والأساليب السليمة الواجب إثباتها لتنمية الوعي الروحي أو العاطفة الدينية لدى الأطفال، وعدم القدرة على تقويم سلوك الأطفال وغرس جذور القيم الأخلاقية في نفوسهم.

وتلخص هذه الدراسة إلى أن غرس القيم الأخلاقية في نفوس الأطفال لن يكون بالوعظ والإرشاد. وإنما هي بالقدوة الحسنة، والحب المستنير. وإتاحة فرص الحياة للصغير طبقا لهذه القيم، والربط بين المواقف الحياتية الواقعية والحسية التي يحياها وسياق حياته الانفعالية. وجعل الأساس هو الممارسة والتعويد القائم على الحياة الجماعية التي تعتمد على الأخذ والعطاء والتفاعل. هنا تصبح الفضائل اتجاها في حياة الطفل وقوة دافعة تمتزج بمشاعره وتفكيره وسلوكه.

ويرى علماء النفس والتربية والاجتماع ان عناصر الأخلاق ثلاثة هي : النظام، والتعلق بالمجموعات الاجتماعية، وذاتية الأخلاق. ويؤكدون ان النظام

(١) عواطف ابراهيم «وحدة لتنمية الشعور الدين عند الأطفال» ص٥.

هو بداية كل حياة أخلاقية. وإن هذه البداية تقوم على قواعد معينة يسندها قدر كاف من السلطة. وتمثل الطفل لهذه القواعد لا يؤتي ثماره إلا عن طريق الممارسة والتجربة. لأن هذه الممارسة تتيح له فرصة التعرف على هذه القواعد من خلال الواقع المحسوس وأثناء تفاعله مع اقرانه. فيدرك روح القواعد ومحتوى القيم.

وللإجابة على السؤال الثاني وهو ما يتعلق بالخطوات المقترحة لتحقيق تربية أخلاقية اسلامية للطفل في مرحلة رياض الأطفال، نقترح هذه الخطوات العلمية :

أولاً : تحديد الأهداف : النابعة من إحتياجات الطفل النفسية والجسمية والاجتماعية والعقلية مع الإيمان بأن هذا يقع تحت مظلة التكوين الأخلاقي الرصين.

ثانياً: إختيار المحتوى وتنظيمه وانتقاء الاساليب والطرائق : أي اختيار الخبرات المناسبة والأساليب التي تؤدي إلى تحقيق هذه الأهداف.

ثالثاً: بالتقويم المستمر للنواتج والمخرجات لهذه التنمية.

ويمكن تحديد هدف عام يتمثل في : تنمية الاتجاهات الخلقية لدى طفل الروضة على أن تنبثق من هذا الهدف العام أهداف خاصة مثل :

(١) تنمية الاتجاهات الخلقية من خلال التنشئة الدينية

(٢) تنمية الاتجاهات الخلقية من خلال التنشئة الاجتماعية.

إن تنمية هذه الاتجاهات الخلقية لدى أطفال في هذه المرحلة يعني أن نغرس في أعماقهم هذه الاتجاهات الأخلاقية وما يرتبط بها من قيم وفضائل أمرنا بها الله سبحانه وتعالى، (سبق تناولها) وأن نجعل هذه الاتجاهات الأخلاقية جزءاً من نسيج تكوينهم. أي أن نقوي وندعم هذا التكوين الأخلاقي بتربية دينية سليمة تقوم على القدوة الحسنة الصالحة، وتقدم من الأقوال والإرشاد والنماذج والقصص والممارسات ما يؤكد سلامة وضرورة السير في هذه الاتجاهات وتنميتها.

كذلك إن تنمية هذه الاتجاهات الخلقية يعني أن نحرص على تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية سليمة. تنمي العلاقات التي بدأت في الأسرة، وتتواصل إلى عملية وضع اللبنات الأولى لعلمية التطبيع الاجتماعي، فيتعلم الطفل كيف يسلك السلوك المناسب نحو الآخرين. إن تنمية هذه العلاقات الاجتماعية، تحدد له ماذا يحدث حوله ولماذا يحدث في بساطة ويسر، تجعله يتفهم داخليا الكثير من القيم مثل معنى الحق ومعنى الواجب (دون أن نحرص أن يرددها فقط، فهو لا يعرف المعنى المجرد للكلمتين).

كما تتدرج هذه العلاقات من علاقات الطفل بالآخرين الى علاقاته بمجتمعه والانتماء اليه. إنه لا يفهم المعنى المجرد لكلمة الانتماء ولكن يمكنه أن يشعر بهذا الإنتماء وأن يحس به من خلال احتكاكه ببيئته الاجتماعية الميحطة به، ومن تفاعله مع الكبار، الذين يلعبون دوراً أساسياً في توجيهه وتربيته تربية اجتماعية أخلاقية في هذه المرحلة.

إن دور المربين يتمثل في هذه المرحلة في الأخذ بيده للخروج من دائرة التمركز حول الذات – التي هي من سمات هذه المرحلة السنية – ومن مجرد تنظيم سلوك الطفل الاجتماعي، إلى تعويده على معايير السلوك الاجتماعي وغرس القيم الاجتماعية والأخلاقية التي هي دعائم لهذه التربية وهذه التنشئة والمتمثلة في التعاون والمشاركة والشعور بالمسئولية... الخ.

وبنظرة تحليلية لأهداف رياض الأطفال في معظم الدول الإسلامية، تجد أنها قد ضمت أهدافاً دينية إسلامية عامة لهذه المرحلة. اهتمت في المقام الأول على حفظ عدد من السور القرانية دون الإهتمام الكافي بما أشرنا إليه من أهداف للتربية الأخلاقية.

إختيار المحتوى وتنظيمه وانتقاء الأساليب والطرائق المناسبة :

إن محتوى منهج رياض الأطفال هو مجموعة من الخبرات والأنشطة المترابطة المتكاملة لمواقف تربوية تضمها وحدات متنوعة. تحقق الأهداف العامة والخاصة لهذا المنهج. ويشتمل هذا المحتوى على المفاهيم والأفكار والمهارات

الأولية المناسبة والتي تساعد الطفل على النمو المعرفي والوجداني والمهاري وعلى بناء الأساس الأول للشخصية.

وإذا نظرنا إلى محتوى منهج هذه المرحلة بهذا المفهوم وجدنا أن التربية الأخلاقية لا تأخذ ذلك القدر الكافي الذي تتحقق معه أغراضها المنشوده والتي أوردناها في هذه الدراسة مما يتطلب تحقيق الكفاية التي ننشدها.

ويمكن مراعاة ما يلي لتحقيق أهداف التربية الأخلاقية في محتوى مناهج رياض الأطفال وبرامجها :

أولاً : اختيار المحتوى وتنظيمه :

(١) أن تخصص وحدة كاملة أو أكثر من وحده لتنمية الشعور الديني عند الأطفال في هذه المرحلة.

(٢) أن تشتمل كل وحدة من الوحدات لمختلفة الأخرى التي يتضمنها المنهج على خبرات تربوية خاصة ترتبط بالاتجاهات والقيم الأخلاقية الإسلامية المراد غرسها وتنميتها لدى الطفل في صورة أنشطة ومماراسات متنوعة ترتبط ببيئة الطفل وواقعه ونابعه من مجتمعه وثقافته الإسلامية الأصيلة.

ثانياً : انتقاء الأساليب والطرائق المناسبة :

تتعدد الوسائل والطرائق التي يمكن من خلالها غرس القيم وتنمية الاتجاهات الأخلاقية للطفل والتي تتناسب وهذه المرحلة السنية وتحقيق الأهداف المرجوة للتربية الأخلاقية الإسلامية للطفل بالروضة ومن ابرزها:

القصص الديني :

لقد اعتمد الإسلام على القصة في الإقناع والهداية وتأكيد الاتجاهات المرغوبة، وترسيخ القيم المعنوية. وفي قوله تعالى «... فاقصص القصص لعلهم يتفكرون» (الأعراف :٧٦) و «لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب..» (يوسف :١١١).

وقد اعتبر الرواد الأوائل من علماء المسلمين أن القصة من الأساليب

الناجحة في تحقيق أهداف التربية الأخلاقية للصغار بما تتضمنه من إيحاءات للأطفال بالسلوك الطيب. والتمثل بالقدوة والقدرة على التعامل مع الغير.

ويعتبر القصص الدييني[1] مجال ثري لغرس القيم الأخلاقية الإسلامية في نفس الطفل. فقصص القرآن وقصص الأنبياء والرسل والصالحين، وإبراز ما تتضمنه من قيم أخلاقية مثل الصدق والأمانة والوفاء والشجاعة.. الخ. مجال واسع لتحقيق هدف التربية الأخلاقية الإسلامية الذي ننشده. وما أغنى تراثنا الإسلامي في هذا المجال.

ومن أمثلة القصص الدينية المناسبة : قصة سفينة نوع عليه السلام والتي تبرز قيمة الصدق في نصح سيدنا نوح لقومه. وقيمة الصبر في تحمله إهانات قومه، وقيمة طاعة الوالدين عندما عصاه ابنه فغرق مع الكفار.

فعلى معلمة الأطفال أن تؤكد على القيم الأخلاقية التي تتضمنها القصة. وتبرز معانيها. فتدير الحوارات حولها. وتجيب على استفسارات أطفالها. وتبين فضائلها. فتغرس في نفوسهم حب هذا القيم وتقديرها والعمل بها، فتنمو العاطفة الدينية والأخلاقية لديهم ويتحقق الهدف الأخلاقي من سددها.

ثالثاً: أسلوب الإنشاد والأدعية :

إن تدريب الأطفال على الإنشاد أو استماعهم إلى تسجيل صوتي له، والذي يبين قيمة أخلاقية مثل (التراحم) والتدريب عليه من الأساليب المحببة والمناسبة لنفوس الأطفال في الروضة، وغالبا ما تضع المعلمة نفسها كلماته.

مثلاً : إذا كان عندك مال — إعطي رقيق الحال

أحسن إلى الفقير — يجزيك رب العالمين

ومن هذا الإنشاد تؤكد المعلمة على فضل عمل الخير والتراحم ومساعدة الفقراء. وقد يعقبه زيارة مع الأطفال للجئ للأيتام واقتراحها عليهم بإحضار ما تجود به أريحتهم كهدية لهؤلاء الأطفال.

---

(١) عبدالحميد جوده السحار «القصص الديني».

وهناك العديد من الكتاب الذين قدموا لطفل الروضة الأغنية والنشيد التربوي الهادف الذي يتضمن العديد من القيم الاخلاقية والفضائل (١).

رابعاً: الزيارات للأماكان المقدسة والعامة :

وقد تتضمن أساليب التربية الدينية والأخلاقية زيارات للأماكن المقدسة القريبة من الروضة كالمسجد والالتزام بتعاليم الإسلام في إرتياده وفي أداء الصلاة فيه. فتؤكد المعلمة المربية هنا على قيمة الإلتزام وتربطها بالالتزام الديني بما أمرنا به الله. ثم بالالتزام الخلقي الاجتماعي في التعامل مع الغير. وفي احترام حقوق الغير... الخ.

إن ما تتضمنه المناهج أو البرامج ليس هو كل شيء. إنما ما نريد التأكيد عليه هو من يُقدم ويتناول محتوى هذه المناهج أو البرامج (المعلمة). ومن ثمّ كان اختيار وإعداد مربية الأطفال القدوة أمر ضروري. فإذا صلحت، صلح من تُعده وترعاه (الطفل). إنها القادرة على ان تدعم كل ما تقدمه الطفل في هذه المرحلة الهامة بكل ما هو أخلاقي. مستعينه بما تحويه شريعتنا السمحاء وتراثنا الفكري الإسلامي الأصيل من مضامين وقيم روحية وأخلاقية يمكن ربطها بميادين المعرفة المختلفة مضمونا وأسلوباً.

(٣) التربية الأخلاقية الإسلامية للطفل والمجتمع :

إن دور المجتمع بمؤسساته وبيئته الثقافية يعتبر عاملا هاما في التأثير على نشأة الطفل والتأثير على الجانب الأخلاقي والقيمي الذي أرسته الأسرة والمدرسة. إن ما ننشده من مجتمعاتنا الاسلامية، أن يكون المجتمع اداة في تدعيم القيم الأخلاقية الإسلامية في نفوس أطفاله، وأن يكون قادراً على حمايته وصيانته ضد أي قيم دخيلة فيشب صلبا قويا قادراً على مواجهة تحديات القرن والتي من ابرزها ثورة الاتصالات وانفتاح الثقافات.

إن ما يتعرض له أطفالنا من خلال الوسائط الثقافية وأهمها المرئية ليستحق وقفة ويقظة. فالتيارات الثقافية التي ترد إلى المجتمعات الإسلامية

---

(١) محمد احمد برانق «مجموعة قصص الأنبياء».

جارفة. قد تجد فيها مالا يتفق مع نشأتها وأصولها الدينية، مما يؤثر على الناشئة. فمن المنطقي أن يكون الصغير أميل إلى المحاكاة والتقمص أكثر من الراشد، الذي ثبت على خصائص قد يأبى أن يتخلى عنها.

إن على وسائل الإعلام المختلفة في مجتمعاتنا الإسلامية الاهتمام بثقيف الطفل المسلم وتنمية خياله بقصص المعجزات في القرآن والبطولات الإسلامية التي يعج بها تراثنا القومي بدلا من القصص الدخيلة على بيئتنا الإسلامية والغريبة عن عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا الأخلاقية الأصيلة، وأن تقدم له سير الأنبياء والرسل التي تعطيه عظة وعبره، وأن تحرص على تقديم برامج إعلامية متناسقة في موضوعاتها. تأخذ في اعتبارها وزن القصص والتمثيليات الدينية في تقويم سلوك أطفالنا.

الاستخلاصات والتوصيات

الاستخلاص :

إن ما قدمته هذه الورقة البحثية ، لا يتعدى علامات وإشارات لتوضيح المسار . إنها دعوة لمزيد من الاهتمام بالتربية الأخلاقية الإسلامية للطفل في الأسرة والمدرسة والمجتمع .

إن الأمة الإسلامية قد قصّرت في حق نفسها ، حيث لم تعمل على نشر وتطبيق نظرياتها التي أتت من لدن حكيم خبير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. فللإسلام نظريات منفردة بمنهجها منذ أربع عشرة قرناً في تربية الطفل عامة ، وفي تربيته تربية أخلاقية رصينه على وجه الخصوص . فمن يظن أن علماء التربية في القرن السابع عشر والثامن عشر هم أول من وضعوا النظريات التربوية الحديثة للطفل، فهو مخطىء. فإن تعاليم ديننا الحنيف التي جاءت بها رسالة الإسلام، تؤكد أنها أسبق وأشمل من النظريات الحديثة والقوانين الوضعية في هذا المجال.

إن مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين بخطي ثابتة ، يحتاج إلى دعائم قوية في الخُلُق ترس في المراحل السنية الأولى للأجيال ، والدين هو أقوى هذه الوسائل والدعائم لغرسها .

إن مجتمعاتنا الإسلامية اليوم في حاجة شديدة إلى القيم الإسلامية، التي تجعل الدافع لتعلمها والعمل بها ذاتياً ، منبثقا من النفس والضمير والقلب.

إنها دعوة إلى المؤسسات التربوية في مجتمعاتنا إلى التذكر والتيقظ والوعي بأهمية تربية الطفولة وتنشئتها تنشئة أخلاقية إسلامية صحيحة لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين.

التوصيات :

أولاً : بالنسبة للأسرة :

١ – أن نعطي مزيداً من الاهتمام والرعاية للتربية الأخلاقية المستمدة من ديننا وشريعتنا الإسلامية الأصيلة، حفاظا على النبتة الصالحة ، وحتى تشب قوية صلبة لا تذروها الرياح ، قادرة على مواجهة تحديات العصر ومغرياته .

٢ – أن نسعى إلى تنشئة أطفالنا على الأخلاق الفاضلة ونغرس فيهم القيم الأخلاقية الإسلامية والتي يتمثلونها من خلال الوالدين ، القدوة الحسنة.

٣ – أن نلمّ إلماماً كافيا بحقيقة ما نسعى إلى غرسه من قيم دينية وأخلاقية، حتى لا يُضفي الجهل شكاً في رسالتنا التربوية ، والأبناء على هذا القدر من التمثل .

٤ – أن نعطي أطفالنا مزيد من الوقت والجهد والرعاية وأن نراقبهم ونوجههم ونرشدهم إلى حسن الخلق ليس عن طريق النواهي والمحاذير والقسوة، بل بأسلوب طيع عطوف يحببهم في دينهم ويحدوهم عليه.

٥ – أن نكون على مستوى المسؤلين والانتباه لكل ما يتعرض له أطفالنا من اغتراب ثقافي يتأثرون به مع مستجدات في هذا العصر .

ثانياً : بالنسبة للمدرسة :

١ – أن تُعنى المؤسسات التربوية والتعليمية المنوطة بالطفل المسلم وخاصة رياض الأطفال، بهذه الأمانة التي بين أيديها ، فتعطي الجانب الأخلاقي القيمي، جل اهتمامها فتبتعد عن الشكليات وعن تهميش وتسطيح التربية الأخلاقية ، وأن تراجع مناهجها وبرامجها جاعلة أول أهدافها التربية الأخلاقية الإسلامية، وجعلها مظلة لكل الأهداف التربوية التعليمية الأخرى.

٢ – أن تُخصص ضمن مناهجها ، وحدة لتنمية الشعور الديني والأخلاقي، وأن تبرز في كل وحدة من وحداتها التعليمية الأخرى الهدف الديني

والأخلاقي وأن تتضمنه كل خبره من خبراتها .

٣ - أن تقتدي بأساليب التربية الأخلاقية الإسلامية في تربية وتعليم الأطفال وأن تهتم بالممارسات العملية لتنمية العاطفة الدينية التي ترتبط بكل قيمة أخلاقية ، وأن تتخذ الأسلوب العلمي وسيلة لفهم أطفالها للدين الإسلامي وقيمه الأخلاقية ، مستخدمة في ذلك الأساليب الواقعية المحسوسة والمشوقه.

ثالثاً : بالنسبة للمجتمع :

١ - أن تبرز الهدف التربوي الديني في كل المؤسسات المجتمعية التي تعهد بها لتربية أطفالنا ... (النادي - المجمع الثقافي - المراكز الرياضية ... الخ) وأن تضع الإجراءات العملية لتنفيذ هذا الهدف.

٢ - أن نهتم باختيار من نعهد إليه برعاية أطفالنا في هذه المؤسسات ونختار من تتوافر لديه الدرايه بمقومات التربية الإسلامية والأخلاقية .

٣ - أن نوجه وسائل إعلامنا - وخاصة هذا الجهاز السحري (التلفاز) - بانتقاء واختيار برامجه التي يبثها للأطفال فيكون طابعها طابعاً دينياً أخلاقياً يؤكد على مفاهيمنا التربوية والأخلاقية الإسلامية.

٤ - أن توفر المجتمعات الإسلامية من خلال ادبائها وعلمائها ومفكريها ، حصيلة مكتوبة من القصص الدينية للأطفال ، تشبع شوقهم إلى معرفة المزيد من تاريخ الإسلام وسيرة أهله ومكارم أخلاقهم .

إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة ، وصلاح وإصلاح ملايين أفراد المجتمع يبدأ بفرد، وبمجموعة صغيرة تؤثر في الغير ، وتبدأ رحلة الأعماق في خطواتها المبتدئة، في إيمان الواثقين ، ورغبة المصلحين ، نحو تقدم منشود للمجتمع ، طال اشتياقه إلى أن يحقق مكانة تحت الشمس .

فإذا انشأنا أطفالنا على مكارم الأخلاق فسنجني :

فسنجني جيلاً يجمع ولا يفرق، جيلاً يمنح ولا يمنع، جيلاً يرفع من شأن أمته وينهض بها.

مصادر الدراسة

(١) ابن الأثير «جامع الأصول» ٣٠٩/١ دار الفكر . القاهرة

(٢) المؤتمر الدولي «الطفولة في الإسلام» - جامعة الأزهر - جزء (١) ، (٢) - ١٩٩٠.

(٣) ألفت محمد حقي «علم النفس المعاصر» منشأة المعارف - الأسكندرية - ١٩٨٦.

(٤) المستدرك على الصحيحين في الحديث (كتاب الصلاة)

(٥) الإمام البخاري « الأدب المفرد» المكتبة السلفية - القاهرة

(٦) البخاري ، طبعة دار الشعب - بمصر

(٧) أشلي مونتاجيو ، «كيف تساعد الأطفال على تنمية قيمهم الخلقية» مكتبة النهضة المصرية .

(٨) أبادير حكيم «التربية الأخلاقية» مطبعة السعادة - القاهرة

(٩) «الإتجاه الخلقي في الإسلام» مكتبة الخانجي - القاهرة

(١٠) أكلي كارل «تأملات في سلوك الإنسان» ترجمة محمد القصاص - مكتبة مصر - القاهرة

(١١) ابن مسكويه «تهذيب الأخلاق» مطبعة صبيح وأولاده - القاهرة

(١٢) بهيجه رشيد «أغاني الأطفال» الأنجلو المصرية

(١٣) بهيجه رشيد» غنوا يا أطفال» الأنجلو المصرية

(١٤) توفيق الطويل «الفلسفة الخلقية» دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٧.

(١٥) جون ديوي «المبادئ الأخلاقية في التربية» ترجمة عبد الفتاح هلال - الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(١٦) رشو زركيدر «جدول أعمال القرن الواحد والعشرين» دراسات مستقبلية – ترجمة محمد الخولي – منشورات مؤسسة البيان – دبي ١٩٨٩.

(١٧) سهام محمود عبد اللطيف : «القيم التربوية في الحديث الشريف» رسالة ماجستير غير منشورة – كلية البنات – جامعة عين شمس ١٩٧٤م.

(١٨) سيداحمد عثمان «الإثراء النفسي» دراسة في الطفولة ونمو الإنسان – الأنجلو المصرية ١٩٨٦.

(١٩) سعيد محمد أبو سوسو .

(٢٠) سعد مرسي أحمد وكوثر حسين كوچك «تربية الطفل قبل المدرسة» عالم الكتب – القاهرة.

(٢١) صحيح مسلم – ٢٠١٤/٤ (كتاب البر والآداب)

(٢٢) صحيح مسلم ٧٢/١/٢ (كتاب الزكاة)

(٢٣) علي جنبلاط وآخرون ٩٧٣ «دراسات مقارنه في التربية الإسلامية» الأنجلو المصرية.

(٢٤) عواطف ابراهيم «وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال» دار السماح – طنطا ١٩٧٩.

(٢٥) عبد الحميد جوده السحار «القصص الديني» دار مصر للطباعة

(٢٦) عادل العوا «المذاهب الأخلاقية» مطبعة جامعة دمشق جـ١ – ١٩٦٣.

(٢٧) عبد الحليم محمود «منهج التربية عند الأخوان المسلمين» جـ١ – دار الوفاء – المنصورة.

(٢٨) فتح الباري بشرح البخاري ٤٥/١١ (كتاب الأطعمة)

(٢٩) منصور الرفاعي عبيد «حقوق الأبناء على الآباء في المنظور الإسلامي» مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة – ١٩٩٣.

(٣٠) مقداد يالچين « الإتجاه الأخلاقي في الإسلام» مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٧٣.

(٣١) محمد السيد الجليند وأخر «دراسات في علم الأخلاق» مطبعة العمرانية للأوفست - الجيزة.

(٣٢) منتجب كنز العمال في هامش مسند الأمام أحمد ١/١٣٢.

(٣٣) محمد أحمد برانق « مجموعة قصص الأنبياء» دار المعارف - مصر.

(٣٤) مقدمة ابن خلدون ٢٤٠ طبعة المطبعة الأزهرية - مصر - ١٩٣٠.

(٣٥) وليم مكدوجل «الأخلاق والسلوك في الحياة» ترجمة جبران سليم إبراهيم - مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٦١.

تطور صناعة الكتل البنائية التقليدية واستعمالاتها في الحضارات القديمة والإسلامية

نــــدوة

"التحديات المستقبلية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل"

المنعقدة بجامعة الإمارات العربية المتحدة

في الفترة من ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

أ.د. مفيد السامرائي

جامعة الشارقة

د. عبد الستار العزاوي

دائرة الثقافة والإعلام



المقدمة ونبذة تاريخية:

الطين مادة من السهل الحصول عليها من البيئة المحلية للإنسان في أي منطقة يعيش فيها. وعادة يستخدم الطين في بناء المباني المختلفة منها الدينية والمدنية والعسكرية.

تم استعمال الطين في العصر القديم في بناء أولى المدن خلال تطور الإنسان من عصر الكهوف إلى الاستقرار. كان أول استعمال للطين بشكل كتل مستطيلة ذات قياسات محدودة مسبقاً لاستعمالها في البناء وفي تحديد مساحات معينة كالبيوت والغرف، ويعرف هذا الأسلوب في البناء باستخدام الطين بالطوف.

يتم عمل الطوف بواسطة التربة المحلية بالموقع بعد خلطها بالماء وعجنها بصورة جيدة ثم تترك لفترة معينة ليتم تخميرها ومن ثم يتم رص كتل صغيرة منها تتجانس فيما بعد في المكان المحدود على شكل كتلة واحدة بارتفاع ٥٠ سم وطول معين للوحدات السكنية. وبعد جفافها تعاد الطريقة نفسها للارتفاع المطلوب للوحدات السكنية وهذا ما ظهر في تنقيبات المدن القديمة والمدن العربية الإسلامية. بعدها احتاج الانسان إلى أشكال أخرى للمباني منتظمة هندسياً كالأضلاع و الزوايا و المدخل و أدى التطور الجديد في التخطيط إلى استخدام الكتل الصغيرة المنتظمة و التي تعرف باللبن وهي قوالب من الطين مستطيلة الشكل ذات مقاسات مختلفة طولا وعرضا وارتفاعا حسب الفترات التاريخية، استخدمت تلك الكتل الصغيرة (اللبن) الطينية في البناء، ويتم إعداد الطين "التراب المعمول بشكل جيد ومتجانس" توضع في قوالب خشبية للحفاظ على شكلها ومقاساتها وبعد أن تجف طبيعياً بالشمس (وقت الصيف) ثم تجمع وتنقل إلى موقع العمل والمباني.

وخلال التنقيبات في بلاد الرافدين اكتشفت مدن تحتوي على مباني مختلفة أشهرها تخطيط المدن الدينية كالمعابد الكبيرة والصغيرة وضبط التفاصيل الداخلية بواسطة بناء جدرانها باللبن المنتظم ، وحصلنا على تخطيط

أسس أضلاع تلك الجدران والزوايا الركنية لتلك المباني. وكذلك لاينكر دور اللبن في بناء الزاقورات بشكل منتظم مع سلالها وارتفاعها وساعدهم بذلك اللبن المنتظم في بنائها، وقد يلاحظ تواجدها في بابل، آشور، أور، أريدو والوركاء وتعود إلى عصر قبل الميلاد.استخدم اللبن في بناء قصور حكام المدن وبيوت سكان المناطق وتمكنوا من توضيح تخطيط وحداتهم السكنية وتفاصيل عناصرهابواسطة اللبن المنتظم والذي لعب دوراً هاما في ضبط الاستقامة وارتفاع الجدران وتحديد موقع المداخل والأبواب والسلالم، واكتشف المنقبون أيضاً تلك المباني المدنية في أشهر مدن العراق بابل، آشور، أور والوركاء كما بنيت أسوار المدن الضخمة باللبن والذي ساعدهم في سرعة بناء هذه الأسوار وضبط أشكالها، وهي ذات طراز دفاعي في جدرانها وأبراجها وتشتهر المدن القديمة قبل الميلاد بتلك الأسوار والتحصينات. وظهر استخدام اللبن في بناء المدن العربية والإسلامية كمدينة البصرة، الكوفة، وسط والمدن أخرى. وكشفت الحفريات عن تخطيط هندسي لوحداتها السكنية والخدمية. وأكبر مثال واضح في جدران مدينة البصرة القديمة وهي المدينة العربية الإسلامية الأولى التي شيدها العرب المسلمون في جنوب العراق سنة ١٤هـ (٦٣٦م)، فقد استخدمت التربة المحلية في صناعة اللبن واستخدمت في بناء الجدران بعد وضع الطين كمادة رابطة بين صفوف اللبن وقد غلفت الجدران بالجص للمحافظة على اللبن من عوامل التعرية. وكذلك استخدم اللبن في العراق باشكال وأحجام مختلفةحسب شكل اللبن المستخدم في المبنى وبذلك ساعدنا شكل اللبن في ضبط وتحديد فترات زمنية معينة في عصور ما قبل التاريخ ((قبل ظهور الكتابة والتدوين)) ولهذا امتازت المدن القديمة باختلاف شكل وحجم اللبن في مبانيها، واستخدم اللبن في المدن القديمة مثل مدينة مليحة الأثرية في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة وذلك حسب نتائج التنقيبات التي اجريت هناك، وقد استخدم اللبن من التربة المحلية في المباني التراثية في الإمارات. ظهر لنا اثناء أعمال الصيانة في حصن مدينة الذيد وكذلك أرضيات وجوانب حصن مدينة كلباء وحصن دبا في إمارة الشارقة وخلال الصيانة

لتلك المواقع تم عمل اللبن في التربة المحلية واستخدم في ترميم الجدران لتلك المواقع.

تطوير صناعة الكتل البنائية غير المفخورة:

إلى جانب الكتل البنائية التقليدية الشائعة حالياً من طابوق فخار (Fired Clay Brick) وطابوق جيري (Sand-Lime Brick) وكتل خرسانية (Concrete Blocks) وكتل الثرموستون(Thermostone Blocks) فقد أخذت كتل الطين المثبت (Stabilized Clay-Blocks) تنال نصيباً من الاهتمام. فما دامت مادة الطين لو استعملت لوحدها في تشكيل أي كتلة بنائية غير قادرة على مقاومة الظروف المناخية الطبيعية من أمطار ورياح وعوامل الحرارة والانجماد فقد اتجهت البحوث الجارية حديثا إلى محاولة البحث عن طرق تضمن جعل هذه الكتل ذات ديمومة جيدة مع مقاومة انضغاط مقبولة وذلك باستخدام مبدأ تثبيت التربة في هذا المضمار. تتضمن هذه الدراسة التطرق إلى طريقتين: أولهما تُعرف بالطريقة الباردة وهي تمثل الجانب التطبيقي لبراءة اختراع مسجلة في فرنسا حيث تم تنفيذه في الجمهورية العربية اليمنية وبسبب ما انطوت عليه براءة الاختراع هذه من نتائج قد تُستغل في نواح تجارية فقد كان هناك تكتم حول الجانب العلمي التفصيلي لهذا التطبيق أما ثاني الطريقتين فهي معنية بتجربة تطبيقية تم تنفيذها من قبل المركز القومي للمختبرات الإنشائية لانتاج كتل من الطين المثبت والأسمنت أو الجير المطفأ تصلح لإقامة مسكن في منطقة الزهوار مع التعريف بخصائص هذه الكتل البنائية المنتجة.

١ - إنتاج وحدات بنائية من الطابوق الطيني غير المفخورة والمثبت بالطريقة الباردة:

تتضمن هذه الطريقة إمكانية إنتاج طابوق طيني غير مفخور بواسطة تثبيته عن طريق خلط الأطيان المستعملة مع مزيج من الأسمنت والمضافات الكيميائية. وتعتمد كمية الأسمنت المضافة على نوع الطين المستعمل وعلى الخواص الميكانيكية المطلوبة من المنتج أما نوعية المضاف الكيميائي ونسبته

فهي تعتمد على التركيب الكيميائي للطين وعلى حجم دقائقه ويمثل المضاف نسبة تصل إلى ١٪ من وزن الخلطة المحضرة.

كيفية انتاج الوحدات البنائية:

يتم أولاً طحن التربة لجعل دقائقها أصغر من (١ مم) ثم تخلط جيداً مع النسبة المحددة من الأسمنت وبعد ذلك تتم إضافة الماء إلى الخليط للوصول به إلى اللدونة المطلوبة. وأخيراً تُجرى إضافة المادة الكيميائية وفقاً للنسبة المحددة لها والمحتسبة وفقاً للتجارب المختبرية الأولية.

وبعد إتمام جعل الخلطة ذات تجانس كامل يجرى بثقها (Extrusion) بواسطة جهاز بثق ثم يقطع عمود الطين المبثوق إلى الأبعاد المطلوبة من الوحدة البنائية المراد الحصول عليها. وبعد ذلك تخزن هذه الوحدات المشكلة في حيز يقيها من الظروف الجوية القاسية وتترك لعدة أيام ريثما تجف جفافاً طبيعياً وبعد اكتمال جفافها يمكن استخدامها في إنشاء أية وحدة سكنية.

وهكذا نلاحظ أن عملية تشكيل هذه الوحدات البنائية لاتتطلب استخدام أي من طريقتي التجفيف والحرق المستخدمتين في تصنيع الطابوق الفخاري.

نوع المضافات الكيميائية المستعملة في هذه الطريقة:

قد تكون هذه المواد الكيميائية مواد معدنية الأصل أو منتجات عضوية وتتم إضافتها بنسب صغيرة (تصل إلى ١٪ من وزن الخليط الكلي). ويتم تقرير نوعية المضاف الصالح للإنتاج اعتمادا على التركيب المعدني والطبيعة الفيزيائية والكيميائية للتربة المستخدمة.

وأكثرالمضافات شيوعا هي:

أ – مضافات من أصل عضوي مثل:

(Melamine, Formal, Aminoresins, Urea, Formaldehyde) والدور الرئيسي لهذه المركبات هو زيادة لدونة الخليط وقابليته على أن ينبثق.

ب – الومينات الصوديوم وسيليكات الصوديوم : وفائدتها هي جعل

الوسط قاعدياً عن طريق زيادة مقدار معامل درجة الحامضية (pH) إلى قيمة أكثر من ٨ كما تعمل هذه المركبات على تسريع تفاعلات إماهة الأسمنت مما يساهم في زيادة متانة وديمومة المنتج. ج- عوامل ذات مفعول مضاد للماء مثل: Hydrophopic Agents ويتم استخدامها للتقليل من الرغبة الشديدة لبعض أنواع الترب للتفاعل مع الماء.

د - مواد سيليولوزية (Cellulose materials: i.e. Fibrous) وتستعمل للتقليل من انكماش هذه الكتل البنائية عند تجفيفها.

ومن أجل تحديد نوعية المضافات اللازمة لإتمام عملية التثبيت لابد من القيام بسلسلة من التجارب المخبرية للوصول إلى الغاية المطلوبة. أما نسبة الماء المضافة فيجب أن تكون كافية لتضمن تكوين خلطة ذات لدونة مناسبة كي يتم بثقها بسهولة وهي تعتمد على نوعية التربة المستعملة فعلى سبيل المثال إذا كانت التربة المستعملة تحوى أصلا على ٥٢٪ من الماءواضيفت لها كمية من الأسمنت بنسبة مقدارها ٠٣٪ نسبة الوزن الجاف للخلطة فإن نسبة الماء اللازمة هي بحدود ١٨٪.

صفات الوحدات البنائية المثبتة ونوعياتها:

تؤمّن هذه الطريقة إمكانية الحصول على وحدات بنائية تمتاز بمقاومتها لتأثير الماء لتأثير الإنجماد إضافة إلى دقة أبعادها بحيث أن التفاوت في الأبعاد يكون ضمن حدود مقبولة فنسبة امتصاص الماء بحدود ٣١٪ وقوة التحمل بالشد هي حولي ١٠٣ كجم.سم٢ بينما قوة التحمل بالضغط بحدود ٢٤٩ كجم/سم٢.

كما يمكن باستخدام طريقة التثبيت هذه (طريقة SPF) إنتاج كافة الأنواع الشائع استخدامها من المنتجات المفخورة ومن ضمنها الطابوق الفخري مثل طابوق العزل الحراري المثبت والقواطع المجوفة للجدران والأرضيات والكتل المستخدمة في الشرفات والسقوف ويمكن ربط هذه الوحدات البنائية المثبتة باستخدام قوة الأسمنت أو باستعمال الأسمنت

اللاصق (Glue-Cement) كما يمكن طلاؤها بأية وسيلة انهاء متعارف عليها (عدا الجص).

٢ - البناء بالطابوق المثبت بالأسمنت أو الجير:

يحدد نوع التربة المراد تثبيتها نوعية كل من المضافات الصالحة لهذا الغرض ومستوى الضغط الكبير (الكبس) المستخدم أثناء التثبيت. فقد وجد أن هناك حدود معينة (قصوى و دنيا) للتوزيع الحجمي لدقائق التربة (Grain Size Distribution) بحيث تكون الأخيرة صالحة لصناعة كتل طينية مثبتة وأن هذه الحدود تختلف باختلاف نوع طريقة تشكيل هذه الكتل (بالضغط أو بدونه).

وقد وجد أن واحدة من الحالات الثلاث الآتية ستواجهنا عندما يراد انتاج طابوق طيني مثبت من تربة معينة كائنة عند موقع معين وهي:

أ - أن يؤخذ التراب من نفس المقلع ويجري تصنيع الطابوق المثبت منه.

ب - في حالة كون تربة المقلع لاتتلاءم مع متطلبات انتاج الطابوق المثبت يمكن جلب التربة الملائمة من مقلع آخر.

ج - يمكن استخدام تربة المقلع ذاتها مع تعديل توزيع دقائق الحجم بإضافة الرمل أو غيره من الدقائق الأخرى اللازمة لهذا الغرض.

وقد أجريت في المركز القومي للمختبرات الإنشائية دراسة كانت تستهدف تصنيع طابوق طيني مثبت ومن ثم بناء قرية نموذجية منه. ولذلك فقد اجريت أولاً تحريات موقعية للتعرف على نوعية التربة في مواقع مختلفة من المنطقة الجنوبية حيث كان يراد للقرية أن تبنى مع مقارنة نتيجة هذه التحريات مع ماهو مثبت من معلومات عن التربة الكائنة في المناطق الوسطى من العراق.

ومن نتائج هذه التجربة التحريات (المبتغية تحديد المواقع للقرية) وجد أن نوعية التربة معبراً عنها بمعامل لدنيتها (Plasticity Index) ومعاملها المائي (Liquid Limit) تؤثر بشكل واضح على نوع المثبتات الذي يتوافق معها.

فالقير وجد أنه يتناسب مع التربة ذات معامل اللدونة المنخفض والمعامل المائي المنخفض (< ١٢٪< ٣٥٪ على التوالي) بينما لوحظ أن الجير النورة) يتلائم مع التـربة ذات الحـدود العـاليـة من هذين المعـاملين (< ١٨٪ > ٣٥٪) بينمايتكون الأسمنت مع كلا النوعين من هذه الترب.

كيفية تثبيت التربة لانتاج الكتل البنائية:

تعتمد عملية تثبيت التربة على خواصها الفيزيائية والكيميائية والمعدنية إضافة إلى اعتمادها على الخصائص النوعية المطلوبة بعد عملية التثبيت (من مقاومة انضغاط وامتصاص ماء) .

ويمكن تقسيم عملية التثبيت إلى مرحلتين هما:

١ – معالجة التربة ميكانيكياً (بدون مضافات).

٢ – تثبيت التربة فيزيائيا أو كيميائياً باستعمال مضافات.

أولاً: معاجة التربة ميكانيكياً

تعني عملية معالجة التربة ميكانيكياً تفتيتها وتكسيرها بغية الوصول بها إى توزيع حجمي لدقائقها بحيث يتطابق قدر الإمكان مع ماتم التوصل إليه من حدود للتوزيع الحجمي الملائم لعملية التثبيت في أثناء:

أ – تقليل حجم الفراغات بين دقائق التربة.

ب – تقليل المسامية وبملء الفراغات ستقل نفائية التربة تجاه مرور السوائل (وخاصة الماء) خلالها.

ثانياً: تثبيت التربة(فيزيائياً وكيميائياً) باستعمال المضافات

تستهدف عملية التثبيت الوصول بالتربة إلى حالة مثلى من التراص باستخدام عوامل خاصة تكون عندها التربة ذات كثافة قصوى وعندئذ ستتحسن قوة الترابط بين جزيئات التربة وبهذه الوسيلة ستكون الوحدة البنائية المصنعة ذات مقاومة ميكانيكية جيدة وذات مقاومة لتغلغل الماء خلالها مع ثباتها الحجمي إضافة إلى دعامتها الجيدة . والمضافات المستخدمة يمكن

تصنيفها إلى صنفين هما:

١ - مضافات ذات تأثيرات فيزيائية (غير كيميائية) إذ تقلل من قابلية الطين للتقلص ومن بينهما الرمل والألياف العضوية والصناعية.

٢- مضافات ذات تأثيرات فيزيائية - كيميائية فالمفعول الفيزيائي لعملية التثبيت قد لا يدوم لذا من أجل جعله يدوم تستخدم هذه المضافات للاستفادة من تأثير التفاعلات الكيميائية في إبقاء البنية الطينية المثبتة على حالتها بشكل دائم.

وتعتمد نوعية المضافات على نوعية التربة وذلك ما يتم التوصل إليه خلال مرحلة التجارب الأولية مع الأخذ بعين الإعتبار إمكانية توفير هذه النوعية من المضافات وكلفتها. ومن بين أكثر أنواع المضافات شيوعاً كل من الأسمنت والجير (النورة) والقير (Bitumen).

ثالثاً: التثبيت باستخدام الأسمنت

لقد وجد أن استخدام الأسمنت لتثبيت التربة يعمل على:

١- توفير الكتل البنائية ذات مقاومة انضغاط تعتمد على نوعية التربة وعلى كمية الأسمنت المضاف فكلما ازدادت الأخيرة تحسنت مقاومة الانضغاط.

الحصول على كتل بنائية ذات مقاومة لتغلغل الماء لمدة لاتقل عن أربعة أيام لكن مقاومة الانضغاط قد تنخفض إذا ما غمرت بالماء. وقد أوضحت التجارب أن النسب المضافة من الأسمنت والتي تؤمن الغاية المرجاة من التثبيت تتراوح بين (٤ - ١٠) ٪ ويكون التثبيت بالأسمنت اكثر وضوحاً من الترب ذات المحتوى الرملي الأكثر. كما يفضل استخدام مضافات ثانوية أخرى مثل كبريتات الصوديوم وسيليكاته فالتراب المكبوس والمثبت بالأسمنت يتصف بكونه ذو كتلة متراصة بسبب استمرار عملية إماهة الأسمنت والتي ستؤمن توفير مادة رابطة تعمل علي ربط دقائق التربة فيما بينها مما يمكنها من اكتساب خواص جيدة تتحسن بمرور الوقت. بيد أن عملية التثبيت

بالأسمنت يجب أن لا تتجاوز نسبة الكبريتات في التربة حداً أقصاه ٣٪ وذلك بسبب ما يعرف عنه من تأثيرات سيئة للكبريتات على مركبات إماهة الأسمنت وبنيتها. كما أن الكتل البنائية المثبتة بالأسمنت تحتاج إلى استمرار معالجتها (Coring) بالماد بوضعها بمحيط رطب مدة ٢٥ يوماً لتصل إلى قوة الانضغاط المطلوبة مع مراعاة عدم تعريضها إلى أشعة الشمس المباشرة وفي مثل هذه الأحوال ستتأثر نوعية النتج سلباً بشكل واضح.

رابعاً: التثبيت باستخدام الجير (النورة)

بخلاف عملية التثبيت بالأسمنت (التي تتوائم أكثر مع الترب ذات المحتوى الرملي الأكثر) فإن التثبيت باستخدام الجير يتناسب مع الترب ذات المحتوى الطيني الأكثر. فالجير الحي أو المطفأ بتفاعله مع دقائق الطين ستنتج عنه مركبات إماهة متبلورة ذات مفعول رابط تعمل علي تحسين القوة الميكانيكية للكتلة المثبتة. وقد أوضحت التجارب أن الجير الحي ذو تأثير أفضل من الجير المطفأ أثناء التثبيت وذلك عائد إلى كون محتوى الأول من أيونات الكالسيوم الفعالة أكثر كما تبين أنه على الرغم من أن دور الجير في عملية التثبيت يتلخص من تفاعله مع المعادن الطينية فإن المواد العضوية المحتواة في التربة لم تؤثر بشكل كبير على فعالية عملية التثبيت فقد أمكن استخدام ترب ذات محتوى من المواد العضوية يصل إلى ٢٠٪ بدون أن تصاحب عملية التثبيت تأثيرات سلبية ضارة كبيرة.

أما مراحل عملية التثبيت بالجير فقد أوضحت التجارب أنها مماثلة تقريباً لتلك المتبعة عند التثبيت بالاسمنت. فهي تشتمل على تفتيت التربة وتهشم كتلتها ثم إضافة النسبة المحددة من الجير بمرحلتين الأولى تكون بخلط جزء من التربة مع كمية الجير (الواجبة إضافتها) مع نسبة ماء مضافة قليلة ثم تترك الخلطة ليوم واحد كي تختمر ثم تضاف الكمية المتبقية من الجير مع النسبة المتبقية من الماء ثم يكبس الخليط وتترك الكتل المثبتة والمكبوسة كي تجف ولكن لفترة أطول من تلك التي عند التثبيت بالأسمنت إذ يلزم مرور ٩٥ يوماً كي تمتلك الكتل المثبتة قوة الانضغاط المطلوبة.

خامساً: التثبيت باستخدام القير

تتلاءم عملية التثبيت بالقير مع التربة اللدونة ذات المحتوي الرملي العالي (٥٥٪ - ٧٥٪) بحيث أنها تتناسب مع الترب ذات معامل اللدونة القليل (٣٪ فما دون). وهذا يعني أن إمكانية استخدام لدونة قليلة ومحتوى رملي عالٍ. وتتفاوت حدود القير المتعارف عليها أثناء التثبيت اعتماداً على نوعية القير ذاته. وفي حالة كونه مستحلباً(Emulsion) تكون النسب هي (٣-٦٪) أما حالة كونه متوسط التصلب(Medium Curing) أو سريع التصلب-Rapid Cur) (ingفالنسب هي بحدود (٢-٤ ٪).

أما مراحل تشكيل الكتلة الطينية المثبتة بالقير فهي إما أن تتم بدون استخدام وسائل كبس أي أن يكون التشكيل يدوياً وعندئذ لابد من أن تكون نسبة الماء المستعملة عند التشكيل أعلى بكثير من النسبة المستحصل عليها من فحص محتوى المادة الأمثل (Protect Test) الذي يتم ضمن الفحوص الأولية على التربة وذلك عائد لانخفاض مستوى جهد الضغط اليدوي المستعمل أثناء التشكيل. أو أن يكون التشكيل ميكانيكيا باستعمال كابسات وعندئذ لابد من أن لاتتجاوز نسبة الماء المستعملة عند التشكيل عن تلك التي استحصلت من فحص محتوى المادة الأمثل.

٣- النتائج المستحصلة عند إنتاج كتل بنائية من الطين المثبت

تتصف ترب المنطقة الجنوبية من العراق بشكل عام وترب منطقة الأهوار خاصة بكونها من الترب الضعيفة بسبب نعومتها العالية ولاحتوائها على نسبة عالية من الطمي(Sil+). وقد لوحظ أن موقع الموقع الذي اختير لجعل تربته مصدراً لانتاج الكتل المثبتة بأن نسبة دقائق الرمل تزايدت مع عمق تزايد الحفر. وصاحب ذلك انخفاض في محتواها من المواد الضارة كأملاح الكبريتات والمواد العضوية. وهذه الظاهرة شجعت على استخدام التراب المستخرج من هذه الأعماق لكونه أكثر صالحية لأغراض التثبيت من التراب الكائن في المناطق السطحية. فهناك جملة من الخصائص الفيزيائية

والكيميائية الواجب توافرها في أية تربة كي تكون صالحة لانتاج كتل بنائية مثبتة باستخدام مثبت معين وقسم من هذه الخصائص موضح في الجدول (١) ادناه.

الخاصة المطلوبة	نوع المثبت	نوع المثبت
	القير (وفقا إلى توصيات المعهد الدولي للاسكان جامعة كاليفورنيا)	خليط من السمنت مع الجير (وفقا إلى Overseas building notes, No. 184)
التوزيع الحجمي لدقائق التربة	55 – 75 % رمل 25 – 45 % طمي 15 – 17 % طين	ذات تدرج جيد قدر الإمكان
محتوى الأملاح الأقصى المسموح به	0.2 % (لجميع الأملاح الذائبة)	0.5 1% (الأملاح الكبريتات فقط)
مقاومة الانضغاط للطابق المثبت	300 باوند/انج مربع	14 كغم/سم2 (مقاومة انضغاط رطبة)
امتصاص الماء للطابوق المثبت	205 % كحد أقصى مسموح به بعد الغمر لمدة 7 أيام	–

الجدول (١)

بعض صفات التربة التي تُجعل منها صالحة لإنتاج كتل بنائية مثبتة مع بعض خواص المنتج.

وقد استخدم نوعان من المثبتات هما الأسمنت المقاوم للأملاح، بنسب والجير المطفأ بنسب (٤، ٦، ٨، ١٠٪) كما استخدمت المثبتات سوية بنسبة ٣٪ أسمنت و ٣٪ جير، مع إعداد نماذج من الكتل الطينية المعالجة وغير المثبتة بأي منهما لأغراض مقارنة النتائج.واشتملت الفحوص المجراة على الكتل المثبتة وغير المثبتة على فحص مقاومة الانضغاط الجاف، والرطب وفحص امتصاص الماء وفحص التعرية. وقد أظهرت نتائج الفحوص بوضوح أن الكتل البنائية الكينية المثبتة باستعمال الأسمنت أو الجير قد اجتازت خواصهما ما تشترطه

المواصفات البريطانية في الكتل المراد استعمالها لجزء البناء الواقع فوق مستوى سطح الأرض. فعلى سبيل المثال قد أعطت مقاومة انضغاط تجاوزت المقدار المحدد وهو ٢٥ كجم/سم٢ مع نسبة امتصاص ماء قد تعد مقبولة ٢٢٪ للبناء الكائن فوق مستوى الأرض و ١٥٪ للبناء الكائن تحت الأرض.

الاستنتاجات:

١ - توثيق البحوث والدراسات في الجامعات الإسلامية في مجال قطاع التشييد وحفظ الطاقة وإتاحة الفرصة للمتخصصين والمهتمين للتواصل العلمي وتبادل الخبرات في مجالها والتعاون على الإرتقاء بمستواها.

٢ - التحرك على تأسيس مكتبة تشمل معلومات وافية عن كافة الباحثين والتدريسيين في الجامعات الإسلامية لتسهيل التعاون العلمي وإجراء البحوث المشتركة وتقليص الهدر والتكرار في البحوث والدراسات.

٣ - من الممكن إنتاج كتل بنائية تقليدية بخواص جيدة لاستعمالها في بناء المناطق الريفية وترميم المباني الأثرية.

المصادر:

1- Laquerbe, M., "Cold Stabilized Bricks, SBF Process", UNISCO Publication, group meetimg on energy - efficient building materials for Low-1 Expert Cost Housing, Amman, Jordan, 14-19 Nov.1988.

2- Samarai, M., and Al-Taie, " Mud Houses in Iraq". N.C.C.L Publication 22,1986.

3 - Building Research Establishment Note 158 Building for comfort-1974.

4 - Samarai, M.A., and Shaban, "Iraq Experiments New Materials and Techniques for low Cost Housing". CIBI/RILEM-Symposium on Appropraite Building Materials for Low Cost Housing, Nairobi, Nov.983.

5 - Al-Azawi, "Building in Basrah", Sharjah Publishers - 1994.

6 - S. S. Damluji, "Mud Brick Architecture", Cormet Publishers - 1995.

دور الجامعات الإسلامية في تطوير نظم القيم الاجتماعية: الكليات الشرعية في بيروت نموذجاً

ندوة

"التحديات المستقبلية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل"

المنعقدة بجامعة الإمارات العربية المتحدة

في الفترة من ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

د. غسان منير سنو

رئيس قسم مجلة آفاق الثقافة والتراث

رئيس قسم التراث العلمي

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي

دور الجامعات الإسلامية
في تطوير نظم القيم الاجتماعية
الكليات الشرعية في بيروت نموذجاً

تشتمل هذه الدراسة على قسمين. تناول القسم الأول تعريف القيم الاجتماعية، وارتقاءها، وتعلمها، وأهمية دراستها، والحاجة الماسة إليها لبقاء المجتمعات وتطورها ودور الجامعات والمؤسسات الإسلامية في نشوئها، وتطورها، وتعديلها أو الغائها.

أما القسم الثاني فتناول واقع القيم السائدة عند طلبة الكليات الشرعية في بيروت، مسحاً، وتحديداً، وتحليلاً. وهذه الكليات هي كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت، وكلية الدراسات الإسلامية التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، وكلية الدعوة الإسلامية التابعة لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا، وكلية الشريعة الإسلامية التابعة لدار الفتوى ببيروت. وخلص إلى تحديد النظم القيمية السائدة عندهم، ذكوراً وإناثاً، وأشار إلى بعض جوانب القوة فيها وبعض جوانب الضعف التي تعتريها، وخلص إلى بعض الحلول والاقتراحات التي تؤدي إلى وضع خطط محددة لنظم قيمية اجتماعية تلبي حاجات المجتمع الإسلامي.

تمهيـد

واجهت المجتمعات الإسلامية منذ بدء الهجرة النبوية الشريفة من مكة إلى يثرب التي أصبحت أول مدينة إسلامية على الصعد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، واجهت هذه المجتمعات وتواجه وستواجه تحديات عديدة لإثبات حقية رسالتها، ومصداقيتها، وجدواها، وفعاليتها في هذه الحياة الدنيا والآخرة في صلاح الإنسان وسائر المخلوقات في حياتهم ومعايشهم وموتهم ونشورهم .

فالتحدي أمر حتمي يواجهه أي إنسان كان وأي مجتمع في سبيل الحفاظ على حياته، وحقوقه، وأمواله، وضمان استمراره وتطوره .

وتشمل التحديات قطاعات الحياة كافة ومنها الاجتماعية، والثقافية، والتربوية، والاقتصادية والسياسية . وكلها ذات أهمية بالغة في حياة المجتمعات وتطورها. ولكن يبقى للتربية والتعليم الدور المميز في توجيه الأفراد والمجتمعات، خاصة وأن التربية تعنى فيها تعنية سلوك الإنسان من خلال قيمه ومبادئه، وتعمل على تعديلها، وتطويرها، وتحسينها .

وتعتبر دراسة القيم وتطورها من أهم الدراسات التي تهتم بها البحوث النفسية والتربوية لارتباطها بعدة نواح نظرية وتطبيقية في ميادين العلوم الإنسانية، وبالأخص في مجالات علم النفس التربوي وعلم النفس الاجتماعي، وعلم النفس السياسي .

وتعرف القيمة على أنها اعتقاد مكتسب طويل الأمد نسبيا، بأن نمطاً من السلوك، أو غاية ما، محببة ذاتياً، أو اجتماعياً، بالمقارنة مع سلوك مخالف، أو غاية مخالفة (Rokeach,1973). فالقيمة إذاً تسويغ وتبرير لطريقة معينة من السلوك، أو التفكير، أو الشعور، وهي المرئي من الدوافع الداخلية والخبرة (Kokoszka,1992).

وتكون القيم اتجاهات مركزية نحو ما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه، ونحو ما يصح وما لا يصح. وتشكل محوراً للكثير من الاعتقادات،

والاتجاهات، والسلوك، وتؤثر في أحكامنا، وأفعالنا، وانفعالاتنا، إلى ما هو أبعد من الموقف المباشر، وذلك عن طريق إمداد الفرد بإطار مرجعي لإدراك وتنظيم الخبرة الإنسانية، وللاختيار بين بدائل الفعل (مليكة،١٩٨٩).

والقيمة كمتغير هي المتغير التابع الأساسي في دراسة الثقافة، وهي نتاج كل القوى الثقافية والذاتية والنظم الاجتماعية التي تعمل على الإنسان خلال فترة حياته . وهي المتغير المستقل الأساسي في دراسة المجتمع والشخصية والمواقف الاجتماعية والسلوك.(Rokeach,1973).

من أهم مميزات القيم :

- يمكن إرجاع أسباب القيم ونتائجها إلى المجتمع بعناصره المختلفة وظواهره والى الثقافة السائدة فيه.
- إن نتائج القيم تظهر في كل الظواهر الاجتماعية.
- تحتل القيم الاجتماعية المحور الأساسي في العلوم الأنثروبولوجية، والاجتماعية، وعلم النفس والعلوم التربوية والعلوم السياسية والاقتصاد والتاريخ.
- يمكن للقيم أن تلعب الدور الموحد لتلك العلوم المتفرعة والمهتمة بالسلوك الإنساني . (Rolieach,19723,Takaes,1983,Kil by,1993).

أهمية دراسة القيم :

تعتبر القيم من المفاهيم الأساسية في جميع الميادين النفسية والاجتماعية والحياتية (دياب،١٩٨٠). وأن إدراك القيمة كمفهوم يقودنا إلى شرح السلوك شرحاً وافياً باعتبار السلوك تعبيراً عن الذات أولاً والمجتمع ثانياً (Rokeach,1973).

فالقيمة نتاج لاهتمامات الأفراد والمجتمعات وأهدافهم وتطلعاتهم. وهي

تحدد السوي من غير السوي، وتقيم التوازن النفسي، والتوازن الاجتماعي، وهي الكاشف الأولي لكل ما يحيط بنا من ظواهر فكرية وثقافية واجتماعية ونفسية متعددة (إبراهيم، واسماعيل، ومنصور، ١٩٦٢).

لذلك فإن دراسة القيم ومدى شيوعها وثباتها في المجتمع يدل على أوضاع الحاضر وينبئ عن مدى التطور الذي يلحقه في المستقبل من النواحي السياسية، والدينية، والاقتصادية، والتعليمية، والإنتاجية. بالاضافة إلى أن معرفة قيم قطاعات المجتمع المختلفة يشكل مفتاحاً يكشف لنا عن مناحي تطور الأجيال، وطريقة التفاعل فيما بينها ودرجته .

من هنا نرى أهمية دراسة القيم وتغييراتها على مستوى الفرد، وعلى مستوى المجتمع. فدراسة القيم كمؤثرات جماعية واجتماعية تهدف الى إلقاء الضوء على ثقافة الأفراد في المجتمع وتحدد القيم السائدة عندهم، والمبادئ والأهداف، وسبل تطويرها، وتعديلها أو حتى إلغائها.

تعلم القيم

القيم كما قلنا نتاج اجتماعي، يتعلم الفرد القيم، ويكتسبها، ويستدخلها تدريجياً ويضيفها الى إطاره المرجعي للسلوك، ويتم ذلك من خلال عملية التنشأة الاجتماعية وعن طريق التفاعل الإجتماعي، وعن طريق المؤسسات التربوية والثقافية. وبذلك يتعلم الفرد أن يفضل بعض القيم على غيرها، ويثمنها أكثر من غيرها. ولعل أكثر ما نفتقده في مؤسساتنا التربوية الإسلامية فقدان المنهج القيمي المحدد، وفقدان سبل تطوير القيم السائدة وتعديلها. وما يغلب على المؤسسات التربوية هو تعدد المرجعيات القيمية، وتداخلها، وسوء التخطيط القيمي، وعدم الاكترات لإتمام العملية التربوية بتخريج دعاة مسلمين يحملون أنظمة قيمية مستوحاة مما درسوه نظرياً فيما يتعلق بأحوال الدين، وأموره.

القول بأن إنساناً لديه قيم، هو القول بأن لديه معتقداً دائم الأمد، يصف ويحدد له طريقة السلوك، والغايات المرغوبة عنده والمفضلة على سواها.

هذا الاعتقاد يتجاوز الاتجاهات إلى المواضيع والحالات والأوضاع النفسية والاجتماعية المختلفة.

وهو مقياس يهدي إلى سلوك ما ويحدده، كما يهدي إلى الاتجاهات نحو المواضيع والأشخاص والغايات والمعتقدات، وتقديم الذات إلى الآخرين، والأحكام والتبريرات، ومقارنة الذات مع غيرها، ومحاولات التأثير على الآخرين.

فالقيم وظائف تحكيمية، ودفاع عن الذات، وهي معرفية وباب لتحقيق الذات. وهي بشقيها الوسيلي والغائي، مرتبطة معاً من حيث الوظيفة، كما أنها منفصلة، ومرتبة ترتيباً معيناً حسب هيكلية طويلة الأمد، على مقياس حسب أهمية كل قيمة بالنسبة لغيرها. وهذا المقياس يعرف بنظام القيم (Rokeach, 1973).

ويمكن أن نقول إن نظام القيم الذي يكونه كل إنسان يحتوي على مكونات معرفية، ومكونات نفسية وجدانية، ومكونات حركية – نزوعية. كما يحتوي على حاجات وأهداف اجتماعية، ومتطلبات. (Pezza, 1991).

فالقيم تترتب تبعاً لأفضليتها، ومستوى أهميتها وتقديرها. فتسبق القيمة الأكثر أهمية القيمة الأقل أهمية، وتليهما القيم الأدنى في الأهمية. فالنظام القيمي هو مجموع قيم الفرد أو المجتمع مرتبة حسب أولويتها في الأهمية. ولكل فرد إطاره القيمي. كما أن للمجتمع إطاراً قيمياً. (كاظم، ١٩٧٠).

ويمكن للقيم أن تُرتَّب حسب الأهمية وحسب وظائفها. فالقيم التي تخدم التوافق، والدفاع عن الذات، والمعرفة، وتحقيق الذات، يمكن أن ترتب على مقياس استمراري من الأدنى إلى الأعلى، حسب اقتراح ماسلو (Maslow) من خلال نظريته لتراتبية الدوافع. (Maslow, 1954, 1959, 1964; Rokeach, 1973).

وتستخدم أنظمة القيم كخطط عامة لحل المشكلات ولصنع القرار. فإن موقفاً معيناً قد يثير عدداً من القيم ضمن نظام القيم عند شخص ما، وليس بالضرورة قيمة واحدة فقط. وقد تكون الاستجابة متناسبة مع كل القيم بالتساوي، إلا أنه لا بدّ أحياناً من تفضيل قيمة على أخرى، أو وقوع اضطراب بين قيمة وأخرى. فموقف معين قد يثير ارتباكاً بين اختيار السلوك بحرية مثلاً، أو السلوك بطاعة، أو بين السلوك بأدب، أو السلوك بإخلاص، أو بين احترام الذات، أو احترام الآخرين.

ولذلك، يعتبر نظام القيم مجموعة منظمة من المبادىء والقوانين التي تساعد على الاختيار بين البدائل، وحلّ المشكلات واتخاذ القرارات. لكن هذا لا يعني أن نظام القيم عند الإنسان، وجهازه، دائم النشاط في جميع الاتجاهات والمجالات. إنما هو تركيب فكري وعقلي متكامل، وإن أثيرت فيه بعضُ القيم أكثر من غيرها. (Rokeach, 1973).

ويمكن أن يُقال أن للفرد الواحد عدداً هائلاً من نظم القيم، تتناسب مع المواضيع المختلفة والمواقف التي تدعوه إلى الاختيار والمفاضلة. وأن القيم ضمن نظام واحد لا تتخذ مراتب ثابتة لها، بل تتغير صعوداً وهبوطاً تبعاً لظروف الفرد وأحواله ورغباته واهتماماته. فبعض مراتب القيم يتغير ببطء، والبعض الآخر يتغير بسرعة. كما أن الترتيبات عرضة للتغيير بتغير أحوال الشخص. (باب، ١٩٨٠؛ أبو النيل، ١٩٨٥؛ ميزونوف، ١٩٧٢).

أ - ارتقاء نظام القيم وثباته وتغيره:

لو كانت القيم ثابتة، لاستحال التغيير، ولو كانت غير ثابتة تماماً لاستحالت استمرارية الشخصية الإنسانية، واستمرار المجتمع. إن أي مفهوم لقيم الإنسان، حتى يكون واقعياً وناجحاً ومستمراً، يجب أن يحسب حساب طبيعة القيم المستمرة، وقابليتها للتغيير. (Rokeach, 1973). وانظر أيضاً: (Alvesson, 1989; Bovasso, Jacobs & Rettig, 1991).

ترتقي القيم على مستوى الوسيلة – الغاية ضمن مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى : الحاجات البيولوجية الأساسية كالغذاء، والراحة...

المرحلة الثانية : الحاجات غير المباشرة، كالتحصيل العلمي، والكسب المالي...

المرحلة الثالثة : الحاجات المثالية، والقيم الغائية: كالحرية والعدالة. (خليفة، ١٩٩٢؛ Woodruff, 1952) .

فالقيم ترتقي من الطفولة المبكرة وحتى نهاية العمر، وهي غير مرتبطة بمرحلة عمرية معينة. (Lavin & Prull, 1989).

عندما ينضج الولد، يجابه أوضاعاً اجتماعية تحمل أكثر من قيمة، وليس قيمة واحدة، كما تعود في طفولته، وقد تتنافس هذه القيم مع بعضها الآخر. وهذا الأمر يتطلب تفضيلاً لقيمة على أخرى، وتقييماً لقيمة على حساب قيمة أخرى، وأيهما تأتي قبل الأخرى في الأهمية. ومنها مثلاً أيهما يأتي في الدرجة الأولى النجاح أم الإخلاص؟ الإستقلالية أم التبعية؟ الاحترام الذاتي أم الاحترام الاجتماعي أم الشهرة؟

لكن من خلال الدُربة والمران يتعلم الفرد كيف يوظف القيم المثالية التي تعلمها في تلك المجالات، وينظمها ضمن نظام مرتب، تُرَتَّب كل قيمة بموقع معين حسب الأولوية والأهمية المعطاة لها بالنسبة لبقية القيم (Rokeach, 1973). ومع نمو الفرد، يزداد عدد القيم التي يتبناها في نظامه القيمي. وبمجرد انضمام قيمة جديدة إلى نظام القيم تعاد عملية ترتيب القيم وتوزيعها من جديد حسب أهميتها الجديدة للفرد. انظر مثلاً: (Mesarosona & Petrikova, 1991 و(Rokeach, 1985b).

ب ـ تغير القيم بتغير الأحوال المرافقة لها:

ترتبط القيم بحاجات الإنسان الأساسية، كما تنشأ القيم أساساً من الحاجات. وتظل القيمة صالحة ووظيفية ما دامت تناسب ظروف البيئة وتقوى على الارتباط ببعض وظائفها. وإذا اختلفت البيئة أو تطورت، أصبحت القيمة لا تؤدي وظيفة اجتماعية، ولا تخدم حاجة من حاجات الناس. ومن ثم يصبح التمسك بها جموداً، ويؤدي إلى سوء التفاعل في المجتمع. فالتغيرات

الاجتماعية تؤدي إلى تغيرات في الظروف والأحوال. وهذا يؤدي إلى تحويل بعض القيم الوظيفية إلى قيم غير ذات موضوع ومهملة، مما يفسح المجال أمام تغييرات في أنظمة القيم عند الناس. وقد يؤدي أيضاً إلى ظهور قيم جديدة، كما قد يؤدي إلى تبديل في أهمية تراتبية القيم عند الفرد(كاظم، ١٩٧٠). وانظر: (Kahle, Poulos & Sukhdial, 1988).

إن سلوكاً واحداً، في أغلب الأحيان، أو مجموعة من السلوك تحرك بمجموعة متعددة ومتغيرة من القيم. فعندما تُعلَّم القيمةُ تصبح مندمجة بنظام معين من القيم، حيث لكل قيمة مكانها وموقعها المعين بالتراتبية والتنظيم.

فالتغيير يُفسر، عندها، إعادة ترتيب للقيم ضمن نظام قيمي جديد، وحسب أولويات وتفضيلات جديدة.

وهذا النظام ثابت مبدئياً، ومتشابه، ويعكس بثباته الاستمرارية لشخصية موحدة، أُخضعت لعملية تطبيع اجتماعي ضمن ثقافة معينة، ومجتمع واحد.

تعلّم القيم على أساس ماذا يجب أن يكون، وليس على أساس ما هو كائن. كما تعلّم على أساس إنها مثل تُحتذى، وبانعزال عن بقية القيم الواقعية، وهذا ما يفسر سبب استمرارها. فنحن لا نُعلّم أن نكون مخلصين قليلاً، أو منطقيين جزئياً، أو أن نسعى لسلام منقوص، أي لا سلم ولا حرب، أو خلاص ناقص. نحن نعلّم تعليماً مثالياً متكاملاً؛ إما كل شيء، أو لا شيء على الإطلاق. وهذا، أيضاً، ما يُفسر استمرارية القيم وأنظمتها. (Rokeach, 1973)، وما يدعو إلى اعتبارها أسساً للتعامل، ومراجع للأحكام، ودوافع للتصرفات. (كاظم، ١٩٧٠). وانظر (Williams, 1979).

ولكن هذه القيم غير ثابتة بشكل كاف، نسبياً، لتسمح بإعادة ترتيب أولويات القيم كنتيجة للتغيرات الاجتماعية والثقافية والخبرة الشخصية.

إن التغيرات الذاتية، والاجتماعية، والثقافية لن تؤدي إلى تغيير في نظام القيم على المستوى الشخصي فقط، بل في نسبة ثبات تلك القيم أيضاً. وكلها يتعلق بالنمو الفكري، ودرجة التطبيع الاجتماعي والتماهي (Carter,

.(Bell, 1991) وانظر 1991; Rokeach, 1973)

إن المؤشر الواضح لحصول تغيير في نظام القيم، بالنسبة لمؤشرات كالسن، ومرحلة النمو الأخلاقي، والتحليل الفكري، قد لا يكون في القيمة المختارة، بقدر ما يكون، ربما، في الأسباب الكامنة وراء اختيار تلك القيمة. وهذا ما يبدو في الطرق التي تظهر فيها القيمة المختارة عملياً في الحياة. (Glover, 1991)، وانظر أيضاً: (Hoge, Hoge & Wittenberg, 1987).

من القيم ما يعم انتشاره في المجتمع كافة، ومنها ما يعم عند فئات دون أخرى، ومنها ما يقاوم التغيير رغم عوامل التطور الكبيرة التي تجابهها. ويتوقف مدى التجانس في قيم المجتمع على مدى التجانس في أحواله الاقتصادية وظروفه المعيشية. انظر مثلاً: (Kahle, Poulos & Sukhdial, 1988). لذلك، فإن ارتقاء نظام القيم وثباته واختلافه يتأثر بعوامل الثقافة، والتربية والتعليم، والاختلاف الطبقي، والتطبيع الاجتماعي، والسن، والجنس، والبيئة، واختلاف الأزمنة والأمكنة والظروف الإقليمية، والمركز الاجتماعي، والدور، والقدرة، والسلطة، والمثل العليا السائدة في مجتمع ما. (دياب، ١٩٨٠؛ إبراهيم، ١٩٦٢؛ Carter, 1991). فارتقاء القيم هو نتيجة التفاعل بين الفرد والبيئة الحضارية التي يعيش فيها. كما أن ارتقاء نظام القيم يسير من البساطة إلى التركيب، ومن الخصوصية إلى العمومية، ومن الوسيلية إلى الغائية. (Parish & Nunn, 1988) انظر أيضاً: (Hoge & Bender, 1974; Ho-ward, Borgida & Omoto, 1986).

ج - التطور القيمي في المجتمع:

إن الإطار القيمي في المجتمع هو مجموعة قيم الأفراد أو المجتمع مرتبة حسب أولويتها. فتراتب القيم يكون تبعاً لأفضليتها، ومستوى أهميتها، وتقديرها عند الفرد والمجتمع. فهناك قاسم مشترك من حيث الوجود في إطارات الأفراد القيمية، ولكنها تختلف من شخص لآخر تبعاً لدرجة أهميتها وترتيب وضعها في الإطار القيمي.

ويؤدي التفاعل بين الناس إلى نشوء العديد من القيم البسيطة والمركّبة والمتداخلة والمتعارضة، كما يؤدي أيضاً إلى تعديل في أهمية القيم وتراتبيتها، (Rokeach, 1973).

هذا التفاعل يحمل في طياته تأمين الحاجات الأساسية والثانوية للأفراد والمجتمع. وتختلف طريقة التعبير عن الحاجات باختلاف ظروف البيئة وإمكاناتها. وهذا ما يؤدي إلى اختلاف القيم باختلاف ظروف البيئة وإمكاناتها.

وتظل القيمة صالحة ووظيفية ما دامت تناسب ظروف البيئة، وتقوى على الارتباط ببعض حاجاتها، والعكس صحيح. فإن اختلفت البيئة أو تغيرت، أو تطورت، أدى هذا إلى تغيير في وظيفة القيم، فقد تصبح لا تؤدي وظيفة اجتماعية، أو لا تخدم حاجة من حاجات الناس، أو تنقص كفاءتها. فتصبح القيمة عندئذٍ عديمة الفائدة للمجتمع. وهذا ما يؤدي إلى تعديل في أهمية القيم وتراتبيتها، وحتى إلى ظهور قيم جديدة. انظر مثلاً: (Miceli & Castelfranchi, 1989).

وهكذا، يمكننا أن نقول إن التغيرات الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والبيئية، هي تغيرات في القيم.

د - الحاج إلى التخطيط للقيم:

كما رأينا، فإن التغيير الاقتصادي والاجتماعي والتربوي والسياسي يؤدي إلى تغيير في العادات والتقاليد، وبالتالي إلى تغيير في القيم.

فإذا كان التغيير سريعاً، أصبحت الحاجة ماسة إلى تخطيط قيمي مقصود قائم على أساس الدراسات العلمية، وذلك، حتى لا يشيع الاضطراب، أو تختل موازين التفاعل الإنساني السائدة في المجتمع، أو يضطرب التخطيط العام نتيجة ذبول بعض القيم واضمحلالها، واختفاء أهميتها دون العمل في الوقت المناسب على إحلال قيم وظيفية أخرى محل القديمة المضمحلة، أو بقاء قيم غير مرغوب فيها. انظر مثلاً: (Khale, Poulos & Sukhdial, 1988).

وبالجملة، فإن تغير ظروف المجتمع، يقتضي ظهور قيم جديدة، أو يقتضي إعادة ترتيب مراكز الأهمية للقيم في الإطار القيمي، وهذا ما يسمى بالتطور القيمي.

وهكذا، فإن التخطيط للقيم يصبح ذا أهمية بالغة؛ لتحديد نوعية القيم السائدة، ومدى شيوعها وثباتها في مجتمع ما، كما أن التخطيط للقيم ينبىء عن مدى التطور الذي يلحقه في مستقبله من النواحي السياسية والدينية والاقتصادية والتعليمية والإنتاجية (كاظم، ١٩٧٠). وانظر: (إبراهيم، إسماعيل، ومنصور، ١٩٦٢، أبو النيل، ١٩٧٩، ١٩٨٦؛ أبيض، ١٩٨٤؛ خليفة، ١٩٩٢؛ دياب، ١٩٨٠) وانظر أيضاً:

.(Rokeach, 1973; Morris, 1956, 1959)

بعض العوامل المؤثرة في تشكيل القيم

القيم والتحصيل العلمي

تلعب القيم والاتجاهات عند الطلاب وأترابهم، وأهلهم، دوراً بالغ الأهمية في عملية التحصيل التربوي. وأن للقيم تأثيراً مباشراً على التحصيل الدراسي، عن طريق نتائج التحصيل، وتأثيراً غير مباشر من خلال السلوك خارج المدرسة أو الجامعة.

فقد وُجدَ أن قيم الأهل المتعلقة بأهمية التحصيل التربوي، وملاحقتهم لأولادهم، وتشجيعهم، أثمر مرتين في التحصيل الدراسي من تأثير الطبقة

كما وُجد أن الشخص يلقى الدعم والتأييد في تحصيله التربوي إن كان أترابه يُقيّمون التحصيل العلمي عالياً. وذلك على عكس الشخص الذي يُقيم أترابُه التحصيل بصورة ضعيفة. (Walberg, 1984; Hanson & Ginsburg, 1988). كما وُجد أن تأثير القيم ككل كان أكثر من تأثير الطبقة الاجتماعية – الاقتصادية. (Hanson & Ginsburg, 1988) وأن القيم التي يحملها طلبة الجامعة وأهلهم وأترابهم تؤثر عالياً، وبصورة إيجابية على نتائج تحصيلهم الدراسي. فالخلفية العائلية تؤثر على التحصيل من خلال التوقعات التربوية والقيم التي يحملها الأهل، وينقلونها إلى الأولاد. (Sewel & Shah, 1967; Hanson & Ginsburg, 1988). وعندما يلتزم طلبة الجامعة، وأهلهم، وأترابهم بالقيم، وما تستوجبه من سلوك يشجع على المسؤولية، فإن الطلاب يحصلون على فرص للنجاح أفضل. كما أن القيم تصبح موجِّهة للسلوك، وحافزاً له على مرونتها للتغيير، واستيعاب التغيير. وبذلك تسمح لفرص متكافئة للتحصيل، أكثر مما لو كانت الطبقة الاقتصادية – الاجتماعية، و/ أو قدرة التلميذ الذاتية (Innate) هما فقط المحددان لتحصيل التلميذ (Hanson & Ginsburg, 1988).

وأظهرت الدراسات أن الطلاب الذي يقيمون أنفسهم عالياً، ضمن قيم كمُجدّ، ومجتهد، وطموح، ولديهم القدرة على التحكم بظواهر بيئتهم، يُنتجون

بشكل أفضل في المدرسة، والجامعة، من الأشخاص الذين يقيِّمون أنفسهم بدرجة أقل (Entwisttle & Brennan, 1971; Whalen & Fried, 1973; Hanson & Ginsburg, 1988). وأن توقعات التلاميذ العالية والمتعلقة بمستقبل تحصيلهم تدفع بهم نحو النجاح. (Hanson & Ginsburg, 1988) .

وقد وجد كل من (Feldman & New Comp, 1969) أن خبرة طلاب الجامعة تؤدي إلى استحداث قيم متطابقة مع متطلبات الثقافة المادية والقيمية للمجتمع. وأن طلاب الجامعة يجب أن يصبحوا أكثر ثقافة واهتماماً بالقضايا الاجتماعية والسياسية، وأكثر اهتماماً بالقضايا الجمالية نتيجة خبراتهم في الجامعة.

ووُجد أن الطلاب الذين يحملون أنظمة قيم تؤكد على أهمية التناغم الداخلي، والانبساطية، والعقل المنفتح، ويُقيمون علاقات ود وصداقة واهتمام مع الآخرين، كانوا أفضل من غيرهم في التحصيل الأكاديمي، والثبات، والاستمرار في الدراسة. في حين أن الطلاب الآخرين، ذوي التحصيل الأكاديمي السيء، كانوا على أنظمة قيم تؤكد الراحة المادية، والبحث عن المتعة، ويقيمون علاقات منفعة مع الآخرين وعرضية. أما الطلاب الذين تركوا الجامعة، فكانت أنظمة القيم لديهم جامدة ومتحجِّرة، وتؤكد على الضبط الذاتي الصلب. (Jones, 1990).

وأشار كل من (Biddle, Bank & Slavings, 1990) إلى أربعة مواضيع أساسية تتعلق بقيم الطلاب:

١ – أن قيم الطلبة تتغير خلال فترة وجودهم في الجامعة. انظر مثلاً: (Anderson & Western, 1969, 1970; Astin, 1977; Balkin, Brandt, Katz & Levin, 1977; Barris, Kielhofner & Bauer, 1985; Blomquist, Cruise & Cruise, 1980; Chickering & McCormick, 1973; Elton, 1960, 1971; Elton & Rose, 1968; Feather, 1973; Feldman & Weiler, 1976; Finney, 1974; Franks, Falk & Hinton, 1973; Hoge & Bender, 1974; Johanson & Dey, 1973; Kuh, 1976; Ogle & Dodder, 1978; Pedro, 1984;

Schmidt, 1970; Trent & Medsker, 1969).

وأن التغيير يكون لصالح القيم السائدة عند طلاب الجامعة السابقين، ونتيجة لاحتكاك الطلاب مع جو الجامعة السائد. وأن الطلاب يصبحون أكثر اهتماماً بالاجتماع والاقتصاد والسياسة.

٢ – اشارت الدراسات إلى أن قيم الطلاب تختلف مجالات التخصص الأكاديمي. انظر مثلاً:

(Anderson & Western, 1969, 1970; Astin, 1977; Card, 1977; Davis, 1964; Duff & Cotgrove, 1982; Feather, 1970; Feldman & Weiler, 1976; Franks, Falk& Hinton, 1973; Thistlethwaite, 1973)

لكن الدراسات تلك لم تشر إلى السؤال حول هل أن الطلاب يقررون اختصاصاتهم وكلياتهم، وما يتبع ذلك طبقاً لقيمهم أم أن تلك الخيارات والقرارات تؤثر في قيمهم؟ إلا أن المحتمل هو أن الطريقتين تعملان معاً. انظر أيضاً: (O'Brien, 1973).

٣ – تتعلق القيم السائدة عند الطلاب بفرص العمل. وأن القيم المتغيرة هي تلك المتعلقة بالاختصاص الأكاديمي والكلية، والمنامة، والإقامة. انظر مثلاً:

(Anderson & Western, 1969, 1970; Astin, 1977; Card, 1977, Chickering, 1969; Chickering & McCormick, 1973; Clark, et al, 1972; Feldman & Weiler, 1976; Franks, Falk & Hinton, 1973; Lacy, 1979; Newcomb, et al,1970, 1971; Stakemas, 1972, Thistlewaite, 1973).

٤ – أن للطلاب ذوي الاختصاص الواحد، وأساتذة هذا الاختصاص، والكليات التابعة، يشكلون تجسيداً لبيئات فرعية متميزة. وأن البيئات تلك تختلف باختلاف تخصصاتها، وكلياتها، وظروفها، وأساتذتها، وطلابها. انظر مثلاً:

(de Armas & McDavis, 1981; Finney, 1974; Gamson, 1966, 1967; Goodwin, 1980; Laup, 1978, 1979; Rokeach, 1973; Thistlewaite, 1969, 1973; Vreeland & Bidwell, 1966; Wilson, Gaff, Diest, Wood & Barry, 1975).

وهذه كلها تؤدي إلى وجود بيئات قيمية تمثل نماذج جاهزة للتطبيق من قبل الطلاب، وخاصة الطلاب الجدد. (انظر مثلاً: Jenks, 1988). وأشار (En-twistle & Brennan, 1971; Hanson & Ginsburg, 1988) إلى أن الدراسات لم تتفق حتى الآن على وجود تأثير واضح للقيم الدينية على التحصيل الدراسي. فمنها من أكد التأثير القوي للقيم الدينية على التحصيل العلمي، ومنها ما لم يؤكد ذلك. وهذا مما يجعل العلاقة قوسية بين القيم الدينية والتحصيل.

إلا أن اختلاف الاختصاص، وما يتبع ذلك، يؤثر على اختلاف الأنظمة القيمية بين الاختصاصات. كما وجدنا، سابقاً. فقد وجد (Addleman, 1988)، أن قيم طلاب جامعة دينية اختلفت عن قيم طلاب جامعة رسمية. فقد كانت الحكمة، والخلاص من القيم ذات الرتبة الأولى عند طلبة الجامعة الدينية. في حين كانت الحياة المريحة، والمتعة من القيم ذات الرتبة الأولى عند طلبة الجامعة الرسمية.

ووجد كل من (Killeen & McCarrery, 1989)، أن نوع القيم الوسيلية الموجودة عند شخص ما، تتطابق مع نوع السلوك المختار، وعلاقة هذا بالاختصاص الجامعي. ففي اختبار أجرياه على طلاب دائرة إدارة الأعمال، وطلاب دائرة التمريض لاختيار أهم ثلاث قيم وسيلية وغائية من مقياس (Rokeach, 1968) للقيم، تم بعدها تطوعهم للقيام ببعض الأعمال ذات الطابع التنافسي أو ذات الطابع الخيري؛ وجدا أن ٦٠٪ من طلاب إدارة الأعمال اختاروا القيم الوسيلية والأعمال التنافسية، في حين اختار ٧٤٪ من طلاب التمريض القيم الغائية والأعمال ذات الطابع الخيري.

كما وُجدت ارتباطات قوية بين الديموغرافيا واختيار مجال التحصيل، بالمقارنة مع الديموغرافيا وقيم التحصيل. وأن التحصيل الرياضي ارتبط بالقيم الاجتماعية، أما القيم الخيرية المثالية فارتبطت بالقيم العائلية والاجتماعية أكثر من النجاح الدراسي (Farmer, Vispoll & Maehr, 1991) .

وكان لاختلاف الظواهر الزمنية أثر على الاختلاف في قيم الطلاب

وتحصيلهم. فقد وُجدَ أن طلاب الثمانينات تميزوا بالنزق والاندفاعية الزائدة، بالمقارنة مع طلاب الستينات الذين تميزوا بالمحافظة، والبراغماتية، والنزعة النظرية في رؤية الأمور. في حين تميز طلاب السبعينات بالحرية والثقافة الواسعة. (Lavin & Prull, 1989) وانظر: (Kahle, Poulos & Sukhdial, 1988).

القسم الثاني

الدراسة الميدانية

نظم القيم السائدة عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت

أولاً: أهداف الدراسة

تتمحور هذه الدراسة حول الأهداف التالية:

١ - الوقوف على أنظمة القيم السائدة عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت في المراحل الجامعية المختلفة. وذلك بهدف استكشاف القيم التي تمثل أهمية بناء النظام القيمي لدى أفراد كل سنة جامعية من سنوات الدراسة الأكاديمية الأربع، والأبعاد التي تنتظم من خلالها هذه القيم. ومن ثم تحديد أكثر هذه القيم انتشاراً وتحكماً في سلوكهم.

٢ - استكشاف الظواهر التي تتبلور من خلالها هذه القيم، والتغير الذي يطرأ عليها من سنة جامعية إلى أخرى، بشكل يفصح عن مسار نموها وتغيرها خلال سنوات الدراسة الأكاديمية.

٣ - إيجاد العلاقة بين الأهداف التربوية المصاغة، والتي بموجبها تسير مناهج التربية في كليات الشريعة، وبين ما ينبغي أن تكون عليه تلك الأهداف في ضوء مشاكل المجتمع اللبناني وقيمه الخلقية. كذلك، من أجل دراسة المجتمع اللبناني، وتشخيص مشاكله، وتحديد قيمه السائدة، عند شريحة منهم، والتعرف على أهدافه وملامحه الأساسية.

٤ - استخلاص بعض الاقتراحات والملاحظات التي تتعلق بالقيم السائدة عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت، وعلاقتها ببعض أهداف التربية الدينية في لبنان.

ثانياً : أهمية الدراسة

تنبثق أهمية الدراسة من الأمور التالية:

١ – إن قيم طلبة الدراسات الشرعية ونظمها، واتجاهاتهم لمّا تدرس حتى الآن الدراسة العلمية والشاملة الجادة. وبالتالي فالحاجة ماسة إلى التعرف على القيم السائدة عند أولئك الطلبة. فالقيم مكونات واضحة للسلوك والأهداف والمبادىء التي تحكم تلك الشريحة من المجتمع اللبناني.

٢ – ومن ثم فالحاجة ضرورية أيضاً إلى تحديد الأنظمة القيمية العامة التي تحكم جمهور طلبة الدراسات الشرعية، وتفسير كيفية تشكلها وارتقائها خلال السنوات الدراسية الأكاديمية.

٣ – وبالتالي دراسة إمكانية تعديل أو تغيير، أو تطوير تلك الأنظمة القيمية عن طريق اقتراح خطط تربوية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية تساهم في عملية التعديل والتطوير، استجابة للتحديات المستجدة والمتوقعة على كافة الصعد.

٤ – وهذا كله نابع من أن قيم طلبة الدراسات الشرعية واتجاهاتهم لها تأثيرها الحاكم في توجيه العملية الدعوية والإرشادية والتربوية والثقافية والاجتماعية أيضاً، في لبنان. ولها الأثر الفعال في تنشئة الأجيال المسلمة الصاعدة، وصياغة القيم العامة والأهداف الأساسية للمجتمع الإسلامي واللبناني.

٥ – أهمية التخطيط لقيم المستقبل وتحدياته، وهذا لا يكون إلا بدراسة الحاضر وقيمه، وجذوره السابقة في الماضي، ومحاولة وضع خطط جديدة لقيم جديدة وتنظيمها بشكل مدروس وفعال.

ثالثاً : تساؤلات الدراسة وفروضها

١ – هناك خاصية معينة لنظم القيم السائدة عند طلبة الدراسات الشرعية تميزهم عن غيرهم من طلبة الاختصاصات الجامعية الأخرى من نفس الفئة الدينية (مسلمون من أهل السنة والجماعة).

١ : ١ هذا الاختلاف نابع من اختلاف الاختصاص الأكاديمي، وبالتالي ما يستوجبه من توجيهات وتوجهات أكاديمية وتربوية ومعرفية مختلفة

تستدعي بشكل أو بآخر اختلافات في طريقة التقبل والتفاعل النفسي والاجتماعي والانفعال السيكو - حركي. وهذا كله يؤدي إلى تشكلات معينة لنظم القيم مطبوعة بطابع الاختصاص المحدد.

٢ - ضمن جمهور طلبة الدراسات الشرعية (من أهل السنة والجماعة) هناك اختلافات في نظم القيم نابع من المتغيرات الأكاديمية والمعرفية والاجتماعية - الاقتصادية التالية:

٢ : ١ اختلاف الجنس: وهذا عائد لنوعية التنميط الاجتماعي الذي يتعرض له كل من الذكر والأنثى، والدور المتوقع من كل جنس على حدة من النواحي البيولوجية، والاجتماعية، والمادية، وما يتوقع من واجبات وحقوق لكل منهما.

٢ : ٢ المستوى الأكاديمي: من الظاهر أن تراكم الكمية المعرفية الحاصل خلال السنوات الأكاديمية المتتابعة، مع ما يرافق هذا من تقادم تفاعل الطالب مع البيئة الأكاديمية والاجتماعية والاقتصادية الموجود فيها، واستجاباته مع المبادىء السائدة، والقيم والتوجهات، يؤثر تأثيراً واضحاً في تشكيل نظم القيم وارتقائها وتغيرها من سنة إلى أخرى.

٢ : ٣ المستوى الاجتماعي والاقتصادي: تختلف الطبقات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع عن بعضها البعض في مستوى الدخل، ونوعية المهن والمصالح. وبالتالي الأدوار التي تقوم بها كل طبقة، وما يتوقع منها. ويسيطر على كل طبقة محيط نفسي - اجتماعي - اقتصادي يميزها عن غيرها بسمات خاصة تعرف بها، ويشترك أفرادها بتبني هذه السمات، وتصبح المرجعية المعرفية والنفسية والاجتماعية لهم. هذه السمات تشتمل على القيم والعادات والتقاليد والأعراف والاتجاهات، وبالتالي كافة المكونات المعرفية والنفسية التي تهدي إلى سلوك معين. فمن الطبيعي أن يشترك أفراد كل طبقة اجتماعية - اقتصادية بنظم قيمية متشابهة، وتختلف كل طبقة اقتصادية - اجتماعية عن غيرها بنظم قيمية خاصة بها.

٢ : ٤ المؤسسة الجامعية: من المتوقع أن تختلف النظم القيمية عند جمهور المفحوصين باختلاف المؤسسات الجامعية المنتسبين إليها، والتابعين لها. فصحيح أن المؤسسات الأربع المذكورة كلها جامعية وتمنح الإجازة في الدراسات الشرعية الإسلامية، ونظامها جميعاً أربع سنوات، وتتشابه في معظم موادها التعليمية ومقرراتها وبعض مناهجها؛ إلا أنها تختلف عن بعضها الآخر في الأهداف، والوسائل، والتطلعات، والغايات، والأجواء الاجتماعية والنفسية المحيطة بها. ولا ننسى الأجواء المادية أيضاً. فمن هذه الكليات ما هو تابع لمؤسسة رسمية، وأنشىء أساساً لتخريج مشايخ دعاة على المنابر أو للعمل في المحاكم الشرعية والأوقاف، وما شابه من المؤسسات التي تتناول شؤون المسلمين العامة والخاصة. ومن هذه الكليات من أخذ على عاتقه مزاحمة المؤسسة الرسمية الأم، وتخريج دعاة ينتمون لفكر إسلامي خاص. ومنها من يروج لدعاة معتدلين، وأخرى تحرص على تخريج دعاة يدينون بالولاء لمؤسسات تقيم خارج لبنان. ومنها من يُضمِّن برامجه التعليمية بعض المواد التي تعتبر غير مقبولة في برامج المؤسسات الأخرى. ومنها من يشدد على البحوث الميدانية المتعلقة بأحوال المسلمين، ومنها من يشدد على الدراسات النظرية فقط. ومنها من يروج لعلاقات أفضل بين المسلمين وغيرهم ويتوسع في الحوار معها، وهكذا... فمن المتوقع أن تختلف القيم ونظمها من مؤسسة إلى أخرى ببعض التفاصيل، مع حتمية التقائها ببعض الأمور الواضحة، والمشتركة وخاصة تلك المتعلقة بأصول الدين والعقيدة.

رابعاً : منهج الدراسة والإجراءات المتبعة

هناك منهجان للدراسات الارتقائية:

١ – المنهج الأول: الدراسة الطولية (Longitudinal Study) حيث يخضع الأفراد المعنيون لإختبارات متعددة ومتكررة على فترات زمنية مختلفة ومتتابعة، يمكن ملاحظة نتائجها عبر فترة من الزمن.

٢ - المنهج الثاني: الدراسة العرضية (Cross-sectional Study) وفيها يتم اختبار مجموعات من الأفراد يمثلون المراحل الزمنية المختلفة في وقت واحد، بحيث يمكن ملاحظة نتائج الاختبار حسب المتغير الزمني مرة واحدة. (خليفة، ١٩٩٢؛ Wittig, 1997).

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة، فهو المنهج العرضي حيث درست مجموعات من الطلاب، يمثلون السنوات الجامعية المختلفة مرة واحدة وفي وقت واحد حسب متغيرات الجنس، والمستوى الأكاديمي، والمستوى الاقتصادي، ونوعية المؤسسة الأكاديمية. كما استخدمت خطة التحليلات الإحصائية، والوصفية، لدراسة نتائج هذه الدراسة، كما سنرى لاحقاً.

وهناك الكثير من الاعتبارات التي رجحت هذا المنهج، منها: الاعتبارات العملية، والزمنية المحدودة، والمتاحة للبحث، والتي تجعل الوفاء بمتطلبات الدراسة الطويلة غير محققة.

خامساً : إجراءات الدراسة

أ - اختيار عينة البحث: أُجريت الدراسة على جمهور طلاب وطالبات الإجازة في الدراسات الشرعية على مذهب أهل السنة والجماعة، في بيروت فقط. وكان عدد الجمهور ١٥٩ طالباً و٣٩ طالبة.

أما عدد الاستبيانات المقبولة فكان ١٥١. منهم ١١٦ للذكور، و٣٥ للإناث. (يراجع الجدول رقم ١، ١أ).

وتألف جمهور طلاب الدراسات الشرعية من المؤسسات الجامعية التالية:

- كلية الإمام الأوزاعي.
- كلية الدراسات الإسلامية، التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.
- كلية الدعوة الإسلامية في بيروت، التابعة لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس الغرب في ليبيا.

- كلية الشريعة الإسلامية، التابعة لدار الفتوى في بيروت.

وهذه المؤسسات الأربع هي الوحيدة والموجودة في بيروت، وتمنح الإجازة في الدراسات الإسلامية والشرعية. ضمن منهج دراسي، يمتد على أربع سنوات، ويتشابه في بعض مناهجه الأكاديمية، ومواده التدريسية، ويختلف في بعضها الآخر.

واختيرت العينة الضابطة من جمهور طلاب وطالبات كلية الحقوق - جامعة بيروت العربية. وكان عددهم ٦٨ طالباً. منهم ٤١ طالب، و٢٧ طالبة. أما عدد الاستبيانات المقبولة فكان ٦٠، منهم ٣٧ للذكور و٢٣ للإناث. (يراجع الجدول رقم:٣، أ).

الجدول رقم : (١ ، أ) يبين جمهور البحث موزعاً حسب الكليات الشرعية ، بناءً على السنوات الأربع ، والجنس

السنوات	الأولى		الثانية		الثالثة		الرابعة		المجموع العام
المؤسسة	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور وإناث
كلية الإمام الأوزاعي	٨	١٠	٧	٢	٤	١	١١	٢	٤٥ ٢٩,٨ ٪
كلية الدراسات الإسلامية	٦	٣	٤	٢	٣	٢	٣	١	٢٤ ١٥,٨ ٪
كلية الدعوة الإسلامية	١٢	-	١٠	-	٥	-	١١	-	٣٨ ٢٥,١ ٪
كلية الشريعة الإسلامية	١٥	٥	٨	٣	٥	٢	٤	٢	٤٤ ٢٩,١ ٪
المجموع	٤١ ٣٥,٣٪	١٨ ٥١,٤٪	٢٩ ٢٥ ٪	٧ ٢٠ ٪	١٧ ١٤,٦ ٪	٥ ١٤,٢ ٪	٢٩ ٢٥ ٪	٥ ١٤,٢ ٪	١٥١

الجدول رقم : (٢ ، أ) يبين جمهور البحث موزعاً حسب الفئات الاقتصادية والجنس

	الفئة الأولى (حتى ٣٥٠,٠٠٠ ل ل)	الفئة الثانية (٣٥١,٠٠٠ – ٥٠٠,٠٠٠ ل ل)	الفئة الثالثة (٥٠١,٠٠٠ – ٧٥٠,٠٠٠ ل ل)	الفئة الرابعة (٧٥١,٠٠٠ ل ل وما فوق)	المجموع
الذكور	٥٣ ٤٥,٦ ٪	٢٦ ٢٢,٤ ٪	٢٠ ١٧,٢ ٪	١٧ ١٤,٦ ٪	١١٦ ٧٦,٨ ٪
الإناث	١٤ ٤٠,٠ ٪	٧ ٢٠,٠ ٪	٩ ٢٥,٧ ٪	٥ ١٤,٢ ٪	٣٥ ٢٣,٢ ٪
المجموع	٦٧ ٤٤,٣ ٪	٣٣ ٢١,٨ ٪	٢٩ ١٩,٢ ٪	٢٢ ١٤,٥ ٪	١٥١

الجدول رقم : (٣ ، أ) العينة الضابطة (جامعة بيروت العربية – كلية الحقوق)

موزعة حسب السنوات الدراسية الأربع ، والجنس

	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	المجموع
الذكور	١٤ ٣٧,٨ ٪	١٠ ٢٧,١ ٪	٧ ١٨,٩ ٪	٦ ١٦,٢ ٪	٣٧ ٦١,٦ ٪
الإناث	٧ ٣٠,٤ ٪	٦ ٢٦,١ ٪	٦ ٢٦,١ ٪	٤ ١٧,٣ ٪	٢٣ ٣٨,٣ ٪
المجموع	٢١ ٣٥ ٪	١٦ ٢٦,٦ ٪	١٣ ٢١,٦ ٪	١٠ ١٦,٦ ٪	٦٠

ملاحظات حول جمهور البحث من طلبة الدراسات الشرعية في بيروت:

توزع جمهور البحث على اربع كليات شرعية، كما ذكرنا سابقاً، وهي:

كلية الإمام الاوزاعي: عدد الطلاب ٤٥ طالباً، بنسبة ٢٩.٨٪ من المجموع.

كلية الدراسات الإسلامية: عدد الطلاب ٢٤ طالباً، بنسبة ١٥.٨٪ من المجموع العام.

كلية الدعوة الإسلامية: عدد الطلاب ٤٤ طالباً، بنسبة ٢٥.١٪ من المجموع العام.

كلية الشريعة الإسلامية: عدد الطلاب ٤٤ طالباً، بنسبة ٢٩.١٪ من المجموع العام.

مقياس روكيتس للقيم (Rokeach Value Survey, 1968, 1969, 1973)

يتضمن مقياس روكيتش للقيم، جزئين : الأول لقياس القيم الغائية (Terminal Values) والثاني القيم الوسيلية (Instrumental Values). ويتكون كل جزء من ١٨ قيمة، فيكون مجموع القيم الوسيلية والغائية ٣٦ قيمية. مرتبة ترتيبا ألفبائياً. يطلب من المفحوص إعادة ترتيب كل جزء منهما بشكل مستقل عن الآخر، حسب درجة أهمية كل قيمة للفرد. بحيث تحتل القيمة الأهم المرتبة رقم ١، وتليها في الأهمية القيمة ذات المرتبة ٢، وهكذا، حتى يصل الفرد إلى القيمة الأقل أهمية من بين مجموع القيم، وتكون مرتبتها ١٨.

القيم الغائية	القيم الوسيلية
١ - الاحترام الاجتماعي	١ - الابتهاج
٢ - احترام الذات	٢ - الاخلاص
٣ - الأمن الأسري	٣ - الأدب
٤ - الأمن القومي	٤ - الاستقلالية
٥ - التناغم الداخلي (الانسجام مع الذات)	٥ - الانضباط
٦ - الجنة (في الحياة الأخرى - الخلاص)	٦ - الانفتاحية
٧ - الحب الزوجي (المودة والألفة والجنس)	٧ - التفكر
٨ - الحرية (الاستقلالية ، القرار الحر)	٨ - الخيالية
٩ - الحكمة	٩ - الشجاعة
١٠ - حياة مريحة (مرفهة)	١٠ - الطاعة
١١ - حياة نشيطة	١١ - الطموح
١٢ - السعادة	١٢ - المحبة
١٣ - السلام العالمي (عالم بدون حروب)	١٣ - المساعدة
١٤ - الصداقة الحميمة	١٤ - المسامحة
١٥ - عالم الجمال	١٥ - المسؤولية
١٦ - المتعة (متاع الحياة)	١٦ - المقدرة
١٧ - المساواة	١٧ - المنطقية
١٨ - المشاركة	١٨ - النظافة

١ نظم القيم السائدة عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت حسب متغير الجنس.

١:١ القيم الغائية.

بيروت مع تلك السائدة عند طلبة الولايات المتحدة الأميركية.

بيروت، مع تلك السائدة عند طلبة كلية الحقوق – جامعة بيروت العربية. (المجموعة الضابطة).

٢:١ القيم الوسيلية.

١:٢:١ مقارنة نظم القيم الوسيلية عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت، مع تلك عند طلبة الولايات المتحدة الأميركية.

٢:٢:١ مقارنة نظم القيم الوسيلية عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت، مع تلك عند طلبة كلية الحقوق – جامعة بيروت العربية. (المجموعة الضابطة).

١ نظم القيم السائدة عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت حسب متغير الجنس

جدول رقم (١)

١ : ١ نظم القيم الغائية ، السائدة عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت ، حسب الجنس

	ذكور (N: 116)			إناث (N: 35)		
الرتبة	رقم القيمة	القيمة	الوسيط	رقم القيمة	القيمة	الوسيط
١	٦	الجنة	١,٧٢	٦	الجنة	١,٦٠
٢	٩	الحكمة	٣,٨٦	٣	الأمن الأسري	٥,٩٠
٣	٨	الحرية	٦,٠٠	٩	الحكمة	٦,١٢
٤	٢	احترام الذات	٦,٤٤	٢	احترام الذات	٦,٢١
٥	١	الاحترام الاجتماعي	٧,٧١	١	الاحترام الاجتماعي	٧,٥٠
٦	٣	الأمن الأسري	٨,٠٥	١٢	السعادة	٨,٠٨
٧	١٢	السعادة	٨,٥٠	٨	الحرية	٨,٥٠
٨	٥	التناغم الداخلي	٩,٣٠	٥	التناغم الداخلي	٩,٦٢
٩	٤	الأمن القومي	١٠,١٠	١٨	المشاركة	٩,٨٧
١٠	١١	حياة نشيطة	١٠,٤٠	١٤	الصداقة الحميمة	١٠,٢٥
١١	٧	الحب الزوجي	١٠,٥٠	١١	حياة نشيطة	١١,١٦
١٢	١٤	الصداقة الحميمة	١١,٠٠	٤	الأمن القومي	١١,٣٠
١٣	١٧	المساواة	١١,٢٠	١٧	المساواة	١١,٣٧
١٤	١٨	المشاركة	١١,٤١	٧	الحب الزوجي	١١,٦٢
١٥	١٠	حياة مريحة	١٥,١٢	١٣	السلام العالمي	١٤,٧٠
١٦	١٥	عالم الجمال	١٥,٦٣	١٥	عالم الجمال	١٥,٧٠
١٧	١٣	السلام العالمي	١٦,٠٠	١٠	حياة مريحة	١٥,٨٣
١٨	١٦	المتعة	١٦,٦٩	١٦	المتعة	١٦,٢٥

جدول رقم (٢)

١ : ٢ نظم القيم الوسيلية : السائدة عند طلبة الدراسات الشرعية في

بيروت ، حسب الجنس

	ذكور (N: 116)			إناث (N: 35)		
الرتبة	رقم القيمة	القيمة	الوسيط	رقم القيمة	القيمة	الوسيط
١	١	الاخلاص	١,٩٨	١	الاخلاص	٢,٧٢
٢	٢	الأدب	٧,٤٠	٢	الأدب	٣,٦٨
٣	٧	الشجاعة	٧,٩١	١٨	النظافة	٧,٦٢
٤	٨	الطاعة	٨,٠٠	٧	الشجاعة	٧,٧٥
٥	١٠	التفكر	٨,٠١	٤	الانضباط	٨,٥٠
٦	٣	الاستقلالية	٨,٥٠	١٢	المحبة	٨,٥١
٧	٤	الانضباط	٨,٦٢	٩	الطموح	٨,٨٧
٨	١٣	المساعدة	٩,٦٠	٨	الطاعة	٩,٣٧
٩	١٨	النظافة	٩,٧١	١٠	التفكر	٩,٥٠
١٠	١٢	المحبة	١٠,٠٠	١٥	المسؤولية	٩,٦٢
١١	٩	الطموح	١٠,٢٨	١٣	المساعدة	١٠,٥٠
١٢	١٥	المسؤولية	١٠,٣٧	١٤	المسامحة	١٠,٥١
١٣	١٧	المنطقية	١١,١١	٣	الاستقلالية	١١,١٦
١٤	١٤	المساحة	١١,١٨	١٧	المنطقية	١١,١٧
١٥	١٦	المقدرة	١١,٧٢	١٦	المقدرة	١١,٣٧
١٦	٥	الانفتاحية	١٢,٥٠	٥	الانفتاحية	١٥,٣٧
١٧	١١	الابتهاج	١٦,٩٤	١١	الابتهاج	١٦,٨٣
١٨	٦	الخيالية	١٧,١٤	٦	الخيالية	١٧,٦١

جدول رقم (٣)

نظم القيم الغائية ، السائدة عند طلبة كلية الحقوق ، جامعة بيروت العربية ، حسب الجنس . (المجموعة الضابطة)

الرتبة	ذكور (N: 37)			إناث (N: 23)		
	رقم القيمة	القيمة	الوسيط	رقم القيمة	القيمة	الوسيط
١	٦	الجنة	١,٨٧	١	الاحترام الاجتماعي	٥,١٢
٢	٢	احترام الذات	٣,٥٠	٢	احترام الذات	٦,٥٠
٣	١	الاحترام الاجتماعي	٦,٥٠	٨	الحرية	٦,٥١
٤	٨	الحرية	٦,٥١	١٢	السعادة	٧,٥٠
٥	١٢	السعادة	٦,٥٢	٣	الأمن الأسري	٧,٨٧
٦	١٧	المساواة	٧,٥٠	٤	الأمن القومي	٨,٧٥
٧	١٦	المتعة	٨,٥٠	١٧	المساواة	٩,٢٥
٨	٣	الأمن الأسري	٩,٥٠	٦	الجنة	٩,٥٠
٩	١٠	حياة مريحة	٩,٥١	٧	الحب الزوجي	١٠,٢٥
١٠	١٨	المشاركة	٩,٥٢	١١	حياة نشيطة	١٠,٥٠
١١	٩	الحكمة	١٠,٥٠	١٤	الصداقة الحميمة	١٠,٨٣
١٢	١١	حياة نشيطة	١٠,٥١	١٨	المشاركة	١٠,٨٤
١٣	١٤	الصداقة الحميمة	١٠,٥٢	٥	التناغم الداخلي	١١,٢٥
١٤	٧	الحب الزوجي	١٠,٧٥	٩	الحكمة	١١,٨٣
١٥	٤	الأمن القومي	١٣,٥٠	١٥	عالم الجمال	١٣,٥٠
١٦	٥	التناغم الداخلي	١٣,٥١	١٠	حياة مريحة	١٣,٧٥
١٧	١٣	السلام العالمي	١٥,٥٠	١٦	المتعة	١٣,٧٦
١٨	١٥	عالم الجمال	١٥,٥١	١٣	السلام العالمي	١٤,٥٠

جدول رقم (٤)

نظم القيم الوسيلية : السائدة عند طلبة كلية الحقوق ، جامعة بيروت العربية ،

حسب الجنس . (المجموعة الضابطة)

الرتبة	ذكور (37 :N)			إناث (23 :N)		
	رقم القيمة	القيمة	الوسيط	رقم القيمة	القيمة .	الوسيط
١	١	الاخلاص	٢,٧٥	١	الاخلاص	٣,٦٢
٢	٧	الشجاعة	٣,٥٠	١٢	المحبة	٥,٥٠
٣	١٦	المقدرة	٥,٨٧	٣	الاستقلالية	٥,٨٣
٤	٣	الاستقلالية	٦,٥٠	٩	الطموح	٦,٦٢
٥	١٧	المنطقية	٦,٥١	١٨	النظافة	٧,٢٥
٦	١٥	المسؤولية	٧,٥٠	١٥	المسؤولية	٨,٢٥
٧	١٢	المحبة	٧,٧٥	١٦	المقدرة	٨,٥٠
٨	٥	الانفتاحية	٨,٥٠	٢	الأدب	٩,٢٥
٩	١٨	النظافة	٨,٥١	١٠	التفكر	٩,٢٦
١٠	٩	الطموح	٨,٧٥	٧	الشجاعة	٩,٥٠
١١	٤	الانضباط	٩,٥٠	٤	الانضباط	١٠,٢٥
١٢	٢	الأدب	١٠,٢٥	١٣	المساعدة	١٠,٧٥
١٣	١٤	المسامحة	١١,٧٥	١٧	المنطقية	١١,٥٠
١٤	١٣	المساعدة	١٢,٧٥	١٤	المسامحة	١٢,٥٠
١٥	١٠	التفكر	١٣,٢٥	٥	الانفتاحية	١٢,٦٢
١٦	٨	الطاعة	١٤,٥٠	١١	الابتهاج	١٣,٥٠
١٧	١١	الابتهاج	١٥,٥٠	٦	الخيالية	١٤,٥٠
١٨	٦	الخيالية	١٨,١٢	٨	الطاعة	١٤,٥١

من مراجعة الجدولين (١) و(٢) يتبين لنا مدى الاختلاف في نظم القيم الغائية والوسيلية عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت وذلك بناء على اختلاف الجنس، كذلك. يتبيّن لنا مدى التوافق بينهما في بعض القيم. وكلاهما أمر طبيعي ومتوقع. فهناك الكثير من المعطيات والإشارات التي تؤدي إلى تنميط كل من الجنسين للعب أدوار مختلفة في المجتمع، فتُحدد له الأهداف، وتُرسم له السبل لتحقيقها، وتساعده على بلورة حاجاته وتنمط له اتجاهاته، وهذا كله يعني في النهاية نظم قيم مختلفة بين الجنسين. كما يعني أيضاً وجود قيم متشابهة بل ومتطابقة هي نتيجة اشتراكهما في عادات مجتمع واحد، وتقاليد واحدة تعود إلي جذور ضاربة في تراث مجتمعهما وتطلعاته وآماله ونظمه.

فلقد اشترك الذكور والإناث في وضع القيم التالية على قمة نظام القيم الغائية، وهي: الجنة، احترام الذات، الاحترام الاجتماعي. ومع أن الحكمة جاءت في المرتبة الثانية عند الذكور والمرتبة الثالثة عند الإناث، إلا أن هنالك فرقاً واضحاً في درجة تقييمها عند الجنسين؛ ففي حين وضعها الذكور في الوسيط (٣.٨٦) وضعتها الإناث في الوسيط (٦.١٢).

كما اشترك كل من الذكور والإناث في وضع القيم الغائية التالية أسفل نظام القيم، وهي : حياة مريحة، عالم الجمال، السلام العالمي، المتعة. وكانت درجة الوسيط لكل من القيم المذكورة متشابهة عند الذكور والإناث إلا في قيمة السلام العالمي فلقد اهتمت الإناث أكثر بها ووضعتها في الوسيط (١٤.٧٥) في حي وضعها الذكور في الوسيط (١٦.٠٠).

كذلك اشترك الذكور والإناث في وضع قيمة التناغم الداخلي وقيمة المساواة في ذات الرتبة (٨) و(١٣) على التوالي، ودرجات الوسيط كانت متقاربة.

وهكذا نرى أن الجنة، واحترام الذات، والاحترام الاجتماعي هي القيم الأهم عند الذكور والإناث. وهي تتعلق بالمكانة الأخروية (الجنة)، وتتعلق

بالمكانة الدنيوية (الاحترام الذاتي، والاحترام الاجتماعي). فالمكانة الدنيوية والأخروية هي أهم ما يصبو إليه طالب الشريعة في قيمه. أما الحياة المريحة، وعالم الجمال، والمتعة، والسلام العالمي، فهي آخر ما يفكر فيه ويسعى إليه. فهو لا يعتقد بوجود سلام عالمي طالما أن الجهاد باق حتى يوم القيامة. ولا يعتقد بضرورة الحياة المريحة بالتالي، إذ لا راحة للمؤمن إلا بلقاء ربّه ومن المتوقع عندها أن لا يجد متعة في الحياة، ولا يقيم عالم الجمال إلا في أسفل النظام القيمي. وهذه من الأمور التي تدعو إلي التوقف والتمعن في ماهية نمط القيم السائدة عند جمهور طلبة الدراسات الشرعية.

أما الفروقات بين الجنسين؛ فقد وجد الذكور أن القيم التي تلي الجنة هي الحكمة والحرية، وهما تؤديان بعد ذلك إلى المكانة الدنيوية (الاحترام الذاتي، والاحترام الاجتماعي)، في حين وجدت الإناث أن القيم التي تلي الجنة: الأمن الأسري والحكمة هما الباب إلى المكان الدنيوية والاحترام الذاتي والاجتماعي. وهذا من آثار التنميط الاجتماعي ورسم الأدوار لكل من الجنسين. فالرجل حكيم، ويتمتع بحرية نسبية تميزه عن الإناث، يتمسك بها ويسعى إليها، للحفاظ على مكاسبه وسلطته في المجتمع، في حين تنصرف الأنثى إلى أسرتها بحكمة وروية وقنوت. فالأمن الأسري عند الذكر يأتي بعد مكانته الدنيوية وسلطته وحريته، أي في المرتبة(٦). أما الأنثى فالأمن الأسري عندها هو الأهم بعد الجنة. أما الحرية فلا تعني لها كثيراً، أو هكذا يجب أن تكون، فجاءت في المرتبة(٨). فحرية الرجل وصلاحياته مقابل اهتمام الأنثى بأسرتها وبيتها. وهو يُسخِّر الحكمة للحفاظ على حريته، في حين أن الحكمة نتيجة طبيعية نابعة من اهتمام الأنثى ببيتها وأسرتها؛ فهما مصدر إلهامها وحكمتها. بعد ذلك يشعر كل من الجنسين بالسعادة. فإذا حصل الرجل على حريته يشعر بالسعادة، وإذا أمنت الأنثى بيتها تشعر بها، وبعد ذلك تشعر بحريتها. وهنا يتوافق كل جنس مع ذاته ويصل إلى التناغم الداخلي مع ذاته (Inner Harmony) ويكتفي بما وصل إليه من مكانة ذاتية واجتماعية وقدرات تؤهله بعد ذلك للاهتمام بالأمن القومي، والحياة النشطة، والصداقة الحميمة،

والحب الزوجي، إنما باختلاف نسبي أيضاً. ففي حين اهتم الذكور بالأمن القومي في الرتبة (٩)، جعلتها الإناث في الرتبة (١٢)، وفي حين فضلت الإناث المشاركة على الأمن القومي، جعلها الذكور في الرتبة (١٤) بفارق في الوسيط كبير (٩.٨٧) و(١١.٤١) على التوالي. إذ أن الإناث يحببن العمل الجماعي والمشاركة في إنجازه أكثر من الذكور، وبالتالي ونتيجة طبيعية لذلك، نجد أن الإناث وضعن الصداقة الحميمة في الرتبة التالية للمشاركة أي (٩) في حين وضعها الذكور ضمن القيم الأقل أهمية لهم في الرتبة (١٤).

إلا أن المفارقة كانت في الحب الزوجي، ففي حين توقعنا أن يكون الحب الزوجي تالياً للمشاركة والصداقة الحميمة، مثلاً، عند الإناث. وجدناه في المراتب الدنيا، الرتبة رقم (١٤). على عكس الذكور الذين فضلوه على المشاركة والصداقة ووضعوه في الرتبة (١١)، بفارق في الوسيط (١١.٦٢) عند الإناث و(١٠.٥٠) عند الذكور. فهل هذا يعني أن الإناث لم يعدن يؤمن بالحب الزوجي، ويفضلن عليه الصداقة الحميمة بين بعضهن الآخر؟ وكيف يمكن أن نفسر وجود قيمة الأمن الأسري على رأس نظامهن القيمي، والحب الزوجي في أسفلها؟ اليس الحب الزوجي ضرورة من ضرورات الأمن الأسري؟

إن الحب الزوجي عند الذكور جاء في المرتبة (١١)، أي بفارق خمس رتب تفصل بينه وبين الأمن الأسرى. (وكان وسيط الأمن الأسري (٨.٠٥) ووسيط الحب الزوجي (١٠.٥٠) في حين انفصل الأمن الأسري عن الحب الزوجي عند الإناث باثني عشرة رتبة. وكان وسيط الأمن الأسري (٥.٩٠) ووسيط الحب الزوجي (١١.٦٢). وهذا تباين واضح في سلامة الترتيب القيمي عند الجنسين؛ ففي حين يبدو أن نظام القيم متماسك نسبياً عند الذكور، ومتناسب معرفياً، يبدو أنه يفتقر إلى التناسب المعرفي عند الإناث.

فالتناسب المعرفي (Congnitive Consonance)، هام في سلامة تراتب القيم ونظامها المتماسك، في حين أن التنافر المعرفي (Cognitive Disonance) يؤدي إلى تضارب سلم القيم وارتباك تراتيبها. ولعل مرد ذلك إلى عدم ثقة النساء بالذكور، وبأنهم غير محل ثقة للحب الزوجي، والإخلاص.

١:١:١ مقارنة نظم القيم الغائية عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت مع تلك السائدة عند طلبة الولايات المتحدة الأميركية.

إن مقارنة هذه النتائج مع نتائج نظم القيم الغائية السائدة عند طلبة الولايات المتحدة الأميركية، مثلاً، نجد أن القيم الأهم للذكور والإناث كانت أولاً السلام العالمي، ثم الأمن الأسري ثانياً، فالحرية ثالثاً، فالجنة عند الإناث والحياة المريحة عند الذكور رابعاً. أما القيم الأقل أهمية للجنسين فكانت الحياة النشيطة أولاً، ثم المتعة عند الذكور والاحترام الاجتماعي عند الإناث ثانياً، ثم الاحترام الاجتماعي عند الذكور والمتعة عند الإناث ثالثاً. ثم عالم الجمال عند الجنسين رابعاً، فالحب الزوجي خامساً. (Rokeach, 1973) فهناك تشابه نسبي بين الطلبة في هذه الدراسة وطلبة الولايات المتحدة الأميركية في وضع المتعة أسفل النظام القيمي تقريباً. ففي بيروت كان وسيط المتعة للذكور (١٦.٦٩)، وللإناث (١٦.٢٥). وفي الولايات المتحدة الأميركية كان وسيطها (١٤.١) للذكور و(١٥.٠) للإناث. كذلك وُضع عالم الجمال ضمن القيم الأقل أهمية عند الجمهورين فكان (١٥.٦٣) للذكور و(١٥.٢٥) للإناث في بيروت، وكان (١٣.٦) للذكور و(١٣.٥) للإناث في الولايات المتحدة الأميركية. أما اهتمامات الأميركيين فانصبت أولاً على السلام العالمي والأمن الأسري والحرية، بنفس الرتب عند الجنسين (١) و(٢) و(٣) على التوالي. في حين اتفق الجنسان في بيروت على الجنة في رأس القيم عندهم واختلفا في القيم التالية. ومع أن قيمة الأمن الأسري عند الإناث في بيروت كانت في الرتبة (٢) إلا أن وسيطها كان (٥.٩٠) في حين أن وسيطها عند إناث الولايات المتحدة الأميركية كان (٣.٨). أي أن الأميركيين ذكوراً وإناثاً قيما الأمن الأسري عالياً. (Rokeach, 1973)

ولكن مفارقة الأمن الأسري والحب الزوجي الموجودة عند طالبات بيروت، هي ذاتها عند الطلبة الأميركيين. فالحب الزوجي عند الأميركيين جاء في المرتبة (١٤) بوسيط (١٢.٦) للذكور و(١٢.٣) للإناث، أي بفارق (١٣) رتبة تفصله عن الأمن الأسري. ولعل الحب الزوجي لم يعد من القيم ذات الأهمية

للأمن الأسري في نظر الطلبة البيروتيين والأميركيين وأن هناك قيماً أخرى تحمي الأسرة أكثر من الحب وقد لا تكون تتعلق بالمحبة كما سنرى عند دراستنا للقيم الوسيلية السائدة عندهم. (Rokeach, 1973).

وتميز الطلبة الأميركيون باهتمامهم بالسلام العالمي فجاء في المرتبة الأولى عند الجنسين، في حين وقع السلام العالمي في المرتبة (١٧) عند الذكور والمرتبة (١٥) عند الإناث في بيروت. ولعل مرد ذلك إلى الاختلافات الفكرية السياسية والايديولوجية في الموقف من السلام عند الشعبين.

اما الحرية فإنها أكثر أهمية عند الجنسين في أميركا فجاءت في الرتبة الثالثة. إلا أنها أكثر اهمية للذكور منها للإناث، فجاء وسيطها (٤.٩) للذكور و(٦.١) للإناث. وهذه الظاهرة عينها في بيروت، فمع أن اهتمامات الطلبة البيروتيين بالحرية اقل منها في الولايات المتحدة الأميركية، إلا أن اهتمام الذكور بها فاق الإناث فجاءت كالتالي: في الرتبة (٣) بوسيط (٦.٠٠) للذكور، والرتبة (٧) بوسيط (٨.٥٠) للإناث. أي أن وسيط حرية الذكور في بيروت مشابه لوسيط حرية الإناث في الولايات المتحدة الأميركية. (Rokeach, 1973).

ومن الاختلافات الهامة بين طلبة الدراسات الشرعية والطلاب الأميركيين أن الآخرين وضعوا الاحترام الاجتماعي في المرتبة (١٦) للذكور و(١٧) للإناث، في حين وضعها الاولون في المرتبة الخامسة معاً. وهذا قد يكون عائداً للعادات والتقاليد والمفاهيم الإسلامية والشرقية التي تحبذ أن يكون الفرد معروفاً في محيطه، محترماً من أفراد مجتمعه، ويتمتع بالسمعة الطيبة والوجاهة عند الآخرين. أي أن نظرة الآخرين ذات أهمية بالغة في بناء سمات الشخصية الشرقية. في حين أن الأمر هذا يكاد يكون ذا أهمية ضئيلة عند الأميركيين. اما احترام الإنسان لذاته، وهو أمر مغاير لاحترام الآخرين له، فجاء في المرتبة السادسة معاً عند الجنسين في اميركا، بوسيط (٨.٢) للذكور، (٧.٤) للإناث أي أن الإناث طَلَبْنَهُ أكثر من الذكور. في حين كان احترام الذات مطلوباً بوسيط متشابه عند الذكور (٦.٤٤) وعند الإناث (٦.٢١)، في بيروت، وكانت رتبته (٤) معاً.

ومن المفارقات أيضاً، أن الأميركيين اختلفوا في قيمة الحياة المريحة حسب الجنسين، فقد وضعها الذكور في المرتبة (٤) بوسيط (٧،٨)، ووضعتها الإناث في المرتبة (١٣) بوسيط (١٠،٠٠) في حين أن الطلبة في دراستنا هذه وضعوها أسفل اهتماماتهم، فكانت في المرتبة (١٥) عند الذكور بوسيط (١٥،١٢)، والمرتبة (١٧) عند الإناث بوسيط (١٥،٨٣)، أي أن هناك تشابهاً نسبياً بين إناث الولايات المتحدة وإناث طلبة الدراسات الشرعية في بيروت في النظر إلى الحياة المريحة على أنها غير ذات قيمة. فهل أن الإناث في البلدين لا يؤمنّ بالحياة المريحة؟ أم أن الإناث قنعن بشظف الحياة وقساوتها ؟

٢:١:١ مقارنة نظم القيم الغائية عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت مع تلك السائدة عند طلبة كلية الحقوق - جامعة بيروت العربية. (المجموعة الضابطة). يراجع الجدولان : (١) و(٣).

تميز طلبة كلية الحقوق من الذكور عن أقرانهم في الدراسات الشرعية بأنهم أعطوا أهمية أكثر لاحترام الذات والاحترام الاجتماعي وللسعادة والمساواة. فجاءت تلك القيم في الرتب التالية: (٢)، (٣)، (٥) و(٦) على التوالي. في حين كان ترتيبها عند طلبة الدراسات الشرعية كالتالي (٤)، (٥)، (٧) و(١٣). كما أن الطلبة الحقوقيين رفعوا من قيمة المتعة إلى المرتبة (٧) في حين أنها كانت في المرتبة (١٨) عند الدراسات الشرعية. كما تميز الحقوقيون أنهم قللوا من قيمة الحكمة وجعلوها في المرتبة (١١) في حين أنها كانت في المرتبة (٢) عند طلبة الدراسات الشرعية. ولم يكترث الحقوقيون لقيم الحب الزوجي، والأمن القومي، والتناغم الداخلي، والسلام العالمي، وعالم الجمال. وهم يتفقون في القيمتين الأخيرتين مع طلبة الدراسات الشرعية في جعلها آخر اهتماماتهم.

وفي حين تشابه طلبة الدراسات الشرعية الذكور والإناث في ترتيب نظام القيم الغائية، نسبياً، وخاصة في القيم الأكثر أهمية وتلك الأقل أهمية، فإن ذكور الطلبة الحقوقيين لم يتشابهوا في نظامهم القيمي الغائي مع الإناث

كثيراً.

اختلف الذكور عن الإناث في ترتيب القيم التالية: الجنة؛ الرتبة (١) عند الذكور، والرتبة (٦) عند الإناث. الأن الأسري (٨)، (٥) على التوالي، الأمن القومي (١٥)، (٦) على التوالي، الحب الزوجي (١٤)، (٧) على التوالي، الحكمة (١١)، (١٤) على التوالي، حياة مريحة (٩)، (١٦) على التوالي، المتعة (٧)، (١٧) على التوالي؛ أي أن الإناث قللن من قيمة الجنة، والحكمة، والحياة المريحة، والمتعة بالنسبة للذكور. ورفعن من قيمة الأمن الأسري، والأمن القومي، والحب الزوجي. كما اختلفت الإناث عن الذكور في إعطاء رتب أعلى لقيم الاحترام الاجتماعي، والحرية، والسعادة، والحياة النشيطة، والصداقة الحميمة، والتناغم الداخلي، وعالم الجمال.

ولم نجد عند إناث كلية الحقوق ولا عند طلبتها أيضاً الفروق الحادة والمرتبكة بين قيمتي الأمن الأسري والحب الزوجي، والموجودة عند إناث طلبة الدراسات الشرعية تحديداً وذكورهم. فجاءت قيمة الأمن الأسري عند الحقوقيين الذكور في الوسيط (٩.٥٠)، والحب الزوجي في الوسيط (١٠.٧٥). أما عند الحقوقيين الإناث. فكان الوسيطان : (٧.٨٧) و(١٠.٢٥) على التوالي.

كما أن إناث الحقوق وضعن في وسيط واحد تقريباً مجموعة القيم المتجانسة التالية: الحب الزوجي، والحياة النشيطة، والصداقة الحميمة، والمشاركة. في حين أن إناث الدراسات الشرعية بعثرنها. كما أن الأخيرات وضعن في وسيط واحد القيم التالية: حياة نشيطة، والأمن القومي، والمساواة، والحب الزوجي. أي انهن أدخلن الأمن القومي بالحب الزوجي والمساواة والحياة النشيطة وهي تمثل اتجاهات مختلفة من القيم.

ومن الملفت للنظر أيضاً أن ذكور كلية الحقوق وضعوا القيم التالية والمتجانسة نسبياً في وسيط واحد : الحكمة، والحياة النشيطة، والصداقة الحميمة، والحب الزوجي. في حين أن ذكور الدراسات الشرعية وضعوا

المجموعة التالية في وسيط واحد: الأمن القومي، والحياة النشيطة، والحب الزوجي. أي أنهم خلطوا الأمن القومي بالحب الزوجي كما فعلت إناث الدراسات الشرعية أيضاً. فهل أن الحب والسياسة لا ينفصلان عند طلبة الدراسات الشرعية وينفصلان عند غيرهم ؟

كما أنه من الملفت للنظر أيضاً عند مقارنة الجدولين (١) و(٣) أن قيم طلبة الدراسات الشرعية انتشرت على سلم يمتد من الوسيط (١) إلى الوسيط (١٦) تقريباً أيضاً عند الذكور والإناث. في حين انتشرت قيم الذكور الحقوقيين أيضاً على سلم من الوسيط (١) إلى (١٥) تقريباً، واختلفت إناث الحقوقيين تماماً عن ما سبق. إذ انتشرت قيمهنّ على سلم يمتد من الوسيط (٥) إلى الوسيط (١٤). إن قيمهن كانت مركزة في الوسط، ضمن محور اهتمام متشابه لمجمل القيم. ويبدو أن إناث كلية الحقوق أكثر تماسكاً في اتجاهاتهن، وأكثر تمركزاً في قيمهن من زملائهن الذكور ومن زميلاتهن إناث الدراسات الشرعية أيضاً.

ويمكننا أن نقول، مبدئياً، إن طالبات كلية الحقوق تميزن في نظامهن القيمي الغائي عن طلبة الدراسات الشرعية من الجنسين وطلاب الحقوق الذكور. ويبدو أن الاختلاف الحاصل والتميز هذا لا يعود إلى الفروق الجنسية فقط، بقدر ما يعود إلى النظم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي انطلقت منها تلك الطالبات. وهنا يمكننا التساؤل هل أن طلبة الدراسات الشرعية من الجنسين يتمتعون بوجهة نظر فكرية ودينية وايديولوجية متشابهة، تجعل من نظامهم القيمي شبه متماثل إلا في بعض القيم الضرورية لتأكيد اختلاف الجنس بينهما؟ وهل أن اتجاههم للدراسات الشرعية يجعلهم شبه متوافقين؟ أم أن انخراطهم في مناهج متشابهة يجعلهم هكذا؟ وهل أن الاختصاصات الأخرى كالحقوق مثلاً والهندسة المدنية لا تهيء الجنسين لنظم قيمية متشابهة، بل تتركهم أحراراً في اتخاذ مواقفهم التي يرونها مناسبة لهم، وبناء اتجاهاتهم، وبالتالي تنظيم قيمهم بمعزل عن الاختصاص العلمي، والمناخ الجامعي؟ أم هل أن كليات الدراسات الشرعية أكثر توجيهاً لطلابها أكاديمياً

وفكرياً وقيمياً، في حين أن الكليات الأخرى أكثر ليبرالية في توجهاتها نحو طلبتها؟

إن اختلاف نظم القيم بين ذكور كلية الحقوق وإناثها، وبالتالي اختلاف نظم القيم عند إناث الحقوق عن تلك السائدة عند إناث الدراسات الشرعية، كما أن اختلاف نظم الذكور من الحقوق عن تلك من الدراسات الشرعية، يفتح الباب أمام تلك التساؤلات وعن أسبابها. علماً أن العينة كلها والعينة الضابطة تنتمي إلى دين واحد وهو الإسلام.

٢:١ القيم الوسيلية

القيم الوسيلية هي نماذج للسلوك،تُستهدف للوصول إلى القيم الغائية (Rokeach, 1973). ومع أن القيم الوسيلية والغائية نظامان منفصلان، إلا أنهما مرتبطان وظيفياً؛ بمعنى أن كل القيم المتعلقة بنماذج السلوك هي وسيلية للوصول إلى القيم الغائية. وهذه الوظيفية ليست بالضرورة واعية أو مُدركة بالوعي، ولا يوجد علاقة الواحد بالآخر ما بين القيم الوسيلية والغائية. فإن نوعاً معيناً من السلوك قد يكون وسيلياً للوصول إلى عدد من القيم الغائية، كما أن مجموعة من أنواع السلوك قد تكون وسيلية للوصول إلى قيم غائية واحدة. فالقيمتان متلازمتان، وليس بالضرورة أن تكون الواحدة نتيجة الأخرى (Rokeach, 1973).

فهل ارتبطت القيم الوسيلية بالغائية وظيفياً عند طلبة الدراسات الشرعية؟ وهل أدت القيم الوسيلية عندهم – والتي هي نماذج للسلوك – دورها في الوصول إلى القيم الغائية؟ وما هي الفروق بين نظم القيم الوسيلية عند الجنسين؟ وعلاقة ذلك بالقيم الغائية؟.

من مراجعة الجدول رقم (٢)، نرى أن الذكور والإناث اتفقا على أنّ أهم قيمتين وسيليتين هما الإخلاص والأدب. ووضعاها في المرتبتين (١) و(٢) على التوالي. إلا أن الذكور قيموا الإخلاص أكثر من الإناث فأعطوه الوسيط (١.٩٨)، وأعطينه الإناث الوسيط (٢.٧٢). في المقابل قيّمت الإناث الأدب أكثر

من الذكور؛ فوضعن الأدب في الوسيط (٣،٦٨) في حين أن الأدب عند الذكور كان في الوسيط (٧،٤٠). أما القيمة الثالثة ذات الأهمية عند الجنسين فهي الشجاعة. ومع أنها في المرتبة الثالثة عند الذكور، والرابعة عند الإناث إلا أن الإناث اهتممن بها أكثر من الذكور، فوضعنها في الوسيط (٧،٧٥) ووضعها الذكور في الوسيط (٧،٩١). وهذا ملفت للنظر؛ إذ يبدو أن الإناث لم يعدن ينظرن إلى أنفسهن على أنهن الجنس الأضعف والخائف والذي يحتاج دوماً إلى شجاعة الذكر، وقدرته ومساندته وحمايته. خاصة إذا علمنا أن قيمة الطاعة هبطت إلى المرتبة (٨) عند الإناث بوسيط (٩،٣٧)، في حين أن الطاعة عند الذكور كانت في المرتبة (٤) بوسيط (٨،٠٠) . كما أن الشعور بالمسؤولية عندهن كان أعلى من ذلك عند الذكور؛ فاحتل عند الإناث المرتبة (١٠) بوسيط (٩،٦٢) في حين كان عند الذكور في المرتبة (١٢) بوسيط (١٠،٣٧). أما طموح الإناث فكان أعلى من ذلك عند الذكور؛ فكان في المرتبة (٧) بوسيط (٨،٨٧) لهن، وفي المرتبة (١١) بوسيط (١٠،٢٨) لهم.

فتميز الإناث بقيم الشجاعة والمسؤولية والطموح، وعدم اكتراثهن كثيراً لقيمة الطاعة، دليل على أنهن اخترن لأنفسهن طريقاً جديداً في التفاعل الديناميكي مع المجتمع، قائم على تحدي الظروف، ومجابهتها شخصياً، مع تحمل كامل المسؤولية الناتجة عن ذلك، يترافق ذلك مع طموح نحو الأفضل، وأخذ للمبادرة، والمبادئة في الفعل، وتغليبه على حالة السكون، وعدم الانفعال، والطاعة.

واتفق الذكور والإناث على أن القيم التالية هي الأقل أهمية عندهم: المقدرة، والانفتاحية، والابتهاج، والخيالية. ومع أن رتبها واحد وهي (١٥)، (١٦)، (١٧)، (١٨) على التوالي، للجنسين، إلا أن الإناث قللن من قيمة الانفتاحية أكثر من الذكور، بوسيط (١٥،٣٧)، في حين كان عند الذكور (١٢،٥٠). مع فروق طفيفة في المقدرة لصالح الإناث والابتهاج، أما الخيالية ففرقها الطفيف الحاصل كان لصالح الذكور.

ولعلنا نتوقف هنا قليلاً لنقول إن تهميش تلك القيم المذكورة، من قبل

الجنسين يعني فيما يعنيه أن صاحب ذلك النظام القيمي ضعيف الثقة بمقدرته على معالجة الصعاب وتخطيها. وبالتالي، فهو ينغلق على نفسه، ويبتعد عن الانفتاح على العالم الخارجي لذاته ولمجتمعه أيضاً، وهذا بدوره يؤدي إلى عدم الشعور بالابتهاج والسرور، وتضعف عنده القدرة على التخيل والحلم وبالتالي الابتكار والإبداع. وإذا ما ربطنا هذه النتائج. بما توصلنا إليه من دراسة للقيم الغائية عند طلبة الدراسات الشرعية (الجدول رقم:١)، وكيف أنهم همّشوا قيم الحياة المريحة، وعالم الجمال، والسلام العالمي، والمتعة، لوجدنا توافقاً معرفياً ووظيفياً بين هذين النوعين من القيم عندهم. وإذا ما جمعنا دلائل النتيجتين نصل إلى استنتاج نسبي يقول إن طلبة الدراسات الشرعية لا يظنون بأنفسهم القدرة على تخطي الصعاب وعلى التغيير، ومواجهة الظروف المحيطة بهم، فالأفضل لهم الانكماش على ذواتهم وعدم مخالطة الآخرين، وبالضرورة عندها أن يكون الابتهاج بعيداً عنهم، ويفضلون التقوقع ضمن واقعهم ولا يحلمون بعالم جديد، ولا يتخيلون ظروفاً أحسن، وبذلك لا يصبح أي معنى للحياة المريحة، ويكون عالم الجمال ضرباً من الترف، والسلام العالمي حلماً لا يتحقق، وبالتالي فأين المتعة ؟ ؟

١:٢:١ مقارنة نظم القيم الوسيلية عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت، مع تلك عند طلبة الولايات المتحدة الأميركية.

من مقارنة الجدول رقم: ٢، وما توصل إليه (Rokeach, 1973) نجد أن الطلبة الأميركيين توافقوا مع زملائهم في الدراسات الشرعية في بيروت على إعطاء الإخلاص الأهمية الأولى. إنما الآخرين أعطوه قيمة أعلى من الأولين؛ فمتوسط الذكور الأميركيين كان (٣.٤) في حين كان متوسط الذكور من بيروت (١.٩٨)، ومتوسط الإناث الأميركيين كان (٣.٢) في حين كان متوسط الإناث في بيروت (٢.٧٢). أي أن إناث الأميركيين أكثر إخلاصاً من الذكور، وذكور بيروت أكثر إخلاصاً من إناثهم، وبفرق واضح. فيكون ذكور بيروت في الدراسات الإسلامية الأكثر إخلاصاً بين البلدين.

كما اتفق الطلبة الأميركيون مع الطلبة اللبنانيين على إعطاء الخيالية

القيمة الأدنى على سلم القيم الوسيلية، إلا أن اللبنانيين قللوا من قيمتها أكثر من الأميركيين. فكان وسيط الأميركيين الذكور (١٤.٣) في حين كان وسيط اللبنانيين الذكور (١٧.١٤). وكان وسيط الإناث الأمريكانيات (١٦.١)، في حني كان وسيط إناث اللبنانيين (١٧.٦١). واهتم الذكور أكثر من الإناث بالخيالية في البلدين. وكانت الإناث أكثر واقعية من الذكور. وإناث الأميركيين أكثر واقعية من إناث اللبنانيين من طلبة الدراسات الشرعية في بيروت.

واتفق الذكور من البلدين على وضع النظافة في الرتبة (٩) بوسيط متقارب (٩.٤) للأميركيين، و(٩.٧) للبنانيين.

أما باقي القيم فاختلف الأميركيون عن اللبنانيين نسبياً؛ فكانت أهم القيم عند الذكور الأميركيين بعد الإخلاص : الطموح (٢)، والمسؤولية (٣) والانفتاحية (٤) والشجاعة (٥)، في حين أن هذه القيم كانت رتبها عند اللبنانيين كالتالي : الطموح (١١)، المسؤولية (١٢)، الانفتاحية (١٦)، والشجاعة (٣). ومع أن رتبة الشجاعة وكانت (٥) عند الأميركيين وعند اللبنانيين (٣)، إلا أن وسيطها عند الأميركيين كان أفضل (٧.٥) وكان عند اللبنانيين (٧.٩١).

فمقارنة أهم القيم الخمس الأوائل عند الأميركيين، وتلك عند اللبنانيين تعطي صورة واضحة عن بناء النظام المعرفي والقيمي عند طلبة الشعبين، نسبياً.

فالبناء القيمي والشخصي اللبناني من طلبة الدراسات الشرعية أقرب إلى التقليد والطاعة، بالمقارنة مع البناء القيمي والشخصي عند الطالب الأميركي والذي يبدو أنه أقرب إلى الإقدام والمبادرة. وكذلك، فإن مقارنة القيم الخمس الأقل أهمية عندهما توضح الصورة أكثر:

عند الطلبة الأميركيين	عند الطلبة اللبنانيين
١٤ - المحبة	١٤ - المسامحة
١٥ - التفكر	١٥ - المقدرة
١٦ - المنطقية	١٦ - الانفتاحية
١٧ - الطاعة	١٧ - الابتهاج
١٨ - الخيالية	١٨ - الخيالية

فمجموعة القيم الأقل أهمية عند الطالب الأميركي يغلب عليها طابع العاطفة، والتروي، والتمعن، والطاعة، والتقليد والخيالية. وهو قلما يكترث لها. في حين أن مجموعة القيم الأقل أهمية عند الطالب اللبناني من الدراسات الشرعية، يغلب عليها الثقة بالنفس؛ فالمسامحة تحتاج إلى ثقة بالنفس كما تحتاج إلى قدرة عاطفية ومادية للتغلب على هوى النفس وتغليب العقل. كما يغلب على تلك المجموعة المقدرة، والانفتاحية، والابتهاج، وكلها قيم هامة لتأكيد الذات، والانتصار عليها، ودفعها نحو التفاعل الحي مع ظروف الحياة. وهذه قلما يكترث لها الطالب اللبناني من اختصاص الدراسات الشرعية.

أما عند الإناث، فكانت أهم القيم عند الأميركيات بعد الاخلاص: المسامحة (٢) والمسؤولية (٣)، والطموح (٤)، والانفتاحية (٥). في حين أن هذه القيم كانت رتبها عند طالبات الدراسات الشرعية في بيروت كالتالي: المسامحة

(١٢) والمسؤولية (١٠)، والطموح (٧)، والانفتاحية (١٦).

وعند مقارنة أهم القيم الخمس الأوائل عند الأميركيات، وتلك عند اللبنانيات نصل إلى صورة واضحة عن بناء النظام المعرفي والقيمي عند الشعبيين.

عند الطالبات الأميركيات	عند الطالبات اللبنانيات
١ - الإخلاص	١ - الاخلاص
٢ - المسامحة	٢ - الأدب
٣ - المسؤولية	٣ - النظافة
٤ - الطموح	٤ - الشجاعة
٥ - الانفتاحية	٥ - الانضباط

واضح من مقارنة المجموعتين أنهما متماسكتان في ترتيبهما. ولكن الأولى أقرب إلى الانفتاحية والإقدام، والثانية أقرب إلى التقليد والانضباط. ومقارنة القيم الخمس الأخيرة، الأقل أهمية عندهما، توضح الصورة أكثر.

فمجموعة القيم الأقل أهمية عند الطالبات الأميركيات يغلب عليها الطاعة والتمعن. وهذه قلما تكترث لها. أما مجموعة القيم الأقل أهمية عند الطالبات اللبنانيات من الدراسات الشرعية فيغلب عليها المقدرة والانفتاحية والابتهاج، وهي قلما تلتفت إليها طالبات الدراسات الشرعية في لبنان.

لم يلعب الجنس دوراً حاسماً في تحديد القيم الأقل أهمية عند طلبة الدراسات الشرعية؛ فَتَوَافَقَ الذكور والإناث على عدم الاكتراث كثيراً إلى المقدرة، والانفتاحية والابتهاج، والخيالية، واختلفوا في المسامحة فأهملها الذكور على حساب المنطقية التي أهملتها الإناث. كذلك لم يلعب الجنس دوراً هاماً في تحديد القيم الأقل أهمية عند الطلبة الأميركيين. فألغى الأميركيون الذكور والإناث الطاعة والتفكير والمنطقية والخيالية. واختلفوا على المحبة فأهملها الذكور، على حساب الاستقلالية التي أهلمتها الإناث. وهذه شواهد حية على كيفية تنميط المجتمع لأدوار الذكور، وأدوار الإناث والتي تختلف من حضارة إلى أخرى، ومن ثقافة إلى أخرى، وبلد إلى آخر. كما أنها شواهد على أن المجتمع قد يهيىء كل من الذكر والأنثى للعب أدوار متشابهة متجانسة في الوقت نفسه الذي يسمح لكل من الجنسين بالاختلاف عن الآخر، وذكل لإتمام عملية التكامل في المجتمع. فلم تتشابه الإناث الأميركيات مع زميلاتهن اللبنانيات، كما لم يتشابه الذكور من الطلبة الأميركيين مع زملائهم من الطلبة اللبنانيين. في حين تشابه الأميركيون ذكوراً وإناثاً مع بعضهم نسبياً وتشابه اللبنانيون ذكوراً وإناثاً مع بعضهم الآخر، نسبياً أيضاً.

بالخلاصة نقول، إن الإناث اللبنانيات من طلبة الدراسات الشرعية كنّ أكثر أقداماً وشجاعة وطموحاً من الذكور من طلبة الدراسات الشرعية. واتفقن مع الذكور على عدم الانفتاحية والابتهاج والخيالية. وكانت الإناث الأميركيات من الطالبات أكثر مسامحة من الذكور الذين كانوا أكثر شجاعة منهن، واتفقن مع الذكور على عدم الطاعة والتفكر، والمنطقية، والخيالية.

١:٢:٢ مقارنة نظم القيم الوسيلية عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت، مع تلك عند طلبة كلية الحقوق – جامعة بيروت العربية. (المجموعة

الضابطة).

من مقارنة القيم الوسيلية السائدة عند الذكور والإناث من طلبة كلية الحقوق (راجع الجدول رقم: ٤) نجد أن الذكور والإناث اتفقوا على أن الإخلاص هو أعلى قيمة عندهما جديرة بالتقدير. لكن الذكور قدروها أعلى من الإناث فكان وسيط الذكور (٢.٧٥) ووسيط الإناث (٣.٦٢). تماماً كما فعل ذكور الدراسات الشرعية بالنسبة لإناثهم. إلا أن وسيط ذكور الدراسات الشرعية بالنسبة للإخلاص هو الأعلى فكان (١.٩٨). ويبدو أن الذكور أكثر إخلاصاً من الإناث في لبنان. وهذا ليس الأمر تماماً في الولايات المتحدة الأميركية، إذ أن إناثهم تفوقن قليلاً على ذكورهم في تفضيل الإخلاص فكان وسيط الأميركيات (٣.٢) ووسيط الذكور (٣.٤). (Rokeach, 1973) وأن إناث طلبة الحقوق هن الأقل تفضيلاً للإخلاص فكان وسيط الإخلاص عندهن (٣.٦٢).

واتفق كل من الجنسين على وضع الاستقلالية ضمن المراتب العليا في السلم القيمي عندهم. فوضعها الذكور في المرتبة (٤) بوسيط (٦.٥٠). ووضعتها الإناث في المرتبة (٣) بوسيط (٥.٨٣). وهذا أيضاً باب للاختلاف كما انه باب للتوافق، فمع أنهما وضعا الاستقلالية ضمن القيم الأهم؛ إلا أن الإناث فضلن الاستقلالية على الذكور، ووضعنها في مرتبة أعلى، واهتمام أكبر. وهنا تبدو إناث الحقوق متميزات عن إناث الدراسات الشرعية اللاتي وضعن الاستقلالية في المرتبة (١٣) بوسيط (١١.١٦). ومتميزات أيضاً عن الإناث الأميركيات اللاتي وضعنها في المرتبة (١٤) بوسيط (١٠.٧). وفي حين أن إناث الدراسات الشرعية، والإناث الأميركيات رتبن الاستقلالية برتبة أدنى مما رتبها الذكور في المجموعتين، فإن إناث الحقوق رتبنها برتبة أعلى مما رتبها ذكور الحقوق، وذكور الدراسات الإسلامية والذكور الأميركيين. (راجع الجدولين ٢، و٤). وراجع (Rokeach, 1973).

ويبدو الأمر أكثر وضوحاً، إذا رأينا أن من بين القيم الأكثر أهمية عند إناث الحقوق قيمة الطموح التي جاءت في الرتبة (٤) بوسيط (٥.٨٣)، وهذه

الرتبة تفوقت بها على إناث الدراسات الإسلامية اللاتي وضعنها في الرتبة(٧) بوسيط (٨،٨٧) وتفوقت بها على إناث الأميركيين اللاتي وضعنها في الرتبة (٤) بوسيط (٧،٤). كما تفوقت بها على ذكور الحقوق، وذكور الدراسات الإسلامية الذين وضعوها في الرتبة (١٠) بوسيط (٨،٧٥)، والرتبة (١١) بوسيط (١٠،٢٨) على التوالي. ووقع طموح إناث الحقوق في الرتبة والوسيط ما بين طموح ذكور الأميركيين وإناثهم. فكان وسيط الذكور الأميركيين (٥،٦) والرتبة (٢). أي أن طموح إناث الحقوق يقارب طموح ذكور الأميركيين. وهذه شواهد أخرى على أن الفروق بين الجنسين في القيم ليست عائدة إلى طبيعة كل جنس واختلافه عن الآخر، بقدر ما قد تكون هذه الفروق عائدة للتنميط الاجتماعي، والرغبة في التفلت من التقاليد السائدة، ومحاولة تغييرها، كما هو حاصل عند إناث الحقوق مثلاً.

واتفق ذكور الحقوق والإناث على عدم الاكتراث للقيم التالية: الطاعة والابتهاج والخيالية. إلا أن الإناث كن أكثر اهمالاً للطاعة من الذكور. وأكثر ابتهاجاً، وأكثر خيالية أيضاً. وفي حين أهمل الذكور المساعدة والتفكر وجعلوهما في الرتبة (١٤) بوسيط (١٢،٧٥)، والرتبة (١٥) بوسيط (١٣،٢٥)، واهتمت الإناث أكثر في التفكر وجعلنه في الرتبة (٩) بوسيط (٩،٢٦)، وجعلن المساعدة في الرتبة (١٢) بوسيط (١٠،٧٥). وبالتفكر تشابهت إناث الحقوق وإناث الدراسات الإسلامية، وبالمساعدة أيضاً، وتفوقن معاً على إناث الأميركيين في التفكر، اللواتي جعلنها في الرتبة (١٤) بوسيط (١٠،٧). وتفوقت الأميركيات على اللبنانيات في المساعدة فجعلنها والذكور معاً في الرتبة (٧) بوسيط (٨،١) للإناث، و(٨،٣) للذكور. ففي حين تشابه الذكور والإناث الأميركيين في المساعدة، كانت إناث الحقوق أكثر مساعدة من ذكورهم، وكان ذكور الدراسات الإسلامية أكثر مساعدة من إناثهم. فما دخل الجنس في هذه الفروق؟ مع أنه من المتوقع أن تقيّمُ الإناث المساعدة أكثر من الذكور في المجتمع الشرقي. ويبدو أن ذكور الحقوق أكثر مادية من إناثهم. وأنهم مع الإناث أكثر مادية من الأميركيين في الرغبة في تقديم المساعدة. وهذا

من آثار التنميط الاجتماعي الخاص بكل ثقافة وحضارة والذي ينعكس قيماً واتجاهات مختلفة عند الذكور، وعند الإناث. والأمر ذاته ينطبق على قيمة المسامحة. فمن المتوقع أن تكون قيمة المسامحة عند الشرقيين أعلى منها عند الغربيين. وعند الإناث أعلى منها عند الذكور، إلا أن النتائج دلت على أن المسامحة عند اللبنانيين بشكل عام ذات قيمة منخفضة وهي كالتالي :

المسامحة	عند الدراسات الإسلامية		عند الحقوق		عند الأميركيين	
	الرتبة	الوسيط	الرتبة	الوسيط	الرتبة	الوسيط
ذكور	(١٤)	(١١,١٨)	(١٣)	(١١,٧٥)	(٦)	(٨,٢٠)
إناث	(١٢)	(١٠,٥١)	(١٤)	(١٢,٥٠)	(٢)	(٦,٤٠)

فالإناث الأميركيات أكثر تسامحاً من المجموعات الثلاث. والأميركيون ذكوراً وإناثاً أكثر تسامحاً من اللبنانيين، والذكور الأميركيون أكثر تسامحاً من الذكور اللبنانيين. وإناث الدراسات الإسلامية أكثر تسامحاً من ذكورهم وأكثر تسامحاً من إناث الحقوق. وإناث الحقوق الشاذات عن الجميع في هذا الباب كن الأقل تسامحاً على الاطلاق، ويقعن مع إناث الأميركيين على طرفي نقيض.

وإذا ما راجعنا قيم الإناث الحقوقيات من الوسيط (١٠,٠٠) وما فوق حتى نهاية سلم الرتب القيمية عندهن لوجدنا أنهن لم يكترثن كثيراً للانضباط، والمساعدة، والمنطقية، والمسامحة، والانفتاحية، والابتهاج، والخيالية. أما الطاعة فهي آخر اهتماماتهن. فسلم القيم عندهن أقرب إلى الثورة على ما هو متعارف عليه عند الإناث. بالمقارنة مع إناث الدراسات الإسلامية اللواتي جعلن في

أسفل السلم القيمي عندهن ابتداء من الوسيط (١٠,٠٠) وما فوق: المساعدة، والمسامحة، والاستقلالية، والمنطقية، والمقدرة، والانفتاحية، والابتهاج، والخيالية. فسلم القيم عندهن أقرب إلى الانغلاقية، وعدم المرونة. بالمقارنة مع الأميركيات اللواتي وضعن في أسفل السلم القيمي عندهن، ابتداء من الوسيط (١٠,٠٠) وما فوق القيم التالية: المقدرة، والأدب، والاستقلالية، والطاعة، والتفكر، والمنطقية، والخيالية، فسلم القيم عندهن أقرب إلى التحرر البعيد عن الأدب، والتفكر، والمنطقية.

وإذا ما قمنا بالمراجعة ذاتها مع ذكور المجموعات الثلاث المذكورة سابقاً، لوجدنا أن آخر اهتمامات الذكور من الدراسات الإسلامية، التالي : المحبة، والطموح، والمسؤولية، والمنطقية، والمسامحة، والمقدرة، والانفتاحية، والابتهاج، والخيالية. وهي بمعظمها قيم يحض عليها الشرع الإسلامي ويضعها في أولويات الفرد المسلم، وأهمها مثلاً: المحبة، والطموح، والمسؤولية، والمنطقية، والمسامحة، والمقدرة، والانفتاحية. فما هو سبب هذا التناقض بين ما يحض عليه الشرع، وبين دارس هذا الشرع؟؟ في حين أن آخر اهتمامات الذكور من الحقوقيين: الأدب، والمسامحة، والمساعدة، والتفكر، والطاعة، والابتهاج، والخيالية. فهل يعني أن الحقوقي لا يكترث للأدب، ولا يسامح، ولا يساعد ولا يكترث أيضاً للتفكر والطاعة؟ وما سبب ذلك؟ هل الاختصاص؟ أم ماذا؟ بالمقارنة مع الذكور الذين وضعوا في آخر سلمهم القيمي الوسائل التالية: الاستقلالية، الابتهاج، الأدب، المحبة، التفكر، المنطقية، الطاعة، الخيالية. فهناك تناقض بين الاستقلالية والطاعة، ووجودهما في أواخر سلم القيم عندهم. فالأميركي بعيد عن التفكر والمنطقية والأدب والمحبة، مع أنه أكثر تسامحاً ومساعدة من الذكور اللبنانيين!!

قيمة أخرى نتوقف عندها وهي الانضباط، وقد تشابه الذكور فيها مع الإناث نسبياً، فلم يعد الانضباط سمة تميز جنساً عن آخر، كالتالي:

الانضباط	عند الدراسات الإسلامية		عند الحقوقيين		عند الأميركيين	
	الرتبة	الوسيط	الرتبة	الوسيط	الرتبة	الوسيط
ذكور	(٧)	(٨,٦٢)	(١١)	(٩,٥٠)	(١٠)	(٩,٧٠)
إناث	(٥)	(٨,٥٠)	(١١)	(١٠,٢٥)	(١١)	(٩,٥٠)

فهناك فروق طفيفة بين الذكور والإناث عند كل مجموعة إذا نظرنا إلى الوسيط. ولكن عند دراسة المجموعات الثلاث نجد أن إناث الدراسات الإسلامية كن الأكثر انضباطاً من الذكور والإناث في المجموعات الثلاث. يليهن ذكور الدراسات الإسلامية. يتساوى بعد ذلك في الرتبة والوسيط ذكور الحقوق وإناث الأميركيين، يليهم الأميركيون الذكور، وأخيراً إناث الحقوق، الأقل انضباطاً على الاطلاق بين المجموعات الثلاث، ذكوراً وإناثاً. هذا ما يعزز ما رأيناه سابقاً، من أن إناث الحقوق ثائرات، وأن الانضباط ليس سمة ترتبط بالجنس، والفروقات الجنسة، وأن المجتمع تغير في تمييز الذكر عن الأنثى بالانضباط.

هناك ملاحظة أخيرة كالتي ذكرناها عند مراجعتنا (للجدول رقم: ٣) وهي أن سلم القيم الوسيلية عند الحقوقيات انحصر ما بين الوسيطين (٣.٦٢) و(١٤.٥) في حين أنه امتد عند ذكورهم من (٢.٧٥) إلى (١٨.١٢). وعند طلبة الدراسات الشرعية من (٢.٧٢) إلى (١٧.٦١) للإناث، ومن (١.٩٨) إلى (١٧.١٤) للذكور. وعند الأميركيين الذكور من (٣.٤) إلى (١٤.٣) وعند الأميركيين الإناث من (٣.٢) إلى (١٦.١). أي أن الحقوقيات انحصر سلم القيم عندهن في حيّز مركّز كالذكور الأميركيين تماماً. في حين أن ذكور الدراسات الإسلامية وإناثهم، وذكور الحقوق، والإناث الأميركيات انفلشت القيم عندهم على حيز أوسع. فهذا تشابه بين إناث حقوقيات لبنانيات وذكور أميركيين جدير بالتوقف عنده.

الخاتمة

لقد حاولت هذه الدراسة تبيان أهمية التخطيط للقيم وتحديدها لمواجهة التحديات التي تواجهها المجتمعات الإسلامية. وقدمت لذلك بدراسة سريعة نظرية عن أهمية القيم، وأسباب نشوئها، وعوامل تطورها، ودور المؤسسات التعليمية في اكتسابها، وتطويرها، وتحديدها. وكان القسم الثاني نموذجاً حياً للقيم الإجتماعية السائدة عند طلبة الكليات الشرعية العاملة في مدينة بيروت، فألقت الضوء على واقعها، وحدودها، وأشارت إلى بعض ما يعتريها من خلل، كما أشارت إلى بعض الجوانب الإيجابية فيها.

ولعل أهم ما يميز الكليات الشرعية العاملة في مدينة بيروت هو غياب الخطة المنهجية اللازمة لتحديد القيم التي يجب غرسها في نفوس التلاميذ، وتعويدهم عليها، وجعلهم يمارسونها في حياتهم داخل الكلية وخارجها.

الأمر الثاني، وهو غياب أي تصور منهجي عن القيم اللازمة لمواجهة التحديات العلمية والتقنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، والتي تواجه المجتمعات الإسلامية، وانه بدون هذا التصور فإن الطالب يكتفي فقط بما حشي به من معلومات نظرية لا يمتلك سبل تطبيقها اجتماعياً وعملياً.

الأمر الثالث، وهو أهم أسباب الأمرين الأولين هو تهاون هذه الكليات في أمر التكوين النفسي والاجتماعي والانفعالي والسلوكي لطلابها، فلا يوجد من البرامج الأكاديمية وغير الأكاديمية ما يجعلهم على تبني نظم قيمية محددة توجه كيانهم النفسي، وتحدد سبل التكيف الاجتماعي، والتفاعل المطلوب مع كافة شرائح المجتمع، علمياً ومعنوياً.

وهذا كله يؤدي إلى فقدان المرجعية القيمية، والتخبط حول قيم وأهداف من هنا وهناك، تعيق أمر توجيه الدعاة الشباب الى السبل الآيلة الى مواجهة التحديات المستقبلية التي تواجههم وتواجه أمتهم .

بيليوغرافيا

- أبو النيل، محمود السيد . (١٩٧٩). دراسة عن القيم الاجتماعية والذكاء والشخصية لدى مجموعة من الطلبة والطالبات بجامعة الإمارات العربية المتحدة . الحلقة الرابعة لمركز دراسات الخليج والجزيرة العربية. أبوظبي. ١٩ - ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر.
- خليفة، عبد اللطيف . (١٩٩٢). إرتقاء القيم : دراسة نفسية . الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . - (عالم المعرفة؛ ١٦٠).
- الراوي، مسارع . وإبراهيم، نجيب اسكندر . وباقر، صباح (١٩٦٩). القيم الاجتماعية ومشكلات المجتمع العراقي كما يراها مدرسوا العلوم الاجتماعية في مرحلة الدراسة الثانوية في العراق . بغداد : مطبعة الحكومة. بغداد : جامعة بغداد - مركز البحوث التربوية والنفسية.
- صالح، أحمد زكي . (١٩٧٢). الأسس النفسية للتعليم الثانوي . القاهرة : دار النهضة العربية.
- عثمان، إبراهيم . (١٩٩٣). الخلفية الأسرية ومعدلات التحصيل الدراسي : دراسة ميدانية . مجلة العلوم الاجتماعية، ٢١:١، ٧-٢٤.
- كاظم، محمد إبراهيم . (١٩٦٢). تطورات في قيم الطلبة : دراسة تربوية تتبعية لقيم الطلاب في خمس سنوات . القاهرة : المكتبة الأنجلو المصرية.
- كاظم، محمد إبراهيم . (١٩٧٠). بحث القيم السائدة بين الشباب من معلمي المرحلة الابتدائية في جمهورية مصر العربية . القاهرة : وزارة الشباب.
- الكيلاني، عبد الله زيد . وعباس، علي حسن . (١٩٨١). الفروق في مفهوم الذات بين الأيتام وغير الأيتام في عينة من الأطفال الأردنيين . دراسات - الجامعة الأردنية، ٨:١، ٢٣-٥٤.
- مقدم، عبد الحفيظ . (١٩٩١-١٩٩٢). القيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري : دراسة مسحية . حوليات جامعة الجزائر، ٦:١، ٩-٢٣.

- مقدم، عبد الحفيظ . (١٩٩٤). علاقة القيم الفردية والتنظيمية وتفاعلها مع الاتجاهات والسلوك : دراسة أمبيريقية . الكويت : مجلة العلوم الاجتماعية، ٢٢: ١، ٢، ١٤٥-١٨٠.

- مليكة، لويس كامل . (١٩٦٥، ١٩٧٠). قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

- مليكة، لويس كامل . (١٩٨٩). سيكولوجية الجماعات والقيادة . ط٤ . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- هنا، عطية محمود . (١٩٦٥). دراسات حضارية مقارنة في القيم . في لويس كامل مليكة، قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية . (٦٠٢-٦١٣). القاهرة : الدرا القومية للطباعة والنشر.

- Addleman, John A. (1988). Differences between students values at two schools. Psychological Reports, 63(1), 335-338.

- Anderson, D. & Western. J. S. (1969). Attitudes of students entering professional faculties. Australian Journal of Psychology, 21, 291-299.

- Austin, A. W. (1977). Four critical years : Efforts of college on beliefs, attitudes, and knowledge. San Francisco : Jossy-Bass.

- Balkin, J., Brandt, D., Katz, C. & Levin, J. (1977). Values of open admission students, police students, and their teachers. Research in Higher Education, 7, 1-11.

- Biddle, Bruce J., Bank, Barbara J., & Slavings, Ricky L. (1990). Modality of thought, campus experiences, and the development of values. Journal of Educational Psychology, 82 (4), 671-682.

- Blomquist, B. L., Cruise, P., & Cruise, R. J. (1980). Values of baccalaureat nursing students in secular and religious schools. Nursing

Research, 29, 379-383.

- Bovasso, Gregory, Jacobs, John, & Rettig, Salomon. (1991). Changes in moral values over three decades, 1958-1988. Youth and Society, 22 (4), 468-481.

- Clark, B. R., Heist, P., McConnell, T., Trow, M., & Yonge, G. (1972). Students and colleges: Interaction and change, Berkeley CA: Center for Research and Development in Higher Education, University of California.

- Coyne, Barry J. (1988). The predictive validity of the Rokeach Value Survey for college academic achievement. Educational and Psychological Measurement, 48, 165-173.

- de Arman, C. P., & McDavis, R. J. (1981). White, Black, and Hispanic students' perceptions of community college environment. Journal of College Students personnel, 22, 337-341.

Entwistle, N. J. & Brennan, T. (1971). The academic performance of students. British Journal of Educational Psychology, 41, 268-276.

- Feather, N. T. (1970a) Educational choice and student attitudes in relation to terminal and instrumental values. Australian Journal of Psychology, 22, 127-144.

- Feather, N. T. (1970b). Value systems in state and church schools. Australian Journal of Psychology, 22, 299-313.

Feather, N. T. (1971c). Similarity of value systems as a determinant of educational choice at University. Australian Journal of Psychology, 23, 210-211.

- Feather, N. T. (1972a). Value Similarity and value system in state

and independent secondary schools. Australian Journal of Psychology, 24, 305-315.

- Feather, N. T. (1972b). Value similarity and school adjustment. Australian Journal of Psychology, 24, 193-208.

- Feather, N. T. (1972c). Value systems and education: The Flinders program of value research. Australian Journal of Education, 16, 136-149.

- Feather, N. T. (1973). Value change among university students. Australian Journal of Psychology, 25, 57-70.

- Feather, N. T. & Collins, J. M. (1974). Differences in attitudes and values of students in relation to program of study at a college of advanced education. Australian Journal of Psychology, 18, 16-29.

- Feather, N. T. (1975). Values in education and society. New york: Free Press.

- Feldman, K. A. & Newcomb, T. M. (1969). The Impact of college on students. San Francisco: Jossey- Bass.

- Feldman, K. A, & Weiler, J. (1976). Changes in initial differences among major-field groups: An exploration of the accentuation effect. In W. H. Sewell, R. M. Hauser & D. L. Featherman (Eds.), Schooling and achievement in American Society. (pp. 373-407). New York: Academic Press.

- Finney, H. V. (1974). Political dimensions of college impact on civil libertarianism and the integration of political perspective: A longitudinal analysis. Sociology of Education, 47, 214-250.

- Franks, D. D., Falk, R. F., & Hinton, J. (1973). Differential exposure

to courses in two majors and differences in students' value responses. Sociology of Education, 46, 361-369.

- Glover, Rebecca J. (1191). Value Selection in relation to grade in school and stage of moral reasoning. Psychological Reports, 68 (3, pt. 1), 931-937.

- Goodwin, G. C. (1980). Differential perceptions of a university environment: Freshmen and seniors. College Student Journal, 14, 408-411.

- Hanson, S. L., & Ginsburg, A. L. (1988). Gaining ground: Values and high schools success. Americal Educational Research Journal, 25 (3), 334-365.

- Hoge, D. R. & Bender, I. E. (1974). Factors affecting value change among college graduates in adult life. Journal of Personality and Social Psychology, 29, 572-585.

- Hoge, D. R., Hoge, J. L., & Wittenberg, J. (1987). The return of the fifties: Trends in college students' values between 1952 and 1984. Sociological Forum, 2 (3), 500-519.

- Huntley, C. W., & Davis, F. (1983). Undergraduate study of value scores as predictors of occupation 25 years later. Journal of Personality and Social Psychology, 45, 1148-1155.

- Jones, Craig H. (1990). Relationship of entering students' values to academic achievement and persistence in college. College Student Journal, 24 (4), 353-355.

- Kluckhohn, C. (1951). Values and value orientations in the theory of action. In T. Parsons & E. A. Shills (Eds.), Toward a general theory

of action (pp. 388-433). Cambridge, M. A : Harvard University Press.

- Kluckhohn, F. & Strodtbeck, F. (1961). Variation in value orientation. Evanston, II. : Row, Peterson.

- Kohen, M. L., Naoi, A., Schoenback, V., et al. (1990). Position in the class structure and psychological functioning in the U. S., Japan, and Poland. American Journal of Sociology, 95 (4) 964-1008.

- Kohlberg. L. (1963). The development of children's orientations toward a moral order. Sequences in the development of moral thought. Vita Humana, 6, 11 - 33.

- Kokoszka, A. (1991-92). On the psychology of experiencing value: A supplement to the evolutionary level model of the main states of consciousness. Imagination, Cognition, and Personality, 11 (1), 75 - 84.

- Kuh, G. D. (1976). Persistence of the impact of college on attitudes and values. Journal of College Students Personnel, 17, 116-122.

- Kunsen, S., Tang, W., & Overstreet, S. (1992). Old adults Judgements of historically important events: The roles of gender, age and education. Educational Gerontology, 18(2), 193-212.

- Lacy, W. B. (1978). Interpersonal relationships as mediators of structural effects: College students socialization in a traditional and an experimental university environment. Sociology of Education, 51, 201-210.

- Lavin, T. J. & Prull, R. W. (1989). Student Personality traits and values across generations. Journal of College Student Development,

30(5), 407-412.

- Linder, F., & Bauer, D. (1983). Perception of values among male and female undergraduate students. Perceptual and Motor Skills, 56, 59-63.

- Mehrabian, A. (1968). Male and female scales of the tendency to achieve. Educational and Psychological Measurements, 28, 493-502.

- Moon, L. Y. (1985). A Review of cross-cultural studies on moral Judgement development using the defining issues test. American Educational Research Association Annual Convention, Chicago, March, 31.

- Mueller, D. J., & Wornhoff, S. A. (1990). Distinguishing personal and social values. Educational and Psychological Measurement, 50 (3), 691-699.

- Newcomb, T. M., Brown, D. R., Kulik, J. A., Reimer, D. J., & Revelle, W. R. (1971). The University of Michigan Residential College. In P. L. Dressel (Ed.), The new colleges: Toward an appraisal. (pp. 99-142). Iowa city, IA: The American College Testing Program.

- O'Brien, L. M. (1993). Teacher values and classroom culture: Teaching and learning in a rural Appalachian Head Start Program. Early Education and Development, 4(1), 5-19.

- Ogle, N. J., & Dodder, R. A. (1978). Increased tolerance and reference group shifts: A test in the college environment. Educational Research Quarterly, 4, 48-57.

- Rettig, S., & Passamarrick, B. (1959a). Changes in moral values

among college students: A factorial study. American Sociological Review, 241, 856-863.

- Rettig, S., & Passmarrick, B. (1959b). Changes in moral values over three decades 1929-1958, Social Problems, 6, 320-328.

- Rokeach, M. (1973). The nature of human values. New York: Free Press.

- Rokeach, M., & Vidmar, N. (1973). Testimony concerning possible jury bias in a Black Panther murder trial. Journal of Applied Social Psychology, 3, 19-29.

- Rokeach, M. (1970). Understanding human values. New York: Free Press.

- Rokeach, M. (1985a) Value survey. Sunny Vale: California: Halgren Tests.

- Rokeach, M. (1985b). Inducing changes and stability in belief systems and personality structures. Journal of social Issues, 41, 153-171.

- Rokeach, M. & Ball-Rokeach, S. J. (1989). Stability and change in American value priorities 1968-1981. American Psychologist, 44 (55), 775-784.

- Schmidt, M. R. (1970). Personality change in college women. Journal of College Student Personnel, 11, 414-418.

- Sewell, W. H. & Shah, V. (1967). Socio - economic status, intelligence and the attainment of higher education. Sociology of Education, 40, 1-23.

- Stakemas, R. G. (1972). Student-faculty contact and attitude change: Results of an experimental program for college freshmen. In K. A. Feldman (Ed.), College and Student: Selected reading in the Social psychology of higher education. (pp. 463-471). Elmsford, New York: Pergamon Press.

- Thistlethwaite, D. L. (1969). Some ecological effects of entering a field of study. Journal of Psychology, 60, 284-293.

- Thistlethwaite, D. L.(1973). Accentuation of Differences in values and exposures to major fields of study. Journal of Educational Psychology, 65, 279-293.

- Trent, J. W., & Medsker, L. L. (1969). Beyond high school: A psychological study of 1,000 high school graduates. San Franciso: Jossey-Bass.

- Vanlange, P. A., & Liebrand, W. B. (1991). Social Values orientation and intelligence: A test of the Goal Prescribes Rationality Principle. European Journal of Social Psychology, 21 (4), 273-292.

- Veroff, J., & Smith, D. A. (1985). Motives and values over the adult years. In D. Kleiber, & M. Maeher (Eds.) Advances in motivation and achievements: Motivation and adulthood (pp. 1-53). Greenwich, CT: JAI Press.

- Vreeland, R. S., & Bidwell, C. E. (1966). Classifying university departments: An approach to the analysis of their effects upon undergraduates' values and attitudes. Sociology of Education, 39, 237-254.

- Walberg, H. (1984). Improving the productivity of America's

Schools. Educational Leadership, May, 19-27.

- Whaler, T. E., & Fried, M. A. (1973). Geographic mobility and its effect on student achievement. Journal of Educational Research, 67, 163-165.
- Wilson, R. C., Gaff, J. G., Diest, E. R., Wood , L., & Barry, J. L. (1975). College professors and their impact on students. New York: Wiley.
- Wolfe, G. & Mourribi, A. (1985). A comparison of the value systems of Lebanese Christian and Muslim men and women. Journal of Social Psychology, 125 (6).
- Woodruff, A. D., & Divesta, F. J. (1948). The relationship between values, concepts, and attitudes. Educational and Psychological Measurement, 8, 645-659.

نقل وتنمية التكنولوجيـــا
قضية الحاضر والمستقبل

نــدوة

"التحديات المستقبلية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل"

المنعقدة بجامعة الإمارات العربية المتحدة

في الفترة من ٢٠ – ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧م

إعداد

دكتور علي علي حبيش

المركز القومى للبحوث



١ - الوضع الدولي الحالي في ظل التحديات العالمية

لا شك أن ما تبقى من العقد الأخير من القرن العشرين يحمل للبشرية تحديات هائلة .. فهو العقد الفاصل بين قرنين من الزمان .. حافلين بأحداث جسام في حياة الناس جميعاً .. ومن المتوقع أن تتأثر هذه الحياة بأربعة ثورات أساسية:

١ - الثورة الديمقراطية التي تقودها الدول المتقدمة والمؤسسات الدولية العملاقة المالية والاقتصادية .. تتبنى هذه الثورة اقتصاديات السوق وتحرير التجارة بعد تفتيت الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية.

٢ - الثورة التكنولوجية الثالثة (ثورة الالكترونيات، والمعلوماتية، والفضاء، والمواد الجديدة، والاتصالات، والهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية، والليزر .. إلخ) والتي يقوم عليها النظام الاقتصادي العالمي الجديد.

٣ - ثورة التكتلات الاقتصادية والسياسة العملاقة.

٤ - ثورة حرية التجارة الدولية بعد النجاح في إنشاء منظمة التجارة العالمية لتحل محل الجات.

وفي إطار هذه الثورات وماتفرزه من تأثيرات تمثل في مجملها تحديات وفرص، تبنى الثورة التكنولوجية الثالثة نظامها العالمي الجديد الذي يعتمد فيه الاقتصاد على استثمار الوقت بأقل تكلفة باستخدام المعرفة الجديدة.. فلم تعد التنمية الاقتصادية تعنى التغيير من وضع سيء إلى وضع أفضل .. بل المهم هو الوقت الذي يستغرقه هذا التغيير. كذلك لم تعد المنافسة تعتمد على المصادر الطبيعية والعمالة الرخيصة، بل أصبحت القدرة التنافسية تُكسب من خلال إنتاج سلع جديدة، أو التحسين السريع والمستمر في المنتجات وطرق التصنيع، والدخول بهما إلى السوق بطريقة أكثر تأثيراً.

ومن هذا المنطلق فإن التكنولوجيا تُعرف بأنها المعرفة الجديدة التي أمكن تحويلها إلى منتجات، أو طرق إنتاج، أو خدمات، أو هياكل تنظيمية .. كذلك فإن التكنولوجيا مع الاستثمار المالي والمهارات تخلق أعمالاً جديدة، وأسواقاً

جديدة، ووظائف جديدة ولهذا السبب ترتبط التكنولوجيا دائماً بخصائص وقُدرات المنافسة والابتكار والتسويق.

كما تُعرف التكنولوجيا على أنها مجموعة المعارف والمهارات والخبرات المستعملة لإنتاج السلع والخدمات وتسويقها وتوزيعها .. التكنولوجيا ليست المصنع وليست المنتج الذي يخرج من هذا المصنع .. ولكنها مجموعة المعارف والمهارات التي بها أنشأ المصنع والتى على أساسها يتم الإنتاج .. ومن ثم فإن التكنولوجيا تُعتبر مورد أو مدخل للإنتاج، وبالتالي فإن أي تطور تكنولوجى سوف يؤدي بالضرورة إلى إنتاج سلعة أساسية تتميز بخصائص أكثر جاذبية بالنسبة للأداء. كذلك يمكن للتطور التكنولوجي أن يعمل على زيادة كفاءة العملية الإنتاجية من خلال تيسير أكبر في استعمال المكونات الإنتاجية الأخرى.

ومن هنا يتضح أن التكنولوجيا والتطور التكنولوجي وسيلتان مهمتان لتحقيق النمو الاقتصادي. لذلك فقد فرضت الثورة التكنولوجية الجديدة (الثالثة) السيادة للمدخل التكنولوجي .. وجعلته العنصر الحاكم في السيادة الصناعية والزراعية ومجال الخدمات والاحتكار التجاري والتبعية الاقتصادية، كما اصبح ايضا العنصر الحاسم في السيادة العسكرية والثقافية والتحكم السياسي.

بجانب هذا، فقد ادخلت هذه الثورة التكنولوجية بُعداً جديداً يتزايد ثقله، الا وهو، "القيمة المستحدثة" مثل خلق شرائح الألكترونات من سليكون الرمال وما تبعها من وسائل اتصال ومعلومات وإنسان آلي.

لقد شهد العقد الأخير من هذا القرن تغيرات اقتصادية، وسياسية، واجتماعية، وتكنولوجية، وعلمية .. على المستوى الدولي والاقليمي والوطن.

وفي ظل هذه التغيرات وما صاحبها من تحديات ومنافسة خطيرة في التجارة والأسواق اختص الوضع الدولي الحالي بالسمات التالية:

(١) دمج النموذج التنموي مع النموذج التكنولوجي حيث أصبحت العمليات

الإنتاجية غزيرة العلم .. كثيفة التكنولوجيا.

(٢) الأهمية المتزايدة للتجارة في عالم جديد يتسم بالتوسع في النظم العالمية للإنتاج، الأمر الذي يدعو الدول النامية لبذل جهود أكثر إذا ما أرادت أن تتلافي التهميش.

(٣) إتجاه قوى نحو الانفتاح، وإعادة تنظيم الاقتصاد، وإنهاء استراتيجية بديل المستورد بالنسبة للدول النامية.

(٤) الإقلال من الدور الحكومي، وانحصار مصروفات الحكومة، والتوسع في عمليات الخصخصة للخدمات والشركات العامة.

(٥) تجديد الدعوة للاستثمار الأجنبي المباشر كمصدر للمال والسوق والتكنولوجيا وإدارة المعرفة.

(٦) الاهتمام بالبيئة والنظر إليها كبُعد جديد في التنمية.

٣ - اتجاهات التكنولوجيا

١ - سرعة التقدم في الإبتكار خصوصاً في التكنولوجيات الجديدة مثل الاكترونات الدقيقة، والمواد الجديدة، والإنسان الآلي .. إلخ، نتيجة التقدم العلمي في فيزياء الجوامد والهندسة الوراثية وعلوم المواد وعلوم الكمبيوتر .. إلخ. كما أن هناك تقدم كبير في الأجهزة العلمية وطرق التحاليل. ومن جانب الطلب نجد أن التنافس الشديد لتوسيع الأسواق كان القوة الدافعة لعمليات الإبتكار، والتي بدورها خلقت زيادة قوية وطلب على البحث والتطوير، والعمل التصميمي والهندسي، والتعليم والتدريب المتخصص.

٢ - طبيعة التكنولوجيا الجديدة تجعلها قابلة للتطبيق في قطاعات وأنشطة مختلفة. فمثلا تكنولوجيا المعلومات تجد استخدامات في التصنيع والاتصالات والأنشطة الخدمية، وتُغير من مكان العمل وطرق تنفيذه. إن الزيادة في استخدام البرمجة من خلال أدوات وأجهزة تحكم، واستخدام الكمبيوتر المساعد للتصميم، والبنوك المؤتمنة قضت على الميزة النسبية للعمالة الرخيصة كعامل من عوامل المنافسة، وأوجدت الحاجة إلى مهارات متخصصة في المصانع والخدمات.

٣ - تسمح طرق الإنتاج الحديثة (الجديدة) بتنوع أكبر في المنتجات، وجودة أعلى، وتشغيل أسرع، ومنتجات ذات دورة استخدام أقل. وفي كثير من الحالات فإن مدخلات العملية الإنتاجية من المادة والطاقة أقل. وتحل المواد الجديدة محل المواد التقليدية بمعدل سريع. فنجد استبدال المطاط الطبيعي بالمطاط الصناعي، وإحلال الألياف الصناعية محل الجوت، والألياف الضوئية (الزجاجية أو البصرية) محل النحاس، ومتراكبات ألياف الكربون محل الصلب، والسيراميكا محل الأجزاء المعدنية ... إلخ.

٤ - تعرض تنظيم الإنتاج لتغييرات جوهرية، وذلك بسبب إدخال ممارسات جديدة مثل التحكم في الجودة الكلية، والالتزام بتوريد المكونات في الوقت

المحدد..، والتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من نظام الإنتاج.

وما يسمى حالياً Lean Manufacturing يسمح هذا النظام التصنيعي بوفر محسوس في الطاقة والعمالة ورأس المال، مقارنة بالطرق الكمية السابقة. لقد نشأ هذا النظام التصنيعي في اليابان، ويجد طريقة الآن في كثير من الدول الصناعية. إن التكنولوجيا الجديدة - بشقيها المنظور "Hardware" وغير المنظور "Software" تسمح بتجديد الأنشطة الصناعية والتي نُظر إليها في كثير من البلاد على أنها أصبحت قديمة مثل صناعة النسيج وصناعة الصلب.

٥ - إن الاتجاه الجديد في التصنيع يؤكد على أن كفاءة الشركة - أى شركة - تعتمد على النسق (النظام) الصناعي التي تعمل في إطاره. وهذا يدعو إلى إتجاه مختلف لزيادة القدرة التنافسية - حيث أنه لم يصبح متعلقاً بمجهودات شركة فردية بل على النسق الصناعى ككل. بمعنى أن القدرة التنافسية الصناعية لأي بلد لا تعتمد بالضرورة على قدرة شركة بعينها ولكنها بالضرورة تعتمد على القدرة التكنولوجية للنسق الصناعي في تلك البلد.

٢- التكنولوجيا والتنمية

العلم والتكنولوجيا والإنتاج مكونات ثلاث تؤثر وتتأثر مباشرة وكلية بسياسات وخطط التنمية. فالعلم هو أساس التكنولوجيا، والتكنولوجيا هي الركيزة الأساسية للإنتاج، والإنتاج هو عصب التنمية، وسياسة التنمية هي التي تحدد مسبقاً دور كل مكون ونطاق مشاركة في جهود التنمية الشاملة. كما تقتضي التنمية الشاملة التطوير التكنولوجي المستمر الذي يعجل بمعدلاتها بينما يتدعم هو بمنجزاتها.

وتعتبر منجزات التكنولوجيا في الدول الصناعية المتقدمة ثمرة عملية تطور حضاري طويلة نسبيا كما سيرد تفصيلاً فيما بعد. لاسيما بعد أن دخل

البحث العلمي والتكنولوجي مرحلة التنظيم، وأصبح يستند إلى فرق بحث متكاملة ومعامل ومختبرات معقدة، ويعتمد بشكل أساسي على القاعدة الصناعية التي توفر له: الطلب على البحث، ومادته، وما يلزم له من عناصر مادية ومنتجات، وتفتح أمامه إمكانات تطبيق ما يستحدثه، وعلى ما خصصت له من نسبة لا يستهان بها من الناتج القومي الإجمالي تزيد في بعض الدول عن ٣٪، ويجرى في شبكة كثيفة الحلقات من مراكز تلتقى فيها الإدارة الحكومية ورجال الصناعة ورجال المال وأهل العلم .. وبذلك نجحت هذه الدول المتقدمة في إنشاء ما يسمى بالنظام القومي للابتكار "National Innovation System"

أما في معظم الدول النامية، فقد فشلت الجهود الرامية لخلق قاعدة تكنولوجية وطنية في إطار نظام وطنى للعلم والتكنولوجيا. والواقع يشير إلى أن الدول النامية توسعت في عمليات التصنيع خلال الثلاثة عقود الماضية، وقد صاحب هذا التوسع عمليات متعددة، ومتباينة، لنقل التكنولوجيا من مصادرها، التي انحصرت أساساً في الشركات العالمية في أوروبا وأمريكا وكندا واليابان نظراً للقصور في القدرة التكنولوجية للدول النامية. وقد ظهر خلال تلك الفترة كثير من المظاهر السلبية، مثل وجود العديد من الإخفاق التكنولوجي، من حيث ارتفاع تكاليف الإنتاج، وانخفاض الجودة، وصعوبة الصيانة، وانعزال عمليات البحث والتطوير عن الارتباط بالعمليات الإنتاجية، سواء خلال مراحل اختيار ونقل التكنولوجيا، أو أثناء تشغيل الوحدات المستوردة.

من الثابت إذن أن هناك فجوة تكنولوجية بين الدول الصناعية والدول النامية لا سبيل إلى تخطيها إلا باتباع أسلوبين، أولهما تشجيع البحث والتطوير والابتكار وتوليد التكنولوجيا محلياً. وثانيهما نقل التكنولوجيا من الدول الصناعية ثم محاولة استيعابها وتطويعها بما يتلاءم مع الظروف المحلية. ولابد أن يحظى كل من الأسلوبين باهتمام مكثف من الدولة كبداية نحو تحقيق التحرر من التبعية التكنولوجية، معتمدة على مبدأ الجمع بين

التكنولوجيا المستوردة والتكنولوجيا المولدة بالقدرات الوطنية في مزيج تتغير مكوناته مع الوقت تصاعدياً في الإتجاه المواتى لصالح الاقتصاد الوطني.

وتعتبر التكنولوجيا من المعطيات الرئيسية للإنتاج كما ذكرنا .. فهي تباع وتشترى في السوق العالمية على صورة سلعة رئيسية أو سلعة وسيطة، أو على صورة عمالة ماهرة لها القدرة علي الاستخدام الصحيح للمعدات وحل المشكلات أو على صورة معلومات فنية وتجارية. كما تشمل التنمية التكنولوجية العديد من العناصر منها: تحديد الأهداف التكنولوجية العاجلة ومتوسطة وبعيدة المدى، التعامل مع المعلومات، التخطيط المرحلى وبعيد المدى، تقييم واختيار التكنولوجيا، التطبيق والتطويع، المحاكاة والابتكار، البحث والابتكار، التأهيل والتدريب والتنظيم والإدارة، دراسات الجدوى، تخطيط وتصميم المشروعات، التصميم الصناعي والتنفيذ، التعاقد والمفاوضة، الاستيعاب والانتشار، المتابعة والتقييم، التسويق، الآثار الاجتماعية والبيئة.

لذلك فإن عملية تنمية وبناء القاعدة التكنولوجية المصرية تقوم أساساً على المحاور الآتية:

- تنمية القدرات الذاتية.
- وضع أولويات التنمية.
- ترشيد نقل التكنولوجيا من الخارج.
- الاهتمام بتوليد التكنولوجيا المحلية.
- تحديد المزيج الأمثل من التكنولوجيا المستوردة والتكنولوجيا المحلية.
- ضمان انتشار التكنولوجيا المستوعبة وتطويرها.
- الأخذ بإعطاء أولويات للقطاعات الاقتصادية الرائدة.
- الدخول في مجالات مختارة من مجالات الثورة التكنولوجية الثالثة.
- الاستفادة القصوى من التعاون الدولي.
- امتلاك وتوفير واستخدام المعلومات العلمية والتكنولوجية.
- تطوير الممارسات الإدارية لمواكبة التطوير التكنولوجي.

في حين تقوم استراتيجية التنمية التكنولوجية أساساً على:

(أ) الابتكار.

(ب) المحاكاة والتقليد (الهندسة العكسية).

(جـ) تراخيص التصنيع.

(د) التطويع في ضوء البندين ب، جـ.

(هـ) تغيير عناصر العملية الإنتاجية.

وبناء على ما تقدم يتعين على أجهزة التخطيط أن تمارس الوظائف الآتية:

- استيعاب وتطويع وتطوير التكنولوجيا القائمة.
- تحديد مجموعة من الأهداف التكنولوجية لتضييق الفجوة التكنولوجية وتخطيها وملاحقة التطورات التكنولوجية العالمية بإدخال النظم والبرامج والحاسبات وإدارة التطوير التكنولوجي.
- تحديد أهداف تكنولوجية متجددة في ضوء التطورات المرتقبة والثورات التكنولوجية المتوقعة وعلى الأخص الدخول في التكنولوجيات الجديدة والمستحدثة مثل الهندسة الوراثية والمعلوماتية والمواد الجديدة .. إلخ.

والتخطيط هنا لا يعني الخطط التي ترسمها الوزارات ولجان التخطيط فقط، ولكن أيضا الخطط الأخرى التي توضع خارج هذه الأجهزة الحكومية، لأن كل مستثمر مهما صغر حجم استثماره، يعتبر مخططاً بطريقة أو بأخرى لنشاطه لأنه يتفاعل مع سياسة التنمية في مجتمعه وتوجهاته العامة، كما أنه يشترك في إشباع حاجات هذا المجتمع من السلع والخدمات والتي تستطيع أن توفرها التكنولوجيا.

وكذلك يشترك في دفع نظام التكنولوجيا لخلق تكنولوجيا جديدة، لإشباع حاجات جديدة أو خلق طلب جديد.

إن الهدف الرئيسي من إيجاد قاعدة تكنولوجية متينة تعمل في إطار استراتيجية واضحة وتخطيط محكم للتنمية التكنولوجية هو خلق القدرة

التكنولوجية لمصر. والمقصود بالقدرة التكنولوجية هو أن يكون المجتمع قادراً على امتلاك التكنولوجيا والتعامل معها وتطويرها - القدرة التكنولوجية لمصر تقتضي إذن عمل نسيج تمثل فيه التكنولوجيا المحلية خيوط الطول، في حين تمثل التكنولوجيا المستوردة خيوط العرض. بمعنى آخر وبتعبير متخصص - تلتقى التكنولوجيا المحلية مع التكنولوجيا المستوردة في شكل نسيج متكامل تكون فيه التكنولوجيا المحلية خيوط السداء والتكنولوجيا المستوردة خيوط اللحمة، أو أن تتكون جميع هذه الخيوط من مزيج من التكنولوجيا المحلية والتكنولوجيا المستوردة .. ثم يجعل من هذا النسيج في النهاية ليس فقط وعاءاً صحياً للتنمية الشاملة بل قلباً نابضاً لجميع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية.

وليس ثمة شك في أن التوصل إلى مثل هذا النسيج يحتاج في المقام الأول إلى تطوير وتنمية التكنولوجيا المحلية من خلال:

(١) بحث علمى ملتزم بتحقيق نتيجة محددة في إطار محدد من الزمن.

(٢) بيوت خبرة استشارية قادرة على ترجمة نتائج البحث العلمي إلى تصميمات لسلع وخدمات.

(٣) مؤسسات هندسية وطنية قادرة على تحويل نتائج بيوت الخبرة الاستشارية إلى نماذج للإنتاج التجاري.

(٤) تسويق جاد يعمل على الربط بين المؤسسات العلمية والقطاعات الاقتصادية والخدمية.

٤ - الجوانب الفنية في نقل التكنولوجيا

التكنولوجيا المستوردة كانت ومازالت هى الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها قطاعات الإنتاج والخدمات، في تحقيق ما يحتاجه المجتمع من سلع وخدمات. ومن ثم فإن سياسة التنمية – التي تمثل الاجراءات العملية لتنفيذ استراتيجيتها – يجب أن تأخذ في اعتبارها عنصرى التكامل الرأسي والأفقي لهيكل الإنتاج. بمعنى أن تستطيع القطاعات الإنتاجية توفير احتياجاتها – على مراحل – ذاتياً أو داخلياً. وفي غيبة مثل هذه السياسة يصبح الاقتصاد القومى طرفاً لاحقاً (أو تابعاً) للتطور التكنولوجى في الاقتصاد الخارجي.

ولا يمكن أن يتم نقل التكنولوجيا بصورة تحمي الاقتصاد والموارد الوطنية، إلا من خلال سياسات ومؤسسات قومية، تضبط مساره مع تخطيط شامل ومتزامن لبناء القدرات الذاتية بدءاً من القدرة على اختيار التكنولوجيا، والقدرة التفاوضية لحيازتها، والقدرة على استيعابها .. إلخ.

وإذا كان التقدم التكنولوجى يمثل أهم عناصر التنمية، فإن نقل التكنولوجيا الأجنبية للصناعات المحلية يحقق الهدف شريطة ما يلي:

- تحديد الاحتياجات التكنولوجية في ضوء أهداف التنمية.
- إعداد الدراسات الجادة التي تؤكد أن عملية نقل التكنولوجيا سوف يترتب عليها خلق عائد يزيد على التكلفة. والمقصود بالعائد هنا هو العائد الاقتصادي والعائد التكنولوجى الذي سيتحقق عن المشروع الذي سيطبق التكنولوجيا المنقولة.
- تقييم التكنولوجيا الأكثر ملاءمة ومعايير اختيار المعدات والنظم والتصميمات المستوردة وتجزئة التكنولوجيا المستوردة بغرض تنمية التكنولوجيا المحلية، بمعنى فك الحزمة التكنولوجية مع ضمانات الأداء.
- التفاوض حول أفضل الأحكام والشروط عند نقل التكنولوجيا.
- التأكد من تواجد القدرة التكنولوجية والتنظيمية المحلية التي تتولى تطبيق المعرفة والخبرة المستوردة والعمل على تطويعها مع البيئة والاحتياجات

المحلية وتهيئة الصيانة والتشغيل بكفاءة.

- تدعيم القدرة الذاتية للتكنولوجيا وتقوية مقومات الإنتاج، مع مراعاة عدم إلحاق الضرر بالأجهزة الإنتاجية القائمة فعلاً.

فعملية نقل التكنولوجيا وعملية تنمية الإمكانيات الذاتية عمليتين مترابطتين - كلما كانت الإمكانيات الذاتية أفضل أدى ذلك إلى نقل التكنولوجيا بكفاءة أفضل مما يجعلها تساهم في تنمية القدرات الذاتية، لذلك فإنه ينبغي فصل التكنولوجيا عن المعونات الخارجية. فكثيراً ما تشترط الدولة المتقدمة على الدول النامية أن تستخدم المنحة أو القرض الميسر في استيراد المصانع كاملة على طريقة «تسليم المفتاح» من الدولة المتقدمة التي تقدم المعونة. وهكذا يتقيد الاختيار أمام الدولة النامية بما هو متاح في هذه الدولة المتقدمة فقط، وقد لا يكون هذا النوع من التكنولوجيا ملائماً لهذه الدولة النامية بالذات.

وتستورد التكنولوجيا من الخارج لتحقيق أحد أمرين:

الأول: الاستفادة من التطور التكنولوجي العالمي في إنتاج سلعة أو خدمة مطلوبة.

والثاني: استيراد تكنولوجيا جديدة لتطوير أساليب إنتاج سلعة أو خدمة موجودة.

ويمكن نقل التكنولوجيا بطرق متعددة أهمها:

- الاستثمار الأجنبي وإنشاء فروع شركات مملوكة بالكامل للأجانب.
- المشروعات المشتركة.
- عن طريق تراخيص وطرق تصنيع وحقوق معرفة وآلات ومعدات وإشرف على التركيب والتشغيل للمشروعات الصناعية.
- اتفاقيات المعونات الفنية.
- الاستيراد والتقليد حيث تقوم الدولة المستوردة للتكنولوجيا بفك الآلات والسلع الاستهلاكية إلى أجزائها لتحديد هذه الأجزاء ومحاولة التوصل إلى طريقة تصنيعها وتجميعها.

ولكي يكون نقل التكنولوجيا نقلاً حقيقياً فإن الأمر يستلزم أن تبدأ عملية النقل بالتصنيع المحلي مع تدعيم المكاتب الاستشارية ومراكز التقييم والشركات الهندسية المصرية والصناعات المغذية والصناعات الصغيرة مع التركيز على صناعات المعدات الاستثمارية.

ولذلك فإن التنمية التكنولوجية بمفهومها الكامل تقتضي الربط بين إدخال السلعة أو الخدمة وبين إنتاجها محلياً مما يستلزم.

أولا: التكامل بين إدخال السلعة أو الخدمة واستخدامها طبقا للتكنولوجيا التي تم اختيارها.

ثانيا: زيادة قدرة الجهاز الصناعي المحلي على إنتاج المكونات والمستلزمات اللازمة لهذه التكنولوجيا حتى يمكن مع الوقت زيادة إسهام التكنولوجيا المحلية من خلال إحداث التغير التكنولوجي.

٥- التفاوض والتعاقد على نقل التكنولوجيا

يُعرف التفاوض على أنه الأسلوب الذي يمكن عن طرقه التوصل إلى التوفيق بين المصالح المتعارضة للمتفاوضين إما بالتراضي أو بقبول حل وسط. وفن التفاوض هو الوصول إلى تحقيق أقصى قدر من الأهداف الرئيسية والنجاح في الاتفاق على حل وسط في المجالات الأقل أهمية. كما أن هناك عدة أساليب للمفاوضات منها أسلوب فرّق تسد، وأسلوب التهديد بالانسحاب من المفاوضات، والأسلوب الذي يجمع فيه المفاوض بين شخصية المفاوض الطيب واللين والمفاوض الصعب القوى، وأسلوب المساومة .. إلخ.

وعندما يسفر الرأى على تنفيذ مشروع معين يستلزم توافر دراسات ومعلومات أمام أطراف التفاوض مثل تحديد الركائز الأساسية لنجاح المشروع (نوعية الإنتاج، معلومات كاملة عن التكنولوجيا المطلوبة للإنتاج على المستويين المحلي والدولي، حجم الاستثمار محلي وأجنبي ومصادر التمويل، توافر الكوادر الفنية .. إلخ) والقوانين والقرارات التي يخضع لها المشروع، ودراسة

جدوى ميدانية، وتصور للصيغة المقترحة لاتفاقية الحصول على التكنولوجيا، والاشتراطات والقرارات الحكومية الخاصة بمنع التلوث والمباني واستخدام المقاولين الأجانب والنقل والتحويل ... إلخ.

٦- تشريعات نقل التكنولوجيا

تعالج تشريعات نقل التكنولوجيا عقود نقل التكنولوجيا، وتقييم شروط التعاقد من الناحية القانونية والفنية والتكنولوجية، والشروط المجحفة في اتفاقيات نقل التكنولوجيا. فعقد نقل التكنولوجيا قد يشتمل على محتويات الحزمة التكنولوجية بالكامل أو قد يشتمل على جزء منها حيث تتكون الحزمة التكنولوجية من:

- تقييم المشروع وتوريد الرسومات.
- توريد المعدات والإشراف على التركيب.
- تدريب العمالة.
- تقديم حق المعرفة والبيانات الفنية ومستنداتها.
- تقديم الترخيص الصناعي.
- الموافقة على استغلال براءات الاختراع.
- تقديم العون في مجال التسويق.
- المعاونة في تحسين الأداء ورفع الجودة وتقليل التكاليف.

ويقصد بالشروط المجحفة (المقيدة) في عقود نقل التكنولوجيا تلك التى يفرضها الطرف المصدر للتكنولوجيا على الطرف المتلقي لها عند التعاقد. ومن هذه الشروط اشتراط تعيين أو استخدام العمالة المقدمة من الطرف المصدر للتكنولوجيا، ومنع الطرف المتلقي للتكنولوجيا من أقلمتها وفق احتياجاته المحلية، وبحث صلاحيات حقوق الملكية الصناعية في حالة كونها عنصراً من عناصر التكنولوجيا محل العقد.

وتعاقدات نقل التكنولوجيا علم له أصول وقواعد، فعند تقييم العقد من الناحية الفنية والتكنولوجية يجب أخذ العوامل الآتية في الاعتبار:

- مدى ما يؤديه المحتوى التكنولوجي لتنمية القدرات الذاتية التكنولوجية.
- تفاصيل المحتويات التكنولوجية.
- كفاية الضمانات والالتزامات من قبل مُصدّر التكنولوجيا.

٧ - استيعاب وتطويع التكنولوجيا

المقصود بالاستيعاب هو الاحتواء الشامل للتكنولوجيا بكل التفاصيل الدقيقة للمفاهيم العلمية - النظرية والعملية - وبكافة نواحي الخبرة والمعرفة والمعلومات المتاحة عنها.

كذلك التعرف الكامل بدقائق الأمور للجوانب الفنية والاقتصادية للأنواع المختلفة منها بما يسمح بالاختيار والتفاوض والتقييم للتكنولوجيا المنوقولة والقدرة على التعامل معها. وكذلك القدرة والممارسة على إعداد دراسات الجدوى وتقييم مقارن للبدائل وطرح اختيارات مسببة. إن المشاركة الكاملة والمتكافئة مع إدارة الجهة وخبرائها يمثل دليلاً على استكمال الاستعداد للاستيعاب. وفي تعريف مكمل فإن الاستيعاب يتحقق عندما تصبح صورة التكنولوجيا المنقولة جزءاً من النسيج الكلى للعمليات الإنتاجية أو الخدمية.

أما التطويع التكنولوجي فيمثل القدرة على إحداث التغيير المطلوب في التكنولوجيا المنقولة بحيث تتناسب مع الظروف والإمكانيات المحلية، وطبيعة المادة الخام. والقدرات الذاتية المتاحة في البيئة المحلية. ومن ثم يجب النص في عقود نقل التكنولوجيا على حق المتلقي (المستورد) في الحصول على أى تطوير أو تعديل يجد مستقبلاً على ممارسات المصدر في مجال التكنولوجيا المتفق على نقلها، كما يستمر إلزامه بأداء كافة الخدمات والضمانات حول صلاحية مدة التعاقد، أي أن التطويع يأتي للتغلب على أية فجوات بين طبيعة الموارد والقدرات المتاحة وطبيعة وحجم التكنولوجيا المنقولة وينبغي أن يكون

ذلك من حق متلقي التكنولوجيا.

ويقتضى الاستيعاب والتطويع للتكنولوجيا المنقولة استعداداً مؤسسياً وإجرائياً وتكنولوجيا يسبق مرحلة التفاوض والتعاقد على نقل التكنولوجيا، ويشمل الاستعداد المؤسسي مستويات عديدة أهمها مستوى الإدارة والإنتاج والبحث والتطوير التكنولوجي. والاستعداد الجرائى الخاص بالتفاوض والتعاقد يبدأ بتحديد دقيق لنوعية ومواصفات التكنولوجيا المستهدفة والتكلفة المقبولة والعائد المتوقع. في حين يبدأ الاستعداد التكنولوجى في مجال المعلومات والتوثيق والبحث والتطوير التكنولوجي والتدريب والتخطيط وإدارة الإنتاج والخزين والتسويق قبل مرحلة تجهيز الحزمة التكنولوجية. والمصدر الناقل لها.

ويمكن الاستفادة من المعلومات والخبرات من «نقل التكنولوجيا» في رفع الكفاءة الإنتاجية في مجالات الإنتاج والتسويق للمبيعات التي تمثل أهم الأصول المتداولة في المنشأة. ويمكن النظر إلى نقل التكنولوجيا على أنها بمثابة عبور مرحلة إلى أخرى أكثر تقدماً وتطوراً حيث يستخدم على أثرها تكنولوجيا جديدة.

٨- العولمة ونقل التكنولوجيا

التوافق مع العولمة أصبح حتمياً لأنها أي العولمة تمثل النتاج الفعلى للنظام العالمي الجديد الذى تتبناه وتحرص عليه القوى الدولية المتحكمة في مقدرات دول العالم أجمع. تقود هذه القوى الدولية تيار عالمي شرس نحو التحرر والإصلاح .. الموجة الغالبة فيه تمثل نوعاً من الإصلاح المزدوج في الاقتصاد والسياسة، يقوم على التعددية السياسية ومزيد من الاقتصاد الحر المعتمد على اليات السوق. كما تعمل هذه القوى الدولية على أن يصبح الاقتصاد والإنتاج الصناعى والإدارة عالمياً.

ومن واقع هذا المفهوم وجب التنويه عن نقل التكنولوجيا في ضوء

مـجمـوعـة من القضـايا مـثل دور النشـاطات الوطنية للعلم والتكنولوجـيا في العـولمة، ومـقـومـات تشـيـيـد قـاعـدة تكنولـوجـيـة وطنيـة مـتـينة، وفـجـوة المعرفـة والتكنولوجيا بين الدول المتقدمة والدول النامية في ظل النظام العـالمى لإنتاج التكنولوجيا، وأخيراً الأنماط التاريخية للتنمية التكنولوجية وفق تجارب الدول.

١/٨ - النشاطات الوطنية للعلم والتكنولوجيا:

تلعب النشـاطات الوطنية للعلم والتكنولوجـيـا دوراً أسـاسـيـاً في العـولمة وذلك لعدة أسباب من بينها:

١ - أن العلم والنشـاط العلمى عـالمي النزعة بطبيعته ولا تعوقه إطلاقاً الحدود الكائنة بين الدول، والمجـتـمـع العلمي في أية دولة هو جـزء مـتكامل مع المجتمع العلمي الدولي بكل أبعاده وطموحاته.

٢ - أن هناك مـشكلات عـالمية بخصـائصـهـا مثل التنبؤ في الأرصـاد والفلك ومشكلات البيئة واستغلال البحار والمحيطات والفضاء ومقاومة الجفاف والتـصـحـر، والأمـراض المتوطنة وغيـرها - تسـتـدعي دائماً كافـة الدول والمجتمعات في سبيل التغلب عليها.

٣ - أن الدول الصناعية المتقدمة تسـتـحوذ على أكثر من ٩٠٪ من نشاطات وانجـازات العلم والتكنولوجـيا على المسـتوى العـالمي. الأمـر الذى يدعـو الدول النامية إلى توفيق أوضاعها مع هذه الحقيقة حتى تستطيع مواكبة مبدأ الأخذ والعطاء فيما بين الدول جميعاً.

٤ - أن التكاليف المالية للبـحوث العلمـيـة والتكنولوجـيـة في المجالات المتـقدمة والجـديدة أصبـحت باهظة المستوى وفوق قدرة وطاقـة أي دولة بمفـردها مهـمـا بلغت درجة غناها. ومن هنا فـالعمل الإقليمى والدولي ضـروري في هذه المجالات.

٥ - أن تدفقات التكنولوجيا الخـارجية عن طريق النقل الأفقي لها تأثير مباشر على نمو القدرات العلمية والتكنولوجية إذا ما تم النقل بطريقة صـحيحة وصاحبه نقل للعلم أيضا.

٢/٨ القاعدة العلمية والتكنولوجية :

إن توافر قاعدة علمية تكنولوجية بات شرطاً أساسياً لكي تتبوأ أية أمة مكاناً مرموقاً في النظام العالمي الجديد ومولودته العولمة. ولا يمكن لهذه القاعدة أن تتكون وتنمو إلا على أساس توافر مقومات رئيسية من بينها:

١ – إرادة سياسية وطنية واعية بقيمة العلم والتكنولوجيا ودورهما في المجتمع.

٢ – نظام تعليمي – تربوي – ثقافي حديث.

٣ – نظام للعلم والتكنولوجيا تتوافر لديه امكانات وطاقات مؤسسية ومالية وبشرية قادرة على الابتكار والإبداع العلمي والتكنولوجي وربطه بتنمية المجتمع.

٤ – سياسة علمية – تكنولوجية ترتبط ١١٢٠١رتباطاً وثيقاً بالسياسة الاقتصادية، وسياسات الإنتاج والاستهلاك وتوزيع الدخل، والسياسة التعليمية، والسياسة الثقافية، والسياسة الخارجية.

٥ – تعظيم الاستفادة من العلاقات العلمية والتكنولوجية الدولية والإقليمية والثنائية.

٦ – اكتساب مهارات ذاتية في إدارة رفيعة المستوى للنشاطات الوطنية للعلم والتكنولوجيا.

تأتى العولمة والقاعدة العلمية والتكنولوجية المتينة في سبيلها للتكوين في كثير من الدول النامية ومن بينها مصر. الأمر الذي يحتم على هذه الدول أن تعمل سريعاً على توفيق أوضاعها فيما تفرضه العولمة من المعرفة والتكنولوجيا كعنصرين حاكمين للمواكبة والندية والمنافسة.

٣/٨ إنتاج التكنولوجيا والفجوة التكنولوجية:

وكما سبق الإشارة، فإن هناك فجوة في المعرفة والتكنولوجيا بين الدول النامية والدول المتقدمة، ولا سبيل إلى تخطي هذه الفجوة إلا من خلال تعبئة

وحشد جميع القدرات العلمية والتكنولوجية في جميع مرافق الدولة الإنتاجية والخدمية لتعمل جميعاً جنباً إلى جنب للنهوض بالتنمية التكنولوجية.

وإذا كانت المكونات الرئيسية للتنمية التكنولوجية تتمثل في التعليم والبحث العلمي والتطبيق (الصناعى أو الزراعي أو الخدمي) فإن التقدم التكنولوجي لا يحدث إلا إذا توفر لدى الدولة بحث علمي متقدم وقوى، وصناعة متقدمة وقوية.

إن التطور العلمي لا يؤدي في ذاته إلى تطوير تكنولوجي، ذلك أن التطور العلمي هو شرط امكانية للتطوير التكنولوجي. أما التحقيق الفعلي لهذه الإمكانية، فلا يتم إلا إذا كانت هناك حاجة إلى التطوير التكنولوجي، ويشترط أن تؤدي هذه الحاجة إلى تكوين طلب فعلي على التكنولوجيا من قبل النسق الإنتاجى Productive System ووفقا للقوانين الأساسية التي تحكم حركة هذا النسق في ظل نمط الإنتاج السائد.

وتلعب الظروف الاقتصادية والاجتماعية والتقنية التي يعمل النسق الإنتاجي في إطارها دوراً حاسماً في تحديد الاحتياجات التكنولوجية، وبالتالى في توجيه عملية التطوير التكنولوجي، فظهور حاجة تكنولوجية مثل نقص اليد العاملة، أو توافر نوع معين من المواد دون غيره، تعمل على دفع عجلة التطوير التكنولوجي بشرط أن يكون من شأن هذا التطوير زيادة قدرات المشروع الرأسمالي على التراكم عن طريق زيادة الإنتاج.

وهذا الارتباط بين عملية التطوير التكنولوجي وضرورة تحقيق التراكم الرأسمالي هو الذي يفسر احتكار الشركات متعددة الجنسية لهذه العملية باعتبارها أهم أدوات السيطرة على الأسواق، وتفضيل هذه الشركات لتكنولوجيا تنويع المنتجات، على تكنولوجيا اساليب الإنتاج بما يعنيه ذلك من أن التطوير التكنولوجى ليس دائماً بالضرورة نتاجاً لحاجات قائمة، بقدر ما هو أداة لخلق هذه الحاجات في إطار الاستراتيجية العامة لرأس المال.

ويتم إنتاج التكنولوجيا وتداولها في إطار نظام تكنولوجي دولي محدد،

هو جزء من النظام الاقتصادي العالمي القائم، وأهم ما يميز هذا النظام التكنولوجي هو عدم التكافؤ بين الشمال والجنوب، والذي ترتكز عليه علاقات التبعية التكنولوجية التي تستطيع وحدها تفسير الاتساع المتزايد لما سمي (بالفجوة التكنولوجية) التي تكونت نتيجة عدم التكافؤ الرهيب في توزيع الموارد المخصصة لإنتاج التكنولوجيا بين الدول النامية والدول الصناعية، بما يترتب عليه من تمركز الإنتاج التكنولوجي في هذه الدول الصناعية.

وحتى في الدول الرأسمالية الصناعية يتركز إنتاج التكنولوجيا بشكل أساسي في المشروعات الخاصة الكبيرة، وخاصة في الشركات متعددة الجنسية، التي تسيطر سيطرة كاملة على عملية التطوير التكنولوجي على المستوى العالمي. ويترتب على ذلك نتيجتان هامتان:

الأولى: سيطرة رأس المال الخاص على عمليات النقل الدولى للتكنولوجيا، بما يعنيه ذلك من غلبة الطابع الخاص لعمليات نقل التكنولوجيا وخضوعها لمنطق ومقتضيات الربح في إطار الاستراتيجية العامة لرأس المال على المستوى العالمي.

والثانية: أن إنتاج التكنولوجيا يتم في إطار نظام احتكار القلة ووفقاً لمقتضياته.

والمعروف أن المنافسة في ظل نظام احتكار القلة لا تتم عن طريق الثمن، وإنما عن طريق محاولة زيادة حصة المشروعات المتنافسة من السوق بأساليب عدة منها تجديد المنتجات وتنوعها، أو عن طريق تخفيض نفقات السلع لا من أجل تخفيض أثمانها ولكن من أجل توفير موارد يمكن تخصيصها لعمليات البحث والتطوير والتسويق والاعلان. ومن هنا تجيء أهمية وضرورة السيطرة على عملية التطوير التكنولوجى باعتبارها السلاح الأكثر فاعلية في المنافسة من أجل السيطرة على الأسواق في ظل احتكار القلة.

وطالما تلعب التكنولوجيا هذا الدور الحاسم في المنافسة على الأسواق، فمن الطبيعى ألا يتخلى منتجو التكنولوجيا عن احتكارهم للتكنولوجيا طواعية.

وهذا هو الذي يفسر لنا كيف أن الكثير من عمليات تسويق التكنولوجيا على المستوى الدولي لاتؤدي غالباً إلي أي نقل حقيقي للتكنولوجيا من الدول الصناعية المتقدمة إلى الدول النامية، وبالتالي فهي لا تؤثر من قريب أو من بعيد على الاحتكار الدولى للتكنولوجيا، بل إنها - على العكس تماماً - تؤدي في معظم الأحيان إلى زيادة إحكام مصدري التكنولوجيا على الدول النامية، وبالتالي إلى تعميق التبعية الاقتصادية والتكنولوجية لهذه الدول.

وترتكز التبعية التكنولوجية على عاملين:

أولهما: التفاوت الكبير والمتزايد بين الطلب على التكنولوجيا من القطاعات الإنتاجية في الدول النامية، وبين قدرة الأنظمة العلمية والتكنولوجية المحلية على إشباع هذا الطلب، بما يترتب عليه من استيراد مستمر للتكنولوجيا من الخارج.

وثانيهما: وهو نتيجة مباشرة للعامل الأول، ضعف المركز التفاوضي للدول النامية في مواجهة مصدرى التكنولوجيا.

نقطة البداية إذن لفهم طبيعة وآليات التبعية التكنولوجية هي ذلك الخلل الكبير في النسق التكنولوجي Technological System السائد في البلاد النامية والمتمثل في غياب السياسات التكنولوجية، وغياب أو ضعف المؤسسات التكنولوجية التي تقوم بعمليات البحث والتطوير، وعدم ارتباطها - في حالة وجودها - بالمؤسسات العلمية من ناحية، وبالمشروعات الإنتاجية من ناحية أخرى، بما يؤدي إليه ذلك من لجوء هذه المشروعات إلى الخارج لاستيراد التكنولوجيا.

وقد يكون الخلل نتيجة لتجاهل القطاع الإنتاجي لمؤسسات البحث والتطوير لأسباب تتعلق بطبيعة استراتيجية التنمية المتبعة، أو لأسباب اجتماعية أخرى مثل نمط الاستهلاك السائد، أو نمط توزيع الدخل - تلك الأسباب التي تفرض اللجوء إلى التكنولوجيا المستوردة من الخارج.

٤/٨ - الأنماط التاريخية للتنمية التكنولوجية:

بدأت الثورة التكنولوجية في القارة الأوروبية بثورة التنوير التي انطلقت إلى الفراغ الاستراتيجي والاقتصادي في مستعمرات العالم الجديد والقديم .. وكان أمامها فسحة من الزمن زادت على الثلاثة قرون لتتكامل حلقاتها من الثورات الصناعية والتكنولوجية.

إعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على نقل الاكتشافات العلمية الأوروبية وتطبيقها وتسويقها ولم يكن لها دور تنافسي في البداية.

ومع ذلك فإن أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية تمثل دول الفوج الأول الذي أرسى قواعد كلاسيكية للتنمية التكنولوجية من خلال إقامة نظام للعلم والتكنولوجيا قادر على توليد ما تحتاجه هذه الدول من تكنولوجيات يقوم على أركانها تكنولوجيات المرافق الإنتاجية والخدمية ليس فقط في هذه الدول بل تمتد لإعارة هذه التكنولوجيات لدول أخرى خصوصاً الدول النامية لتحقيق برامج التنمية فيها.

بعد الحرب العالمية الثانية لم تتجه اليابان إلى محاكاة تلك القواعد الكلاسيكية في توليد تكنولوجياتها .. بل ارست قاعدة المعجزة اليابانية التي إعتمدت على نقل التكنولوجيات المتقدمة من دول الفوج الأول .. وتميزت عملية النقل بجهود مكثفة لتقييم واختيار انسب التكنولوجيات والعمل على استيعابها وانتشارها بكفاءة وتطويعها للظروف المحلية، وإدخال التحسينات عليها، وخلق معرفة جديدة هي في نهاية الأمر نقطة البداية لتكنولوجيا يابانية. لقد وقعت اليابان ٤٢ ألف عقد شراء نقل تكنولوجيا من الدول الصناعية المتقدمة خلال الفترة ١٩٥١ - ١٩٨٤، كما بلغت تكلفة نقل التكنولوجيا حوالي ١٧ مليار دولار على مدى عشرين عاماً مثلت القاعدة التكنولوجية للمعجزة اليابانية، التى حققت لها السبق والتفوق في الثمانينات على أواخر الستينات. وفي عام ١٩٨٠ أعلنت اليابان الاستقلال التكنولوجي وأصبح للصناعة اليابانية قدرة تنافسية كبيرة.

لم تحصل اليابان على جوائز نوبل في الاكتشافات العلمية الكبرى خلال تلك المرحلة، ولكنها حققت تفوقاً هائلاً في تطويع وتطبيق هذه الاكتشافات، وفي إعطائها السبق الصناعي والتجاري في أكثر مجالات التكنولوجيا الجديدة المعتمدة على اكتشاف الغير الذين فشلوا في تطبيقها وتطويرها أو تأخروا في ذلك.

وهكذا وضعت اليابان أساس النمط الذي اتبعته نمور شرق آسيا ويعرف هذا النمط من التنمية التكنولوجية بنمط دول الفوج الثاني، وفيه ارتكزت احتياجات الخطوات الأولى للإنطلاق على تنمية القدرات في مجالات تقييم واختيار التكنولوجيا، ونقل التكنولوجيا واستيعابها وتطويرها وإدارة التنمية التكنولوجية.

إن نمط الفوج الثاني رغم افتقاره إلى قاعدة ثورة التنوير وافرازاتها من تطور سياسى رتيب نحو الديمقراطية وإرساء القاعدة الفكرية للمبادرة والابتكار والمنافسة (التى بدأت بها أركان الثورة الصناعية في الغرب)، فقد اقتضى هذا النمط آليات ومهارات أخرى ملائمة لظروفه واحتياجاته، وكان دور الدولة مركزياً في عملية التأقلم الملاحقة .. وسمحت له الظروف المحلية والدولية باستخدام آليات فعالة لتحقيق الجدوى من هذا النمط التنموى. لقد ارتكز نمط دول الفوج الثاني على نهضة تعليمية وتدريب وبعثات للحصول على أعلى مستوى من المهارات والخبرات المتقدمة.

لقد وصلت مرحلة الندية في اليابان إلى أن عدد طلبات تسجيل حقوق الملكية الفكرية في عام ١٩٩٣ وصل إلى ٢٠٨٣٤٧ مقارنة بالولايات المتحدة ٥٧٨٩٠ بصرف النظر عن احتمالاتها الاقتصادية.

لقد أثبت نمط الثورة الصناعية والتكنولوجية في دول الفوج الثاني أو الدولة تستطيع خلق الظروف وتوفير الموارد اللازمة لاقتحام حدود التخلف والتبعية وتوفير الدعم والحماية لتحقيق الندية مهما كان في القرار من صعوبات وعقبات وتحديات.

الواقع يشير أن هناك دول الفوج الثالث الذي يقتحم مجال الثورة الصناعية والتكنولوجية ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين وما يفرضه من تحديات في ظل النظام العالمي الجديد ومولودته العولمة. والواقع يشير أيضا إلى أن مصر أحد دول الفوج الثالث.

يتحكم الاقتصاد العالمي الطاغي في سياسات واختيارات وآليات الفوج الثالث من خلال البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية ونادى السبع الكبار ونادي باريس واتفاقات التعاون الثنائي والإقليمي. ولكن كل هذا لا يلغي كلية حرية الاختيار ولا يغلق كل نوافذ الفرص، وإن بدت أكثر تكلفة وأعقد ممارسة.

والسؤال المطروح الآن: هل يمكن لدول الفوج الثالث أن تحاكي النمط الكلاسيكى لدول الفوج الأول أصحاب ثورة التنوير ثم الثورة الصناعية والاحتكار لمصادر المواد الأولية والأسواق والأيدي العاملة الرخيصة على امتداد ثلاثة قرون من الاستعمار. بمعنى أن تكون ركيزة الملاحقة الملحة والبالغة الصعوبة هي ابتكارات المعاهد والمراكز البحثية والجامعات والأكاديميات؟

أم أن يؤخذ بنمط دول الفوج الثاني حيث يتضح فيها البنيان الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي، ثم يلي ذلك الابتكارات والاكتشافات والمعرفة لمراكز ومؤسسات البحث العلمي والجامعات؟

أم أن نتخطى الفجوة في المعرفة والتكنولوجيا باتباع الأسلوبين معاً، بمعنى البحث والتطوير محلياً جنباً إلى جنب مع نقل التكنولوجيا واستيعابها وتوطينها وتطويرها وخلق معرفة جديدة تكون مع معطيات البحث والتطوير الأساس لخلق تكنولوجيا محلية؟

Genetic Engineering: Pros And Cons

Dr. Maher Noaman

UAE University

Faculty of Agricultural Sciences

Department of Plant Production

PO Box 17555

Role of Biotechnology in Crop Productivity and Sustainability

A question was asked whether biotechnology can contribute significantly to meet the increasing demand for food?

Global population growth necessitates a doubling of present food production by the year 2030. The world population is expected to reach 8 billion by the first decade of 21st century.

The human needs for food, fiber, and raw materials are increasing rapidly. Worldwide crop losses from plant diseases, insects, and adverse weather amount to billions of dollars annually. It is well known that improvement in crop productivity can be made through modifying plant genotypes to better adapt them to their environment and by changing the cultural practices of crops to reduce the effects of environmental stresses. Advances in crop improvement are dependent upon adequate genetic variability and the nature and extent of selection pressures on the plant population. Often, however, crop species do not contain sufficient genetic diversity to make selection for the desired improvement. Thus, the search for adding genetic diversity in crop species through adoption of new technology has been the key to providing improved adaptation.

A big dilemma facing the world society now is to solve the problem of satisfying the demand for the production land and in the meantime, maintaining (sustaining) its production to remain productive and environmentally neutral, and even restorative, under this population growth pressure with increasing number of hungry mouths. This necessitates various production systems to remain productive and sustainable. This has not been a feature of agricultural development in the past, where food and fiber production has been accomplished by progressive loss in quality of the production systems including soil and water resources.

One approach to solve this dilemma is to use modern commercial plant biotechnology which had its birth in 1995 with genetically engineered tomatoes in the US, then in the UK, but it was in 1996 that the first extensive Transgenic agricultural system came into practice in the US.

Gene technology is also providing scientists with rapidly increasing knowledge of key pathways involved in plants responses to environmental stresses and is helping in understanding of the developmental processes of plants. Plant development and plant function are increasingly able to be expressed in terms of the patterns of gene expression. These advances in knowledge are enabling scientists to modify metabolic pathways in order to optimize production of desired quality traits or desired physiological behaviors.

Transgene constructs can now provide both positive and negative controls of specific genes as well as can contribute new traits to our production plants. Now there is the opportunity to manipulate a plant genome with an expectation of modifying its function and/or development in a design production plants so

that they will be compatible with a management system designed to generate a sustainable enterprise.

Problems in Increasing Crop Yields

There are several constraints restricting the progress of increasing crop production:

1. Conservation of traditional breeding system

Plant breeding generally consists of two successive phases; 1) the induction of hereditary variation, and 2) the selection of superior genotypes from a population comprising various types. In this process, there is a wide gap between fitness criteria in the selection stage and the realization of productivity potential in the released varieties. Moreover, the selection criteria under field conditions remain somewhat arbitrary and based on personal experience and preference of the breeder regardless of the farmers or market needs . Almost all economic traits are quantitative in nature and should be selected for after due considerations of biometrical genetics. Further, predictable size of crossing block in relation to number of segregating loci and size of first segregating population for efficient selection of the fittest genotype also need critical study.

In conventional plant breeding programs, we transfer genes through cross breeding and hope to create the proper combinations to produce the desired genotype. However, traditional methods of cross breeding do not provide a means to overcome incompatibility among species or genera to introduce genetic material from other outside sources.

2. Vulnerability due to narrow genetic base

The genetic base is narrowed down due to directional selection. The narrow genetic base due to lack of diverse germplasm

in some crops has restricted the development of derived high-yielding varieties.

3. Difficulties in application of advanced breeding approaches

A gap between selection environments, i.e. controlled laboratories, experimental sites, and growers' fields, is likely to create problems in realizing the expected gains. A radical change in the breeding approaches is required to increase the crop productivity through the use of the knowledge in the field of genetics, plant breeding, and allied sciences. Studies on genetics of nitrogen metabolism and physiological selection for increased productivity have suggested measurements of a number of physiological processes preceding maturity as suitable selection criterion in cereals and pulses in contrast to with the conventional per se selection approach. Some of these factors are NO3 uptake, N2-fixation, N accumulation, N remobilization, seed protein synthesis, and nitrogen harvest index.

Role of Genetic Engineering in Agriculture

Till recently, the most favored tools in hands of geneticists were hybridization of genetically diverse individuals followed by selection of economically superior genotypes and induced beneficial mutations. These and other related techniques were limited in their approach. For example, mobilization of genes was restricted to within species due to crossability barriers; also selected and induced mutation events rested heavily on chance factors. In the last two decades, a few of the spectacular discoveries relating to directed cutting and joining of the DNA molecules, changed the whole complexion of our approach towards manipulating the genetic material and producing genet-

ically engineered organisms.

Basically, the technique of genetic engineering involves as a 1st step, identification of donor (plant, animal, or microorganism) with a desired gene. The DNA from such an organism is isolated and following digestion with restriction enzymes (these enzymes can cut DNA at specific sites) and the fragments so generated are joined (by enzymes called Lygases) with bacterial plasmid DNA and cloned in the bacteria. Thus, the whole plant or animal genome (total DNA) can be maintained in bacteria (generally Escherichia coli, a harmless bacterium commonly found in human gut). Following specific techniques, the DNA fragments corresponding to the gene of interest are identified from bacterial clones and the functional gene is re-constructed. The transfer of this gene to the desired recipient-plant, animal, or microorganism, is achieved by employing a suitable vector (vehicle). For example, if the recipient happens to be a plant, a bacterium called, Agrobacterium tumefaciens, which is capable of transferring its DNA to plants can be used as a vector.

The isolated gene is hooked to the vector plasmid if this bacterium and the plant cells are transformed. The transformed cells are made to regenerate into whole plants. Such plants are referred to as Transgenic plants. Thus, the actual process used to transfer genes from one organism to another is often compared to the process of editing a written text, using scissors and glue to cut and paste. This technique is so powerful that genes of interest can easily be transferred across all biological barriers. In fact, it will consider the whole biological world as a single gene pool.

The basic requirement often limiting the scope of this technique is the identification of specific genes for specific character. In spite of this limitation, tremendous advancement has already

been made in genetically engineered superior plants, animals, and microbes for human welfare. The following are just a few examples of the application of genetic engineering:

I. Genetic Engineering in Plants

A. Insect Resistance

A gene produces proteinaceous toxin against insects from the bacterium Bacillus thuringiensis (Bt) has been isolated and inserted into plants of tobacco, potato, tomato, cotton, etc. through genetic engineering. These transgenic plants showed complete resistance to insect damage. The Bt gene in cotton provides the cotton plant with an in-built biological software system enabling a marked reduction in insecticides sprays against the Lepidopteran pests of the crop. Without the advent of the Transgenic strategy or of new chemical strategies the cotton industry may not have survived in Australia, which approved Bt cotton in 1996. The question now arises whether scientists can prevent the build-up of Bt-resistant moth populations and can the plant delivery system of the insecticide be used in a stable mode of control. Knowledge of the molecular mechanisms of action of the protein has provided the base for rational planning for a long-lasting control system. Achievement of this condition would be a major step towards the establishment of a sustainable crop production system. The importance of this approach lies in the fact that it not only saves an energy intensive production of insecticides but is non-pollutant for the environment

B. Virus Resistance

One of the procedures being followed in virus resistance technique is to transfer the gene for coat protein of the virus to the plant through genetic engineering. The idea is to have the cells

of such transgenic plants produce the coat protein in great amounts. The invading viral DNA responsible for spread of infection gets encapsulated in the coat protein and therefore, is seized from multiplication. Successful demonstration of this technology in tomato and tobacco has opened up possibility of extending this technique to other crop plants.

C. Herbicide Resistance:

There are fears concerning the long-term impact of using large quantities of herbicides on soil fertility and water pollution all over the world. Recently, genes of tolerance to specific herbicides have been identified, i.e. gene responsible for producing an enzyme EPSP synthase from a bacterium has been transferred to plants making them resistant to glyphosate (commonly called round up), a herbicide. Similarly, gene for imparting resistance to other herbicides are currently under advance stage of testing.

One of the big biotechnology companies in the US is conducting field trials of cotton and soybean plants designed to resist some kinds of herbicide.

D. Nutrient Quality

As it is well known that the building blocks of protein are the amino acids. The arrangement and proportion of a given amino acid in a protein is dictated by the genetic information inherently present in the DNA (genes). It is, therefore, possible to alter this proportion of amino acids by genetically engineering the specific nucleotide sequences in the concerned genes. Using this approach, transgenic plants with gene for Zein fraction (maize protein), which improves the content for Lysine have been produced in maize.

E. Cold Tolerance

It has now been possible to transfer a gene from a fish found in the Arctic Ocean to soybean plant. The goal was to create a soybean variety with increased tolerance to cold weather.

F. Producing Male Sterile Plants

Hybrid vigor or heterosis is a phenomenon which appears when some plants when crossed give progenies which are vigorous than the parents themselves. This phenomenon used in a number of crop plants, especially in maize. The parents are crossed with each other manually is a laborious and expensive process. In some crop plants the concept of male sterility in which the parent used as females is male sterile has been utilized for developing hybrid seeds. Through genetic engineering it has now been possible to selectively kill the pollen grains making the plants male sterile. The underlying procedure involves development of transgenic plants harboring a ribonuclease gene and expressing it only in the cells which provide nourishment to the developing pollen grains. Since ribonuclease will destroy the metabolic process in these cells, it will result in pollen abortion.

II. Genetic Engineering in Animals

Animals have marked advantage as targets for genetic engineering in that the embryos of many species can be extracted, treated, and reimplanted in the mother's womb. When rat growth hormone gene engineered in a specific way is introduced into mouse embryos such that now it expresses in all the mouse cells while the normal growth hormone gene which is expressed in the pituitary gland only, the resulting mouse grows faster and bigger than it normally would. These discoveries have opened up vast potential of far reaching consequences. It should be known that a foreign gene in an alien environment need not always human

growth hormone gene introduced into sheep it worked well in producing super sheep but the same gene when introduced in pigs caused some problems in growth and the pigs suffered from arthritis and were cross eyed.

A bovine growth hormone has been found to increase milk yield 10-25% in cows. Another hormone, bovine somatotropin boosts beef production. However, the sale of milk or meat from animals treated with such genetically engineered hormones will be possible when nutritional safety of such products are assured.

Role of Genetic Engineering in Human Health

The protein insulin is a hormone that is an essential therapeutic agent diabetics. Commercial insulin is derived from animal pancreas. Thus, the gene for producing insulin was successfully isolated and transferred it into E. coli. When these bacteria are cloned and produced in large quantity they serve as mini factories producing large amounts of valuable protein insulin. This was the first genetically engineered product which was marked in 1982.

Following the same procedure and principle of isolating relevant gene and cloning it in bacteria, product like human growth hormone, alpha interferon, hepatitis-B vaccine and tissue plasminogen activator (helps to dissolve blood clots in man) have frequently reached the market for commercial sale.

CONCLUSIONS

The hard core of biotechnology is genetic engineering. Other application such as tissue culture, microbiological transformation, and biomass utilization are equally important from the point of view of enhancing the productivity and profitability

of major farming systems. There are exciting opportunities such as breeding of varieties of tomato and rice that engender their own insecticides and potato plants that are vaccinated against viruses.

While various aspects of bio-safety and nutritive value are currently being sorted out, the fact remains that the ability to move genes across sexual barriers has opened up new opportunities in plant and animal breeding. The continuing loss of biological diversity is un-favorite. Biotechnology has certainly enhanced the economic value of our biological health.

The new genetic engineering technologies have the potential to add precisely characterized genes to the preexisting germplasm in higher plants. Many benefits can be gained from these new molecular biological systems. For example, specific chromosome transfers via micro-injection might allow the incorporation of complex multigenic traits. Use of genetic manipulation may reduce the use of hazardous chemicals such as pesticides in agricultural production systems, through incorporation of insect and disease resistance genes from wild hosts. Technology of recombinant DNA in gene transfer is advancing the field of cytogenetics. This new technology allows us to tackle problems that could not be tackled before. Molecular genetic technology will not replace conventional plant breeding methods because practical field tests will always be required to select the best adapted plant types. However, molecular genetic techniques can be used to provide greater genetic diversity and to reduce the time required for breeders to identify and incorporate adapted genotypes.

فهرس الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة